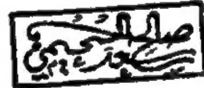
المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا
شعبة العقيدة

جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف

رسالة مقدمة لنيل الدرجة العالمية « الماجستير »

قام الباحث بتصحيح الملاحظات المطلوبة منه
صالح بن سعد السحيمي
١٢/٨/١٤١٢

قام الباحث بتعديل ما طلبت منه تعديله
عبد المحسن ...
١١/٨/١٤١٢



إعداد الطالب

عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان

إشراف

فضيلة الدكتور/ أحمد بن عطية بن علي الغامدي

العام الدراسي ١٤١٢هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيْمِ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا . من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له . واشهد ان لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، واشهد انّ محمدا عبده ورسوله .

"يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حقّ تقاته ولاتموتنّ إلا وانتم مسلمون"(١) ، "يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إنّ الله كان عليكم رقيبا "(٢) ، "يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما "(٣) .

اما بعد : فإنّ اصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشرّ الأمور محدثاتها ، وكلّ محدثة

---

(١) سورة آل عمران ، الآية {١٠٢} .

(٢) سورة النساء ، الآية {١} .

(٣) سورة الأحزاب ، الآيتان {٧٠-٧١} .

بدعة ، وكلّ بدعة ضلالة ، وكلّ ضلالة في النار(١) .

وبعد : فإنّ الله سبحانه وتعالى أرسل رسوله الكريم رحمة لهذه الأمة ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، وأنزل عليه الوحي فيه الهدى والبيان ، فدعا إلى التوحيد الخالص ليكون الدين كله لله ، وليتأله العباد ربهم تعظيما ، ومحبة ، وتوكلا ، ورغبة ، ورهبة ، وخوفا ، ورجاء ، فيوحدوه بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته .

فدخل الناس في دين الله أفواجا ، وأظهر الله دينه على الرغم من كيد اليهود ، ومكر المنافقين ، وحقد المشركين .

ولم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ رسالة ربه ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حقّ جهاده : لم يترك خيرا إلا دلّ عليه ، ولا شرا إلا حذر منه .

والتحق عليه السلام بالرفيق الأعلى بعد أن ترك الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك .

قال تعالى : "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي

---

(١) هذه الخطبة تسمى خطبة الحاجة ، وهي مأثورة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم . وقد أفردها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني برسالة ، جمع الأحاديث الواردة فيها ، وسماها : (خطبة الحاجة التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه) .

ورضيت لكم الإسلام دينا "(١) .

وقد حمل الأماجد الأوائل من المدرسة المحمدية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاعل النور والهدى إلى مشارق الأرض ومغاربها يبلغون رسالة ربهم ، فأناروا الأرض بعبادة الله ، وإبطال عبادة ما سواه . وضربوا أروع الأمثال في التضحية والفداء.

وقد سار هؤلاء الأماجد ؛ وأعني بهم الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان على هذا الطريق الواضح على بصيرة من أمر دينهم ؛ يرفضون الجاهلية عن علم ، ويدعون إلى الله على دراية .

وقد دخل في هذا الدين من قصده الإفساد ، فحاولوا صرف المسلمين عن عبادة ربهم ودراسة كتابه العظيم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم بشتى الخطط الماكرة ، سالكين بذلك أساليب الشبهات والشهوات ، ليكيدوا بالإسلام ، ويمكروا بأهله مكرا ، فظهرت الفرق والمذاهب الهدامة .

لكنّ الله مظهر دينه ، وحافظ شريعته ، ومعزّ أوليائه ؛ قال تعالى : "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"(٢) ، وقال : "ليظهره على الدين كله "(٣) .

---

(١) سورة المائدة ، الآية {٣} .

(٢) سورة الحجر ، الآية {٩} .

(٣) سورة التوبة ، الآية {٣٣} .

وهذا مقتضى حكمة الله سبحانه وتعالى ؛ لأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ولانبيّ بعده ، لذلك قيّض الله رجالا فقهوا كتاب ربهم وسنة نبيهم يذودون عن هذا الدين تحريف الغالين ، وتلبيس الجاهلين ، وانتحال المبطلين ؛ يردون كلّ بدعة بالحجج القوية ، والبراهين الساطعة .

وما زال الله سبحانه يظهر من يجدد ما اندرس من هذا الدين ، فيعيد لهذه الأمة شبابها وحيويتها ، لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، والله غالب على امره ولو كره المبطلون .

لذلك بقي معتقد السلف ظاهر المعالم ، واضح السبل ، لاغموض فيه ، ولادخن .

وكلّ ذلك بسبب حفظ الله جلّ وعلا لهذا الدين ، ثمّ بجهود علماء السلف في العناية بإبراز هذه العقيدة الصافية ، والذبّ عنها .

وكان من هؤلاء العلماء الأماجد الذين ذادوا عن هذا الدين تحريف الغالين ، وتلبيس الجاهلين ، وانتحال المبطلين : الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله الذي يعدّ بحقّ علما من أعلام هذه الأمة المحمدية ؛ صرف وقته ، وقضى عمره ، وبذل جهده في خدمة هذا الدين ، والنصح لهذه الأمة ، وتوجيهها إلى ما فيه الخير

لها في العاجلة والآجلة . فجزاه الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء .

سبب اختيار الموضوع :

ولما كان نظام الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية يحتّم على طلاب الدراسات العليا الذين يتقدمون للحصول على شهادة العالمية "الماجستير" أن يكتبوا بحثا علميا في مجال تخصصهم ، فقد بحثت عن موضوع في تخصصي أتقدم به لنيل هذه الدرجة ، فأشار عليّ الشيخ الفاضل عبد المحسن بن حمد العباد حفظه الله أن أوضح جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في خدمة عقيدة السلف ، وقد رأيت منه استحسانا وتشجيعا ؛ إذ الشيخ عبدالمحسن حفظه الله من معاصري الشيخ الشنقيطي رحمه الله ، وممن أخذ عنه ، وسبر شخصيته عن قرب .

وقد زادني تشجيعا على الكتابة في ذلك : كون هذا الموضوع لم يطرق من قبل ؛ فقد كتب عن الشيخ الأمين رحمه الله باحثون أفاضل في مجال التفسير ، وأصول الفقه ، فأحببت أن أضع في هذا العقد واسطته ؛ ألا وهي العقيدة التي علمها أشرف العلوم .
أضف إلى ذلك رغبتي في الاطلاع عن كثب على علم هذا العلامة الفاضل ، والاستفادة مما كتب من تآليف تعدّ بحقّ موسوعة علمية ترشد إلى تبحر هذا الإمام في مختلف الفنون ، وخاصة العقيدة .

والشيخ الامين رحمه الله من مؤسسي الجامعة الإسلامية ، وكان له جهود في إبرازها ، ورقيها . ولكفاءته النادرة ذاع صيتها ، واشتهرت عالميا في شتى نواحي العلم والمعرفة الإسلامية . فكان من الواجب إبراز جهوده بالدارسة والبحث .

منهجي في هذا البحث :

واما عن منهجي في هذا البحث فيتلخص فيما يأتي :

اولا : جمعت الجزئيات المتعلقة بالعقيدة مما قاله الشيخ رحمه الله ، او كتبه ؛ يستوي في ذلك المسموع ، والمطبوع ، والمخطوط .

ثانيا : وزعت المادة العلمية التي جمعتها على ابواب العقيدة ، مقسما تلك الابواب إلى فصول ، والفصول إلى مباحث ، والمباحث إلى مطالب ، وهكذا دواليك - حسب مقتضى الحال - .

ثالثا : عند دراسة اي" مسالة من مسائل العقيدة التي عرضها الشيخ الامين رحمه الله وقررها ، ابدا هذه المسالة بمدخل عام لها ، اتبعه بذكر راي الشيخ فيها ملخصا باسلوبي ، ومن ثم" انقل كلام الشيخ الامين رحمه الله المؤيد لما ذكرت . وبعد ذلك اذكر اقوالا لبعض السلف في هذه المسالة مدللا بذلك على ان"

كلام الشيخ رحمه الله موافق لمذهبهم ، وان" الشيخ رحمه الله متبع لهم يسير على منهجهم ويترسم خطاهم .

رابعـا : إذا كـان للشـيخ رحمـه اللـه رد" عـلى طائفة معينة ابتـدعت رايـا فـي مسالة ما خالفت فيه معتقد السلف ، اورد ذلك مصورا راي الفرقة التي يرد" عليها في هذه المسالة ، وناسبا هذا الراي إلى مظانه في كتب الفرق ، ثم" اتبع ذلك بذكر كلام الشيخ في تفنيد هذه المسالة .

خامسـا : عنـد الترجمـة للشـيخ الأمين رحمه الله اعتمدت في الغـالب عـلى مـا تلقيته مشـافهة من بعض تلاميذه من معلومات تتصل بالشيخ ، وشخصيته ، وصفاته ، وحياته العلمية .

سـادسا : عزوت الآيات القرآنية الواردة في البحث إلى مواضعها في القرآن الكريم ، ذاكرا اسم السورة ، ورقم الآية .

سـابعـا : خرجت الأحـاديث الواردة في البحث من كتب السـنة : فـإن كان الحديث في الصحيحين او احدهما اكتفيت بالعزو إلى موضعه فـي الصحـيح . وإذا لم يكن في الصحيحين اجتهدت في تخريجه من كتب السـنة الأخرى ناقلا قول علماء اهل الشان فيه ؛ من تصحيح او تحسين او تضعيف .

ثامنـا : اجتهدت في الترجمة لأعلام ورد ذكرهم في هذه الرسالة .

خطة البحث :

وقد سرت في هذا البحث على الخطة التالية :

قسمت الموضوع إلى مقدمة ، وتمهيد ، وبابين ، وخاتمة .

اما المقدمة : فقد اشتملت على اهم الدوافع التي حملتني على الكتابة في هذا الموضوع ، وعلى منهج البحث ، والخطة التي سرت عليها .

واما التمهيد : فقد خصصته للتعريف بالشيخ محمد الأمين رحمه الله ، وعقدت له فصلين :

الفصل الأول : في الكلام عن حياة الشيخ الشخصية :

وفيه سبعة مباحث :

المبحث الاول : نسبه ، وولادته .

المبحث الثاني : نشأته .

المبحث الثالث : قدومه المملكة ، واستقراره فيها ، واستقبال العلماء له .

المبحث الرابع : صفاته الخِلقية .

المبحث الخامس : صفاته الخُلقية .

المبحث السادس : أدبه ، وذكاؤه ، وظرفه ، ومن مواقفه وأقواله .

المبحث السابع : وفاته .

الفصل الثاني : في الحديث عن حياته العلمية :

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : طلبه للعلم وشيوخه .

المبحث الثاني : عقيدته .

المبحث الثالث : أعماله ، ووظائفه .

المبحث الرابع : تلاميذه .

المبحث الخامس : مؤلفاته .

المبحث السادس : ثناء العلماء عليه .

أما الباب الأول : فقد بينت فيه جهود الشيخ الأمين رحمه الله في توضيح الإيمان بالله .

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : في توحيد الربوبية .

الفصل الثاني : في توحيد الألوهية .

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف التوحيد .

المبحث الثاني : براهين التوحيد .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : دلالة الصفات على توحيد الألوهية .
المطلب الثاني : البراهين الكونية .
المطلب الثالث : بطلان إلهية ما سوى الله .

المبحث الثالث : أنواع العبادة .

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : الدعاء .
المطلب الثاني : التوكل .
المطلب الثالث : الولاء والبراء .
المطلب الرابع : الخوف والرجاء .
المطلب الخامس : الحكم بما أنزل الله .

المبحث الرابع : ما يضاد إخلاص العبادة .

وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول : الشرك بالله .
المطلب الثاني : الذبح لغير الله .
المطلب الثالث : ادعاء علم الغيب .
المطلب الرابع : الحلف بغير الله .
المطلب الخامس : السحر .
المطلب السادس : البناء على القبور .

الفصل الثالث : توحيد الأسماء والصفات :

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : جهوده في إبراز عقيدة السلف في توحيد الأسماء والصفات .

وفيه اربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف توحيد الأسماء والصفات .
المطلب الثاني : الأسس التي يقوم عليها معتقد السلف في الصفات .
المطلب الثالث : قواعد في الصفات .
المطلب الرابع : ذكر جملة من الصفات التي ذكرها الشيخ الأمين .

المبحث الثاني : موقف الشيخ الامين من اهل التاويل

وفيه اربعة مطالب :

المطلب الأول : معاني التاويل .
المطلب الثاني : بعض شبه اهل التاويل ، ورد" الشيخ الأمين رحمه الله عليها.
المطلب الثالث : مقارنة بين مذهب السلف ، ومذهب الخلف .
المطلب الرابع : رجوع بعض ائمة اهل التاويل إلى معتقد السلف .

اما الباب الثاني : فبينت فيه جهود الشيخ في توضيح بقية مباحث الإيمان .

وفيه سبعة فصول :

الفصل الأول : الإيمان بالملائكة .

الفصل الثاني : الإيمان بالكتب .

الفصل الثالث : جهوده في توضيح النبوات .

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : الإيمان بالأنبياء .

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : دعوة الرسل واحدة .

المطلب الثاني : الرسل لايعلمون الغيب .

المطلب الثالث : عصمة الأنبياء .

المطلب الرابع : أولو العزم من الرسل .

المطلب الخامس : هل آدم رسول أم نبيّ ؟

المبحث الثاني : حقيقة الخضر :

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : هل الخضر نبيّ أم وليّ ؟

المطلب الثاني : هل الخضر حيّ أم ميت ؟

المبحث الثالث : الإيمان بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : عموم رسالته .

المطلب الثاني : احترامه .

المطلب الثالث : تعظيمه .

المطلب الرابع : حياته البرزخية .

المبحث الخامس : الصراط .

المبحث السادس : الجنة :

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : نعيمها ، وبقاؤها .

المطلب الثاني : رؤية المؤمنين ربهم في الجنة .

المطلب الثالث : هل راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج ؟

المبحث السابع : النار :

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : عذابها .

المطلب الثاني : الرد على من قال بفنائها .

الفصل الخامس : جهود الشيخ في توضيح الإيمان بالقدر :

وفيه اربعة مباحث :

المبحث الاول : مراتب القدر .

المبحث الثاني : الفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية .

المبحث الثالث : الهداية .

المبحث الرابع : افعال العباد بين الإفراط والتفريط

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : وسطية اهل السنة والجماعة في افعال العباد .

المطلب الثاني : موقف الشيخ الامين من الجبرية .

المطلب الثالث : موقفه من القدرية النفاة .

الفصل السادس : حقيقة الإيمان :

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الإيمان .

المبحث الثاني : الفرق بين الإسلام والإيمان .

المبحث الثالث : زيادة الإيمان ونقصانه .

المبحث الرابع : مراتب المؤمنين .

المبحث الخامس : الكبائر .

المبحث السادس : حكم اهل الفترة .

الفصل السابع : جهود الشيخ الامين في توضيح الإمامة .

ثمّ الخاتمة : وقد ذكرت فيها اهمّ النتائج التي توصلت إليها .

وفي الختام اشكر الله العليّ القدير على توفيقه لي لإتمام هذا البحث ، واساله سبحانه ان يجعله خالصا لوجهه الكريم ، وان يتقبله بقبول حسن .

ثمّ اتقدم بالشكر الجزيل للقائمين على هذه الجامعة المباركة ، وفي مقدمتهم فضيلة الدكتور عبدالله بن صالح العبيد على ما قدموه لأبناء العالم الإسلامي من زاد روحي ومعنوي .

كما اتقدم بالشكر إلى شيخي الفاضل فضيلة الدكتور احمد عطية الغامدي على حسن تعامله معي ، وصبره عليّ ، وعلى حسن توجيهه وملاحظاته القيمة التي كان لها اكبر الاثر في إظهار هذا البحث بمظهره الذي هو عليه .

كما واشكر جميع من اسدى إليّ نصحا او مشورة راجيا من الله ان يجزيهم خير الجزاء .

وفي الختام ارجو من الله العليّ القدير ان يعمنا بدعوة الشيخ الامين رحمه الله ، حيث يقول : ((ونرجو الله القريب المجيب إذ وفقنا لخدمة هذا الكتاب المبارك ان يجعلنا مباركين اينما كنا ، وان يبارك لنا وعلينا ، وان يشملنا ببركاته العظيمة في الدنيا والآخرة ، وان يعمّ جميع إخواننا المسلمين الذين ياتمرون باوامره بالبركات والخيرات في الدنيا والآخرة إنه قريب مجيب))(١) .

هذا وإني لأسال الله العفو والغفران لمابدر مني من خطا وزلات وان يمنّ عليّ وعلى إخواني المسلمين بتوفيقه إنه جواد كريم .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه اجمعين .

---

(١) اضواء البيان ٣١/٧ .

التمهيد

حياة الشيخ محمد الأمين رحمه الله وسيرته

وفيه فصلان :

الفصل الأول

حياته الشخصية

وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول : نسبه وولادته .

المبحث الثاني : نشأته .

المبحث الثالث : قدومه المملكة واستقراره فيها ، واستقبال العلماء له .

المبحث الرابع : صفاته الخَلقية .

المبحث الخامس : صفاته الخُلقية .

المبحث السادس : أدبه ، وذكاؤه ، وظرفه ، ومن مواقفه وأقواله .

المبحث السابع : وفاته .

الفصل الثاني

حياته العلمية

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : طلبه للعلم ، وشيوخه .

المبحث الثاني : عقيدته .

المبحث الثالث : أعماله ، ووظائفه .

المبحث الرابع : تلاميذه .

المبحث الخامس : مؤلفاته .

المبحث السادس : ثناء العلماء عليه .

الفصل الأول

حياة الشيخ الأمين الشخصية

وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول

نسبه ، وولادته

المبحث الثاني

نشأته

المبحث الثالث

قدومه إلى المملكة

المبحث الرابع

صفاته الخَلقية

المبحث الخامس

صفاته الخُلقية

المبحث السادس

أدبه ، وذكاؤه ، وظرفه

المبحث السابع

مرضه ، ووفاته

المبحث الأول

نسبه ، وولادته

نسبه :

هو العلامة محمد الامين بن محمد المختار بن عبدالقادر بن محمد ابن احمد نوح بن محمد بن سيدي بن احمد بن المختار . من اولاد اولاد الطالب اوبك . وهذا من اولاد اولاد كرير بن الموافى بن يعقوب ابن جاكن الابر ؛ جد" القبيلة الكبيرة المشهورة المعروفة بالجكنيين ، ويعرفون بتجكانت .

ويرجع نسب القبيلة إلى حمير(١) .

ولقبه : آبـّا ؛ بمد" الهمزة ، وتشديد الباء من الإباء(٢) .

ولادته :

ولد رحمه الله عام (١٣٢٥ هـ) ، وكان مسقط راسه رحمه الله عند ماء يسمى (تنبه) ؛ من اعمال مديرية (كيفا) من القطر المسمى ب "شنقيط" ؛ وهو دولة موريتانيا الإسلامية الآن . علما بأن" كلمة "شنقيط" كانت ، ولاتزال تطلق على قرية من اعمال مديرية (اطار) في اقصى موريتانيا في الشمال الغربي(٣) .

---

(١) انظر ترجمته بقلم تلميذه الشيخ عطية سالم في اضواء البيان ١٩/١ .

(٢) انظر المصدر نفسه ١٨/١ .

(٣) انظر المصدر نفسه ١٩/١ .

المبحث الثاني

نشاته

نشا احسن الله مثواه في جوّ يغلب عليه طلب العلم ، وروح الفروسية .

وقد نما وترعرع وشبّ متاثرا بالوسط القبلي المحيط به ; وهو وسط تحتضنه البادية ، ويغلب عليه التنقل من مكان إلى آخر طلبا للمناخ الاصلح . وإلى هذا يشير احد مشايخ الجكنيين(١) إذ يقول :

ونحن ركب من الاشراف منتظم   اجلّ ذا العصر قدرا دون ادنانا
قد اتخذنا ظهور العيس مدرسة   بها نبيّن دين الله تبيانا

فهو يصف قومه بانهم (ركب) للدلالة على استمرار تنقلهم ، ويرى ادنى فرد من قبيلته اعلى مكانا من اعاظم رجال عصره ، وانهم مواظبون على مذاكرة العلم ، لايمنعهم منه حلّ ولاترحال . إنه العلم الذي يثبت في القلوب دين الله ، ويوضح لطالبيه احكام الشريعة (٢) .

اما كرم الطبع في هذه القبيلة : فهو سجية في جميعهم ، وامر يشبّ فيه الصغير ، ويشيب عليه الكبير . وقد الفوا الضيف لنجعة منازلهم . ومن عاداتهم إذا نزل وفد على بيت فإنّ اهل هذا المنزل

---

(١) هو العلامة المختار بن بونا . (انظر : ترجمة الشيخ الامين بقلم تلميذه عطية سالم ٢٠/١) .
(١) علماء ومفكرون عرفتهم / لمحمد المجذوب ص ١٧١-١٧٢ . (في ترجمته للشيخ الأمين) .

يرسلون لاهل بيت المضيف حتى لو كان معدما غدا واجدا ، ويرحل الوفد وهو في غاية الرضا .

وفي ذلك الجو ، وفي تلك البيئة نشا الشيخ الأمين رحمه الله .

يخبر رحمه الله عن احداث فترة طفولته بقوله : ((توفي والدي وانا صغير اقرا في جزء عم ، وترك لي ثروة من الحيوان والمال . وكانت سكناي في بيت اخوالي ، وامي ابنة عم ابي . وحفظت القرآن على خالي عبدالله بن محمد المختار بن إبراهيم بن احمد نوح ; جد الاب المتقدم))(١) .

(١) انظر ترجمة الشيخ الأمين / بقلم تلميذه الشيخ عطية سالم في اضواء البيان ٢١/١ .

المبحث الثالث

قدومه إلى المملكة ، واستقراره بها ، واستقبال العلماء له

كان خروج الشيخ الأمين رحمه الله من بلاده لأداء فريضة الحج في السابع من شهر رجب ، عام (١٣٦٧ هـ) ، على نية العودة . وكان سفره برا ، وقد كتب اثناءه رسالة سماها "رحلة الحج" ، ضمنها مباحث جليلة .

وبعد وصوله إلى هذه البلاد في اواخر شهر ذي القعدة ، من عام (١٣٦٧ هـ) تجددت نية بقائه . ومن عجيب الاتفاق ان ينزل رحمه الله في بعض منازل الحج ، بجوار خيمة الأمير خالد السديري دون أن يعرف احدهما الآخر . وكان الامير يبحث مع جلسائه بيتا في الأدب ، وهو ذواقة اديب . وامتد" الحديث إلى ان سالوا الشيخ لعله يشاركهم ، فوجدوا بحرا لاساحل له . ومن تلك الجلسة وذاك المنزل بدات العلاقة والمعرفة ، واوصاه الأمير إن هو قدم المدينة ان يلتقي بالشيخين ؛ الشيخ / عبدالله بن زاحم رحمه الله ، والشيخ / عبدالعزيز بن صالح حفظه الله . وفي المدينة التقى بهما رحمه الله ، وكان صريحا معهما فيما يسمع عن البلاد ، وكانا حكيمين فيما يعرضان عليه ما عليه اهل هذه البلاد من مذهب في

(١) خرج رحمه الله من بلاده في ١٣٦٧/٧/٧ هـ ، ووصل الديار المقدسة في اواخر ذي القعدة من العام المذكور .
(انظر رحلة الحج للشيخ الأمين ص ٤١ ، ٢٥٤) .

الفقه ومنهج في العقيدة . وتوطدت العلاقة بين الطرفين ، وتجددت رغبة متبادلة في بقائه لإفادة المسلمين ، ورغب رحمه الله في هذا الجوار الكريم ، وكان يقول : ليس من عمل اعظم من تفسير كتاب الله في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) .

ويحدثني الدكتور محمد الخضر الناجي عن اول قدوم الشيخ رحمه الله ، وسبب بقائه ، فيقول : ((كان هناك وصية من الملك عبدالعزيز انه إذا قدم احد من العلماء الكبار يحتفظون به ، ويحاولون إبقاءه في البلاد هنا . فجاء أحد الأخوة ، اسمه الشيخ احمد خون ، واخبر به المحكمة الشرعية ، واجتمعوا به ، وتكلم معهم ، واعجبوا به ، وارسلوا إلى الملك عبدالعزيز بانهم وجدوا طلبته ، فامر ان يقيم هنا)) .

وهذا لايعارض ما كان في موسم الحج مع الأمير خالد السديري ؛ فهذا حصل في موسم الحج ، وهذا حصل في المدينة . ولامانع من الجمع بين هاتين الوصيتين ؛ لأن الوصية كانت عامة من الملك عبدالعزيز رحمه الله .

---

(١) ترجمة الشيخ بقلم تلميذه الشيخ عطية سالم .
(انظر اضواء البيان ١/٣٥-٣٧ - بتصرف -) .
وانظر عن تاريخ خروجه ، ووصوله إلى الأماكن المقدسة كتاب رحلة الحج له ص ٤١ ، ٢٥٤ .

المبحث الرابع

صفاته الخلقية

كان رحمه الله أسمر اللون ، ربعا ، معتدلا ، قويّ البنية والعضلات ، عظيم الهامة ، معتدلا في الفخامة ، ليس بالضخم ولا بالرقيق . إلا أنه في آخر حياته حين اشتدّ به المرض رقّ جسمه كثيرا (١) .

وقال عنه الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد حفظه الله : ((لو مر في جمع من الناس وأنت لاتعرفه ، لقلت هذا عالم كبير ; لما تلمحه فيه من النبوغ والألمعية ، ولما عليه من جلالة العلم ، ووقار العلماء)) (٢) .

وقال ابنه د/محمد المختار إنّ والده كان شجاعا ، قوي البنية . وقد صرع رجلا مشهورا بالقوة .

---

(١) نقلا عن الأستاذ محمد الأمين بن الحسين ; أحد تلاميذ الشيخ ، والمدرس بالمعهد الثانوي بالجامعة الإسلامية ، وذلك في مقابلة أجريتها معه .

(٢) نقلا عن كتاب : منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام للسديس ص ٨٠ .

المبحث الخامس

صفاته الخلقية

كان الشيخ الأمين رحمه الله يتمتع بأخلاق ومزايا فاضلة عديدة حدثني عن بعضها تلميذه : الدكتور / محمد الخضر الناجي ، فقال : ((من أخلاقه الفاضلة أنه لاينتقم لنفسه . ويحب إذا كان له يد في الحصول على مصالح عامة يحاول أن يتساوى فيها إخوانه ولايفرق بين قريب وبعيد فيهم . ومن أخلاقه أيضا أنه كان يتبسط مع إخوانه في الفكاهة والممازحة التي تدخل عليهم السرور ، وله ملح ونوادر كثيرة في هذا المجال من غير أن يؤذي أحدا . وكنا نحضر مجالسه مع الإخوان أيام أعياد وأعراس ؛ كأننا نجلس في بستان ذي فواكه كثيرة ، وذي أفنان كثيرة ؛ مرة في العلم ، ومرة في المرح ، ومرة في النكت ، ولايمكن أن يتعرض لشخص إلا غضب غضبا شديدا . ومن أخلاقه الفاضلة قضاء حاجة الضعيف ، وغض الطرف عن زلة من زلّ عليه ، وعن إساءة من أساء إليه رحمه الله))(١) .

كما أنه رحمه الله كان معروفا بفضائل أخرى ، حدثني عن بعضها تلميذه الأستاذ / محمد الأمين بن الحسين ، فقال : ((إنه - رحمه

---

(١) نقلا عن الدكتور محمد الخضر الناجي / الأستاذ في جامعة أم القرى ، وهو أحد تلاميذ الشيخ رحمه الله . من حديثه عن الشيخ في المقابلة التي أجريتها معه .

الله - معروف بسعة الخاطر ، وعدم الغضب ؛ فكانت الناس تعجب من عدم غضبه ؛ فكلّ من قال له ما لايرضيه يقابله بالحسنة على الرغم من انه كان من قبيلة ذات شوكة وخطورة ولاتخاف من احد ، واهله كذلك . لكنه رحمه الله من صغره لم يعلم انه اساء إلى احد ، أو قابل احدا إلا بشيء حسن . وكان كريما ، ومن كرمه انه قال لي : لم يسالني احد قرضة من مال واقرضه ، ذلك لأنه إن كان عندي اعطيته ولم اقرضه ، وإن لم يكن عندي طلبه فذلك شان آخر . وما يساله احد من ماله زائد عنه إلا اعطاه إياه ، وهذا نعلمه . وكان رحمه الله ياخذ من راتبه ويعطي لكلّ ضعيف من جماعته امراة او رجل صدقة سرا وعلانية . وكان رحمه الله يحمل لواء جماعته هنا وهناك في إدارة مصالحهم . فكان جمع بين الدنيا والآخرة رحمه الله . وكان مهابا لايجلس في مجلس - حسب علمي به ، وكثرة ملازمتي له - يستطيع احد ان يناقشه في مسالة سواء جدية او هزلية . وكان كثير القيام بالليل ، كثير المطالعة ، كثير قراءة القرآن والتدبر فيه))(١) .

واخبرني الاستاذ محمد الامين بن الحسين عن بعض اخلاق الشيخ الامين رحمه الله ايضا ، فقال : ((امور الرجولة متناهية فيه

---

(١) نقلا عن الاستاذ / محمد الامين بن الحسين ؛ احد تلاميذ الشيخ . والمدرس في المعهد الثانوي بالجامعة الإسلامية .

كلها ؛ فصيح اللسان ، خطيب ، إذا أراد أن يتكلم ، لايستطيع أحد الحاضرين الكلام معه لا في مسألة جدية ولاهزلية ولامداعبة ونحو ذلك . وكان حسن المجلس ، صاحب دعابة خالية من الغيبة ، وخالية من القدح ، ومما يغضب الناس . ولم يغضب أحدا حسب علمي))(١) .

وقد حدثني ولده الدكتور عبدالله أن" والده لم يكن يؤثرهم على تلاميذه وإخوانه ؛ ومن أمثلة ذلك : ((أن" سيارة الشيخ رحمة الله عليه كان يركبها من يسبق إليها ، وكنت مرة ذهبت معه رحمة الله عليه في وقت حار إلى المسجد النبوي ، ولما جئت معه إلى السيارة بعد الظهر ، وجدناها امتلأت . فقال لي : يا ولدي اذهب على رجليك . فأراد أحد الركاب أن ينزل ، فقال : لاتنزل أنت سبقته . فكانت السيارة ؛ من سبق إليها يركب ، ومن تأخر - ولو ابنه - يمشي على رجليه))(٢) .

وكان رحمه الله لايرد" الزوار عن بيته ، ولايقول لأحد لاتدخل ، ولم يكن على بيته حاجب . ولكن إذا كان يشتغل وجاء الزوار ، فإذا رأوه يشتغل إما أن يخرجوا أو يجلسوا ، وكانوا إذا جلسوا يتفرغ لهم ، ويترك عمله (٢) .

---

(١) نقلا عن الأستاذ / محمد الأمين بن الحسين .

(٢) نقلا عن الدكتور /عبدالله بن الشيخ محمد الأمين . ويشغل حاليا منصب عميد كلية القرآن الكريم في الجامعة الإسلامية .

وكـان رحمـه الله ينصح للمسؤولين ، وإذا رأى ما لاينبغي يكتب لهـم ، ويقول لهم دائما : انتم اكرمكم الله بالحرمين ، وما دمتم تتمسكون بهذا الدين فإنّ الله لن يضيعكـم (١) .

زهـــده في الدنيـا :

يتحـدث الشيخ عطية سالم عن زهد شيخه الشيخ الامين رحمه الله في الدنيـا ، فيقـول : ((الـواقع انّ الدنيا لم تكن تساوي عنده شيئا ، فلـم يكـن يهتـمّ لهـا . ومنذ وجوده في المملكة ، وصلته بالحكومـة حتى فـارق الدنيا لم يطلب عطاء ، ولامرتبا ، ولاترفيعا لمرتبه ، ولاحصولا على مكافاة او علاوة . ولكن ما جاءه من غير سؤال اخـذه ، ومـا حصل عليـه لم يكن يستبقيه ، بل يوزعه في حينه على المعـوزين ؛ مـن ارامل ومنقطعين . وكنت اتولى توزيعه وإرساله من الريـاض إلـى كـلّ مـن مكـة والمدينـة . ومـات ولـم يخـلف درهما ولاديـنـارا . وكـان مسـتغنيا بعفتـه وقناعتـه ، بل إنّ حقه الخاص ليتركه تعففا عنه ؛ كما فعل في مؤلفاته وهي فريدة في نوعها ، لم يقبل التكسب بها ، وتركها لطلبة العلم . وسمعته يقول : لقد جئت معـي من البلاد بكنز عظيم يكفيني مدى الحياة واخشى عليه الضياع . فقلـت لـه : ومـا هـو ؟ قـال القناعـة . وكان شعاره في ذلك قول

---

(١) نقلا عن الدكتور / عبدالله بن الشيخ محمد الامين .

الشاعر :

الجوع يطرد بالرغيف اليابس ... فعلام تكثر حسرتي ووساوسي

وكان اهتمامه بالعلم ، والعلم وحده ، وكلّ العلوم عنده آلة ووسيلة ، وعلم الكتاب وحده غايته))(١) .

وحدثني ابنه عبدالله حفظه الله عن زهده فقال : ((كان رحمه الله لايريد الدنيا ، ولايهتمّ بها ، ويحرص على الاقتصاد . ويقول : الذي يفرحنا انّ الدنيا لو كانت ميتة لأباح الله منها سدّ الخلة . وكان يقول : لم اقترض قط لأحد ، ولم ابع ، ولم اشتري ، وترك لي والدي ثروة فكنت اعيش منها ، وكان عندي كنز عظيم ارجو الله ان لايضيع مني ; هو القناعة))(٢) .

وقد اخبرني ايضا انه كان في المدينة ، وكان لايوجد عنده أيّ مال ، وقد وعده احد جيرانه ان يقترض له مالا . ولما اراد الشيخ رحمه الله ان ياتيه وجده يشتغل ، وعليه ملابس متبذلة ، فرجع عنه وكانه وجد في نفسه قليلا انه في عازه . قال : ولم اشعر حتى خررت ساجدا في الطريق في الغبار ، ورفعت راسي وعندي فرح ونشوة

---

(١) انظر ترجمة الشيخ بقلم تلميذه الشيخ عطية محمد سالم ، المدرس في المسجد النبوي، والقاضي بالمحكمة الكبرى بالمدينة المنورة في مقدمة اضواء البيان ١/٦١-٦٢ .

(٢) نقلا عن الدكتور / عبدالله بن الشيخ محمد الأمين .

لايعلمها إلا الله إكراما لما اعطاني من العلم ، فكيف اريد دنيا وربي اكرمني بالعلم ، وبفهم كتاب الله . فذهبت إلى البيت وكان" الدنيا كملت لي لاستشعاري نعمة الله علي" بما اعطاني من فهم القرآن . وقد سد" الله لي تلك الحاجة من غير ان اسال احدا ونذهب لاحد إكراما منه وفضلا))(١) .

واخبرني ولده عبدالله ايضا : قال : ((كان رحمه الله يخاف من الدنيا ، ويكلمني بقوله : احذر من الدنيا ؛ فإنها كالماء المالح والشيطان يكذب عليك ويقول : اجمع الاموال لتتصدق بها ، وتبني بها المدارس ، وتعمل بها الاربطة . وهو يكذب عليك يريد أن يضيع وقتك ، فإذا جمعت المال لاانت تعطيه للناس ، ويشغلك عن عبادة الله ، فهذا شيطان يريد ان يصرفك عن ما هو خير لك ، وانا اقدر الناس على ان اكون اغنى الناس ، وتركت الدنيا لاني اعلم إذا تلطخ بها العبد لاينجو منها إلا من عصمه الله . ولم يوجب الله عليك ان تجمع الاموال لكي تتصدق بها على الناس ، فاحذر يا ولدي من الدنيا واعلم انها كالماء المالح ، وان" اهل الدنيا في شغل وتعب ؛ فصاحب الدنيا النهار يشتغل في البضاعة وفي التجارة ، وفي الليل يفكر فيها ، ويموت عنها ، وقد لايترحم عليه الورثة ، يقولون : هذا ماله مات عنه . فاحذر يا بني" من الدنيا))(١) .

---

(١) نقلا عن الدكتور/عبدالله بن الشيخ محمد الأمين .

واخبرني الدكتور محمد الخضر الناجي حفظه الله : ((ان الشيخ لما كان في القاهرة للعلاج ، وكانت السفارة تلبي رغبة الشيخ ، فلما انتهى من العلاج ، حسب البقية الباقية عنده من المادة التي ارسلتها الحكومة ، وقال : ليس لنا هذا ، اعطوه لمندوب السفارة . وجاء مندوب السفارة وقال له : سوف لن ينتفع بذلك احد ، وهذا يا شيخ لك ، والحكومة اعطته لك . فقال : ارسلوه لي لغرض العلاج ، والعلاج قد انتهى لن ناخذه)) .

وكان رحمه الله زاهدا في الملبس ، لايابه للثياب ، ولايبالي بها ، حدثني الاستاذ / محمد الأمين بن الحسين قال : ((حضرته يوما في الرياض ، وكان قادما لإلقاء محاضرة في المعهد العالي للدعوة ، وكان عليه ثوب لايناسب في نظري الحضور ، فقلت له : نغيّر لك هذا الثوب ؟ فقال : يا فلان القضية ليست بالثياب ، وإنما ما تحت الثياب من العلم . ونحو ذلك)) .

حذره من الغيبة ، وتحذيره منها :

لم يكن الشيخ الامين رحمه الله يغتاب احدا ، او يسمع بغيبة احد في مجلسه . وكثيرا ما يقول لإخوانه : (تكايسوا) اي من الكياسة والتحفظ من خطر الغيبة . ويقول : إذا كان الإنسان يعلم ان كل ما يتكلم به ياتي في صحيفته ، فلا ياتي فيها إلا الشيء

الطيب(١) .

واخبرني ابنه عبدالله ((إن والده رحمه الله كان يكره الكلام في الناس ، او التكلم في الدنيا ، وكان لايرضى من طلابه ، ولامن جلسائه ان يغتابوا احدا ، ويقول لهم :"يا ابنائي وإخواني إن قتل الاولاد واخذ الأموال يهون ، لكن اخذ حسناتي وانا شايب فهذا لاسكوت عليه ، هذا خور وضعف ، وانا رجل مؤمن وهذه البقعة ملكنيها الله فلا يكون لاحد الغيبة فيها ، ولاتاكلوا لي اعراض الناس . والله لو اخذتم مالي لتغاضيت عنكم ، ولكن تاخذوا لي حسناتي وانا شايب ، هذا لاصبر لي عليه" . وقد كنت يوما انا واحد الطلاب ، وكان عنده شيخ يصحح عليه تاليفاً له ، وكنا في مكة ، فقال احد الجلوس : ويكره التاليف من مقصر . فضحكت انا ، فغضب ، وقال : يا بني" ماذا فعلت لك ؟ كيف تاكل الغيبة في المسجد الحرام)) .

ورعه عن الفتيا :

اخبرني ابنه عبدالله ((إنه في آخر حياته اصبح لايتكلم إلا في كتاب ، او سنة . ويقول : كلام الناس لا اضعه في ذمتي . إذا كان

---

(١) انظر ترجمة الشيخ بقلم تلميذه الشيخ عطية سالم في مقدمة اضواء البيان ٦٣/١ .

عنـدي عـلى المسالة نص" من كتاب او سـنة اقول بها ، وإذا لم يكن عنـدي نص" اقول : الله اعلم ; لأن" الله يقول : "ولاتقف ما ليس لك به علم"(١) . وفي يوم من الايام جاءه طلبة من الكويت ، وسالوه عن مسـائل مـن الأمور المستحدثة ، فقال الشيخ : اجيبكم من كتاب الله تعـالى . فاشـرابت اعنـاق الحضور لسماع هذه الإجابة من كتاب الله تعـالى ، فقـال : اقـول لكـم : اللـه اعلم ، والله تعالى يقول : "ولاتقـف ما ليس لك به علم"(١) ، والله لا اعلم فيها شيئا من كتاب ولاسـنة . وكلام النـاس لا اضعه في ذمتي ، اذهبوا إلى غيري .

وحدثني الدكتور محمد الخضر الناجي عن هذه المزية العظيمة من مزايـا الشـيخ رحمـه الله بقوله : ((من افضل اخلاقه التي تعلمتها منـه : هـو قوله : لاادري حين يستفتى في بعض الأحيان ، والوقف عند مـا يشتبه من الأمور . ولي معه موقف في هذا الشان ; وهو انني معه ذات يـوم ، ثقـل علـي" الحال لكثرة قوله : لاادري ، والله اعلم . فاجتمعنا مرة منفردين ليس معنا احد سوى الله عز" وجل" ، فقلت له يا شيخي انتم تقولون دائما في دروسـكم ان" النبي" صلى الله عليه وسلم ترك هذه الشريعة محجة بيضاء ليلها كنهارها ، لايزيغ عنها إلا هالك . ومقتضى هذا انها واضحة لا لبس فيها ولاغموض يخفى على احد . ونحـن نسـال من نثق بعلمه ومعرفته ، فكثيرا ما يجيبنـا : لاادري .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية {٣٦} .

- وانا بالذات اعنيه هو - . فقال : يا بنيّ هذا بينه حديث : "إنّ الحلال بيّن وإنّ الحرام بيّن ، وبينهما امور مشتبهات ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرا لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام"(١) ، وحديث : "دع ما يريبك إلى ما لايريبك"(٢) ؛ ومعنى هذا انه إذا كان الامر حلالا ، وحليته واضحة ، فقل : حلال ولاتبالي . وإذا كان الأمر حراما ودليله واضح ، فقل : حرام ، ولاتبالي . وإذا كان مشتبها ليس دليل حرمته ولاحليته واضحا ، فالطريق الواضح امامك ، والذي هو كالمحجة البيضاء أن تقول : لاادري ؛ فهذا هو معنى كونه ترك الناس على محجة بيضاء ؛ لانّ هذا الحديث حديثه صلى الله عليه وسلم . فاسترحت لهذا الجواب كثيرا ؛ إذ جاء به من غير تكلف ، وبوضوح)) .

حبه للرماية :

اخبرني ابنه عبدالله عن والده انه كان يحب الرماية والسباحة ، وكان عنده في البيت "شوزن" ، و"ساكتون" ، وفي كلّ

---

(١) اخرجه البخاري ٤/٣ . واخرجه مسلم ١٢١٩/٣-١٢٢٠ .

(٢) اخرجه الترمذي في سننه ٦٦٨/٤ ، وقال : "حديث حسن صحيح" . واحمد في مسنده ٢٠٠/١ ، ووصف محقق رياض الصالحين إسناده بانه صحيح (انظر رياض الصالحين ص ٢٧٨) .

وقال الشيخ الالباني في مشكاة المصابيح (٨٤٥/٢) : "رواه النسائي ، وإسناده صحيح" .

يوم خميس يذهب إلى الصيد (١) .

وقال لي الدكتور / محمد الخضر الناجي : ((ذهبنا مرة إلى العاقول ، خارج حدود الحرم . واصطاد الشيخ حمامة في السماء ، فرجعت إليها صاحبتها تحوم فوقها ، فتعرضها بالبندقية فضربها ، فاسقط الثنتين)) .

واخبرني الاستاذ / محمد الأمين بن الحسين قال : ((كان الشيخ رحمه الله يوما من الأيام مع الأمير عبدالله بن عبدالرحمن ، وكان صديقا له ، وكانوا في بستان في الرياض . فقال يمزح مع الشيخ : تقولون إنكم عرب واهل رماية للاهداف ، فهل تستطيع ان ترمي ذلك الطير - وكان يراه من بعيد - . فاخذ البندقية احد تلاميذ الشيخ ، فضربه فلم يصبه . فاخذ الشيخ رحمه الله البندقية بعد ان ابعد الطير جدا ، فرماه بتلك البندقية واصطاده . فاعجب الحاضرون بذلك. وكان رحمه الله يحب الصيد ، لانه يتعب من ورائه ويسافر لأجله)) .

---

(١) نقلا عن الدكتور عبد الله بن الشيخ محمد الأمين - بتصرف في العبارة -

والشوزن ، والساكتون : اسمان لبعض بنادق الصيد .

المبحث السادس

ادبه ، وذكاؤه ، وظرفه ، ومن مواقفه واقواله

كان الشيخ الامين رحمه الله اديبا ظليعا ، شهد بذلك معاصروه من العلماء ، وتلامذته . وهذا ما تراه جليا في كتبه .

يقول الشيخ محمد المجذوب : ((إنّ الغزارة في محفوظ الشيخ من شعر العرب دليل قاطع على تذوقه إياه . ولابدّ للحافظ المتذوق ان تواتيه الموهبة على صياغته . وكذلك كان شيخنا طيب الله مثواه : فهو رهيف الحسّ ، سريع التأثر بالكلمة البليغة . وقد سبق ان طالعنا بعض محاولاته الأولى ، فلمحنا ما وراءها من استعداد للاندفاع ، إلا انّ انشغاله اليومي بالجوانب الاخرى قد ادى به إلى الانصراف عن الشعر الخالص)) (١) .

واخبرني ابنه عبدالله ان والده رحمه الله ((كان يحبّ الادب ، ويخصص يوما في الأسبوع في اول زمن دراسته للادب ، ويقول : نحن نحفظ الادب لنستشهد به على لغة العرب .

وكان احيانا يأتي بأبيات قد يكون ظاهرها سمجا ، ويبيّن انّ القصد ما فيها من اللغة . وكان دائما يكرر ذا البيت(٢) :

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم اشعر من لبيد)) .

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم ص ١٩٠ .
(٢) هذا البيت ينسب للإمام الشافعي - رحمه الله - .

وقد ذكر رحمه الله ابياتا في آخر حياته تدل على قوته في الشعر ، ذكر في اولها ان الشعر لاينبغي له . يقول رحمه الله :

قد مد بي حلم الاكابر عن لمى   شفة الفتاة الطفلة المغناج
ماء الشبيبة زارع في صدرها   رمانتي روض كحق العاج
وكانها قد ادرجت في برقع   يا ويلتاه بها شعاع سراج
وكانما شمس الاصيل مذابة   تنساب فوق جبينها الوهاج

قال لي د/عبدالله بن الشيخ محمد الامين : ((وهذا نوع من التخييل لم اره قبل الشيخ رحمه الله ؛ وهو ان تجعل الشمس مرهما يدهن به الوجه ، فهذا ابتكار في التشبيه ، لم يسبق إليه حسب علمي)) .

وقال د/عبدالله ايضا : ((وكان يقول لي :

تادب إذا ما دخلت على اناس   وكن منهم بمنزلة الاقل
فإن رفعوك كان الفضل منهم   وإن وضعوك فقل هذا محلي

وكان رحمه الله دائما يتمثل بهذه الابيات ، وخصوصا إذا كنا ذاهبين للصيد :

قال الطريفة ما تبقي دراهمنا يوما   وما بنا سرف فيها ولاخرق
إنا إذا اجتمعت يوما دراهمنا   ظلت إلى طرق الخيرات تستبق
لايالف الدرهم المضروب صرتنا   لكن يمر عليها وهو منطلق
حتى يصير إلى نذل يخلده   يكاد من صره إياه ينمزق

واحيانا : كان رحمه الله يتمثل ببعض الابيات التي تتعلق بمكارم

الأخلاق ، أو بالفضل والتسامح)) .

واخبرني الأستاذ / محمد الأمين بن الحسين : ((انه رحمه الله كان شاعرا مفلقا إلى ابعد الحدود ، إلا انه صار في آخر حياته يكره ان يقال له ذلك . وطلبنا منه بعض القصائد التي قالها ، فامتنع وغضب ، وقال : احبّ إليّ ان يقال : طالب علم ، من ان يقال : شاعر . هذا مع قدرته على الشعر واللغة العربية . وسمعته يقول : حينما بدات في قراءة اللغة العربية فتح الله عليّ في قول الشعر فتحا عجيبا ، ولاسيما في الهجو منه ، فنذرت لله عزّ وجلّ ان لا اقول هجوا باحد كائنا من كان ، ولا أمدح احدا. فكان شعره رحمه الله في الحثّ على العلم ، ونحو ذلك)) .

من مواقفه واقواله :

اختار من مواقفه رحمه الله هذه الحادثة التي ذكرها الشيخ محمد المجذوب فقال : ((في مؤتمر العلماء الذي عقدوه في الرياض للبحث في موضوع الإمامة ، وقرروا فيه إلغاء بيعة المرحوم الملك سعود بن عبدالعزيز ، ومبايعة أخيه فقيد الإسلام والعروبة فيصل بن عبدالعزيز إيثارا للمصلحة العامة التي لم يكن أجدر من فيصل للقيام باعبائها : انابوا عنهم الشيخ الأمين لإبلاغ قرارهم الملك سعود ، فقام بالمهمة خير قيام ، وكان لكلمته الحكيمة أطيب الوقع في نفسه ، عقّب عليها بإعلانه ثقته التامة بنصيحة العلماء

وخضوعه لمقرراتهم . ولاحاجة للتنبيه إلى أنّ مثل هذه الثقة التي احرزها الشيخ في اوساط اولي الامر وكبار اهل العلم إنما تدلّ على مميزات شخصية من النوع النادر ، بها استحقّ كلّ ذلك التقدير من عارفيه))(١) .

ومن اقواله رحمه الله : ما حدثني به ابنه د/عبدالله انّ والده قال له : ((الكرة الارضية اصغر من ان تكون لرجل وطناً)) . يقول د/عبدالله : ((وما كنت افهم هذا في البداية ، ولكن بعد ذلك فهمت انّ قصده انّ المسلم كلّ العالم اهله ، فيحاول ان يساعدهم ويقومهم ، وينصحهم ، وينصر ضعيفهم ، ويساعد فقيرهم ؛ لانّ المسلم للمسلم كالبنيان ، إنما المؤمنون إخوة . فكان يقول لي : يا بني اعلم انّ المسلمين في انحاء البلاد هم إخوانك ، والمسلم لايتقوقع ولاينتمي لجهة عن جهة ، وإن كان الاقربون اولى بالمعروف)) .

ذكاؤه ، وظرفه - رحمه الله - :

امتاز الشيخ الامين رحمه الله بالذكاء الشديد منذ نعومة اظفاره ، وهذا ما شهد له به احد شيوخه ؛ كما اخبرني بذلك ابنه عبدالله بقوله : ((إنّ الله نفعه بشيخ له في صباه ، كان يقول له : اعلم انّ فروض الكفاية فرض عين عليك ؛ لانّ الفقهاء

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم ص ١٨٥ .

يقولون : إذا كان هناك ذكيّ ذكاء خارقا ، فإنّ فروض الكفاية تبقى فرض عين عليه ، فاتق الله في المسلمين ، واحفظ عليهم دينهم ؛ لأنك مقتدر على أن تحفظ العلوم بسرعة)) .

وكان رحمه الله سريع البديهة ، مع ظرف ودعابة ونكتة مستملحة :

فمن سرعة بديهته رحمه الله : ما حدثني به الشيخ محمد الأمين ابن الحسين قال : ((سمعت منه أنّ مندوبا من التعليم ، وهو إذ ذاك مدرس في الكليات والمعاهد في الرياض جاءه يطلب منه الشهادات العلمية أسوة بغيره من المدرسين . فقال : عندي شهادة واحدة ، ولست أعطيها لأحد . فقال : ما هي ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمدا رسول الله ، فلا أعطيها أحدا . وليس عندي غيرها . فضحك الحاضرون من دعابته .

وحضرته يوما وقد ألقى محاضرة في الجامعة الإسلامية يحثّ فيها طلبة العلم على الصبر وعلى التحمل ، وعلى الأخلاق الحميدة ، وأن يخلصوا الدعوة لله عز وجلّ في تعليمهم للمسلمين . وأنهم سيؤذون

في سبيل الله ; لانهم ورثة الانبياء ، والانبياء اوذوا في دعوتهم .

فقام الشيخ محمود الصواف يعلق على كلام الشيخ رحمه الله قائلا : انا اعتقد اني اخاف عليكم ان يغالي في محبتكم حتى تعبدوا ، او نحو ذلك ، وإنكم سترون كثيرا من الترحيب في العالم الإسلامي .

فالتفت إليه الشيخ الامين وقال : اودّ ان اسال فضيلة الشيخ محمود الصواف : هل يستطيع ان ياتي للعراق ؟ لانه من المعلوم انه محكوم عليه بالإعدام ، وهو من طلبة العلم . فضحك الحاضرون ، وعلى راسهم الشيخ عبدالعزيز بن باز قائلا : الشيخ سريع البديهة سريع الجواب)) .

وحدثني ابنه د/عبدالله عن بعض القصص التي تدلّ على سرعة بديهة والده رحمه الله فقال : ((قال لي الشيخ مرة إنه مسافر . وكانت له ثياب تغسل ، ورآه احد الجلوس وهو يقلب ثيابه ، ومن بينها سروال . فظنّ هذا الشخص انّ الشيخ يريد لبس لباسه أمام الناس ، فقال له : ولي سراويل بهذا الجمع . فقال له الشيخ : ابشر لن البس ثيابي بحضرة الناس ، ولن نصرف مفاعيل . لانّ في نصّ الالفية : ولسراويل بهذا الجمع شبه اقتضى عموم المنع(١) فكان المكلم للشيخ ذكيا ، وفهم الشيخ قصده بسرعة))(٢) .

وقال ايضا : ((ومن نكته الظريفة : انه لما تولى فضيلة الشيخ عبدالمحسن العباد نيابة رئاسة الجامعة الإسلامية قال له الشيخ

---

(١) الفية ابن مالك ص ٨٠ .
(٢) وقد سمع منه هذه القصة ايضا فضيلة الشيخ عبد المحسن العباد ، وقد اكد له الشيخ الامين أن هذه القصة حصلت معه اثناء زيارته للسودان .

يا فضيلة الشيخ انت الآن كمن تزوجت امه ، لايدرى هل يعزى او يهنى؟ فقال له فضيلة الشيخ عبدالمحسن حفظه الله : انا يُدعى لي فقط .

ومن نكته ايضا : قال له شخص : يا فضيلة الشيخ احسن ان ياخذ الإنسان من عرض لحيته او من طولها ؟ فقال له : ذلك مقطوع طوله في عرضه)) .

وذكر لي د/محمد الخضر الناجي بعض ظرفه ودعابته ؛ منها : ((انه جاءته امراة تشتكي من زوجها ، وكان عنده اخرى قبلها مشترطة ان لايكون معها احد . فجاءت عند الشيخ فقال لها : ماذا فعل ؟ قالت : رايته يوصل لها النقود في المنديل . قال هذا طبق نصا من نصوص مختصر ابن عاشر :

ومثل ما عسر بالمنديل ونحوه كالحبل والتوكيل

والنكتة في هذا : انّ المصنف يتحدث عن الغسل ، وانّ ما عسر عن وصول الماء إليه يوصل إليه بوسيلة ، منها المنديل او غيره . فضحك الناس كثيرا .

وكنا في نزهة برية حول وادي العاقول ، وكان الطلاب متحلقين حول الشيخ يستمعون إلى ايّ شيء يصدر منه . فجاء الشيخ مختار بن احمد مزيد ؛ احد مدرسي الحرم ، وهو شيخ فاضل ، فقال : هذه رؤيا رايتها . فقال : ما هي ؟ قال : رايت النبيّ صلى الله عليه وسلم

وعليه ثياب جميلة ، وكان بيني وبين بعض الناس مناقشة وخلاف في مسألة من مسائل العلم ، واشار إليّ وقال : الحقّ مع هذا . قال : فامسكت ثيابه اريد ان يسمعه الناس ، فنزع مني ثيابه بسرعة . فقال له الشيخ : امسكته لكي تعمل عليه محضر . فضحكنا كثيرا . ومثل هذا كثير ، لايحضرني الآن)) اهـ كلام الدكتور الناجي .

المبحث السابع

وفاته

توفي رحمه الله ضحى يوم الخميس ١٣٩٣/١٢/١٧ هـ . وكانت وفاته بمكة المكرمة ، مرجعه من الحج . ودفن في مقبرة المعلاة ، وصلى عليه سماحة رئيس الجامعة الإسلامية فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز في الحرم المكي ، مع من حضر من المسلمين بعد صلاة الظهر من ذلك اليوم .

وفي ليلة الأحد ١٢/٢٠ أقيمت عليه صلاة الغائب بالمسجد النبوي ، وصلى عليه صاحب الفضيلة الشيخ عبدالعزيز بن صالح آل صالح - إمام وخطيب المسجد النبوي ، ورئيس الدائرة الشرعية بالمدينة ومحاكم منطقة المدينة - بعد صلاة العشاء مباشرة ، وصلى عليه من حضر من الحجاج ما لايحصى عددا (١) .

---

(١) انظر ترجمة الشيخ بقلم تلميذه الشيخ عطية سالم في مقدمة أضواء البيان ٧/١ .

وقد استوفى الباحث الأخ / عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس هذا المبحث عن وفاته ، وذكر مراثيه .

(انظر : منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام من أضواء البيان ص ٦٣-٧١ - مضروب بالآلة الكاتبة -) .

(وانظر أيضا : مراثي الشيخ رحمه الله في الزاد والمعين ص ١٠٥-١١٠) .

وقد حزن عليه الناس حزنا شديدا ، ورثاه عدد كبير من الشعراء بأبيات كثيرة ، اذكر مقتطفات منها :

فمن ذلك ما رثاه به تلميذه وابن عمه الشيخ احمد بن احمد الجكني الشنقيطي في قصيدة طويلة ، منها (١) :

ابكي الامين وليتني من علمه ... ما عشت فزت بنيل كلّ بيان

ابكي الامين محمدا وإنني ... ابكي الامين لشرعة القرآن

من ذا يلومك إن بكيت مفوها ... سمح الخليقة من بني الإنسان

ومن ذلك ايضا ما رثاه به الشيخ محمد بن عبدالله بن احمد مزيد الجكني الشنقيطي في قصيدة طويلة ، منها (٢) :

نعى الامين نعاة قد نعوا علما ... بحرا خضما بموج العلم ملتطما

ابكته اجيال علم حين عدّ له ... ربع الحجون مصيرا بعدما ختما

من للنوازل مثل الشيخ إن نزلت ... او للحوادث إن ادمت بنا كلما

ومن ذلك ايضا ما رثاه به الشيخ محمد بن مدين الشنقيطي في قصيدة طويلة ، اذكر منها (٣) :

الله اكبر مات العلم والورع ... يا ليت ما قد مضى من ذاك يرتجع

يبك الكتاب كتاب الله غيبته ... كذا المدارس والآداب والجمع

---

(١) نقلا عن منهج الشنقيطي في تفسير آيات الاحكام ص ٦٤ .

(٢) انظر المعين والزاد ص ١٠٥ .

(٣) نقلا عن منهج الشنقيطي في تفسير آيات الاحكام ص ٦٨ .

حدث بما شئت من حلم ومن كرم　　وانشر مآثره فالباب متسع

ورثاه الشيخ محمد الامين بن مختار الجكني ، الملقب ب(التعدي) ابن عم الشيخ رحمه الله في قصيدة طويلة ، منها(١) :

هو الموت لاينفك يفجع معشرا　　بكوكبه الدريّ بين الكواكب

فتى لم ير الراؤون شرواه بعده　　ولاانجبت شرواه بيض الكواعب

عجيب غريب في البرايا وإنما　　غرائبه في العلم فوق الغرائب

ورثاه الشيخ عبدالرحمن المنير : الأستاذ بالمعهد العلمي بالمدينة المنورة بقصيدة طويلة ، اسوق منها هذه الأبيات(٢) :

اتاني من الأنباء ما سدّ مسمعي　　فكادت لها روحي يجنّ جنونها

وما كنت ادري ليتني عند حفرة　　عشية سواها حصاها وطينها

من الشيخ ان فاضت على الخد دمعتي　　اكفكفها صبرا ويابى هتونها

ترقبته من حجّ مكة سالما　　فشحت به معلاتها وحجونها

ورثاه ايضا الشيخ احمد بن محمد بن عبدالله بن آدّ الشنقيطي بقصيدة طويلة ، اذكر منها(٣) :

اعينيّ جودا بالدموع السواكب

لمن ضوءه قد فاق ضوء الكواكب

---

(١) نقلا عن منهج الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام ص ٦٩ .

(٢) انظر المعين والزاد ص ١٠٩-١١٠ .

(٢) نقلا عن منهج الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام ص ٧٠

له الفضل في التفسير إن رمت باحثا
وفي الفقه والتوحيد من كلّ جانب

ففي النحو استاذ وفي الشعر حجة
وفي الجود بحر يرتجى للنوائب

حواه ثرى المعلا فيا حسن ما حوى
إمام له في الدين اولى المراتب

وقد خلف الشيخ الامين رحمه الله ولدين عالمين فاضلين ؛ احدهما فضيلة الدكتور محمد المختار رئيس قسم اصول الفقه بالجامعة الإسلامية . والآخر فضيلة الدكتور عبدالله عميد كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية .

جعلهما الله خير خلف لخير سلف .

الفصل الثاني

حياة الشيخ الأمين العلمية

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول

طلبه للعلم ، وشيوخه

المبحث الثاني

عقيدته

المبحث الثالث

أعماله ، ووظائفه

المبحث الرابع

تلاميذه

المبحث الخامس

مؤلفاته

المبحث السادس

ثناء العلماء عليه

المبحث الأول

طلبه للعلم ، ومشايخه

قال الشيخ عطية سالم يخبر عن الشيخ الأمين رحمه الله : ((حفظ القرآن في بيت أخواله ، على خاله عبدالله ، وعمره عشر سنوات . قال رحمه الله : ثمّ تعلمت رسم المصحف العثماني (المصحف الأم) عن ابن خالي سيدي محمد بن أحمد بن محمد بن المختار ، وقرأت عليه التجويد في مقرأ نافع برواية ورش ، من طريق أبي يعقوب الأزرق . وقالون ; من رواية أبي نشيط . وأخذت عنه سندا بذلك إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ذلك وعمري ست عشرة سنة))(١) .

أنواع الدراسة في القرآن : تعتبر الدراسة في علوم القرآن منهجا متكاملا ، لاتقتصر على الحفظ والأداء ، بل تتناول معرفة رسم المصحف ; أي نوع كتابته ; ما كان موصولا أو مفصولا ، وما رسم فيه المدّ أو كان يمدّ بدون وجود حرف المدّ ، وقد يكون حرفا صغيرا ، أو نحو ذلك . ثمّ ضبط ما فيه من متشابه في الرسم أو التلاوة . ومن المشهور عندهم في هذا رجز (محمد بن بوجه) المشهور ، المعروف بالبحر ، تعرض فيه لكلّ كلمة جاءت في القرآن مرة واحدة ، أو مرتين ، أو ثلاث مرات إلى سبع وعشرين مرة ; أي من الكلمات

---

(١) ترجمة الشيخ رحمه الله في أضواء البيان ١/٢١-٢٢ .

المشتبهة . وافرد كل" عدد بفصل ؛ فمثلا : كلمة (اعينهم) بالرفع : جاءت ثلاث مرات ، قال فيها :

اعينهم بالرفع من غير حضور   من بعد كانت وتولت وتدور

ومن الثاني : كلمة (الاشياع) بالعين ، قال فيه :

اشياع بالعين فهل من مدكر   في سبا من قبل بانهم ذكر

وقد درس هذا كله في طفولته ، وكانت له زيادة نظم على ذلك تذييلا لزيادة الفائدة ، كما قال على البيت الاخير مبينا حركاته وإعرابه :

في سورة القمر خاطب وانصبا   وجره وغيبه في سبا

اي في سورة القمر تكون تلاوتها الخطاب والنصب : "ولقد اهلكنا اشياعكم فهل من مدكر" . وفي سورة سبا تكون تلاوتها بالغيبة والجر "كما فعل باشياعهم" . وهذه دراسة لاتكاد توجد إلا ما شاء الله ، وهي من المعالم العلمية لحفظها رسم القرآن من التغيير والتبديل ، وهي من آثار تعهد الله بحفظ هذا القرآن المنزل من عنده سبحانه .

ثم قال رحمه الله : وفي اثناء هذه القراءة درست بعض المختصرات في فقه مالك ؛ كرجز الشيخ ابن عاشر . وفي اثنائها ايضا درست دراسة واسعة في الادب على زوجة خالي ام ولد الخال ؛ - اي أن" ولد خاله يعلمه العلوم الخاصة بالقرآن ، وامه تعلمه الادب - ، قال : اخذت عنها مبادئ النحو ؛ كالآجرومية ، وتمرينات ودروس

واسعة في انساب العرب وايامهم ، والسيرة النبوية ، ونظم الغزوات لاحمد البدوي الشنقيطي ؛ وهو يزيد على خمسمائة بيت ، وشروحه لابن اخت المؤلف المعروف بحماد ، ونظم عمود النسب للمؤلف ؛ وهو يعد" بالالاف ، وشرحه لابن اخته المذكور على خصوص العدنانيين ؛ لانه مات قبل شرح ما يتعلق بالقحطانيين .

هذه دراسة في علوم القرآن والآداب والسير والتاريخ ، كانت في بيت اخواله ؛ على اخواله ، وابناء اخواله ، وزوجات اخواله ؛ اي كان بيت اخواله المدرسة الاولى له . اما بقية الفنون ؛ فقال :

اولا : الفقه المالكي : وهو المذهب السائد في البلاد : درست مختصر خليل . بدا دراسته فيه على الشيخ محمد بن صالح إلى قسم العبادات ، ثم" درس عليه النصف من الفية ابن مالك ، ثم" اخذ بقية الفنون على مشايخ متعددين في فنون مختلفة ، وكلهم من الجكنيين ، ومنهم مشاهير العلماء في البلاد ، منهم :

١ - الشيخ محمد بن صالح المشهور بابن احمد الافرم .
٢ - والشيخ احمد الافرم بن محمد المختار .
٣ - والشيخ العلامة احمد بن عمر .
٤ - والفقيه الكبير محمد النعمة بن زيدان .
٥ - والفقيه الكبير احمد بن مود" .
٦ - والعلامة المتبحر في الفنون احمد فال بن آد" ه .

وغيرهم من المشايخ الجكنيين .

وقال رحمه الله : وقد اخذنا عن هؤلاء المشايخ كل" الفنون :

النحو ، والصرف ، والأصول ، والبلاغة ، وبعض التفسير والحديث .

أما المنطق وآداب البحث والمناظرة : فقد حصلناه بالمطالعة ؛ هذا ما أملاه عليّ رحمه الله ، وسجلته عنه .

علما بأنّ الفنّ الذي درسه على المشايخ ، أو مطالعة من الكتب لم يقتصر في تحصيله على دراسته ، بل كان دائما يديم النظر ، ويواصل التحصيل ، حتى غدا في كلّ منه كأنه متخصص فيه ، بل وله في كلّ منه اجتهادات ومباحث مبتكرة (١) .

دراسة الشيخ رحمه الله وقد أوجزها الشيخ عطية سالم فيما يأتي

١ - في مبدأ دراسته تقدم أنه أتيح له في بادئ دراسته ما لم يتح لغيره ؛ حيث كان بيت أخواله مدرسته الأولى . فلم يرحل في بادئ أمره للطلب ، وكان وحيد والديه ، فكان في مكان التدلل والعناية .

٢ - قال رحمه الله : كنت أميل إلى اللعب أكثر من الدراسة ، حتى حفظت الحروف الهجائية ، وبدأوا يقرئونني إياها بالحركات ؛ با فتحة ، با . بي كسرة ، بي . بو ضمة ، بو . وهكذا . فقلت لهم : أو كلّ الحروف هكذا ؟ فقالوا : نعم . فقلت : كفى ، إني استطيع قراءتها كلها على هذه الطريقة ؛ كي يتركونني . فقالوا : اقرأها . فقرأت بثلاثة حروف أو أربعة ، وانتقلت إلى آخرها بهذه الطريقة ، فعرفوا أني فهمت قاعدتها ، واكتفوا مني بذلك ، وتركوني . ومن

---

(١) انظر المصدر السابق نفسه ١/٢٢-٢٥ .

ثمّ حببت إليّ القراءة .

٣ - وقال رحمه الله : ولما حفظت القرآن ، واخذت الرسم العثماني ، وتفوقت فيه على الاقران عُنيت بي والدتي واخوالي اشدّ عناية ، وعزموا على توجيهي للدراسة في بقية الفنون ، فجهزتني والدتي بجملين ؛ احدهما عليه مركبي وكتبي ، والآخر عليه نفقتي وزادي . وصحبني خادم ، ومعه عدة بقرات . وقد هيأت لي مركبي كاحسن ما يكون من مركب ، وملابسي كاحسن ما تكون فرحا بي وترغيبا لي في طلب العلم . وهكذا سلكت سبيل الطلب والتحصيل .

تقوم الحياة الدراسية على اساس منع الكلفة ، وتمام الالفة ، سواء بين الطلاب انفسهم ، او بينهم وبين شيخهم ، مع كمال الادب ، ووقار الحشمة . وقد تتخللها الطرق الادبية ، والمحاورات الشعرية . ومن ذلك ما حدثنيه رحمه الله ، قال : قدمت على بعض المشايخ لادرس عليه ، ولم يكن يعرفني من قبل ، فسال عني : من اكون ، وكان في ملأ من تلامذته ، فقلت مرتجلا :

هذا فتى من بني جاكان قد نزلا ... به الصبا عن لسان العرب قد عدلا

رمت به همة علياء نحوكم ... إذ شام برق علوم نوره اشتعلا

فجاء يرجو ركاما من سحائبه ... تكسو لسان الفتى ازهاره حللا

إذ ضاق ذرعا بجهل النحو ثم ابى ... الا يميز شكل العين من فعلا

فقد اتى اليوم صبا مولعا كلفا ... بالحمد لله لا ابغي له بدلا

يريد دراسة لامية الأفعال .

وقد مضى رحمه الله في طلب العلم قدما ، وقد ألزمه بعض مشايخه بالقران ؛ أي أن يقرن بين كلّ فنين حرصا على سرعة تحصيله ، وتفرسا له في القدرة على ذلك ، فانصرف بهمة عالية في الدرس والتحصيل .

وقد خاطبه بعض أقرانه في أمر الزواج ، فقال في ذلك ، وفي الحثّ على طلب العلم :

دعاني الناصحون إلى النكاح	غداة تزوجت بيض الملاح
فقالوا لي تزوج ذات دلّ	خلوب اللحظ جائلة الوشاح
تبسّم عن نوشرة رقاق	يمج الراح بالماء القراح
كأن لحاظها رشقات نبل	تذيق القلب آلام الجراح
ولاعجب إذا كانت لحاظ	لبيضاء المحاجر كالرماح
فكم قتلا كميّا ذا ولاحي	ضعيفات الجفون بلا سلاح
فقلت لهم دعوني إنّ قلبي من	الغيّ الصراح اليوم صاحي
ولي شغل بأبكار عذارى	كأنّ وجوهها ضوء الصباح
أراها في المهارق لابسات	براقع من معانيها الصحاح
أبيت مفكرا فيها فتضحى	لفهم الفدم خافضة الجناح
أبحت حريمها جبرا عليها	وما كان الحريم بمستباح

إلى آخر ذلك ما ذكره الشيخ عطية سالم (١) .

وقال ابنه عبدالله يحكي عن والده : ((كان دائما يحثنا على شعر احمد بن حنبل الشنقيطي ؛ لانه يحثّ على العلم . ويتمثل بشعره الذي يقول فيه :

لاتسؤ بالعلم ظنا يا فتى | إنّ سوء الظنّ بالعلم عطب
لايزهدك اخي في العلم ان | غمر الجهال ارباب الادب
إن تر العالم نضوا مرملا | صفر كفّ لم تساعده سبب
وترى الجاهل قد حاز الغنى | محرز المامول عن كلّ أرب
قد تجوع الأسد في آجامها | والذئاب الغبش تعتام القتب
جرع النفس على تحصيله | مضض المرين ذلّ وسغب
لايهاب الشوك قطاف الجنى | وإبار النحل مشتار الضرب

وكان رحمه الله قد ملكت عليه محبته للعلم وفهمه احاسيسه ، فإن كان يقرا قد تصل إليه الشمس ولاينتبه ، وقد يضيع عليه الوقت ، وقد ينتهي وقت الاكل والشرب ، ووقت المواعيد التي عنده ، فلا بدّ من ان ينبهه احد إذا كان مشتغلا بالعلم ؛ لانه يملك عليه شعوره .

وكان رحمه الله وهو مريض يدرس المسائل التي لايستطيع ان يدرسها

---

(١) ترجمة الشيخ رحمه الله بقلم تلميذه الشيخ عطية سالم – بتصرف – (انظر اضواء البيان ٢٨/١-٣١) .

الجاهل المتعطش للعلم ، وكنت اقرا له احيانا حتى اخرج من عنده وانا معي دوار من كثرة ما قرات عليه .

وكان في طلبه الاول يدرس المسائل دراسة جردية ؛ فياخذ مثلا باب القياس ، ويجمع كلّ الكتب والمراجع التي تتعلق بالقياس ويعكف عليه حتى يحفظه ، ثمّ ينتقل إلى باب الاجتهاد ، ثمّ إلى باب الامر . وهكذا كان ياخذ المسائل جزئية جزئية ، ولكن إذا اخذ الجزئية يجمع لها جميع ما يصل إليه من المراجع ، ثمّ يدرس المسائل بحذافيرها .

وقال لي مرة : إنه درس نصا من (خليل ، في كتاب النكاح) ، وهو (فصل : لو ببيع سلطان لفلس) ، فقال : شرحه لي شيخي بعد العصر ولم افهمه ، وكررت قراءة الكتب ، ولم افهم . وجاء الليل فاوقدت نارا ، وجلست اقرا على ضوئها ، وجاء العشاء وصليت ، وجلست اكرر القراءة في المراجع حتى طلع الفجر ، ثم صليت الفجر وانا لم انم ، ثمّ بعد ذلك فهمت المسالة ، وكانت النتيجة قليلة ، فقلت : لو كنت اتعبت ذهني لاستخرج مسائل من الكتاب والسنة لكنت اتيت للمسلمين بعلم كثير(١) .

فالشيخ رحمه الله إذا وجد مسالة صعب عليه فهمها لايهدا له بال

---

(١) ذكرها ايضا الشيخ عطية في ترجمة الشيخ .
(انظر اضواء البيان ٣١/١) .

حتى يفهمها فهما جيدا ، ويعرف ما وراءها .

وكلّ العلوم درسها على شيوخه إلا فنّ المنطق ؛ فإنه جلس عليه ستة شهور لايخرج من البيت إلا للصلاة ، وخرج بالفية جيدة ، ومع الأسف فإنّ أغلبها مفقود . فهذا هو العلم الذي حمله الشيخ بنفسه .

وقد أخبرني مشافهة أنّ كلّ آية في القرآن درسها على حدة ، وذكر لي الشيخ عطية عن والدي أنه قال له : لاتوجد في القرآن آية قال فيها الأقدمون شيئا إلا حفظته .

وكان الشيخ رحمه الله إذا أخذ الكتاب يحاول أن يقرأه ، وفي كلّ الكتب التي اقتناها يكتب المسائل التي قرأها في الصفحة الأولى من الكتاب .

وكان رحمه الله يحفظ ألفية ابن مالك ، وألفية العراقي ، وألفية مراقي السعود ، ويحفظ من الشعر الشيء الكثير .

وكان يحفظ أكثر أحاديث البخاري ومسلم ، وقد قال لنا في آخر حياته : ادرسوا عليّ الصحيحين ، فإني أحبّ أن يدرسا عليّ)) .

وحدثني الدكتور / محمد الخضر الناجي عن الشيخ الأمين رحمه الله ، فقال : ((إنه قال أمامي في إحدى الجلسات أنه درس المصحف من أوله إلى آخره ، ولم يترك منه آية إلا وعرف ما قاله العلماء فيها .

ولما قال له بعض الإخوان إنّ سليمان الجمل(١) لم يقل هذا . قال : احلف لك بالله اني اعلم بكتاب الله من سليمان الجمل بكذا ؛ لاني اخذت المصحف من اوله إلى آخره ، ولم تبق آية إلا تتبعت اقوال العلماء فيها ، وعرفت ما قالوا .

وقال ايضا امامي : إنه لم يبحث عن شيء مثل بحثه في مسألتين ، ولم يقف منهما على مقنع . منهما معنى الأحرف السبعة والأقوال فيها تنيف عن اربعين قولا . ثمّ المسألة الثانية في مسائل إنفكاك الجهة)) .

---

(١) هو سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري ، المعروف بالجمل . من اهل منية عجيل ؛ إحدى قرى الغربية بمصر . له حاشية على تفسير الجلالين . مات سنة (١٢٠٤ هـ) .
(انظر : الأعلام ١٣١/٣ . ومعجم المؤلفين ٢٧١/٤) .

المبحث الثاني

عقيدته

العقيدة السائدة في موريتانيا هي العقيدة الأشعرية . ولايعني هذا أن جميع الناس على هذا المعتقد ، وليس فيهم سلفيون . وإنما عقيدة التأويل سائدة بين أوساط أكثر العلماء ، ومن ثم كان تلاميذهم تبعا لهم . وإلا فإن كثيرا من العوام سلفيون بالفطرة ، يعرفون من التوحيد ما به يصح إيمانهم ، ولايعرفون شيئا عن العقيدة الأشعرية التي يعتقدها أكثر علمائهم(١) .

ولايخلو زمان أو مكان من أفراد مصلحين يفهمون الوحي ، وينور الله بصيرتهم فيعتنون بإبراز معتقد السلف . ومن هؤلاء كان الشيخ محمد الأمين رحمه الله ؛ الذي كان على منهج السلف الصالح ، وكان ينهل من الوحيين ؛ كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويحذر من البدع والأهواء . فهو رحمه الله سلفي العقيدة يقول بما قال به الصحابة رضي الله عنهم والتابعون والأئمة المشهورون من السلف الصالح رضي الله عنهم . ولا أدل على ذلك من كلامه رحمه الله حين سئل عن مذهب أهل السنة في آيات الصفات وأحاديثها في مديرية (النعمة) في موريتانيا قبل مجيئه إلى

---

(١) استفدت معنى هذا الكلام من الدكتور / محمد الخضر الناجي .

المملكة ، فأجاب رحمه الله بقوله : ((إنّ المذهب الذي يسلم صاحبه من ورطتي التعطيل والتشبيه هو مذهب سلف هذه الأمة من الصحابة ، والقرون المشهود لهم بالخير ، وأئمة المذاهب ، وعامة أهل الحديث . وهو الذي لاشك أنه الحقّ الذي لاغبار عليه ، وضابطه : مجانبة أمرين : وهما التعطيل والتشبيه ؛ فمجانبة التعطيل هي أن تثبت لله جلّ وعلا كلّ وصف أثبته لنفسه ، أو أثبته له نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ إذ من الضروري أنه لايصف الله أعلم بالله من الله ، ولا من رسوله صلوات الله وسلامه عليه الذي لاّينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى"(١) ، "أأنتم أعلم أم الله "(٢) ، "ومن أصدق من الله حديثا "(٣) ، "ومن أصدق من الله قيلا "(٤) . ومجانبة التشبيه هي أن تعلم أنّ كلّ وصف أثبته الله جلّ وعلا لنفسه ، أو أثبته له نبيه صلى الله عليه وسلم : فهو ثابت له حقيقة على الوجه البالغ من كمال العلوّ والرفعة والشرف ما يقطع علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين ؛ "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"(٥) ، "فلا تضربوا لله الأمثال إنّ الله

---

(١) سورة النجم ، الآيتان {٣-٤} .

(٢) سورة البقرة ، الآية {١٤٠} .

(٣) سورة النساء ، الآية {٨٧} .

(٤) سورة النساء ، الآية {١٢٢} .

(٥) سورة الشورى ، الآية {١١} .

يعلم وانتم لاتعلمون"(١) ، "لم يكن له كفوا احد"(٢)))(٣) .

فالشيخ الامين رحمه الله كان على معتقد السلف قبل مجيئه إلى المملكة ، ولم يجد صعوبة ، بل كان محلّ تقدير الجميع لشرف معتقده ، فصار يدرس العقيدة الصحيحة التي كان عليها-قبل مجيئه- للناس .

وقد سألت الاستاذ / محمد الامين بن الحسين عن معتقد الشيخ رحمه الله قبل مجيئه ، فقال : ((نقلت منه ، واستقرأت عنه انه كان على عقيدة اهل السنة والجماعة . واكبر دليل على ذلك انه حين قدم المملكة العربية السعودية ، واجتمع بابن عمه محمد بن عبدالله بن آدّ ؛ الذي كان قاضيا في المحكمة الشرعية في المهد والقنفذة ووادي الصفراء : سأله عن الوهابية ، هل هم كما يقال ؟ فقال له الشيخ محمد بن عبدالله : مثلك لايسأل هذا السؤال ؛ فهؤلاء يرون انهم حاملون لواء الإسلام ، ولاسيما في العقيدة ، وانه هو - يعني الشيخ محمد الامين - عالم جليل قادر على الردّ والبحث والاخذ والعطاء معهم ، فيجب عليه ان يجتمع مع علمائهم ، ويطلع بنفسه على ما عندهم . وانه هو - يعني نفسه - قادر على جمعه

---

(١) سورة النحل ، الآية {٧٤} .

(٢) سورة الإخلاص ، الآية {٤} .

(٣) وكلامه رحمه الله في ذلك طويل .

(انظر كتابه : الرحلة إلى المسجد الحرام ص ٧٢-٨٧) .

بهم . فوافق الشيخ محمد الأمين على ذلك بعد قدومه المدينة من مكة . ثمّ أخبر الشيخ محمد عبدالله القاضي عبدالله بن زاحم رحمه الله ، فاجتمع مع الشيخ ، وسأله القاضي : ماذا تسمع عنا ؟ فقال الشيخ محمد الأمين : بعض الناس يثني عليكم ، وبعضهم يقدح . فقال له : وأيهم أكثر ؟ فقال : القادحون أكثر . فقال القاضي للشيخ محمد الأمين : ما عندنا كالتالي : نحن لانتعلق بمخلوق دون الله ، وعلى مذهب الإمام أحمد شريطة أن لايخالف الكتاب والسنة ، ونخطئ من يؤول صفات الله عزّ وجلّ . فقال له الشيخ محمد الأمين : وأنا مثلكم في هذا ؛ فإني لاأؤول الصفات . وألقى محاضرة في الصفات في بيت القاضي أيام مجيئه ، فدلّ ذلك بقرينة واضحة أنه على معتقد أهل السنة والجماعة .

وقال لي الشيخ محمد الأمين وأنا أكتب معه أضواء البيان في مبحث : "أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها"(١) بسورة محمد ، وأخبرته بما قال لي الشيخ محمد عبدالله ، فصدقني ، وقال هذه المحاضرة هي التي جعلتها في أضواء البيان في سورة الأعراف ، وفي سورة محمد جزء منها ، فدلّ ذلك على أنّ حصيلته العلمية العقدية في الصفات لم تتغير ، وأنه كان من أهل السنة والجماعة ، ولو كانت جديدة عليه ما ألقاها في أول جلساته في

---

(١) سورة محمد ، الآية {٢٤} .

المدينة مع العلماء .

وقد سأله رجل وهو يلقي درسا في بيته عن الصفات ، فقال له : اكنت تقول بهذا في بلدك ؟ قال : نعم كنت اقول به)) .

ويؤكد الأستاذ محمد الأمين بن الحسين بشدة انّ عقيدة الشيخ رحمه الله هي عقيدة السلف ، لم تتغير ، ولم يطرأ عليها شيء ، ويقول : ((هذا الذي اعرفه عنه ، ومن قال غير ذلك فقد غلط ؛ لأنه لم يلازمه رحمه الله مثلي ؛ فقد كتبت الجزء الرابع والخامس بغير إملاء ، والسادس والسابع بإملاء ؛ لأنه رحمه الله ضعف عن الكتابة)) .

وحدثني ابنه عبدالله انه سأل الشيخ محمد بن عبدالله عن معتقد والده الشيخ الأمين ؟ فقال لي : ((إني رأيت الشيخ في جدة ؛ يعني وقت مجيئه من بلاده . وسألني عن معتقد اهل البلاد هنا ، فقلت له : إنهم يثبتون ما اثبت الله لنفسه ، وينفون ما نفى الله عن نفسه ، ويقفون مع النصوص. فقال هذه عقيدتي التي ادين الله بها)).

وقد استشكلت الباحثة / سميرة بنت صقر آل محمد في عقيدة الشيخ رحمه الله : هل اخذها عن شيخ ، ام انه اعتمد على نفسه في تحصيلها ؟ ثمّ مالت إلى انه تلقاها عن بعض مشايخه ايام الطلب ، وبالذات الشيخ محمد بن صالح ، الشهير بابن احمد الأفرم (١) .

---

(١) انظر : الشنقيطي ، ومنهجه في التفسير ص ٥٥ .

والذي يظهر لي انّ الشيخ رحمه الله لم يدرس عقيدة السلف على احد ، وإنما تحمل عليها بنفسه . اما في اول طلبه فيبدو انه درس على معتقد الاشاعرة ؛ لانّ اغلب ما يوجد من المشايخ على طريقة الاشاعرة في العقيدة ، خاصة بعد ان الف احمد المقري إضاءته في العقيدة الاشعرية ؛ وهي منظومة كانت تدرس لسهولة حفظها . هذا ما اكده لي بعض تلاميذ الشيخ رحمه الله (١) .

وفي سؤال طرحته على الدكتور / محمد الخضر الناجي : سألته هل اكتسب الشيخ رحمه الله العقيدة السلفية بالتعلم ؟ فاجاب حفظه الله قائلا : ((الشيخ بعد ان تعلم على العلماء في بلده صار له رايه الحرّ والخاص ، ونظرته الثاقبة إلى الوحي خاصة ، ولذلك كاد ان يكون موصوفا ببعض الشذوذ في بعض المسائل وهو هناك قبل مجيئه ؛ نظرا لانه كان يفتي بالوحي ، بينما المفتون كانوا يفتون بالفقه فقط . فكانّ يدا استعمارية خبيثة بثت في المعمورة انّ الرجوع في الفتيا إلى القرآن والسنة لايمكن إلا للعلماء المجتهدين الكبار ، وعلى من دونهم ان يلتزم بالفقه والمذهب ، فصار الوحي لايدرس هناك ، لاكرها له ولاعدم اعتبار له ، ولكن اتقاء لله ، وانّ الكلام به من قبيل الكلام بالراي ، فصارت هناك هيبة وسياج عظيم حتى تعطلت ادلة الوحي . ولكنّ الشيخ فهم انّ هذا الراي غير صحيح فخرج عليه . وقد تكلم في (رحلة الحج) عن العقيدة كلاما

---

(١) منهم الدكتور محمد الخضر الناجي .

ممتازا مرتبا نفهم منه انه بدا يستقرّ في فهم العقيدة قبل ان يصل إلى هذه الديار ويستقرّ بها .

وسمعته يقول : إنه في اواخر ايامه في موريتانيا تبين له انّ الطريقة السلفية صحيحة ، واعتنقها وهو في موريتانيا .

فهو قد توصل بنفسه إلى العقيدة الصحيحة ؛ بسبب فهمه الثاقب وذكائه المفرط ، ولااعلم انه تاثر باحد او قلده)) .

ثم سألت الشيخ محمد الناجي ايضا : هل استفاد الشيخ الامين رحمه الله من شيخه محمد بن صالح في العقيدة ؟ فاجاب قائلا : ((معظم العلماء الذين هناك اشعريون ، وما اظنّ انه استفاد منه في العقيدة ، وما مرّ بي هذا ، ولا اظنك تلقى احدا يقول ذلك ، بل استفاد من الشيخ المذكور في الفقه ، والشيخ محمد بن صالح وإن كان ينكر البدع ، لكنه ليس سلفيا)) .

ثمّ سألته مستفهما : إني سمعت انّ الشيخ رحمه الله درس العقيدة السلفية في موريتانيا قبل استقراره بالمملكة ؟ فقال : ((انا ما سمعت بهذا ، إلا إذا كان في طريقه ، او إبّان قدومه)) .

ويروي لنا د/عبدالله بن الشيخ قصة عن والده في سبب تاثره بمعتقد السلف ، فيقول : ((قال لي الشيخ رحمة الله عليه انه مرة جالت يده على كتاب في البلاد لرجل يسمى بالمبجل ، فإذا هو يقول :

{ كيف يصف الله نفسه بصفة ، ويأتي العبد وينفيها عنه ، والله يقول : "أأنتم أعلم أم الله" } ، وكلام قريب من هذا ، ففهمت أنّ هذا هو الحقّ)) .

ويؤكد الشيخ محمد الأمين بن الحسين هذه القصة ، وأنه سمعها من الشيخ رحمه الله ، لكنه لايرتضي قول من قال : إنه تأثر بهذا الكتاب ، وإنما هو رأى كتابا وافيا في عقيدة أهل السنة والجماعة فاستحسنه ، ولايدلّ ذلك على أنه تأثر به . ويقول : فهمت منه أنّ الكتاب كتاب جميل في موضوع العقيدة السلفية ، ليس إلا .

وأخيرا : أختم هذا المبحث ببيان أنّ العبرة بالخواتيم ، وأنّ الشيخ رحمه الله من أولئك الذين أكرمهم الله بالانتصار لمذهب السلف ، والدفاع عنه ، والدعوة إليه ، والاعتناء به تدريسا وتأليفا .

وقد نقد الشيخ الأمين رحمه الله منهج المتكلمين ، وامتدح مذهب السلف ، ورأى أنّ الإنسان العاقل لابدّ أن يصير إلى مذهب السلف في النهاية ؛ فقال رحمه الله في معرض كلامه على مذهب المتكلمين : ((وكلّ مذهب هذه حاله فإنه جدير بالعاقل المفكر أن يرجع عنه إلى مذهب السلف))(١) .

---

(١) أضواء البيان ٤٦٨/٧ .

وقال لي الشيخ محمد الناجي أيضا : ((أتيت إليه مرة بكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله ، وقلت له : يا شيخ ماذا في هذا الكتاب ، هل هو كتاب طيب ؟ فقال لي : هذا كتاب ليس فيه من أوله إلى آخره إلا آيات وأحاديث ، واقرأه إن شئت)) .

وقال تلميذه وابن عمه الشيخ أحمد بن أحمد الجكني في قصيدة يرثيه بها ، ويمدحه بعقيدته السلفية (١) :

موت الإمام الحبر من جاكاني رزء ألمّ بأمة العدناني

يا للمصيبة للبرية إنها فقدت عظيم مناهل العرفان

شيخا أفاء من العقيدة نيرا أرساه فوق دعائم البرهان

أعشى سناه كلّ جهم ملحد نبذ الكتاب لمنطق اليونان

ما إن رأيت ولاسمعت بمثله حاو لكلّ تراجم القرآن

---

(١) وهي طويلة تقع في ستة وعشرين بيتا .
(انظر : منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام من أضواء البيان للشيخ عبدالرحمن السديس ص ٦٤) .

المبحث الثالث

أعماله، ووظائفه

أولا : أعماله قبل مجيئه إلى المملكة :

كانت أعماله رحمه الله كعمل أمثاله من العلماء : التدريس والفتيا . ولكنه كان قد اشتهر بالقضاء وبالفراسة فيه . ورغم وجود الحاكم الفرنسي إلا أن المواطنين كانوا عظيمي الثقة به ؛ فكانوا يأتونه للقضاء بينهم ، ويفدون إليه من أماكن بعيدة ، أو حيث يكون نازلا .

وكان الحاكم الفرنسي في البلاد يقضي بالقصاص في القتل بعد محاكمة ومرافعة واسعة النطاق ، وبعد تمحيص القضية وإنهاء المرافعة وصدور الحكم يعرض على عالمين جليلين من علماء البلد ليصادقوا عليه . ويطلق على العالمين : لجنة الدماء ، ولاينفذ حكم الإعدام قصاصا إلا بعد مصادقتهما عليه .

وقد كان الشيخ الأمين رحمه الله أحد أعضاء هذه اللجنة ، ولم يخرج من بلاده حتى علا قدره ، وعظم تقديره ، وصار علما من أعلامها ، وموضع ثقة أهلها وحكامها ومحكوميها (١) .

---

(١) انظر ترجمة الشيخ بقلم تلميذه الشيخ عطية محمد سالم في مقدمة أضواء البيان ١/٣٤-٣٥ - بتصرف - .

ثانيا : أعماله بعد قدومه المملكة :

يحدثني تلميذه الشيخ / محمد الأمين بن الحسين عن أعمال الشيخ في المملكة بعد استقراره بها ، فيقول : ((كان مدرسا في المسجد النبوي ، وقد فسر القرآن فيه مرتين . ودرس في مدرسة العلوم الشرعية ، ثم انتقل إلى الرياض مدرسا في الكليات والمعاهد ، وأخيرا رجع إلى المدينة ، ودرس في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، حتى توفي وهو مدرس فيها .

وكان يدرس في الحرم النبوي طيلة فترة وجوده في المدينة ، لاسيما في شهر رمضان ؛ حيث كان يدرس القرآن الكريم . ومرة من المرات أحصيت أربعين مسجلا للصوت تسجل دروسه)) .

كما كان رحمه الله أحد أعضاء هيئة كبار العلماء ، وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي(١) .

---

(١) انظر ترجمة الشيخ بقلم تلميذه الشيخ عطية سالم في مقدمة أضواء البيان ١/٤٩-٥٠ .

المبحث الرابع

تلاميذه

بعد أن تبوأ الشيخ الأمين رحمه الله هذه المنزلة العالية ، وحملت له هذه الشهرة الواسعة ، صار محطّ أنظار طلبة العلم ؛ يرحلون إليه ، ويحضرون دروسه ، ويسمعون عليه . فتلقى العلم على يديه أفواج لايحصون من طلاب العلم ، ويصعب حصرهم ، وهم منتشرون في هذه البلاد ، وخارجها .

يقول الشيخ عطية سالم : ((ولايغالي من يقول : إنّ كلّ من تخرج أو يتخرج : فهو إما تلميذ له ، أو لتلاميذه . فهم بمثابة أبنائه وأحفاده ، وكفى))(١) .

ومن أبرز هؤلاء التلاميذ :

{١} - الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن بن باز ؛ رئيس الجامعة الإسلامية سابقا ، ويشغل حاليا منصب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد . وقد درس على الشيخ الأمين المنطق في سلم الأخضري(٢) .

---

(١) ترجمة الشيخ ، بقلم تلميذه الشيخ عطية سالم في مقدمة أضواء البيان ١/٤٥-٤٦ .

(٢) وكان الشيخ رحمه الله يثني على الشيخ عبدالعزيز ، ويقول : هو علامة زمانه في الفرائض . ويثني على علمه وخلقه ، = =

{٢} ـ الشيخ عبدالعزيز بن صالح آل صالح : إمام وخطيب المسجد النبوي ، ورئيس محاكم المدينة المنورة .

{٣} ـ الشيخ عبدالله بن غديان : عضو هيئة كبار العلماء ، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء في إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، والمدرس بالمعهد العالي للقضاء في الرياض .

{٤} ـ الشيخ عبدالمحسن بن حمد العباد : نائب رئيس الجامعة الإسلامية سابقا ، ومدرس في المسجد النبوي ، وفي الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية .

{٥} ـ الشيخ صالح بن محمد اللحيدان : عضو هيئة كبار العلماء ونائب رئيس مجلس القضاء الأعلى .

{٦} ـ الشيخ عبد الله بن عبدالرحمن بن جبرين / عضو في اللجنة الدائمة للإفتاء .

{٧} ـ الشيخ محمد بن صالح العثيمين / عضو هيئة كبار العلماء .

= = ويقول : جاءني زائرا مرة ، وكنت ابحث عن حديث في سنن ابي داود ، فقال لي الشيخ عبدالعزيز : هذا الحديث في صفحة كذا ، في جزء كذا ، فوجدته كما قال . وكنت من ايام ابحث عن هذا الحديث . (حدثني بذلك د/ عبدالله بن الشيخ الأمين) .

وقال لي محمد ؛ ابن الشيخ الأمين : ((كان والدي يقول : لاأرى أن" في العالم احدا مثل الشيخ عبدالعزيز بن باز في التفاني في خدمة الإسلام والمسلمين)) .

{٨} - الشيخ صالح بن فوزان الفوزان / عضو هيئة كبار العلماء .

{٩} - الشيخ إبراهيم آل الشيخ / وزير العدل سابقا .

{١٠} - الشيخ عبدالعزيز بن محمد العبد المنعم / الأمين العام لهيئة كبار العلماء .

{١١} - الشيخ عطية محمد سالم : المدرس بالمسجد النبوي ، والقاضي بالمحكمة الشرعية بالمدينة .

{١٢} - الشيخ راشد بن خنين : مستشار بالديوان الملكي .

{١٣} - الشيخ الدكتور علي بن ناصر الفقيهي : استاذ العقيدة في الجامعة الإسلامية . ورئيس مجلس شئون الدعوة فيها حاليا .

{١٤} - د/عبدالله قادري استاذ الفقه في الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية .

{١٥} - د/عبدالعزيز بن راجي الصاعدي : نائب الرئيس للبحوث والدراسات العليا في الجامعة الإسلامية .

{١٦} - د/محمد أمان بن علي الجامي : المدرس في المسجد النبوي حاليا ، وفي الجامعة الإسلامية سابقا .

{١٧} - الشيخ علي بن سليمان المهنا : رئيس المحكمة المستعجلة في المدينة المنورة .

{١٨} - الشيخ ابو عبدالرحمن بن عقيل : البحاثة المعروف ،

والمستشار الشرعي بوزارة الشؤون البلدية والقروية .

{١٩} ـ الشيخ بكر بن عبدالله ابو زيد : وكيل وزارة العدل للشؤون القضائية .

{٢٠} ـ د/عبدالعزيز القاري : استاذ مشارك في قسم الدراسات العليا في كلية القرآن ، وخطيب مسجد قباء .

{٢١} ـ د/عبدالله الزايد : نائب رئيس الجامعة الإسلامية سابقا ، واستاذ اصول الفقه في كلية الشريعة في جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية في الرياض .

{٢٢} ـ الشيخ حمود بن عبدالله بن عقلاء الشعيبي : استاذ في كلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود فرع القصيم .

{٢٣} ـ د/محمد حمود الوائلي : استاذ في قسم الدراسات العليا بكلية الشريعة في الجامعة الإسلامية .

{٢٤} ـ د/ربيع بن هادي مدخلي : استاذ في الدراسات العليا في كلية الحديث في الجامعة الإسلامية .

{٢٥} ـ د/سفر بن عبدالرحمن الحوالي : رئيس قسم العقيدة بجامعة ام القرى بمكة المكرمة .

{٢٦} ـ الشيخ / المامون محمد أحمد : مدرس متقاعد . وهو من كتاب أضواء البيان .

{٢٧} ـ الشيخ/ محمد الامين بن الحسين : مدرس في المعهد

الثانوي بالجامعة الإسلامية . ومن ابرز تلاميذه الذين كتبوا عنه اضواء البيان .

{٢٨} - الدكتور / محمد الخضر الناجي ضيف الله : استاذ مساعد في جامعة ام القرى بمكة ، في قسم الكتاب والسنة . وقد لازم الشيخ تسع سنوات ، وهو من كتّاب اضواء البيان .

{٢٩} - الدكتور / محمد مختار بن محمد الامين (ابن الشيخ) : رئيس قسم اصول الفقه في الجامعة الإسلامية .

{٣٠} - الدكتور / عبدالله بن محمد الأمين (ابن الشيخ) : عميد كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية .

{٣١} - الدكتور / محمد عمر حويه : استاذ في كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية ، ومن كتّاب أضواء البيان .

{٣٢} - الدكتور / محمد بن السيد بن الحبيب : استاذ في جامعة أم القرى .

{٣٣} - الدكتور / بابا بن آدّ : دكتور في جامعة أم القرى ، ومن كتّاب اضواء البيان .

{٣٤} - الشيخ / محمد احمد بن الشيخ يحيى : مدرس متقاعد ، وهو من كتّاب أضواء البيان .

{٣٥} - الشيخ / محمد المختار احمد مزيد : المدرس بالمسجد النبوي ، والجامعة الإسلامية . توفي رحمه الله عام (١٤٠٥ هـ) .

{٣٦} - السيد الأمين المامي : موظف في رابطة العالم الإسلامي سابقا . وقد توفي رحمه الله .

{٣٧} - الشيخ احمد بن احمد : مدرس في المسجد الحرام . ومن كتاب اضواء البيان .

{٣٨} - الشيخ إحسان إلهي ظهير - رحمه الله - .

وعلى العموم : فإن" طلاب المعهد العلمي في الرياض - في السنوات الثلاث الاولى من إنشائه (١٣٧١ هـ) - من تلاميذه ، وكذا طلاب كلية الشريعة في الرياض - منذ إنشائها في عام (١٣٧٣ هـ) ، إلى نهاية عام (١٣٨٠ هـ) - من طلابه . وطلاب كلية الشريعة في الجامعة الإسلامية منذ إنشاء الجامعة عام (١٣٨١ هـ) ، وحتى وفاته سنة (١٣٩٣ هـ) من طلابه كذلك .

ملاحظة : املى علي" اسماء بعض هؤلاء التلاميذ : فضيلة الشيخ عبدالمحسن بن حمد العباد والشيخ محمد المختار بن محمد المختار . وأملى الباقي الشيخ محمد الأمين بن الحسين بحضور بعض تلاميذ الشيخ رحمه الله من ذوي قرابته .

المبحث الخامس

مؤلفاته

خلف الشيخ رحمه الله آثارا علمية تدلّ على سعة علمه ، وطول نفسه في تحرير المسائل وتقريرها . وهي مؤلفات نفيسة ومفيدة . وهي على نوعين : تآليف كتبها في بلاده ، وتآليف كتبها في المملكة .

أما التي ألفها في بلاده ، فهي :

{١} - أنساب العرب : وهو نظم ألفه قبل البلوغ . ولما بلغ دفنه ، قال : لأنه لم يكن لله وإنما كان على نية التفوق على الأقران .

{٢} - رجز في فروع مذهب مالك يختصّ بالعقود من البيوع والرهون .

{٣} - ألفية في المنطق .

{٤} - نظم في الفرائض .

وكلّ هذه المؤلفات مخطوطة .

أما مؤلفاته في المملكة ، فهي :

{١} - منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز . وموضوعها إبطال إجراء المجاز في القرآن الكريم .

{٢} - دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب . وقد ابان فيه ما يشبه التعارض في بعض الآي . وقد شمل القرآن كله .

{٣} - مذكرة الأصول على روضة الناظر . جمع في شرحها أصول الحنابلة والمالكية والشافعية . وقد كانت مقررة على كليتي الشريعة واصول الدين في الجامعة الإسلامية .

{٤} - آداب البحث والمناظرة . وقد اوضح فيه آداب البحث ، من إيراد المسائل ، وبيان الدليل .

{٥} - اضواء البيان لتفسير القرآن بالقرآن . وهو مدرسة كاملة تتحدث عن نفسها . وهو سبعة اجزاء كبار ، وصل فيه رحمه الله إلى نهاية (قد سمع) . وهو آخر مؤلفاته .

{٦} - رحلة الحج إلى بيت الله الحرام .

وكلّ هذه المؤلفات مطبوعة .

المحاضرات ، والرسائل :

{١} - منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات .

اوضح فيها تحقيق إثبات صفات الله تعالى .

{٢} - حكمة التشريع .

عالج فيها العديد من حكمة التشريع في كثير من احكامه .

{٣} - المثل العليا .

اوضح فيها المثالية في العقيدة والتشريع والأخلاق .

{٤} - المصالح المرسلة .

بين فيها ضابط استعمالها بين الإفراط والتفريط .

{٥} - الإسلام دين كامل .

ألقاها بحضرة الملك محمد الخامس ملك المغرب عند زيارته للمدينة (١) .

وهذه المحاضرات طبعت كلها مستقلة .

وقد جمعها الشيخ سيد الأمين بن السامي الجكني رحمه الله في كتاب سماه المعين والزاد في الدعوة والإرشاد . وضمنه بعض الكلمات للشيخ رحمه الله ، والمراثي التي قيلت فيه .

{٦} - حول شبهة الرقيق .

ولاتزال مخطوطة عند الشيخ عطية سالم .

{٧} - رسالة في حكم الصلاة في الطائرة .

كتبها استجابة لبعض علماء موريتانيا ، حين زارها في رحلته الدعوية عام (١٣٨٥ هـ) . ولاتزال مخطوطة ؛ تقع في ست صفحات ، وقد اطلعت عليها عند ابنه د/عبدالله .

---

(١) بتصرف من ترجمة الشيخ رحمه الله ، بقلم تلميذه عطية سالم في مقدمته على أضواء البيان ١/٥١-٥٥ .

{٨} - رسالة في جواب سؤال من احد امراء بلاد شنقيط : ارسلها إلى الشيخ يسأله : هل العالم مخلوق ومرزوق من بركة النبي ﷺ ملى الله عليه وسلم ، او ذلك بأسباب اخرى ؟ وقد اجاب الشيخ رحمه الله عن ذلك بإحدى عشرة صفحة ، وهي لاتزال مخطوطة عند ولده الدكتور عبدالله .

{٩} - رسالة متضمنة لأسئلة مقدمة من الشيخ محمد الأمين بن الشيخ محمد الخضر ، وفيها ثلاث مسائل ؛ الأولى : مقر العقل من الإنسان . والثانية : هل يشمل لفظ المشركين اهل الكتاب ؟ والثالثة : هل يجوز للكافر ان يدخل مساجد الله غير المسجد الحرام . وهي تقع في إحدى عشرة صفحة . ولاتزال مخطوطة بحوزة ولده الدكتور عبدالله .

{١٠} - رسالة حول منع الطواف في المسعى في الدور الثاني . وهذه ذكرها لي الشيخ محمد الأمين بن الحسين .

ومن آثاره العلمية رحمه الله : اشرطة في تفسير القرآن الكريم قالها اثناء تدريسه في المسجد النبوي ، وهي محفوظة في تسجيلات الجامعة الإسلامية ، تقع في ثمانية وخمسين شريطا ، لو فرغت لجاءت في مجلدات ضخمة .

وهي من السور التالية : - وسوف اوضحها ذاكرا رقم الشريط اولا ، وما بعده من الارقام هي ارقام الآيات المفسرة من السورة في

الشريط المذكور - .

أولا : مـــن ســـورة الأنعـام :

الشريط رقم {١} : وفسر فيه الآيات : (٣٣) - (٣٨) .

الشريط رقم {٢} : وفسر فيه الآيات : (٣٨) - (٤٢) .

الشريط رقم {٣} : وفسر فيه الآيات : (٤٢) - (٤٨) .

الشريط رقم {٤} : وفسر فيه الآيات : (٤٩) - (٥٢) .

الشريط رقم {٥} : وفسر فيه الآيات : (٥٣) - (٥٦) .

الشريط رقم {٦} : وفسر فيه الآيات : (٥٧) - (٥٩) .

الشريط رقم {٧} : وفسر فيه الآيات : (٧٤) - (٨٣) .

الشريط رقم {٨} : وفسر فيه الآيات : (٨٣) - (٨٩) .

الشريط رقم {٩} : وفسر فيه الآيات : (٩٠) - (٩٣) .

الشريط رقم {١٠}: وفسر فيه الآيات : (٩٤) - (٩٧) .

الشريط رقم {١١}: وفسر فيه الآيات : (٩٨) - (٩٩) ، (١٠٣) .

الشريط رقم {١٢}: وفسر فيه الآيات : (١٠٤) - (١٠٨) .

الشريط رقم {١٣}: وفسر فيه الآيات : (١٠٨) - (١١١) .

الشريط رقم {١٤}: وفسر فيه الآيات : (١١٢) - (١١٦) .

الشريط رقم {١٥}: وفسر فيه الآيات : (١١٦) - (١٢٠) ، (١٢٨) .

الشريط رقم {١٦}: وفسر فيه الآيات : (١٢٨) - (١٣١) .

الشريط رقم {١٧}: وفسر فيه الآيات : (١٣١) – (١٣٥) ،
: (١٤١) – (١٤٤) .

الشريط رقم {١٨}: وفسر فيه الآيات : (١٤٤) – (١٤٦) .

الشريط رقم {١٩}: وفسر فيه الآيات : (١٤٦) – (١٥٠) .

الشريط رقم {٢٠}: وفسر فيه الآيات : (١٥٠) – (١٥١) .

الشريط رقم {٢١}: وفسر فيه الآيات : (١٥١) – (١٥٢) .

الشريط رقم {٢٢}: وفسر فيه الآيات : (١٥٥) – (١٥٨) .

الشريط رقم {٢٣}: وفسر فيه الآية : (١٥٨) .

ثانيا : من سورة الأعراف :

الشريط رقم {١} : الآيات (١٢) ، (٥٦) – (٥٧) .

الشريط رقم {٢} : الآيات (٥٧) – (٥٩) ، (٦٣) – (٦٤) .

الشريط رقم {٣} : الآيات (٦٤) – (٦٥) ،
(٦٩) – (٧١) ،
(٧٣) – (٧٤) .

الشريط رقم {٤} : الآيات (٧٤) ، (٨٠) – (٨١) ، (٨٦) – (٨٨) .

الشريط رقم {٥} : الآيات (٩٠) – (٩٣) ، (٩٦) – (٩٩) .

الشريط رقم {٦} : الآيات (١٠٠) – (١٠١) ، (١٠٣) – (١٠٥) .

الشريط رقم {٧} : الآيات (١٠١) – (١٠٦) ، (١١٥) ، (١٢٤) .

الشريط رقم {٨} : الآيات (١٢٤) – (١٢٩) ، (١٣١) ،
(١٣٨) – (١٤٩) .

الشريط رقم {٩} : الآيات (١٤١) - (١٤٤) .

الشريط رقم {١٠}: الآيات (١٤٨) - (١٥٥) .

الشريط رقم {١١}: الآيات (١٠٤) ، (١٥٠) ، (١٥٦) - (١٥٩) .

الشريط رقم {١٢}: الآيات (١٥٩) - (١٦٣) ، (١٦٨) - (١٦٩) .

الشريط رقم {١٣}: الآيات (١٦٤) ، (١٧٠) - (١٧٤) .

الشريط رقم {١٤}: الآيات (١٧٥) - (١٨١) .

الشريط رقم {١٥}: الآيات (١٨٢) - (١٨٨) .

الشريط رقم {١٦}: الآيات (١٨٩) - (١٩٩) .

الشريط رقم {١٧}: الآيات (٢٠٠) - (٢٠٥) .

ثالثا : من سورة الانفال :

الشريط رقم {١} : الآيات : (٧) - (١٣) .

الشريط رقم {٢} : الآيات : (٧) - (١٠) ، (١٢) - (١٣) ، (٢٤) ، (٢٩) .

الشريط رقم {٣} : الآيات (٣٠) - (٤٠) .

الشريط رقم {٤} : الآيــة (٤١) .

الشريط رقم {٥} : الآيات (٤٢) - (٤٤) .

الشريط رقم {٦} : الآيات (٤٥) - (٥٠) .

الشريط رقم {٧} : الآيات (٥٠) ، (٦٠) .

الشريط رقم {٨} : الآيات (٦١) ، (٧٠) .

الشريط رقم {٩} : الآيات (٧١) ، (٧٣) .

رابعـا : من سورة التوبـة :

الشريط رقم {١} : الآيات (١) - (٥) .

الشريط رقم {٢} : الآيات (١٣) - (١٦) .

الشريط رقم {٣} : الآيات (١٧) - (٢٥) .

الشريط رقم {٤} : الآيات (٢٨) - (٣١) .

الشريط رقم {٥} : الآيات (٣١) - (٣٥) ، (٣٧) .

الشريط رقم {٦} : الآيات (٣٨) - (٤٠) .

الشريط رقم {٧} : الآيات (٤٠) - (٤٤) ، (٥٤) .

الشريط رقم {٨} : الآيات (٥٤) - (٦٣) .

الشريط رقم {٩} : الآيات (٦٣) - (٦٧) .

المبحث السادس

ثناء العلماء عليه

حدثني الشيخ محمد الأمين بن الحسين قائلا : ((إني لم أر أحدا من العلماء إلا وهو يثني على الشيخ الأمين رحمه الله .

قال لي الشيخ محمد بن عبدالله بن آدُّ : سألت الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله بعد مقابلته للشيخ الأمين عند مجيئه من بلاده ومحاورته عن العقيدة : كيف رأيت صاحبي ؟ قال : لانظير له ، ولامثيل له ؛ فنحن تأتينا وفود العلماء من كلّ جهة ؛ لأننا عند الحرمين ، ولم أر كقدرة الشيخ محمد الأمين على الإلقاء ، ومطاوعة قلبه ولسانه في اتجاه واحد ، وحسن تعبيره عند أيّ أحد ممن رأيت من العلماء .

وقال الشيخ محمد بن عبدالله بن آدُّ : إني حضرت عند كثير من العلماء في مصر والشام ومكة والمدينة وموريتانيا ، فلم أر قطّ أحدا أعلم من الشيخ محمد الأمين لافي التفسير ، ولافي اللغة العربية . وأكبر دليل على ذلك : أنه إذا أراد أن يتكلم في التفسير ، وجاءت مسألة في التفسير ، أو في الأصول أو التاريخ أو الأدب أو الحديث ، وتكلم عليها يظنّ السامعون أنّ ذلك الحديث عن تلك المسألة - لخبرته وقوته في تلك المسألة التي يتكلم فيها -

خارجا عن التفسير ، فكان رحمه الله يحفظ الأدب والشعر بشكل لايتصور .

وكان الشيخ محمد المختار يترك درسه الذي يدرس فيه أيام تدريس الشيخ محمد الامين في الحرم في رمضان ، ويقول : انا لايمكن ان يفوتني درس الشيخ محمد الامين ؛ لعلمي انه العالم الوحيد الباقي في هذه الدنيا .

وكذلك الشيخ عبدالعزيز بن باز كان يجله أعظم الإجلال ، وكذا الشيخ محمد بن إبراهيم ؛ المفتي رحمه الله كان يثني عليه ثناء العلماء . ويكفي في ذلك ما قاله الشيخ محمد بن إبراهيم للملك عبدالعزيز : إنّ هذا الرجل مفلوت من صحراء مستعمرة ، ولو كان للإسلام في بلده دولة لما تركته يخرج ؛ لأنه من العلماء الأفذاذ))(١) .

فكان رحمه الله محلّ الثناء من جميع العلماء في عصره .

واخبرني د/محمد الخضر الناجي قال : ((رايت شخصا وقف اثناء تدريس الشيخ في الحرم ، وقال : ما اظنّ مثل هذا موجودا في العالم اليوم ابدا .

وكان يدرس معي في حلقة الشيخ احد الطلاب الذين ينتمون إلى

---

(١) نقلا عن الشيخ محمد الأمين بن الحسين ، في المقابلة التي اجريتها معه .

الطرق واهل الطرق ، يحملون عن الشيخ فكرة ليست طيبة ، وبعضهم له موقف ضده . والحقّ ما شهدت به الاعداء : فكنا إذا خرجنا من حلقة الشيخ نبحث عن المراجع التي تحمل هذا الكلام الذي نسمعه في الدرس فلا نجد . فقال بعبارة واضحة : إنّ هذا الشيخ لايوجد مثله الآن في العالم ابدا . الله اعلم هل يصح مقارنته بالائمة الأربعة الأولين ام لا ؟ . وهو مع ذلك يحقد عليه ، لأنه ضدّ الطريقة)) .

وانقل هنا كلمة لاحد قضاة موريتانيا اثنى بها على الشيخ رحمه الله ، بسبب توضيحه لعقيدة السلف في الصفات ، وذلك عندما زار الشيخ رحمه الله موريتانيا على راس بعثة الدعوة في إفريقيا عام (١٣٨٥ هـ) ، قال فيها : ((... هذا وقد بعثت الخطبة التي خطب بها رئيس الوفد محمد الأمين بن محمد المختار في زيارته للعاصمة نواكشط روحا قيمة في نفوس المجتمع الإسلامي عامة ، وفي نفوس الموريتانيين خاصة ؛ تلك الخطبة التي ازلتم بها الشكوك عن الدين باوضح حجة ، واوضح براهين ، مما لايوقع شكا بعد اليقين . فلا شك ولاريب انّ من اعتقدها اعتقادا جازما مؤمنا بقوله تعالى : "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" لايبقى في قلبه إشكال من عدم مماثلة الخالق بالمخلوق ، ولاشك انّ جميع الصفات من باب واحد ؛ لأنّ متعلقها واحد ، وهو الذات المقدسة . ولله درّ العالم الاديب بابا ولد الشيخ سيدي يحيى :

واحذر التشبيه بالآيات وفي الاحاديث عن الثقات
وهي الصفات نصف الرحمن واجب بها الإيمان
إما على ظاهره نبقيها ونحذر التاويل والتشبيها
ومن تاول فقد تكلفا وغير ما به علم قفا

إلى آخر ابياته المشهورة . ولاشك ان" اهل هذه البلاد تجاوزوا الحد" وتنطعوا في امر التاويل ، وتكفيرهم لمن لم يقل به . ويفرقون بين صفاته تعالى مجوزين التفويض في بعضها ، ويوجبون التاويل في بعضها ، وهذا غلط ظاهر ، فلا بد" من وجوب التاويل في جميع الصفات ،او التفويض في جميع الصفات مما لايليق به جل وعلا (١) "افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض" ، فالمتاول يكل المتشابه إلى علم الله مع التنزيه عن مشابهة الحوادث ، ولكن كل" صفة وصف الله بها نفسه او وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم يجب الإيمان بها على مراد الله بها مع التنزيه عن مماثلة الحوادث . وهذا هو معنى قوله تعالى : "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" . واخيرا : ولاشك ان" هذه الزيارة سيتزود منها العالم الإسلامي كثيرا من التعاليم والإرشادات القيمة التي سيكون لها اثرها الفعال في عقيدة المجتمع الإسلامي ، والسير سيرا حثيثا إلى الامام ، والتمسك بشريعة سيد الأنام .

وليست هذه الخطبة هي اول إرشاداتكم وتعليماتكم للمجتمع

---

(١) التاويل والتفويض في المعنى كلاهما غير صحيح . والحق" : الإثبات مع معرفة المعنى بدون تاويل .

الإسلامي ، فقد نفيتم إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، وفسرتم القرآن بالقرآن ، بما لم يسبق إليه عالم في غابر الأزمان . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته))(١) .

وبهذا الثناء العاطر من معاصري الشيخ محمد الأمين رحمه الله تعالى تتضح لنا منزلته الرفيعة التي يتبوؤها هذا الإمام الجليل ، وشخصيته الفذة التي حباه الله بها ، فرحمه الله رحمة واسعة ، وغفر لنا وله وللمسلمين إنه جواد كريم .

---

(١) نقلا عن شريط مسجل فيه بعض محاضرات الشيخ في موريتانيا ، واحداث هذه الرحلة مسجلة في ثمانية اشرطة موجودة في تسجيلات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

وقد استوفى ترجمة الشيخ رحمه الله كلٌ من :

تلميذه الشيخ عطية محمد سالم في مقدمته على اضواء البيان ١/٣-٦٤ .

والشيخ محمد المجذوب في كتابه : علماء ومفكرون عرفتهم من ص ١٧١-ص ١٩١ .

والأخ الباحث عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس في رسالته الماجستير التي تحمل عنوان : منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام من أضواء البيان ص ١- ص ٩٧ .

والأخت الباحثة سميرة بنت صقر آل محمد في رسالتها الماجستير التي تحمل عنوان : الشنقيطي ومنهجه في التفسير ص ٣٠-١١٧ .

الباب الأول

جهود الشيخ الأمين - رحمه الله - في توضيح الإيمان بالله تعالى

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول

توحيد الربوبية

الفصل الثاني

توحيد الألوهية

الفصل الثالث

توحيد الأسماء والصفات

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

الإيمان بالله تعالى هو الركن الأول من أركان الإيمان الستة .

لذا فإنّ معرفته وتحقيقه غاية كلّ مسلم ، ومنتهى كلّ طالب للحقّ ؛ لأنّ شرف العلم من شرف المعلوم .

فمعرفة الله وعبادته أشرف المطالب ، وأعلى المقاصد ، وبإخلاص العبادة وصوابها يكون العبد من أولياء الله تعالى ، ومن أهل دار كرامته ، وممّن تناله رحمته وهداه . ومن قصّر في هذا الجانب العظيم كان ممّن عرّض نفسه لسخط الله تعالى ومقته ، وحرمها من فضله وكرمه .

والله سبحانه وتعالى لما خلق الخلق لم يتركهم هملا ، بل أنزل إليهم الكتب ، وأرسل الرسل يعلمونهم أوامر ربهم ، ويدلونهم على طريق الرشاد .

وقد دلّ الله على نفسه ، وعرّف خلقه بأسمائه وصفاته ووحدانيّته وإلهيته ، وأنه المتفرد بالعبوديّة كما أنه المتفرد بالربوبيّة .

ودعوة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم جاءت لتقرير هذه العقيدة وترسيخها في قلوب العباد ، وأن يعملوا على تطبيقها والتمسّك بها .

والقرآن الكريم من أوله إلى آخره متضمّن لعقيدة التوحيد ؛

إما خبر عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله : فهو التوحيد العلمي الخبري .

وإما دعوة إلى عبادته وحده لاشريك له ، وخلع كلّ ما يعبد من دونه : فهو التوحيد الإرادي الطلبي .

وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره : فهي حقوق التوحيد ومكمّلاته .

وإما خبر عن كرامته لأهل توحيده وطاعته ، وما فعل بهم في الدنيا ، وما يكرمهم به في الآخرة : فهو جزاء توحيده .

وإما خبر عن أهل الشرك ، وما فعل بهم في الدنيا من النكال ، وما يحلّ بهم في العقبى من العذاب : فهو خبر عمّن خرج من حكم التوحيد .

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه (١) .

والإيمان بالله تعالى لايخرج عن ثلاثة أنواع :

الأول : توحيد الربوبية : وهو الإقرار بأنّ الله هو الربّ الخالق المالك المدبّر لجميع الأمور .

الثاني : توحيد الألوهية : وهو الإقرار بأنّ الله هو الإله

---

(١) بتصرف من كلام ابن القيم في مدارج السالكين ٣/٤٥٠ .

المستحق للعبادة وحده ، وكلّ معبود سواه باطل" .

الثالث : توحيد الأسماء والصفات : وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه ، وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه ، وما نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولاتعطيل ، ولاتمثيل ولاتكييف .

وقد قرر الشيخ الأمين رحمه الله - الذي أفرد هذا البحث لبيان جهوده في تقرير عقيدة السلف - هذا التقسيم ; حيث قال :

((دلّ استقراء القرآن العظيم على أنّ التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : توحيده في ربوبيته ; وهذا النوع جبلت عليه فطر العقلاء .

الثاني : توحيده جلّ وعلا في عبادته . وضابط هذا النوع من التوحيد هو : تحقيق معنى "لا إله إلا الله" ، وهي متركبة من نفي وإثبات .

الثالث : توحيده جلّ وعلا في أسمائه وصفاته))(١) .

وهذا التقسيم ليس بدعا من الشيخ - رحمه الله - ، بل له في ذلك سلف ; فقد ذكره قبله بآماد طويلة أئمة أجلاء في كتبهم ; من

---

(١) أضواء البيان ٤١٠/٣ ، ٤١١ . وانظر : المعين والزاد ٦٤ ، ٦٥ .

امثال الإمام الحافظ محمد بن إسحاق بن منده (١) رحمه الله في كتابه التوحيد ؛ فقد ابتداه رحمه الله بوحدانية الله تعالى في ربوبيته مستدلا بذلك على توحيده تعالى في العبادة ، ثم ثنى بتوحيد الالوهية ؛ وهو تحقيق شهادة ان لاإله إلا الله ، ثم ثلث بتوحيد اسماء الله الحسنى ، وصفاته العليا (٢) .

وممن اورد هذا التقسيم ، واشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية (٣) ، وابن قيم الجوزية (٤) ، وابن ابي العز

---

(١) الإمام الحافظ محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده ، ابو عبدالله . محدث الإسلام . كان من اوسع العلماء رحلة واكثرهم حديثا وشيوخا ولد سنة (٣١٠ ، او ٣١١ هـ) باصبهان ، وتوفي سنة (٣٩٥ هـ) .
(انظر : طبقات الحنابلة ١٦٧/٢ . وسير اعلام النبلاء ٧/١١-١٠ . والبداية والنهاية ٣٣٦/١١) .

(٢) انظر مقدمة تحقيق كتاب التوحيد لابن منده ، لفضيلة الدكتور علي ناصر الفقيهي ص ٣٣ .

(٣) شيخ الإسلام احمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني. ولد رحمه الله بحران سنة (٦٦١) ، وتوفي في سجن القلعة بدمشق سنة (٧٢٨ هـ) .
(انظر: تذكرة الحفاظ ١٤٩٦/٤. والبداية والنهاية ١٣٢/١٤).
وقد اورد هذا التقسيم في العقيدة التدمرية ص ٤-٥ .

(٤) الإمام ابو عبدالله محمد بن ابي بكر بن ايوب بن قيم الجوزية الزرعي الدمشقي . ولد بدمشق سنة (٦٩١) ، وتوفي بها سنة (٧٥١) . وقد لازم شيخ الإسلام ابن تيمية وسجن معه في القلعة .
(انظر: البداية والنهاية ٢٤٦/١٤. وشذرات الذهب ١٦٨/٦).
واورد هذا التقسيم في كتابه مدارج السالكين ٢٤/١-٢٥ .

الحنفي(١) ، والمقريزي(٢) .

فتقسيم الشيخ الأمين - رحمه الله - مطابق لدلالة القرآن على التوحيد(٣) كما فهمه السلف - رحمهم الله - .

---

(١) صدر الدين محمد بن علاء الدين ; علي بن محمد بن ابي العز الحنفي الصالحي . ولد سنة (٧٣١) ، وولي قضاء دمشق ومصر ، وتوفي رحمه الله بدمشق سنة (٧٩٢ هـ) .
(انظر : شذرات الذهب ٣٢٦/٦) .
وقد اورد هذا التقسيم في شرحه للعقيدة الطحاوية ص ٨٨ .

(٢) تقي الدين احمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد بن إبراهيم بن تميم المقريزي الحنفي ، الإمام المؤرخ . نشا بالقاهرة ، وتوفي بها سنة (٨٤٥ هـ) .
(انظر : الضوء اللامع ٢١/٢) .
واورد هذا التقسيم في كتابه تجريد التوحيد ص ٤-٥ .

(٣) قال الشيخ بكر بن عبدالله ابو زيد : "هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف اشار إليه ابن منده ، وابن جرير الطبري ، وغيرهما . وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم . وقرره الزبيدي (في تاج العروس) ، وشيخنا الشنقيطي (في اضواء البيان) ، في آخرين ، رحم الله الجميع . وهو استقراء تام لنصوص الشرع ، وهو مطرد لدى اهل كل" فن" ; كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى (اسم وفعل وحرف) . والعرب لم تفُه بهذا ، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب . وهكذا في انواع الاستقراء ". (التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير ص ٣٠).
وقد اورد الطبري رحمه الله هذا التقسيم في تفسيره (٦٠/١١) ، واورده الزبيدي في تاج العروس (٥٢٨/٢) .
وممن قال به : صديق حسن خان في كتابه الدين الخالص (٥٦/١).

وإن كان بعضهم قد جعله قسمين ؛ فضمّ توحيد الربوبية والأسماء والصفات في قسم ، وسماه التوحيد العلمي . وجعل توحيد الألوهية قسما مستقلا ، وسماه التوحيد العملي(١) .

وهذا التقسيم قد احتوى على المراد ، ولايتعارض مع تقسيم من جعله ثلاثة أقسام ، أو أربعة (٢) ؛ فهي بمعنى واحد ، ولأنّ الكلّ قرروا أن توحيد الألوهية هو معنى "لاإله إلا الله" ، وقالوا بأن تحقيقه يمنع من دخول النار .

وبذلك نستنتج أنّ الشيخ - رحمه الله - لم يرتض تقسيم المتكلمين (٣) ؛ لأنهم يخالفون دلالة القرآن على التوحيد ، وغاية ما يصلون إليه : توحيد الربوبية الذي أقرّ به المشركون .

وقد ردّ عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية (٤) رحمه الله ، وبيّن عدم جدوى هذا التقسيم الذي لايفرق بين مؤمن ومشرك .

ومن المناسب هنا أن أذكر ما أخبرنيه الدكتور عبدالله بن الشيخ الأمين - رحمه الله - أنّ والده كان يقول له : ((يا ولدي اعلم أنّ التوحيد ينقسم ثلاثة أقسام ، وأنّ هذه القسمة استقرائية ، والاستقراء : هو تتبع النصوص ؛ كما أنّ النحو علم بالاستقراء بتتبع لغة العرب ؛ إما اسم أو فعل أو حرف ، فكذلك

---

(١) انظر : مدارج السالكين ٢٥/١ .

(٢) انظر مقدمة تحقيق كتاب التوحيد لابن منده ٣٣/١ .

(٣) انظر الملل والنحل للشهرستاني ٤٢/١ .

(٤) كما في التدمرية ص ١٧٩-١٨٤ .

علمنا اقسام التوحيد من تتبع القرآن ؛ فالله تعالى قسم التوحيد ثلاثة اقسام في سورة الفاتحة ؛ فقال : "الحمد لله" ، والله هو المعبود بحق ، "رب العالمين" ، والرب هو الذي يربي الاشياء ، وهذا توحيد الربوبية . ثم قال : "الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين" ، وهذا توحيد الأسماء والصفات . وقوله : "إياك نعبد وإياك نستعين" دل على توحيد الألوهية . وتوحيد الألوهية أن تكون جميع أعمالك خالصة لله ؛ من صلاة وصيام وزكاة ونذر وخوف ورجاء وغيرذلك مما لايجوز صرفه إلا لله . وتوحيد الربوبية : ما يكون في الكون فهو صادر عن الله تعالى . وتوحيد الألوهية شكر على توحيد الربوبية ؛ لأن الله ربك فتشكره بأن تكون أعمالك خالصة له ولاتشارك غيره بها . اما توحيد الأسماء والصفات فهو مبني على ثلاثة أسس : الأول : تصديق الله فيما قال . الثاني : تنزيه الله عن مشابهة خلقه . الثالث : قطع الطمع عن إدراك الكيفية .

الفصل الأول

توحيد الربوبية

الفصل الأول

توحيد الربوبيّة

تعريفه :

هو الإقرار بأنّ الله تعالى ربّ كلّ شيء ، ومالكه ، وخالقه ، ورازقه ، وأنه المحيي المميت ، النّافع الضارّ ، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار (١) .

ولم أجد للشيخ الأمين - رحمه الله - تعريفا لهذا النوع ، وإنما مفاد كلامه أنّ الإقرار بتوحيد الربوبيّة أمرٌ فطري ؛ فطر الله عليه الخلق ، وتعرفه النفوس ؛ حيث يقول - رحمه الله - :

((هذا النوع من التوحيد جبلت عليه فطر العقلاء ؛ قال تعالى : "ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله " الآية (٢) ، وقال :"قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحيّ ومن يدبّر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون"(٣))) (٤) .

فالشيخ - رحمه الله - يؤكّد أنّ القلوب مفطورة على هذا النوع من التوحيد ، ويدلّ على ذلك قوله تعالى : "أفي الله

---

(١) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٣٣ .

(٢) سورة الزخرف ، الآية {٨٧} .

(٣) سورة يونس ، الآية {٣١} .

(٤) أضواء البيان ٤١٠/٣ . وانظر : الزاد والمعين ص ٦٤ .

شك"(١) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : "ما من مولود يولد إلا على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه .."(٢) .

فالنفوس البشرية فطرت على هذا النوع من التوحيد ، لكن لما وردت عليها المؤثرات الخارجية من الشهوات والشبهات خالفت فطرتها السليمة التي جبلها الله عليها .

وقد أوضح الشيخ - رحمه الله - أن إنكار هذا النوع من التوحيد إنما هو عناد ومكابرة من عارف ؛ فقال رحمه الله : ((أما تجاهل فرعون - لعنه الله - لربوبيته جل وعلا في قوله : "قال فرعون وما رب العالمين"(٣) فإنه تجاهل عارف ؛ لأنه عبد مربوب ؛ كما دل عليه قوله تعالى : "قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر" الآية(٤) ، وقوله : "وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا"(٥)))(٦) .

وأكد - رحمه الله - أن الإيمان بهذا النوع من التوحيد لايفيد إلا إذا ضم إليه توحيد الألوهية ؛ فكفار مكة لم ينفعهم

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية {١٠} .
(٢) أخرجه البخاري ٩٧/٢ . ومسلم ٢٠٤٧/٤ .
(٣) سورة الشعراء ، الآية {٢٣} .
(٤) سورة الإسراء ، الآية {١٠٢} .
(٥) سورة النمل ، الآية {١٤} .
(٦) أضواء البيان ٤٨٢/٢ . وانظر : المصدر نفسه ٤١٠/٣ ، ٣٧٤/٦ . والمعين والزاد ص ٦٥ .

الإقـرار بـالـربـوبيــة ، حيث إنهم أشركوا في الألوهيـة ؛ فقال رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى : "قل من يرزقكم من السماء والأرض أمـن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحيّ من الميت" .. إلى قوله : "فقل أفلا تتقون"(١) - : ((صرح الله تعالى في هذه الآية الكريمة بـأنّ الكفار يقرون بأنه جلّ وعلا هو ربهم الرازق المدبر للأمور ، المتصرف فـي ملكـه بمـا يشاء . وهو صريح في اعترافهم بربوبيته ، ومـع هـذا أشركوا به جلّ وعلا . والآيات الدالة على أنّ المشركين مقـرون بربوبيتـه جلّ وعلا - ولم ينفعهم ذلك لإشراكهم معه غيره في حقوقـه جـلّ وعـلا - كثيرة ؛ كقولـه : "ولئـن سـألتهم من خلقهم ليقـولـنّ الله"(٢) ، وقوله : "ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقـولـنّ خـلقهنّ العزيز العليم"(٣) ، وقوله : "قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله" إلى قوله : "فأنى تسحرون"(٤) إلـى غـير ذلـك مـن الآيـات . ولذا قال تعالى : "وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهـم مشركون"(٥) . والآيـات المذكـورة صريحـة فـي أنّ الاعـتراف بربوبيتـه جـلّ وعـلا لايكـفي في الدخول في دين الإسلام إلا

(١) سورة يونـس ، الآية {٣١} .

(٢) سورة الزخرف ، الآية {٨٧} .

(٣) سورة الزخرف ، الآية {٩} .

(٤) سورة المؤمنون ، الآيات {٨٤-٨٩} .

(٥) سورة يوسف ، الآية {١٠٦} .

بتحقيق معنى "لا إله إلا الله" نفيا وإثباتا))(١) .

ثم يؤكد - رحمه الله - أن الآيات الدالة على توحيد الربوبية إنما هي إلزام للمشركين أن يوحدوه في العبادة ، وأن لايصرفوا شيئا منها لغيره ؛ حيث يقول رحمه الله : ((ويكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته جل وعلا على وجوب توحيده في عبادته ، ولذلك يخاطبهم في توحيد الربوبية باستفهام التقرير ، فإذا أقروا بربوبيته احتج بها عليهم على أنه هو المستحق لأن يعبد وحده ، ووبخهم منكرا عليهم شركهم به غيره ، مع اعترافهم بأنه هو الرب وحده ؛ لأن من اعترف بأنه هو الرب وحده لزمه الاعتراف بأنه هو المستحق لأن يعبد وحده))(٢) .

ثم استدل رحمه الله بآيات كثيرة على إقرار الكفار بربوبية الله سبحانه وتعالى ، وتوبيخ الله لهم بعد إقرارهم على شركهم في الألوهية ؛ فقال رحمه الله : ((ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : "قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار" إلى قوله : "فسيقولون الله" ، فلما أقروا بربوبيته وبخهم

---

(١) أضواء البيان ٤٨١/٢ ، ٤٨٢ . وانظر: المصدر نفسه ٧٤/٣ ، ٧٥ ، ٤١٠ . والمعين والزاد ص ٦٥ .

(٢) أضواء البيان ٤١١/٣ . وانظر : المصدر نفسه ٨١٣/٥ ، ٦٢٠/٦ ، ٦٢١ .

منكرا عليهم شركهم به غيره بقوله : "فقل افلا تتقون"(١) .

ومنها قوله تعالى : "قل لمن الارض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله" ، فلما اعترفوا وبخهم منكرا عليهم شركهم بقوله : "قل افلا تذكرون". ثم قال : "قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله" ، فلما اقروا وبخهم منكرا عليهم شركهم بقوله : "قل افلا تتقون" . ثم قال : "قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولايجار عليه إن كنتم تعلمون * سيقولون لله" ، فلما اقروا وبخهم منكرا عليهم شركهم بقوله :"قل فانى تسحرون"(٢).

ومنها قوله تعالى : "قل من رب السموات والأرض قل الله" ، فلما صح الاعتراف وبخهم منكرا عليهم شركهم بقوله : "قل افاتخذتم من دونه اولياء لايملكون لانفسهم نفعا ولاضرا"(٣)))(٤) .

إلى غير ذلك من الآيات التي استدل بها رحمه الله على إقرار الكفار بتوحيد الربوبية ، وإلزام الله سبحانه وتعالى لهم ان يوحدوه بالعبادة .

ثم يؤكد - رحمه الله - ان الاستفهامات التي في آيات الربوبية استفهامات تقرير ، وليست إنكار ; فيقول رحمه الله :

---

(١) سورة يونس ، الآية {٣١} .

(٢) سورة المؤمنون ، الآيات {٨٤-٨٨} .

(٣) سورة الرعد ، الآية {١٦} .

(٤) اضواء البيان ٣/٤١١-٤١٢ .

((إنّ كلّ الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقرير يراد منها أنهم إذا أقروا رتّب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار ؛ لأنّ المقرّ بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية ضرورة ؛ نحو قوله تعالى :"أفي الله شكّ"(١) ، وقوله : "قل أغير الله أبغي ربّا"(٢) . وإن زعم بعض العلماء(٣) أنّ هذا استفهام إنكار ، لأنّ استقراء القرآن دلّ على أنّ الاستفهام المتعلق بالربوبية استفهام تقرير وليس استفهام إنكار ؛ لأنهم لاينكرون الربوبية كما رأيت كثرة الآيات الدالة عليه))(٤) .

ولاشكّ أنّ القوم لم يعرف عنهم إنكارهم للربوبية ، وإنما كان انحرافهم في جانب الألوهية ؛ وهو الانحراف الذي بعثت الرسل جميعها لتقويمه .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : ((والإلهية التي دعت الرسل أممهم إلى توحيد الربّ بها هي العبادة ، ومن لوازمها توحيد الربوبية الذي أقرّ به المشركون ، فاحتجّ الله عليهم به ؛ فإنه يلزم من الإقرار به الإقرار بتوحيد الإلهية))(٥) .

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية {١٠} .

(٢) سورة الأنعام ، الآية {١٦٤} .

(٣) انظر : فتح القدير ١٨٦/٢ . وتفسير المنار ٢٤٥/٨ .

(٤) أضواء البيان ٤١٤/٣ .

(٥) إغاثة اللهفان ١٣٥/٢ .

وقال ابن ابي العز الحنفي رحمه الله عن توحيد الربوبية :

((وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم ، بل القلوب مفطورة على الإقرار به اعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات ؛ كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم : "قالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض"(١)))(٢) .

فلذلك لم يطل الشيخ رحمه الله الكلام على توحيد الربوبية ، بل نراه (٣) استدل بدلائل توحيد الربوبية ؛ والتي هي الآيات الكونية على وحدانية الله واستحقاقه للعبادة .

فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الالوهية الذي هو الغاية من خلق العباد ، وترتيب الثواب والعقاب . وتوحيد الالوهية متضمن لتوحيد الربوبية ؛ إذ لايمكن ان ينفك احدهما عن الآخر إلا عند المكابرة والجحود والإنكار .

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية {١٠} .
(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٧ .
(٣) كما سياتي في الفصل الثاني : (في المطلب الثاني من المبحث الثاني) .

الفصل الثاني

توحيد الألوهية

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول

تعريف التوحيد

المبحث الثاني

براهين التوحيد

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : دلالة الصفات على توحيد الألوهية

المطلب الثاني : البراهين الكونية

المطلب الثالث : بطلان إلهية ما سوى الله

المبحث الثالث

أنواع العبادة

وفيه تمهيد ، وخمسة مطالب :

المطلب الأول : الدعاء

المطلب الثاني : التوكل

المطلب الثالث : الولاء والبراء

المطلب الرابع : الخوف والرجاء

المطلب الخامس : الحكم بما أنزل الله

المبحث الرابع

ما يضاد إخلاص العبادة

وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول : الشرك بالله

المطلب الثاني : الذبح لغير الله

المطلب الثالث : ادعاء علم الغيب

المطلب الرابع : الحلف بغير الله

المطلب الخامس : السحر

المطلب السادس : البناء على القبور

المبحث الأول

تعريف توحيد الألوهية

هو أعظم أنواع التوحيد ، وأشرفها . وهو متضمن لتوحيد الربوبية ، فمن حقق توحيد الألوهية فقد أتى بالتوحيد الذي أراد الله من عباده ، واستمسك بحبل الله المتين ; لأنه المقصد الأعظم من بعثة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، ومحور دعوتهم جميعا .

وقد حرص الشيخ رحمه الله على مسلك السلف في تعريف هذا النوع من أنواع التوحيد ، وإبراز أهميته . ووضح أنه هو معنى "لا إله إلا الله" ; تلك الكلمة الخالدة التي دعا إليها كلّ نبيّ أمته ، وحذرهم من مخالفتها .

وعرف الشيخ - رحمه الله - توحيد الألوهية ، وحدد ضابطه ; عرفه بأنه : ((توحيده جلّ وعلا في عبادته)) ، وحدد ضابطه بقوله : ((وضابط هذا النوع من التوحيد هو تحقيق معنى "لا إله إلا الله" ; وهي مركبة من نفي وإثبات ; فمعنى النفي منها : خلع جميع أنواع المعبودات غير الله كائنة ما كانت في جميع أنواع العبادات بإخلاص على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام))(١).

وقد أورد - رحمه الله - الأدلة من القرآن الكريم على تعريفه لهذا النوع من التوحيد ; فقال : ((وأكثر آيات القرآن الكريم من

---

(١) أضواء البيان ٣/٤١٠ .

هذا النوع من التوحيد ، وهو الذي فيه المعارك بين الرسل وأممهم "أجعل الآلهة إلها واحدا إنّ هذا لشيء عجاب"(١) . ومن الآيات الدالة على هذا النوع من التوحيد : قوله تعالى :"فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك" الآية (٢) ، وقوله : "ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت"(٣) ، وقوله : "وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون"(٤) ، وقوله :"واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون"(٥) ، وقوله :"قل إنما يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون"(٦) ; فقد أمر في هذه الآية الكريمة أن يقول : أنّ ما أوحي إليه محصور في هذا النوع من التوحيد ; لشمول كلمة "لا إله إلا الله" لجميع ما جاء في الكتب ; لأنها تقتضي طاعة الله بعبادته وحده ، فيشمل ذلك جميع العقائد والأوامر والنواهي ، وما يتبع ذلك من ثواب وعقاب . والآيات في هذا النوع من التوحيد كثيرة))(٧) .

---

(١) سورة ص ، الآية {٥} .
(٢) سورة محمد ، الآية {١٩} .
(٣) سورة النحل ، الآية {٣٦} .
(٤) سورة الأنبياء ، الآية {٢٥} .
(٥) سورة الزخرف ، الآية {٤٥} .
(٦) سورة الأنبياء ، الآية {١٠٨} .
(٧) أضواء البيان ٣/٤١٠ ، ٤١١ .

وعرف الشيخ - رحمه الله - توحيد الألوهية في موضع آخر بقوله : ((إن توحيد الألوهية هو معنى كلمة "لا إله إلا الله" ، وهي بلا شك متضمنة لجميع الشرائع ، فيدخل في ذلك فعل كل واجب وغيره ؛ كالمندوب ، وترك كل محرم وغيره ؛ كالمكروه))(١) .

ويقول عن هذا التوحيد في موضع آخر زيادة في الإيضاح : ((إن الركن الأكبر الذي هو توحيد الله بأنواعه ، المستلزم إفراده بالعبادة وحده هو منتهى التحرر من الرق والعبودية للمخلوقين ؛ ومن جملتهم النفس والهوى والشيطان - كفانا الله وإخواننا المسلمين شر ذلك كله والهوى والشيطان -))(٢) .

فالشيخ - رحمه الله - اعتنى بهذا التوحيد ، شأنه شأن العلماء المحققين السائرين على منهج السلف الصالح الذين فهموا دعوة الرسل وحقيقة التوحيد ، وأنها إفراد الله بكل أنواع العبادة ، والكفر بكل ما يعبد من دون الله ، والتمييز بين حقوق الله الخاصة به سبحانه ، وبين حقوق خلقه .

وللتدليل على أن الشيخ رحمه الله لم يخرج عن منهاج السلف ، بل اقتفى أثرهم في الاعتناء بهذا النوع من أنواع التوحيد أذكر تعريفا واحدا من تعاريف السلف لهذا التوحيد ؛ يقول الإمام

---

(١) معارج الصعود ص ٤٠ .

(٢) منهج التشريع الإسلامي ص ١١ .

ابن تيمية (١) رحمه الله : ((فإن حقيقة التوحيد : ان نعبد الله وحده ، فلا يدعى إلا هو ، ولايخشى إلا هو ، ولايتقى إلا هو ، ولايتوكل إلا عليه ، ولايكون الدين إلا له ، لا لأحد من الخلق ، وان لانتخذ الملائكة والنبيين اربابا ، فكيف بالائمة والشيوخ والعلماء والملوك وغيرهم)) (٢) .

ويلاحظ التوافق بين هذا التعريف ، وتعريف الشيخ رحمه الله ، بله السلف كلهم على هذا التعريف .

ولم يقتصر اعتناء الشيخ رحمه الله بهذا النوع من انواع التوحيد على مجرد ذكره وتبيين اهميته في كتبه ، بل نراه لايدع مناسبة إلا ويحرص على التدليل على اهميته ، وتبيين انه اصل الدين واساسه ؛ يقول في محاضرة القاها في المسجد النبوي متحدثا عن هذا النوع العظيم من انواع التوحيد : ((توحيده جل وعلا في عبادته هو الذي فيه جميع المعارك بين الرسل والأمم ، وهو الذي ارسلت لتحقيقه . وحاصله هو معنى "لاإله إلا الله" ؛ فهو

---

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) منهاج السنة النبوية ٣/٤٩٠ .

مبنـي" عـلـى أصلين هما النفي والإثبات في "لا إله إلا الله" . فمعنى النفـي منها : خلع جميع أنواع المعبودات غير الله تعالى في جميع أنـواع العبـادة كائنة ما كانت . ومعنى الإثبات منها : هو إفراده جلّ وعلا وحده بجميع أنواع العبادة على الوجه الذي شرع أن يعبد به . وجلّ القرآن في هذا النوع : "ولقد بعثنا في كلّ أمة رسولا أن اعبـدوا الله واجتنبوا الطاغوت"(١) ، "وما أرسلنا من قبلك من رسـول إلا نوحـي إليـه أنـه لاإله إلا أنا فاعبدون"(٢) ، "فمن يكفر بالطـاغوت ويـؤمن بـالله فقـد استمسك بـالعروة الوثقى" الآية (٣) ، "واسـأل مـن أرسلنـا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبـدون"(٤) ، "قل إنما يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون"(٥) . والآيات في هذا كثيرة جدا))(٦) .

ونـراه رحمه الله أثناء مروره ب"أم درمان" متجها إلى الديار المقدسـة يلسـأل عـن قصـة الغرانيـق(٧) ، فيوضحها ، ويتكلم عن

---

(١) سورة النحل ، الآية {٣٦} .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية {٢٥} .

(٣) سورة البقرة ، الآية {٢٥٦} .

(٤) سورة الزخرف ، الآية {٤٥} .

(٥) سورة الأنبياء ، الآية {١٠٨} .

(٦) المعين والزاد ص ٦٥ .

(٧) تتلخص قصة الغرانيق فيما يـأتي : ذُكـر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم بمكـة ، فلما بلغ : = =

إخلاص العبادة لله تعالى فيقول : ((فاخلاص العبادة لله وحده هو دعوة عامة الرسل ، واشدهم فيه احتياطا خاتمهم صلى الله عليه وسلم ، ولذا منع بعض الأمور التي كانت مباحة عندهم احتياطا في توحيد الله في عبادته جل وعلا ؛ فالسجود لمخلوق في شريعته السمحة كفر بالله تعالى ، مع انه كان جائزا في شرع غيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام ؛ كما قال تعالى عن يعقوب وأولاده في سجودهم ليوسف : "وخروا له سجدا"(١) ، ولذلك امر نبينا صلى الله عليه وسلم ان يقول للناس انه ما أوحي إليه إلا توحيد الله تعالى في عبادته في قوله : "قل إنما يوحى إلي انما إلهكم إله واحد فهل انتم مسلمون"(٢) . وقد تقرر عند الأصوليين والبيانيين ان لفظ "إنما" من أدوات الحصر ، فدلت الآية على حصر الموحى إليه صلى الله عليه وسلم في أصله الأعظم الذي هو "لا إله إلا الله" ؛

= افرايتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى" القى الشيطان على لسانه : تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجى . فلما بلغ السجدة سجد ، فسجد معه المسلمون والمشركون .

وقد رجح الشيخ الشنقيطي رحمه الله عدم صحتها ، وعضد قوله بأقوال عدد كبير من العلماء الذين انكروها .

(انظر : رحلة الحج ص ١٢٨-١٣٠ . وكذا : دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ـ الملحق بأضواء البيان ١٠/٢٠٧-٢١٢ ـ) .

(١) سورة يوسف ، الآية {١٠٠} .

(٢) سورة الانبياء ، الآية {١٠٨} .

لأنهـا دعوة جميع الرسل ، وغيرها من شرائع الإسلام وفروعها التابعة لهـا . ولهـذا صار مكـذب رسـول واحـد مكذبا لجميع الرسـل ؛ لأنّ دعـوتهم واحـدة ؛ قـال تعالى : "كذبت قوم نوح المرسلين"(١) ؛ أي بتكـذيبهم نوحـا . "كذبت عاد المرسلين"(٢) ؛ أي بتكذيبهم هودا . "كـذبت قـوم لـوط المرسلين"(٣) ؛ أي بتكذيبهم لوطا . "كذب أصحاب الأيكة المرسـلين"(٤) ؛ أي بتكذيبهم شعيبا . فهذه الآيات تدلّ على أنّ مكـذب رسـول واحد مكذب لجميع الرسـل ؛ وذلك لاتحـاد دعوتهم ، وهي مضمـون لا إلـه إلا الله))(٥) .

وسـيأتي مزيد بيان لهذا الموضوع .

والمقصـود أن الشـيخ رحمـه اللـه لـم يترك مناسـبة تمرّ إلا وأفاض فيها في الكلام عن توحيد الألوهية ، وأنه دعوة جميع الأنبياء عليهم السلام ، وأنّ اللـه سـبحانه وتعالى ما خلق الخلق ، وأرسـل الرسـل ، وأنـزل الكتب إلا ليلعبد ولايشرك معه شيء .

ونـراه كـذلك - رحمه الله - يسترسل في ذكر الأدلة الصريحة من القـرآن الكـريم الدالـة عـلى شـأن العبـادة وعظمهـا ؛ فيقول :

---

(١) سـورة الشـعراء ، الآية {١٠٥} .

(٢) سورة الشعراء ، الآية {١٢٣} .

(٣) سورة الشعراء ، الآية {١٦٠} .

(٤) سورة الشعراء ، الآية {١٧٦} .

(٥) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام ص ١٣٤ .

((والآيات الدالة على أن" إرسال الرسل وإنزال الكتب لأجل أن يعبد الله وحده كثيرة جدا ؛ كقوله : "ولقد بعثنا في كل" أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت"(١) ، وقوله : "وما ارسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه انه لاإله إلا انا فاعبدون"(٢) ، وقوله : "واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون"(٣) ، وغير ذلك من الآيات))(٤) .

والشيخ رحمه الله قد اوضح أن" توحيد الالوهية هو معنى "لاإله إلا الله" التي من اجلها خلق الله الخلق ، وارسل الرسل ، وانزل الكتب . وببيان معنى هذه الكلمة العظيمة تكتمل الفائدة ببيان تعريف توحيد الالوهية .

---

(١) سورة النحل ، الآية {٣٦} .

(٢) سورة الانبياء ، الآية {٢٥} .

(٣) سورة الزخرف ، الآية {٤٥} .

(٤) اضواء البيان ٣/٨ .

معنى " لا إله إلا الله " :

"لا إله إلا الله" كلمة التوحيد التي من حققها دخل الجنة ، وكان من الآمنين يوم القيامة . وهي أصل الدين ، ودعوة جميع الأنبياء والمرسلين ؛ من لدن نوح عليه السلام ، وحتى نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ كلّ منهم يقول : اعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا .

ولأهمية هذه الكلمة وعظمها قال عنها الإمام ابن القيم(١) رحمه الله : ((كلمة قامت بها الأرض والسموات ، وخلقت لأجلها جميع المخلوقات ، وبها أرسل الله تعالى رسله ، وأنزل كتبه ، وشرع شرائعه . ولأجلها نصبت الموازين ، ووضعت الدواوين ، وقام سوق الجنة والنار . وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار ، والأبرار والفجار . فهي منشأ الخلق والأمر والثواب والعقاب ، وهي الحقّ الذي خلقت له الخليقة ، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب ، وعليها يقع الثواب والعقاب ، وعليها نصبت القبلة ، وعليها أسست الملة ، ولأجلها جردت سيوف الجهاد . وهي حقّ الله على جميع العباد ؛ فهي كلمة الإسلام ، ومفتاح دار السلام . وعنها يسأل الأولون والآخرون ، فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى

---

(١) تقدمت ترجمته .

يسأل عن مسألتين : ماذا كنتم تعبدون ؟ ، وماذا أجبتم المرسلين ؟ . فجواب الأولى بتحقيق "لاإله إلا الله" معرفة وإقرارا وعملا . وجواب الثانية بتحقيق "أن" محمدا رسول الله" معرفة وإقرارا وانقيادا وطاعة))(١) .

وقد سلك الشيخ رحمه الله مسلك السلف في تفسير معنى "لاإله إلا الله" ; فقال : ((إن" معناها : لامعبود بحق" إلا الله))(٢) .

وهذا هو التفسير الصحيح الذي ارتضاه السلف الصالح رحمهم الله ; يقول الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب(٣) رحمهم الله : ((ومعنى لاإله إلا الله : أي لامعبود بحق إلا إله واحد ، وهو الله وحده لاشريك له ; كما قال تعالى : "وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون"(٤) ، مع

---

(١) زاد المعاد ٣٤/١ .
(٢) انظر: أضواء البيان ٥٠٨/٤ ، ٢٧٣/٦ . ومعارج الصعود ص ١٤٣ .
(٣) هو الشيخ سليمان بن عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب . من أئمة الدعوة المجاهدين . ولد في الدرعية سنة (١٢٠٠) . كان قاضيا على مكة المكرمة في عهد الدولة السعودية الأولى . مات مقتولا في الدرعية عام (١٢٣٣) عندما هاجمها إبراهيم باشا .
(انظر: علماء نجد خلال ستة قرون ٢٩٣/١ . والأعلام ١٢٣/٣).
(٤) سورة الأنبياء ، الآية {٢٥} .

قولــه تعــالى : "ولقــد بعثنــا في كلّ أمة رســولا أن اعبدوا الله واجـتنبوا الطــاغوت"(١) ، فصــحّ أنّ معنــى الإلــه : هو المعبود . ولهــذا لمــا قال النبيّ صلى الله عليه وسلم لكفار قريش : "قولوا لا إلــه إلا اللــه" قــالوا : "أجــعل الآلهة إلها واحدا إنّ هذا لشيء عجــاب"(٢) . وقال قوم هود :"أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبــد آباؤنــا"(٣) ، وهــو إنمــا دعــاهم إلــى "لا إلــه إلا اللــه" . فهــذا هــو معنى "لا إله إلا الله" ، وهو : عبادة الله ، وترك عبادة ما ســواه ; وهو الكفر بالطاغوت ، والإيمان بالله))(٤) .

ولــم يقتصر الشيخ الأمين - رحمه الله - على التعريف السابق ، بل زاد معنــى "لا إله إلا الله" توضيحا بذكر ما اشتملت عليه من نفي وإثبــات ، وببيــان أن الدين الإسلامي قائم على هذه الكلمة ; فقــال عنــد تفســيره لقولــه تعالى : "قل إنما يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحــد فهــل أنتم مسلمون"(٥) : ((إنّ حصر الوحي في آية الأنبياء هذه في توحيد العبادة حصر له في أصله الأعظم الذي يرجع إليه جميع الفــروع ; لأنّ شــرائع الأنبيــاء كلهم داخلة في ضمن معنى "لا إله إلا

---

(١) سورة النحل ، الآية {٣٦} .

(٢) سورة ص ، الآية {٥} .

(٣) سورة الأعراف ، الآية {٧٠} .

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ٧٣ .

(٥) سورة الأنبياء ، الآية {١٠٨} .

الله " ؛ لأنّ معناها خلع جميع المعبودات غير الله جلّ وعلا في جميع أنواع العبادات ، وإفراده جلّ وعلا وحده بجميع أنواع العبادات ؛ فيدخل في ذلك جميع الأوامر والنواهي القولية والفعلية والاعتقادية))(١) .

ويقول رحمه الله في موضع آخر : ((وقد حصر الله جلّ وعلا الوحي كله في هذه الكلمة ؛ حيث قال : "قل إنما يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون"(٢)؛ وذلك أنها تحتوي على مضمون كلّ الكتب السماوية والشرائع الإلهية ، وتشملها ؛ لأنها مركبة من نفي كل الآلهة - غير الله - ، ونفي عبادتها ، وإثبات كلّ العبادات لله وحده . ففيها يدخل كلّ تقرب إلى الله تعالى من عقائد وأعمال ، ولهذا قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لاإله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها"(٣) . فكلّ التكليفات والحقوق مندرجة تحت هذه الكلمة ، ولهذا قال نبيّ الله هود : "اعبدوا الله" ؛ أي تقربوا إليه وحده بما أمركم بالتقرب به إليه من العبادات على وجه الخضوع والذلّ والمحبة ، فلا تكفي المحبة دون الخضوع والذلّ؛

---

(١) أضواء البيان ٨/٣ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية {١٠٨} .

(٣) أخرجه مسلم ٥٣/١ .

لأنها قد تكون طبيعية ، ولايكفي مجرد الخضوع والذل ؛ لأنه قد يكون خاضعا لمن يبغضه ، تحت قهره وسلطانه . وباجتماع ذلك يحصل كمال العبودية لله))(١) .

وبهذا يتضح اهتمام الشيخ رحمه الله بمعنى "لاإله إلا الله" ، واقتداؤه في تفسيرها بسلف هذه الأمة ، وسلوكه مسلكهم من حيث إيضاح معناها غاية الإيضاح ، وبيان أنها قاعدة الدين ، ومنتهى غاية المؤمنين .

وقد كرر رحمه الله نحو هذا الكلام في عدة مواضع من كتابه أضواء البيان(٢) ، وفي غيره من كتبه (٣) .

وأذكر هنا من أقوال السلف ما يعضّد فهم الشيخ رحمه الله لمعنى "لاإله إلا الله" المشتملة على النفي والإثبات :

فمن ذلك : قول شيخ الإسلام ابن تيمية (٤) رحمه الله بعد كلامه على إخلاص العبادة لله : ((وذلك تحقيق شهادة أن لاإله إلا الله ؛ فإنها تنفي عن قلبه ألوهية ما سوى الحق ، وتثبت في قلبه ألوهية الحق . فيكون نافيا لألوهية كل شيء من المخلوقات ، مثبتا

---

(١) معارج الصعود ص ١٣٦ . وانظر المصدر نفسه ص ٢٠٤ .

(٢) انظر : أضواء البيان ١/١٠٣ ، ٢/٤٧ ، ٣/٢٠٥ ، ٢٦٧ .

(٣) انظر : تفسير سورة النور - جمع د/عبدالله القادري - ص ١٩٧ . ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب - الملحق بأضواء البيان ١٠/٢٠٤ ، ٢٢٥ - .

(٤) تقدمت ترجمته ص ٩٣ .

لألوهية رب العالمين ، ورب الأرض والسماوات . وذلك يتضمن اجتماع القلب على الله وعلى مفارقة ما سواه ؛ فيكون مفرقا - في علمه وقصده ، في شهادته وإرادته ، في معرفته ومحبته - بين الخالق والمخلوق ؛ بحيث يكون عالما بالله تعالى ، ذاكرا له ، عارفا به . وهو مع ذلك عالم بمباينته لخلقه ، وانفراده عنهم ، وتوحده دونهم ، ويكون محبا لله ، معظما له ، عابدا له ، راجيا له ، خائفا منه ، محبا فيه ، مواليا فيه ، معاديا فيه ، مستعينا به ، متوكلا عليه ، ممتنعا عن عبادة غيره ، والتوكل عليه ، والاستعانة به ، والخوف منه ، والرجاء له ، والموالاة فيه ، والمعاداة فيه ، والطاعة لأمره ، وأمثال ذلك مما هو من خصائص إلهيته سبحانه وتعالى)) (١) .

ومن أقوال العلماء الذين اشتهر عنهم تمسكهم بمنهج السلف في مسائل العقيدة ، واهتمامهم بهذا النوع من التوحيد خاصة : أذكر قول الإمام محمد بن عبدالوهاب(٢) رحمه الله في معنى "لا إله إلا الله" مؤيدا بذلك كلام الشيخ الأمين رحمه الله في هذا المعنى :

---

(١) العبودية ص ١٥٦ . وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١١١ .

(٢) هو شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي الوهيبي التميمي . مجدد الدعوة في الجزيرة العربية . ولد في العيينة سنة (١١١٥ هـ) ، وتوفي في الدرعية سنة (١٢٠٦) .
(انظر : علماء نجد ٢٥/١) .

يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله : ((فإن" هذه الكلمة "لا إله إلا الله" نفي وإثبات ؛ نفي الإلهية عما سوى الله سبحانه وتعالى من المخلوقات ، حتى من المرسلين البشر وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وحتى من الملائكة وجبريل عليهم وعلى جميع المرسلين الصلاة والسلام ، فضلا عن غيرهم من الأنبياء والصالحين وسائر المخلوقات ؛ وإثباتها بجميع أنواعها كلها لله عز" وجل" وحده لاشريك له))(١) .

والخلاصة : أن" الشيخ الأمين - رحمه الله - يرى أن" معنى "لا إله إلا الله" لايقتصر على النطق بها ، بل يجب تحقيق لوازمها ، مع ترك ما يناقضها ؛ فالجهل بمعناها جهل بالدين لاينجي من الخلود في النار ، فإن" "لا إله إلا الله" هي معنى توحيد الألوهية ؛ الذي هو دعوة الرسل جميعا .

---

(١) مؤلفات الشيخ / القسم الأول - العقيدة : تفسير كلمة التوحيد - ص ٣٦٣ ، ٣٦٤ .

المبحث الثاني

براهين التوحيد

توحيد الألوهية هو غاية دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، والحكمة من خلق الخلق . ولقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب إفراد الله بالعبادة ، وأنه وحده المستحق أن يعبد ويعظم .

والأدلة على ألوهية الله سبحانه وتعالى واستحقاقه للعبادة هي أيضا دلائل على ربوبيته ، وأسمائه وصفاته ؛ لأنّ توحيد الألوهية - كما مرّ - متضمن لتوحيد الربوبية ، فمن أتى به فقد جاء بالتوحيد المطلوب المنجي من دخول النار ، المقتضي دخول الجنة .

وقد اهتمّ الشيخ الأمين - رحمه الله - بهذه البراهين ، فأورد في تفسيره نصوصا كثيرة من القرآن الكريم ، وذكر أنها تدلّ على وحدانية الله واستحقاقه للعبادة دون سواه . وهذه النصوص منها ما هو في صفاته سبحانه وتعالى الدالة على ألوهيته وعظمته ، ومنها ما هو في آياته المنزلة والمخلوقة . وقد ذكرها في مواضع بالإجمال ، وفي أخرى بالتفصيل . وسوف أوردها مجملة ، ثمّ أفصّل كلّ دليل على حدة مسترشدا بكلام الشيخ رحمه الله على فهم هذه البراهين .

المطلب الأول

دلالة الصفات على توحيد الألوهية

ذكر الشيخ الأمين - رحمه الله - بعض الصفات الدالة على الوهية الله سبحانه ، واستحقاقه للعبادة ؛ منها : صفة الملك ، وصفة الوحدانية ، وصفة الألوهية ، وصفة الخلق ، وصفة القدرة .

فعند تفسير قوله تعالى : "الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كلّ شيء فقدره تقديرا"(١) ، قال رحمه الله : ((وقد اثنى - جلّ وعلا - على نفسه في هذه الآية الكريمة بخمسة امور ، هي ادلة قاطعة على عظمته واستحقاقه وحده لإخلاص العبادة له :

الاول منها : انه هو الذي له ملك السموات والارض .

الثاني : انه لم يتخذ ولدا سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا

والثالث : انه لاشريك له في ملكه .

والرابع : انه هو خالق كلّ شيء .

والخامس : انه قدر كلّ شيء خلقه تقديرا .

وهذه الأمور الخمسة المذكورة في هذه الآية الكريمة جاءت موضحة في آيات كثيرة)) .

ثمّ سرد رحمه الله آيات كثيرة تدلّ على كلّ نوع من هذه

---

(١) سورة الفرقان ، الآية {٢} .

[redacted]

، رحمه الله في بيان القرآن بالقرآن .

وهو انه له ملك السموات والأرض ، فقد

جاء موضحا في آيات كثيرة ، كقوله تعالى في سورة المائدة : "الم تعلم ان الله له ملك السموات والأرض" الآية (١) ، وقوله تعالى : "ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير" الآية (٢) . وجميع الآيات التي ذكر فيها جل وعلا ان له الملك ، فالملك فيها شامل لملك السموات والأرض وما بينهما ، وغير ذلك ؛ كقوله تعالى : "قل اللهم مالك الملك"(٣) .... والآيات الدالة على ان له ملك كل شيء كثيرة جدا معلومة))(٤) .

والأمر الثاني استدل له بقوله تعالى : "لم يلد ، ولم يولد * ولم يكن له كفوا احد"(٥) .

والأمر الثالث استدل له بقوله تعالى في سورة سبأ : "قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولافي الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير"(٦) ،

---

(١) سورة المائدة ، الآية {٤٠} .

(٢) سورة فاطر ، الآية {١٣} .

(٣) سورة آل عمران ، الآية {٢٦} .

(٤) اضواء البيان ٦/٢٦٥ .

(٥) سورة الإخلاص ، الآيتان {٣-٤} .

(٦) سورة سبأ ، الآية {٢٢} .

وقولــه تعــالى : "لمــن الملك اليوم لله الواحد القهار"(١) ; لأنّ قولــه :"الواحد القهار" يدل على تفرده بالملك والقهر ، واستحقاق إخلاص العبادة كما لايخفى . إلى غير ذلك من الآيات .

واســتدلّ للأمــر الــرابع بقوله تعالى : "ذلكم الله ربكم خالق كــلّ شيء لاإله إلا هو فأنى تؤفكون * كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون"(٢) ، إلى غير ذلك من الآيات .

واســتدلّ للأمر الخامس بقوله تعالى : "الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدى"(٣) .

وهــذا الــذي أوردته قليل من كثير مما أورده الشيخ رحمه الله في كتاب التفسير من أدلة قرآنية على هذه الأنواع(٤) .

فالشــيخ الأمين رحمه الله يتناول براهين التوحيد بالتوضيح في هــذه الســورة الكريمــة وحدهــا مؤكـــدا أنّ من اتصف بهذه الصفات العظيمــة فهــو المســتحق أن يعبــد ولايشرك معه أحد ; فالله سبحانه وتعــالى هــو النافع الضارّ ، المتفرد بكلّ كمال ، الآمر الناهي ، قــدر جميع مــا هــو كائن إلى يوم القيامة قبل خلقه ، ثم كتبه في

---

(١) سورة غافر ، الآية {١٦} .
(٢) سورة غافر ، الآيتان {٦٢-٦٣} .
(٣) سورة الأعلى ، الآيتان {٢-٣} .
(٤) راجع أضواء البيان ٦/٢٦٥-٢٦٧ .

اللوح المحفوظ(١) ، ثم خلقه وفق ما يريد . فسبحان المتصف بكلّ كمال وجلال ، فهو الإله المعبود وحده .

وهذا ما أكده أيضا الإمام ابن القيم(٢) رحمه الله حيث يقول : ((وإذا كان وحده هو ربنا وملكنا وإلهنا ، فلا مفزع لنا في الشدائد سواه ، ولاملجأ لنا منه إلا إليه ، ولامعبود لنا غيره . فلا ينبغي أن يدعى ، ولايخاف ، ولايرجى ، ولايحبّ سواه ، ولايذلّ لغيره ، ولايخضع لسواه ، ولايتوكل إلا عليه ؛ لأنّ من ترجوه ، وتخافه ، وتدعوه ، وتتوكل عليه إما أن يكون مربيك والقيّم بأمورك ومتولي شأنك ؛ وهو ربك فلا ربّ سواه ، أو تكون مملوكه وعبده الحقّ ؛ فهو ملك الناس حقا ، وكلهم عبيده ومماليكه ، أو يكون معبودك وإلهك الذي لاتستغني عنه طرفة عين ، بل حاجتك إليه أعظم من حاجتك إلى حياتك وروحك ، وهو الإله الحقّ ؛ إله الناس الذي لاإله لهم سواه ، فمن كان ربهم وملكهم وإلههم فهم جديرون أن لايستعيذوا بغيره ، ولايستنصروا بسواه ، ولايلجؤا إلى غير حماه ، فهو كافيهم وحسبهم وناصرهم ووليهم ومتولي أمورهم جميعا بربوبيته

---

(١) يدلّ عليه حديث عبدالله بن عمرو ، يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة" . ٤/٢٠٤٤ بلفظ كتب الله مقادير الخلائق
أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب القدر . والترمذي في سننه (٤/٤٥٨) ، وقال : حديث حسن صحيح غريب . واللفظ له

(٢) تقدمت ترجمته ص ٩٣ .

وملكه وإلهيته لهم . فكيف لايلتجئ العبد عند النوازل ونزول عدوه به إلى ربه ومالكه وإلهه))(١) .

وخلاصة القول : ان" من كان متصفا بتلك الصفات العظيمة جدير بان يعبد وحده ولايشرك معه احد من خلقه ؛ وهو ما يؤكده الشيخ الامين رحمه الله ، وما يحتويه كلامه السابق ؛ فالموجودات كلها واقعة تحت امر الله ونهيه وقهره . فسبحان من تفرد بالوحدانية والملك والالوهية .

وهذه الصفات العظيمة الدالة على توحيد الالوهية : قد اجمل الشيخ رحمه الله الكلام عنها في موضع واحد ، ثم فصّل الكلام عنها في مواضع متعددة من تفسيره .

وقد اجملت الكلام عنها فيما سبق اقتداء بصنيع الشيخ رحمه الله ، وها انا اشرع ببيانها على وجه التفصيل اقتداء بصنيع الشيخ رحمه الله ايضا .

---

(١) بدائع الفوائد ٢٤٨/٢ .

فمنها :

أولا : قدرة الله على الخلق

الذي يقدر على خلق الخلق ، وإبرازهم من العدم إلى الوجود هو الذي يستحق أن يعبد وحده ؛ لأن من لايقدر على ذلك عاجز ، والعاجز لايصلح أن يكون إلها معبودا .

وقد فصل الشيخ رحمه الله في هذه المسألة في عدة مواضع من تفسيره ، اكتفي بذكر موضعين منها :

فعند تفسيره لقوله تعالى : "أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار"(١) قال : ((أشار تعالى في هذه الآية الكريمة إلى أنه هو المستحق لأن يعبد وحده ؛ لأنه هو الخالق وحده ، ولايستحق من الخلق أن يعبدوه إلا من خلقهم وأبرزهم من العدم إلى الوجود ، لأن المقصود من قوله : "أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم" إنكار ذلك ، وأنه هو الخالق وحده ، بدليل قوله بعده : "قل الله خالق كل شيء"(١) ؛ أي وخالق كل شيء هو المستحق لأن يعبد وحده . ويبين هذا المعنى في آيات كثيرة ؛ كقوله : "يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم" الآية (٢) ، وقوله : "واتخذوا من دونه

---

(١) سورة الرعد ، الآية {١٦} .

(٢) سورة البقرة ، الآية {٢١} .

آلهة لايخلقون شيئا وهم يخلقون"(١) ، وقوله : "أيشركون ما لايخلق شيئا وهم يخلقون"(٢) ، وقوله :"هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه"(٣) ، إلى غير ذلك من الآيات . لأن" المخلوق محتاج إلى خالقه ; فهو عبد مربوب مثلك يجب عليه أن يعبد من خلقه وحده ، كما يجب عليك ذلك ، فأنتما سواء بالنسبة إلى وجوب عبادة الخالق وحده لاشريك له))(٤) .

وعند تفسير قوله تعالى : "قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين"(٥) قال رحمه الله : ((قد ذكرنا قريبا أن" قوله "ما خلقنا السماء والأرض وما بينهما إلا بالحق" "(٦) يتضمن البرهان القاطع على صحة معنى "لا إله إلا الله" ، وأن" العلامة الفارقة بين المعبود بحق" وبين غيره هي كونه خالقا . وأول سورة الأحقاف هذه يزيد ذلك إيضاحا ; لأنه ذكر

(١) سورة الفرقان ، الآية {٣} .
(٢) سورة الأعراف ، الآية {١٩١} .
(٣) سورة لقمان ، الآية {١١} .
(٤) أضواء البيان ١٠١/٣ .
(٥) سورة الأحقاف ، الآية {٤} .
(٦) سورة الأحقاف ، الآية {٣} .

من صفات المعبود بحقّ أنه خلق السموات والأرض وما بينهما بالحقّ ، وذكر من المعبودات الأخرى التي عبادتها كفر مخلد في النار أنها لاتخلق شيئا)) (١) .

ولاشك أنّ هذا البرهان من أعظم البراهين الدالة على توحيد الألوهية ؛ إذ كيف يستحقّ العبادة من يعجز عن الخلق ، بل هو مخلوق مربوب مفتقر إلى ربه وخالقه . فمن يستحقّ العبادة خالق كلّ شيء وربه ومليكه ، وهو الله ربّ العالمين ، الإله المعبود وحده سبحانه وتعالى .

---

(١) أضواء البيان ٣٧٢/٧ .

وقد ذكر الشيخ رحمه الله مضمون هذا المعنى في عدة مواضع من تفسيره أضواء البيان .

(انظر مثلا : ٤٨٢/٢ .. ٢١١/٣ .. ٣٠/٤) .

ثانيـا : النـافـع الضـارّ :

النـافع الضـارّ من اسماء الله المزدوجة المتقابلة المقترنة التي لايفرد احدهما عن الآخر(١) . وهي تدلّ على كمال الله سبحانه وتعـالى ، وحكمتـه البالغـة ؛ حـيث ينفـع من اطاعه بفعل الخيرات بالدنيـا والإعانة عليها ، وتكون سببا لدخول الجنة . والضارّ لمن عصاه وابتعد عن هداه ، ومآله إلى النار .

وقـد اشـار الشيخ رحمه الله إلى انّ النافع والضارّ هو الله وحـده ، فيجـب ان يفـرد بالعبـادة وحـده ؛ إذ انّ عبادة ما سواه باطلـة ؛ لأنـه عـاجز عـن النفـع والضرّ ، والعاجز لايصلح ان يكون إلهـا .

قـال رحمـه اللـه موضحـا هذا المعنى عند تفسير قوله تعالى : "افـلا يـرون الا يرجـع إليهـم قـولا ولايملـك لهم ضرا ولانفعا"(٢) : ((بيّـن اللـه جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة سخافة عقول الذين عبدوا العجل ، وكيف عبدوا ما لايقدر على ردّ الجواب لمن سأله ، ولايملـك نفعا لمن عبده ، ولاضرا لمـن عصـاه . وهذا يدلّ على انّ المعبـود لايمكـن ان يكـون عـاجزا عن النفع والضرّ وردّ الجواب .

---

(١) بدائع الفوائد ١٦٧/١ .

(٢) سورة طـه ، الآية {٨٩} .

وقد بيّن هذا المعنى في غير هذا الموضع ؛ كقوله في الأعراف في القصة بعينها : "ألم يروا أنه لايكلمهم ولايهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين"(١) . ولاشك أن من اتخذ من لايكلمه ولايهديه سبيلا إلها ، فإنه من أظلم الظالمين . ونظير ذلك قوله تعالى عن إبراهيم : "يا أبت لم تعبد ما لايسمع ولايبصر ولايغني عنك شيئا "(٢)))(٣) .

وعند تفسير قوله تعالى : "قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته "(٤) قال رحمه الله : ((ما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من أن المعبودات من دونه لاتقدر أن تكشف ضرا أراد الله به أحدا ، أو تمسك رحمة أراد بها أحدا ، جاء موضحا في آيات كثيرة كقوله تعالى : "لم تعبد ما لايسمع ولايبصر ولايغني عنك شيئا "(٥) ...))(٦) .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية {١٤٨} .
(٢) سورة مريم ، الآية {٤٢} .
(٣) أضواء البيان ٤/٤٩٧-٤٩٨ .
(٤) سورة الزمر ، الآية {٣٨} .
(٥) سورة مريم ، الآية {٤٢} .
(٦) أضواء البيان ٧/٥٧ .
وقد أشار الشيخ رحمه الله لهذا المعنى في عدة مواضع من تفسير أضواء البيان .
(انظر مثلا : ٣/٢٨٠ ،، ٤/٥٧٢ ،، ٧/٦٠٦) .

وبــذلك يوضــح الشيخ رحمه الله ان" القادر على النفع والضر" هو المســتحق" للعبادة ، ولايقدر على ذلك إلا الله سبحانه وتعالى ؛ فهو الإله المعبود وحده .

وما ذكره الشيخ - رحمه الله - لم ينفرد به ، ولم يكن اول من قالــه ، بــل هو معنى معروف قاله العلماء قبله ، وهو عقيدة السلف الصــالح المستمدة مــن كتــاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قــال الحــافظ ابــن رجب(١) رحمه الله : ((فــإن" العبد إذا علم انه لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير وشــر ، ونفع وضـر ، وان" اجتهــاد الخلق كلهم على خلاف المقدور غير مفيد البتة ، علم حينئذ ان" اللــه وحــده هــو الضار" النافع ، المعطي المانع ، فاوجب ذلك للعبــد توحــيد ربــه عــز" وجل" ، وإفراده بالطاعة ، وحفظ حدوده ؛ فــإن" المعبــود إنمــا يقصد بعبادتــه جلب المنافع ودفع المضار ، ولهــذا ذم" اللــه مــن يعبــد مــن لاينفع ولايضر" ، ولايغني عن عابده

---

(١) ابــو الفرج عبدالرحمن بن احمد بن رجب السلامي البغدادي ، ثم" الدمشــقي . ولــد في بغداد سـنة (٧٣٦ هـ) ، ونشــا وتوفي في دمشــق سـنة (٧٩٥ هـ) .

(انظر : شذرات الذهب ٣٣٩/٦ . والاعــلام ٢٩٥/٣) .

شيئا . فمن يعلم انه لاينفع ولايضر ، ولايعطي ولايمنع غير الله اوجب له ذلك إفراده بالخوف ، والرجاء ، والمحبة ، والسؤال ، والتضرع ، والدعاء ، وتقديم طاعته على طاعة الخلق جميعا ، وان يتقي سخطه ، ولو كان فيه سخط الخلق جميعا))(١) .

وخلاصة القول : ان" الشيخ رحمه الله استشهد على الوهية الله ، واستحقاقه العبادة بكونه النافع والضار" وحده كما صرحت بذلك الأدلة الصريحة الواضحة في كتاب الله تعالى .

---

(١) جامع العلوم والحكم ص ١٨٣ .

ثـالـثـا : الـرزاق :

الـرزاق مـن اسـماء الـلـه تعالـى الدالة على عظم فضله وكرمه وسـخائه ؛ فهو الـذي يـرزق اهـل السموات والارض بانواع الخيرات والنعـم المتتالية . وكمـا انـه يرزق عباده الدنيا وملذاتها ، كـذلك يـرزق الإيمـان الموصل إلى الجنة ونعيمها . ولايقدر على ذلك كله إلا الله وحده . فهو المستحق" ان يعبد وحده لاشريك له .

وقـد اوضح الشيخ رحمه الله هذا المعنى ، واشارإلى انه لايجوز ان تكـون العبـادة إلا لمـن رزق الخلق وانعـم عليهم بـالخيرات المتتاليـة ، وهـو الله سبحانه وتعالى . اما غيره فلا يستحق ان يعبـد ؛ لانـه عـاجز عـن رزق العبـاد ، والعـاجز لايكـون إلهـا ؛ فقال عند تفسير قوله تعالى : "ويعبدون من دون الله ما لايملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولايستطيعون"(١) : ((ذكر جل" وعلا في هـذه الآيـة الكريمة ان" الكفار يعبدون من دون الله ما لايملك لهم رزقا من السموات ؛ بإنزال المطر ، ولامن الارض ؛ بإنبات النبات ، واكـد عجـز معبوداتهم عن ذلك بانهم لايستطيعون ؛ اي لايملكون ان يرزقـوا ، والاسـتطاعة منفيـة عنهـم اصلا ؛ لأنهم جماد ليس فيه قابليـة استطاعة شيء . ويفهـم من الآية الكريمة : انه لايصح ان

---

(١) سورة النحل ، الآية {٧٣} .

يعبد إلا من يرزق الخلق ؛ لأنّ اكلهم رزقه وعبادتهم غيره كفر ظاهر لكلّ عاقل . وهذا المعنى المفهوم بيّنه الله في مواضع اخر)) .

ثم ذكر رحمه الله بعض الآيات الدالة على هذا المعنى ؛ منها قوله تعالى : "أمّن هذا الذي يرزقكم إن امسك رزقه ، بل لجوا في عتوّ ونفور"(١) ، وقوله : "وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون * ما اريد منهم من رزق وما اريد أن يطعمون * إنّ الله هو الرزاق ذو القوة المتين"(٢) ، وغيرها من الآيات(٣) .

وهذا المفهوم الذي قصده الشيخ رحمه الله بهذا القول ، هو عين ما ارتضاه ائمة التفسير ممن عرفوا بسلامة الاعتقاد ، ودقة إيضاح المعاني التي تضمنتها الآيات ؛ امثال الإمام ابن كثير(٤) رحمه الله الذي قال عند تفسيره لقوله تعالى : "ويعبدون من دون

---

(١) سورة تبارك ، الآية {٢١} .

(٢) سورة الذاريات ، الآيات {٥٦-٥٨} .

(٣) اضواء البيان ٣/٣٢٢-٣٢٣ .

وأشار لهذا المعنى ايضا في مواضع اخرى من تفسيره اضواء البيان .

(انظر مثلا : ٣/٣٢٧ ،، ٧/٦٦٦) .

(٤) هو الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، ابو الفداء الدمشقي . ولد سنة (٧٠١هـ) في قرية من قرى الشام ، وتوفي في دمشق سنة (٧٧٤ هـ) .

(انظر : شذرات الذهب ٦/٢٣١-٢٣٢ . والأعلام ١/٣٢٠)

يقول الله تعالى إخبارا عن المشركين الذين عبدوا معه غيره ، مع انه هو المنعم المتفضل الخالق الرازق وحده لاشريك له ، ومع هذا يعبدون من دونه من الاصنام والانداد والاوثان ما لايملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ؛ اي لايقدر على إنزال مطر ، ولا إنبات زرع ولاشجر . ولايملكون ذلك لانفسهم ؛ اي ليس لهم ذلك ولايقدرون عليه لو ارادوه ، ولهذا قال تعالى : "فلا تضربوا لله الامثال"(٢) ؛ اي لاتجعلوا له اندادا واشباها وامثالا ، "إنّ الله يعلم وانتم لاتعلمون"(٢) ؛ اي انه يعلم ويشهد انه لاإله إلا هو ، وانتم بجهلكم تشركون به غيره))(٣) .

وخلاصة القول : انّ الشيخ الامين رحمه الله يستدلّ بهذه الصفة العظيمة ، وثبوت تفرد الباري سبحانه بها على استحقاقه للالوهية وحده لاشريك له ؛ إذ ليس من العقل في شيء ان ياكل الإنسان رزق ربه ويتقلب في نعمه ، ويعبد سواه .

---

(١) سورة النحل ، الآية {٧٣} .

(٢) سورة النحل ، الآية {٧٤} .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٥٧٨/٢ .

رابعـــا : عـــالـــم الـــغـيـــب :

مـــن أســماء اللـــه سبحانه وتعالى : العليم ، الذي أحاط بكل شيء علما ؛ علم الأمور قبل خلق السموات والأرض ، ثم كتبها وقدرها وشــاءها ، ثم خلقها .

وهاهنــا يوضـــح الشــيخ رحمـــه اللـه أنه لاينبغي أن يعبد إلا من اتصـف بصفـة العلم ، وأما من لم يتصـف بهذه الصفـة العظيمة فهو عبد مقهور محتاج إلى الله تعالى الإله المستحق للعبادة وحده .

يقول رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى : "ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملـون"(١) : ((ختم اللـه هـذه السـورة الكريمـة بهذه الخاتمة العظيمـة ، فكأنـه يقول : الذي يأمركم وينهاكم جدير بأن يطاع فلا يعصـى ، وأن يذكـر فـلا ينسـى ؛ لأنه متصـف بصفات عظيمة تستوجب أن يفـرد بالطاعـة ، وأن لايعصـى لـه أمـر ، فإنـه يعلـم الســر وأخفـى))(٢) .

ثم يقول رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "إليه يرجع الأمر كله"(٣) : ((أي كل الأمور راجعة إليه تعالى . ومن الأمور الراجعة

---

(١) سورة هود ، الآية {١٢٣} .

(٢) معارج الصعود ص ٣٠٦ .

(٣) سورة هود ، الآية {١٢٣} .

إليه بنو آدم وأعمالهم ؛ فيجازي كلا منهم بما يستحق من خير أو شر . وفائدة الترتيب بالفاء في قوله تعالى : "فاعبده" الإشارة إلى نكتة ؛ وهو أنه لاينبغي أن يعبد ويخضع ويذل إلا لمن اتصف بهذه الصفات العظيمة ، ومثله قوله تعالى : "رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا"(١) . ويفهم من مفهوم المخالفة أن الجاهل الذي لايعلم الغيب لاينبغي أن يخضع له ؛ لأنه مربوب محتاج إلى الله تعالى))(٢) .

فالشيخ يؤكد أن المتصرف في هذا الكون هو الله وحده ، ولايعلم الغيب غيره ، فهو المعبود بحق دون سواه . وأما غيره من الأنبياء والملائكة والأولياء فهم عاجزون عن نفع أنفسهم ومعرفة مستقبلهم فضلا عن نفع غيرهم ؛ قال الله تعالى مخبرا عن رسوله صلى الله عليه وسلم : "ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء"(٣) .

---

(١) سورة المزمل ، الآية {٩} .

(٢) معارج الصعود ص ٣٠٦-٣٠٧ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية {١٨٨} .

المطلب الثاني

البراهين الكونية

ومن براهين التوحيد : الآيات الكونية التي تسلك بالمخاطب سبيل الحسّ والمشاهدة ، وتدلّ على عين المطلوب ؛ فكلّ مخلوق يدلّ على وحدانية الخالق وانه هو المعبود وحده .

يتحدث الشيخ رحمه الله عن معنى الآية الكونية فيقول : ((اما الآية الكونية القدرية فهي العلامة التي نصبها الله كونا وقدرا ليبين بها لخلقه انه الربّ وحده ، المعبود وحده ؛ كفلقه الحبّ من السنبل ، والنوى عن النخل ، وكإتيانه بالليل بدل النهار ، والنهار بدل الليل ، وتسخير الشمس والقمر ، وكخلقه النجوم ليهتدى بها . فهذه آيات كونية قدرية))(١) .

فالآيات الكونية من عجائب صنع الله ، وهي تدلّ على وحدانيته ، واستحقاقه العبادة وحده ، وقد امرنا الله سبحانه وتعالى ان نتفكر فيها وننظر إليها حتى نوحده في الوهيته جلّ وعلا .

يقول الشيخ الأمين رحمه الله في بيان هذا الجانب : ((امر

---

(١) نقلا عن الشريط رقم {١٥} ، بصوت الشيخ رحمه الله : الوجه الاول ؛ في تفسير سورة الانعام . وكذلك وضّح هذا المعنى في شريط رقم {١٠} : الوجه الثاني ؛ تفسير السورة نفسها .

الله جلّ وعلا جميع عباده ان ينظروا ماذا خلق في السموات والأرض من المخلوقات الدالة على عظم خالقها ، وكماله ، وجلاله ، واستحقاقه لان يعبد وحده جلّ وعلا . واشار لمثل ذلك بقوله : "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحقّ" الآية (١) . ووبّخ في سورة الاعراف من لم يمتثل هذا الأمر ، وهدده بانه قد يعاجله الموت فينقضي اجله قبل ان ينظر في امر الله جلّ وعلا ، ان ينظر فيه لينبه بذلك على وجوب المبادرة في امتثال امر الله جلّ وعلا في قوله : "اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم "(٢) ..))(٣) .

ويوضح لنا رحمه الله في مكان آخر الحكمة من النظر في هذه الآيات الكونية التي امر الله سبحانه وتعالى بالنظر إليها ، وانّ مراد الله من النظر في تلك الآيات هو الاستدلال على انه سبحانه المستحقّ للعبادة ، وانّ له الكبرياء والعظمة ، وانّ ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم حقّ :

يقول رحمه الله مبيّنا هذا الجانب عند تفسير قوله تعالى :

---

(١) سورة فصلت ، الآية {٥٣} .

(٢) سورة الاعراف ، الآية {١٨٥} .

(٣) اضواء البيان ٤٩٣/٢ .

"هـو الـذي يريكم آياته"(١) : ((ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة انـه جلّ وعـلا هـو الـذي يري خلقه آياته ؛ اي الكونية القدرية ، ليجعلهـا علامـات لهـم عـلى ربوبيتـه واستحقاقه العبادة وحده . . . . فبيّـن انه يريهم آياته في الآفاق وفي انفسهم ، وانّ مراده بـذلك البيـان ان يتبيّـن لهم انّ ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حقّ ؛ كمـا قـال تعـالى : "سـنريهم آياتنـا في الآفاق وفي انفسـهم حتى يتبين لهم انه الحقّ"(٢) . والآفاق : جمع افق ؛ وهو الناحيـة . واللـه جلّ وعـلا قـد بيّـن من غرائب صنعه ، وعجائب مخلوقاتـه في نواحي سماواته وارضـه ما يتبيّـن به لكلّ عاقل انه هو الربّ المعبود وحده))(٣) .

وبـذلك يبيّـن الشيخ رحمه الله انّ النظر وسيلة إلى عبادة اللـه ، وليـس غايـة يقف عنده المتامل وقفة حيرة وغفلة ، وإنما نظـرة تفكـر واتعـاظ تاخذ بصاحبها إلى الحقّ ، وتخرجه من الظلمة إلى النور .

وقـد اوضـح رحمه الله البراهين الكونية الدالة على وحدانية اللـه واسـتحقاقه للعبـادة - والتي تضمّـنها القرآن الكريم -

---

(١) سورة غـافـر ، الآية {١٣} .

(٢) سورة فصلـت ، الآية {٥٣} .

(٣) اضواء البيان ٧/٧٤-٧٥ .

بالإجمال في مواضع ، وبالتفصيل في مواضع ؛ فذكر ستة أنواع تضمنتها أول سورة الجاثية ، عند قوله تعالى : "إنّ في السموات والأرض لآيات للمؤمنين * وفي خلقكم وما يبثّ من دابة آيات لقوم يوقنون * واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون"(١) ، فقال رحمه الله مبينا هذا الجانب : ((ذكر جلّ وعلا في هذه الآيات الكريمة من أول سورة الجاثية ستة براهين من براهين التوحيد الدالة على عظمته وجلاله ، وكمال قدرته ، وأنه المستحقّ للعبادة وحده تعالى :

الأول منها : خلقه السموات والأرض .

الثاني : خلقه الناس .

الثالث : خلقه الدوابّ .

الرابع : اختلاف الليل والنهار .

الخامس : إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض به .

السادس : تصريف الرياح .

وذكر أنّ هذه الآيات والبراهين إنما ينتفع بها المؤمنون الموقنون الذين يعقلون عن الله حججه وآياته ، فكأنهم هم المختصون بها دون غيرهم ، ولذا قال :"لآيات للمؤمنين" ، ثم قال :

---

(١) سورة الجاثية ، الآيات {٣-٥} .

"آيات لقوم يعقلون"(١) ...))(٢) .

ثمّ سرد رحمه الله بعد ذلك الأدلة من القرآن الكريم ، والتي تدلّ على كلّ نوع من الأنواع الستة السالفة ، كما هي طريقته رحمه الله في تفسير القرآن بالقرآن ؛ فاستدلّ للنوع الأول بآيات كثيرة ، منها قوله تعالى : "ومن آياته خلق السموات والأرض"(٣) .

واستدلّ للنوع الثاني بآيات كثيرة ، منها قوله تعالى : "ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون"(٤) .

ومن الآيات التي استدلّ بها للنوع الثالث ؛ خلق الدوابّ ؛ قوله تعالى : "والله خلق كلّ دابة من ماء ، فمنهم من يمشي على بطنه ، ومنهم من يمشي على رجلين ، ومنهم من يمشي على أربع ، يخلق الله ما يشاء إنّ الله على كلّ شيء قدير"(٥) .

واستدلّ لاختلاف الليل والنهار بآيات كثيرة ، منها قوله تعالى : "يقلّب الله الليل والنهار إنّ في ذلك لعبرة لأولي الأبصار"(٦) .

---

(١) سورة الجاثية ، الآية {٥} .
(٢) أضواء البيان ٧/٣٢٩-٣٣٠ .
(٣) سورة الروم ، الآية {٢٢} .
(٤) سورة الروم ، الآية {٢٠} .
(٥) سورة النور ، الآية {٤٥} .
(٦) سورة النور ، الآية {٤٤} .

واستدل* لإنزال الماء وإحياء الأرض به بآيات كثيرة ، منها قوله تعالى : "فلينظر الإنسان إلى طعامه * أنا صببنا الماء صبا * ثم* شققنا الأرض شقا * فأنبتنا فيها حبا * وعنبا وقضبا * وزيتونا ونخلا * وحدائق غلبا * وفاكهة وأبا * متاعا لكم ولأنعامكم "(١) .

واستدل* لتصريف الرياح بآيات كثيرة ، منها قوله تعالى : "ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات"(٢) . إلى غير ذلك من الآيات(٣) .

وفيما يلي أورد تفصيلا للبراهين السالفة التي مر ذكرها مجملة ، وأورد معها براهين أخرى غيرها ذكرها الشيخ الأمين رحمه الله . و رتّبها حسب أهميتها .

---

(١) سورة عبس ، الآيات {٢٤-٣٢} .

(٢) سورة الروم ، الآية {٤٦} .

(٣) انظر : أضواء البيان ٣٢٩/٧-٣٣٣ . وانظر المصدر نفسه ٤٢٠/٤-٤٢١ .

فمنهـــا :

اولا : خلـــق السمـــوات والأرض :

خلق السموات والأرض من اعظم الادلة القاطعة على أنّ الله هو المستحقّ أن يعبد وحده ؛ فهي دليل حيّ مشاهد ناطق على وجود الخالق القادر المتفرد بالعبادة .

يوضح الشيخ رحمه الله هذا البرهان فيقول : ((وقد اقام الله جلّ وعلا البرهان القاطع على صحة معنى لاإله إلا الله نفيا وإثباتا ؛ بخلقه للسموات و الأرض وما بينهما ، في قوله : "الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء" الآية (١) . وبذلك تعلم انه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا خلقا متلبسا باعظم الحقّ ؛ الذي هو إقامة البرهان القاطع المذكور على توحيده جلّ وعلا . فعلم من استقراء القرآن انّ العلامة الفارقة بين من يستحقّ العبادة وبين من لايستحقها هي كونه خالقا لغيره ، فمن كان خالقا لغيره فهو المعبود بحقّ ، ومن كان لايقدر على خلق شيء فهو مخلوق محتاج ، لايصحّ أن يعبد بحال))(٢) .

وقال رحمه الله في موضع آخر عند تفسير قوله تعالى : "إنّ

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان {٢١-٢٢} .

(٢) اضواء البيان ٣٦٦/٧ .

إلهكم لواحد * ربّ السموات والأرض وما بينهما وربّ المشارق"(١) :

((ووجه توكيده تعالى قوله : "إنّ إلهكم " بهذه الأقسام ، وب"إنّ " واللام : هو أنّ الكفار أنكروا كون الإله واحدا إنكارا شديدا ، وتعجبوا من ذلك تعجبا شديدا ؛ كما قال تعالى عنهم : "أجعل الآلهة إلها واحدا إنّ هذا لشيء عجاب"(٢) . ولما قال تعالى : "إنّ إلهكم لواحد"(٣) أقام الدليل على ذلك بقوله : "ربّ السموات والأرض وما بينهما وربّ المشارق"(٤) ، فكونه خالقا السموات والأرض الذي جعل فيها المشارق والمغارب برهان قاطع على أنه المعبود وحده . وهذا البرهان القاطع الذي أقامه هنا على أنه هو الإله المعبود وحده أقامه على ذلك أيضا في غير هذا الموضع ؛ كقوله تعالى في سورة البقرة : "وإلهكم إله واحد لاإله إلا هو الرحمن الرحيم"(٥) ، فقد أقام البرهان على ذلك بقوله بعده متصلا به : "إنّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كلّ دابة وتصريف الرياح

---

(١) سورة الصافات ، الآيتان {٤-٥} .

(٢) سورة ص ، الآية {٥} .

(٣) سورة الصافات ، الآية {٤} .

(٤) سورة الصافات ، الآية {٥} .

(٥) سورة البقرة ، الآية {١٦٣} .

والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون"(١) ...))(٢) .

فأدلة القرآن الكريم على ذلك البرهان ساطعة . وقد رأينا كيف أورد الشيخ رحمه الله هذا الدليل فأوضح أنّ" خلق السموات والأرض دليل قاطع وبرهان ساطع على أنّ" خالقها قدير عليم ، وحكيم خبير ، وأنه هو المستحقّ" لأن يعبد وحده .

وقد أوضح ابن القيم رحمه الله هذا الدليل الكوني مستدلا به على نواحي كثيرة من التوحيد ، فقال : ((إنّ" الأرض والبحار والهواء ، وكلّ" ما تحت السموات ، بالإضافة إلى السموات كقطرة في بحر . ولهذا قلّ" أن تجيء سورة في القرآن إلا وفيها ذكرها ؛ إما إخبارا عن عظمتها وسعتها ، وإما إقساما بها ، وإما دعاء للنظر فيها ، وإما إرشادا للعباد أن يستدلوا بها على عظمة بانيها ورافعها ، وإما استدلالا منه بربوبيته لها على وحدانيته ، وأنه الله الذي لا إله إلا هو ، وإما استدلالا منه بحسنها واستوائها

---

(١) سورة البقرة ، الآية {١٦٤} .
(٢) أضواء البيان ٦٧٣/٦ . وانظر كذلك المصدر نفسه : ٤٤٠/٤-٤٤١ ،، ٧٤/٧ ، ٦٤٤ ، ٦٧٥ ، ٧٣٨ .

والتئام اجزائها ، وعدم الفطور فيها على تمام حكمته وقدرته))(١) .

فالشيخ رحمه الله يستدلّ بهذه المخلوقات العظيمة على طاعة الله وإفراده بالعبادة وحده ، ويردّ على الملاحدة المنكرين لوجود السموات بانهم في غاية الجهالة :

يقول رحمه الله : ((والذين ينكرون وجود السموات في غاية من الجهل والسفه ، ولاشكّ انّ هذا الربّ العظيم الذي يخلق هذه المخلوقات العظيمة هو الجدير بالطاعة والعبادة وحده ، كما انه الخالق وحده))(٢) .

فهو رحمه الله يردّ على من طغى في الجهالة والإلحاد ، ويؤكد انّ وجود السموات من اعظم الادلة على الوهية خالقها ، وموجدها من العدم ، وممسكها بقدرته . كيف لاتكون موجودة وهذه الكواكب والنجوم زينة لها دالة على مبدعها ، وخالقها ، وانه هو الربّ المعبود وحده سبحانه وتعالى .

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢٤٨/١ .
(٢) معارج الصعود ص ٤٨ .

ثانيا : خلق الإنسان :

إنّ من أقرب الأدلة على وحدانية الله وألوهيته : خلق الإنسان ؛ فهو آية ناطقة على عجائب صنعه ودقة خلقه .

وقد دعا الله عباده إلى التفكر في أنفسهم حتى يتحقق عندهم الإيمان بأنه الربّ الخالق والإله المعبود وحده ؛ قال تعالى : "وفي أنفسكم أفلا تبصرون"(١) .

وقد أشار الشيخ رحمه الله إلى هذا الدليل العظيم الذي يراه كلّ إنسان في نفسه ؛ إذ أنّ القادر على هذا الخلق والإيجاد هو المستحقّ أن يعبد وحده ؛ يقول رحمه الله عند قوله تعالى : "خلق الإنسان * علمه البيان"(٢) : ((اعلم أولا أنّ خلق الإنسان ، وتعليمه البيان من أعظم آيات الله الباهرة ؛ كما أشار تعالى لذلك بقوله في أول النحل : "خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين"(٣) ، وقوله في آخر يس : "أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين"(٤) ؛ فالإنسان بالأمس نطفة ، واليوم هو في غاية البيان وشدة الخصام ؛ يجادل في ربه ، وينكر قدرته

---

(١) سورة الذاريات ، الآية {٢١} .

(٢) سورة الرحمن ، الآيتان {٣-٤} .

(٣) سورة النحل ، الآية {٤} .

(٤) سورة يس ، الآية {٧٧} .

على البعث . فالمنافاة العظيمة التي بين النطفة وبين الإبانه في الخصام ، مع أنّ الله خلقه من نطفة ، وجعله خصيما مبينا آية من آياته جلّ وعلا دالة على انه المعبود وحده ، وأنّ البعث من القبور حقّ))(١) .

ويقول رحمه الله في موضع آخر عند قوله تعالى : "يا ايها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة "(٢) : ((... ثمّ ذكر الحكمة فقال : "لنبيّن لكم "(٢) ; اي لنظهر لكم بذلك عظمتنا وكمال قدرتنا ، وانفرادنا بالإلهية واستحقاق العبادة . وقال في سورة المؤمن : "هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا "(٣) ، وقال تعالى : "ايحسب الإنسان ان يترك سدى * الم يك نطفة من منيّ يمنى * ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى * اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى"(٤) . والآيات بمثل هذا كثيرة . وقد ابهم هذه الأطوار المذكورة في

---

(١) اضواء البيان ٧/٧٣٥ .

(٢) سورة الحج ، الآية {٥} .

(٣) سورة غافر ، الآية {٦٧} .

(٤) سورة القيامة ، الآيات {٣٦-٤٠} .

قوله : "كلا إنا خلقناهم مما يعلمون"(١) ؛ وذلك الإبهام يدل على ضعفهم وعظمة خالقهم جل وعلا . فسبحانه جل وعلا ما أعظم شأنه ، وما أكمل قدرته ، وما أظهر براهين توحيده))(٢) .

وقال رحمه الله في موضع آخر أيضا عند تفسير قوله تعالى : "هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها"(٣) : ((أي إن كنتم الآن ترون أنفسكم قد ركبتم من جسم بعظام ولحم ودم ومفاصل ، فاعلموا أن أصلكم من هذا التراب ، فالذي أوجدكم وأوصلكم إلى هذه الحال هو الذي لايليق بكم أن تعبدوا غيره))(٤) .

وقد أوضح هذا البرهان أيضا الإمام ابن القيم رحمه الله بعد أن ذكر بعض الآيات التي أسند الله فيها خلق الإنسان لنفسه المقدسة ، وذكر فيها الأطوار التي يتدرج فيها الإنسان أثناء خلقه ، فقال رحمه الله : ((وهذا كثير في القرآن ؛ يدعو العبد إلى النظر والتفكر في مبدأ خلقه ، ووسطه ، وآخره ؛ إذ نفسه وخلقه من أعظم الدلائل على خالقه وفاطره ، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه ، وفيه من العجائب الدالة على عظمة الله

---

(١) سورة المعارج ، الآية {٣٩} .

(٢) أضواء البيان ٧٧٩/٥ .

(٣) سورة هود ، الآية {٦١} .

(٤) معارج الصعود ص ١٥٨ . وانظر أضواء البيان ١٠٢/٤ ، ٧٧٦/٥ .

ما تنقضي الأعمار في الوقف على بعضه ، وهو غافل عنه معرض عن التفكير فيه . ولو فكر في نفسه لزجره ما يعلم من عجائب خلقها عن كفره ; قال الله تعالى : "قتل الإنسان ما أكفره * من أيّ شيء خلقه * من نطفة خلقه فقدره * ثمّ السبيل يسره * ثمّ أماته فأقبره * ثمّ إذا شاء أنشره "(١) ..))(٢) .

فالشيخ الأمين رحمه الله يوضح أنّ خلق الإنسان بهذه الصفة العجيبة دليل باهر على ربوبية الله سبحانه وتعالى وتفرده بالعبادة وحده ; فالقادر على هذا الخلق العظيم جدير بأن تصرف إليه العبادة وحده جلّ وعلا .

---

(١) سورة عبس ، الآيات {١٧-٢٢} .

(٢) مفتاح دار السعادة ٢٣٧/١ .

ثـالـثـا : إنـزال الـمـاء :

قـال تعـالى : "وجعلنا من الماء كلّ شيء حيّ"(١) . فالحياة قائمة على عنصرين : الماء والهواء .

وقد امتنّ الله على عباده بإنزال الماء إليهم بالقدر الذي فيه صلاحهم ونفعهم ، لينتفعوا به ، ويعرفوا خالقهم فيشكروه ، ويحمدوه على هذه النعمة العظيمة .

وقد أوضح الشيخ رحمه الله هذا المعنى ; فقال عند تفسير قوله تعالى : "أفرأيتم الماء الذي تشربون * أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون * لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون"(٢) : ((تضمنت هذه الآية الكريمة امتنانا عظيما على خلقه بالماء الذي يشربونه ، وذلك أيضا آية من آياته الدالة على عظمته ، وكمال قدرته ، وشدة حاجة خلقه إليه . والمعنى : أفرأيتم الماء الذي تشربون ، الذي لاغنى لكم عنه لحظة ، ولو أعدمناه لهلكتم جميعا في أقرب وقت : "أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون"(٣) ، والجواب الذي لاجواب غيره هو : أنت يا ربنا منزله من المزن ، ونحن لاقدرة لنا على ذلك . فيقال لهم : إذا كنتم في

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية {٣٠} .
(٢) سورة الواقعة ، الآيات {٦٨-٧٠} .
(٣) سورة الواقعة ، الآية {٦٩} .

هذا القدر من شدة الحاجة إليه فلم تكفرون به ، وتشربون ماءه ، وتأكلون رزقه ، وتعبدون غيره . وما تضمنته هذه الآية الكريمة من الامتنان على الخلق بالماء ، وأنهم يلزمهم الإيمان بالله وطاعته شكرا لنعمة هذا الماء ، كما أشار له هنا بقوله : "فلولا تشكرون"(١) جاء في آيات أخر من كتاب الله ؛ كقوله تعالى : "فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين"(٢) ، وقوله : "هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون"(٣) ، وقوله تعالى : "وأنزلنا من السماء ماء طهورا * لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا"(٤) ، وقوله تعالى : "وأسقيناكم ماء فراتا"(٥) ، إلى غير ذلك من الآيات))(٦) .

ويستمر الشيخ رحمه الله في تفسير الآيات السابقة ، وأكتفي منها بما ذكرت ؛ إذ أنه قد أبان فيه رحمه الله هذا الدليل العظيم على وحدانية الله واستحقاقه للعبادة .

---

(١) سورة الواقعة ، الآية {٧٠} .

(٢) سورة الحجر ، الآية {٢٢} .

(٣) سورة النحل ، الآية {١٠} .

(٤) سورة الفرقان ، الآيتان {٤٨-٤٩} .

(٥) سورة المرسلات ، الآية {٢٧} .

(٦) أضواء البيان ٧/٧٩٢-٧٩٣ . وانظر المصدر نفسه : ٥/٧٨٤-٧٨٦ .

ورغم هذا الامتحان من الله لخلقه ، ولطفه بهم ؛ حيث انزل الماء بقدر ، واسكنه الأرض ، وهو قادر سبحانه على الذهاب به ، رغم هذا نجد من يكفر بتلك النعمة ويجحدها ، وينسب إنزال المطر لغير الله إفتراء وبهتانا عليه :

يقول الشيخ رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى : "وانزلنا من السماء ماء طهورا * لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه ممّا خلقنا انعاما واناسي كثيرا * ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فابى اكثر الناس إلا كفورا"(١) - مبيّنا حال تلك الفئة ، ورادا عليها ، ومفندا لأقوالها الرديئة : ((ولاشك" ان" من جملة من ابى منهم إلا كفورا الذين يزعمون ان" المطر لم ينزله منزل هو فاعل مختار ، وإنما نزل بطبيعته ؛ فالمنزل له عندهم : هو الطبيعة . وان" طبيعة الماء المتبخر : إذا تكاثرت عليه درجات الحرارة من الشمس أو الاحتكاك بالريح ، وان" ذلك البخار يرتفع بطبيعته ، ثم يجتمع ، ثم يتقاطر ، وان" تقاطره ذلك امر طبيعي لافاعل له ، وانه هو المطر . فينكرون نعمة الله في إنزال المطر ، وينكرون دلالة إنزاله على قدرة منزله ، ووجوب الإيمان به ، واستحقاقه وحده للعبادة . فمثل هؤلاء داخلون في قوله : "فابى اكثر الناس إلا

---

(١) سورة الفرقان ، الآيات {٤٨-٥٠} .

كفورا "(١) ، بعد قوله : "ولقد صرفناه بينهم ليذكروا "(١) .
وقد صرح في قوله : "ولقد صرفناه " أنه تعالى هو مصرف الماء ومنزله حيث شاء وكيف شاء . ومن قبيل هذا المعنى : ما ثبت في صحيح مسلم من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : "هل تدرون ماذا قال ربكم ؟" . قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : "قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر : فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ؛ فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ؛ فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب"(٢) . هذا لفظ مسلم رحمه الله في صحيحه ، ولاشك أن من قال : مطرنا ببخار كذا ؛ مسندا ذلك للطبيعة ، أنه كافر بالله مؤمن بالطبيعة والبخار . .
. . ولاشك أن خالق السموات والأرض جل وعلا هو منزل المطر على القدر الذي يشاء كيف يشاء سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا))(٣) .

وهكذا يرد الشيخ رحمه الله على هؤلاء الملاحدة الذين جحدوا

---

(١) سورة الفرقان ، الآية {٥٠} .
(٢) صحيح مسلم ١/٨٣-٨٤ .
(٣) أضواء البيان ٥/٧٨٦ . وانظر المصدر نفسه ٥/٧٨٤ .

وجود الربّ سبحانه وتعالى ، وعطلوه عن ربوبيته والوهيته ، وهم يتقلبون في نعمته ، ويأكلون ويشربون من فضله ، ويرون هذا البرهان العظيم فلا يؤمنون .

ويؤكد رحمه الله أنّ الله هو المتفرد بالخلق والإيجاد ، المنعم على الناس بفضله وقدرته ؛ فالواجب عليهم أن يعبدوه وحده ولايشركوا معه غيره ، فسبحانه من إله عظيم امتنّ على عباده بجميع الخيرات .

وقد أشار الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله إلى هذا الدليل الذي ذكره الشيخ الأمين ، وجعله دليلا على إفراد الله بالعبادة ؛ يقول السعدي رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إنّ في ذلك لآية لقوم يسمعون"(١) : ((يذكر الله تعالى في هذه الآية نعمة من أعظم النعم ، ليعقلوا عن الله مواعظه وتذكيره ، فيستدلوا بذلك على أنه وحده المعبود الذي لاتنبغي العبادة إلا له وحده))(٢) .

وبهذا يتبيّن أنّ إنزال الله تعالى للمطر بكمية مقدرة ، فيها مصلحة شاملة لكلّ ما هو حيّ دليل على الوهيته وعظمته ؛ فإن القدرة على إنزال الماء من أقوى الأدلة على أنه لامعبود سواه .

---

(١) سورة النحل ، الآية {٦٥} .
(٢) تيسير الكريم الرحمن ٢١٦/٤ .

رابعـــا : إحيـــاء الأرض :

مـن الـبراهين الكونيـة الدالـة عـلى استحقاق الله للعبادة وحـده : إحيـاء الأرض ، وإنبـات النبـات الـذي امتنّ الله به على عباده .

وقـد اوضـح الشـيخ رحمـه اللـه هـذا البرهان باسلوب السؤال والجـواب ; حـيث قـال رحمه الله : ((وإيضاح هذا البرهان باختصار انّ قولـه تعـالى : "فلينظـر الإنسـان إلى طعامه"(١) امر من الله تعالى لكلّ إنسان مكلـف ان ينظر ويتامل في طعامه ; كالخبز الذي ياكلـه ، ويعيش به من خلق الماء الذي كان سببا لنباته : هل يقدر احـد غير اللـه ان يخلقه ؟ الجواب : لا . ثمّ هب أنّ الماء قد خلق بالفعل ، هل يقدر احد غير الله ان ينزله إلى الأرض على هذا الوجه الـذي يحـمل به النفع من غير ضرر ، بإنزاله على الأرض رشا صغيرا حتى تروى به الأرض تدريجا من غير ان يحمل به هدم ولاغرق ; كما قال تعـالى : "فـترى الـودق يخرج من خلاله"(٢) ؟ الجواب : لا . ثمّ هب انّ المـاء قـد خلق فعلا ، وانـزل في الارض على ذلك الوجه الأتمّ الاكمـل ، هل يقدر احد غير الله ان يشـقّ الأرض ويخرج منها مسمار النبات(٣)؟ الجواب : لا. ثمّ هب انّ النبات خرج من الأرض ، وانشقت

---

(١) سورة عبس ، الآية {٢٤} .

(٢) سورة الروم ، الآية {٤٨} .

(٣) اي عبرق النبات .

عنه ، فهل يقدر احد غير الله ان يخرج السنبل من ذلك النبات ؟ الجواب : لا . ثمّ هب انّ السنبل خرج من النبات ، فهل يقدر احد غير الله ان ينمي حبه وينقله من طور إلى طور حتى يدرك ويكون صالحا للغذاء والقوت ؟ الجواب : لا))(١) .

وقد اوضح هذا البرهان الإمام ابن القيم رحمه الله ، وبيّن تدرج هذا النبات في الإيجاد حتى يكون صالحا مثمرا دالا على خالقه وموجده من العدم ; يقول رحمه الله : ((إذا تاملت إخراج ذلك النور البهي من نفس ذلك الحطب ، ثمّ النبات الأخضر ، ثمّ إخراج تلك الثمار على اختلاف انواعها ، واشكالها ، ومقاديرها ، والوانها ، وصورها ، وروائحها ، ومنافعها ، وما يراد منها . ثمّ تامل اين كانت مستودعة في تلك الخشبة وهاتيك العيدان ، وجعلت الشجرة لها كالامّ ، فهل كان في قدرة الأب العاجز الضعيف إبراز هذا التصوير العجيب ، وهذا التقدير الحكيم ، وهذه الأصباغ الفائقة ، وهذه الطعوم اللذيذة ، والروائح الطيبة ، وهذه المناظر العجيبة ؟ . فهل الجاحد من تولى تقدير ذلك وتصويره ، وإبرازه ، وترتيبه شيئا فشيئا ، وسوق الغذاء إليه في تلك العروق اللطاف التي يكاد البصر يعجز عن إدراكها ، وتلك

---

(١) اضواء البيان ٧/٣٣٢-٣٣٣ . وانظر المصدر نفسه ٧/٧٩٠-٧٩١ .

المجاري الدقاق ؟ فمن تولى ذلك كله ، ومن الذي اطلع لها الشمس ، وسخر لها الرياح ، وانزل عليها المطر ، ودفع عنها الآفات ... إلخ))(١) .

فإيضاح الشيخ الأمين رحمه الله لهذا البرهان الدالّ على انّ الخالق متصف بصفات الكمال ، متفرد بالخلق والإيجاد والعبادة : يرشد كلّ ذي عقل ولبّ إلى صرف جميع أنواع العبادات لله وحده جلّ وعلا ، ويبعده عن عبادة ما سواه بأي نوع من أنواع العبادة ، فلا شك أنّ الخالق اللطيف الخبير الموجد من العدم هو الإله المعبود بحقّ وحده جلّ وعلا .

وهذا الإيضاح من الشيخ رحمه الله يدلّ على المكانة العظيمة لهذا الدليل الذي يلقم كلّ جاحد ومكابر ومشرك الحجة ، ويجعل الوهية الخالق ووحدانيته من الأمور البديهية التي لايعرض عنها من رزقه الله عقلا مستقيما ، وفطرة سليمة .

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢٨١/١ .

خامسا : اختلاف الليل والنهار :

الليل والنهار من الآيات العظيمة الدالة على عظمة الخالق وكمال قدرته ، وانه المنعم على عباده بهذه النعم الجزيلة التي توجب عليهم ان يقابلوها بالشكر والثناء والانقياد لهذا الإله العظيم .

يقول الشيخ رحمه الله مبينا هذا الجانب : ((والآيات الدالة على اختلاف الليل والنهار - من اعظم الآيات الدالة على عظمة الله واستحقاقه للعبادة وحده - كثيرة جدا ، كقوله تعالى : "ومن آياته الليل والنهار" الآية (١) ، وقوله : "وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون"(٢) ، وقوله : "يغشي الليل النهار" الآية (٣) ، وقوله تعالى : "ولا الليل سابق النهار"(٤) ، وقوله تعالى : "وسخر لكم الليل والنهار" الآية (٥) ، وقوله تعالى : "إن" في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون"(٦) . والآيات بمثل هذا كثيرة جدا . وقوله

---

(١) سورة فصلت ، الآية {٣٧} .

(٢) سورة يس ، الآية {٣٧} .

(٣) سورة الاعراف ، الآية {٥٤} .

(٤) سورة يس ، الآية {٤٠} .

(٥) سورة النحل ، الآية {١٢} .

(٦) سورة يونس ، الآية {٦} .

تعالى : "أفلا تعقلون"(١) : أي تدركون بعقولكم أن" الذي ينشئ السمع والأبصار والأفئدة ، ويذرؤكم في الأرض وإليه تحشرون ، وهو الذي يحيي ويميت ، ويخالف بين الليل والنهار : أنه الإله الحق" المعبود وحده جل" وعلا ، الذي لايصح" أن يسوى به غيره سبحانه وتعالى علوا كبيرا))(٢) .

واختلاف الليل والنهار من أعظم النعم التي امتن" الله بها على عباده ، فلو كان الليل سرمدا لتعطلت الحياة ، وأصبح الإنسان في خمول وكسل . وكذلك النهار لو جعله الله سبحانه مستمرا لكان الناس في تعب وإرهاق . لكنه العليم الخبير جعلهما يلفتان هذه الأرض ، لايتأخران عن وقتهما ; فهما آيتان من آيات الله الباهرة التي يراها العباد في اليوم مرتين تنبئ عن وحدانية الخالق وعظمته ، وكمال قدرته ، واستحقاقه للعبادة وحده لا شريك له .

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية {٨٠} .

(٢) أضواء البيان ٨١٠/٥-٨١١ . وانظر المصدر نفسه ٧٣٨/٥-٧٣٩ .

سادسا : اختلاف ألوان المخلوقات :

إنّ ما نراه حولنا في هذا الكون من مخلوقات ذات ألوان مختلفة دليل على حكمة الخالق ، وعظمته جلّ وعلا ، وسعة علمه .

وتنوع ألوان هذه المخلوقات برهان قاطع ، ودليل قويّ على كمال الخالق ، واستحقاقه للعبادة وحده ، ودليل على سفه من ادعى أنّ هناك خالقا غير الله يعبد من دون الله ، أو مع الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

ولاشك أنّ من صرف شيئا من خصوصيات الله لغير الله فقد جاء بغاية الكفر والضلال .

يقول الشيخ الأمين رحمه الله موضحا هذا الجانب : ((إنّ اختلاف ألوان الآدميين ، واختلاف ألوان الجبال ، والثمار ، والدوابّ ، والأنعام ؛ كلّ ذلك من آياته الدالة على كمال قدرته ، واستحقاقه للعبادة وحده ؛ قال تعالى : "ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدوابّ والأنعام مختلف ألوانه كذلك"(١) . واختلاف الألوان المذكورة من

---

(١) سورة فاطر ، الآيتان {٢٧-٢٨} .

غـرائب صنعـه تعـالى وعجائبه ، ومن البراهين القاطعة على انه هو المؤثـر جـل" وعـلا ، وان" إسـنـاد الـتاثير للطبيعة من اعظم الكفر والضلال . وقـد اوضـح تعـالى إبطال تاثير الطبيعة غاية الإيضاح ، بقولـه فـي سـورة الرعـد : "وفـي الارض قطع متجاورات" إلى قوله : "لقوم يعقلون"(١) ..))(٢) .

ويوضـح رحمه الله هذا الدليل في موضع آخر مؤكدا على اهميته ودلالته على وحدانية الخالق العظيم ، وعلى تفرده بالالوهية ، وانه لاشـريك لـه في عبادته ، وانه هو الخالق لكل" شـيء ، ولايقع شـيء إلا بمشـيئته وإرادته ، فليس لشـيء من مخلوقاته تاثير إلا بامره وتدبيره ؛ فيقول رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "وما ذرا لكم فـي الارض مختلفـا الوانـه إن" فـي ذلـك لآيـة لقوم يذكرون"(٣) : ((واشـار فـي هـذه الآية الكريمة إلى ان" اختلاف الوان ما خلق في الارض من الناس والدواب" وغيرهما من اعظم الادلة على انه خالق كل" شـيء ، وانه الرب" وحده ، المستحق ان يعبد وحده . واوضح هذا في آيـات اخـر ؛ كقولـه فـي سـورة فاطر : "الم تر ان" الله انزل من السـماء مـاء فاخرجنـا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد

---

(١) سورة الرعد ، الآية {٤} .

(٢) اضواء البيان ٤٨٦/٦ .

(٣) سورة النحل ، الآية {١٣} .

بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك"(١) ، وقوله : "ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم"(٢) . ولاشك أن اختلاف الألوان والمناظر والمقادير والهيئات وغير ذلك فيه الدلالة القاطعة على أن الله جل وعلا واحد ، لاشبيه له ، ولانظير له ، ولاشريك له ، وأنه المعبود وحده . وفيه الدلالة القاطعة على أن كل تأثير فهو بقدرة وإرادة الفاعل المختار ، وأن الطبيعة لاتؤثر في شيء إلا بمشيئته جل وعلا . كما أوضح ذلك في قوله : "وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون"(٣) ؛ فالأرض التي تنبت فيها الثمار واحدة ؛ لأن قطعها متجاورة ، والماء الذي تسقى به ماء واحد ، والثمار تخرج متفاضلة ، مختلفة في الألوان ، والأشكال ، والطعوم ، والمقادير ، والمنافع . فهذا أعظم برهان قاطع على وجود فاعل مختار ، يفعل ما يشاء كيف يشاء ، سبحانه جل وعلا عن الشركاء والأنداد .

---

(١) سورة فاطر ، الآية {٢٧} .

(٢) سورة الروم ، الآية {٢٢} .

(٣) سورة الرعد ، الآية {٤} .

ومن أوضح الأدلة على أنّ الطبيعة لاتؤثر في شيء إلا بمشيئته جلّ وعلا : أنّ النار مع شدة طبيعة الإحراق فيها التي فيها الحطب وإبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام . ولاشك أنّ الحطب أصلب ، وأقسى ، وأقوى من جلد إبراهيم ولحمه ؛ فأحرقت الحطب بحرها ، وكانت على إبراهيم بردا وسلاما لما قال لها خالقها : "يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم"(١) ، فسبحان من لايقع شيء كائنا ما كان إلا بمشيئته جلّ وعلا فعّال لما يريد))(٢) .

فالشيخ رحمه الله استدلّ بهذه الألوان العجيبة والجميلة على حكمة الله وقدرته ، وأنه الخالق المبدع ؛ صور تلك الأشياء فأحسن خلقها وتصويرها ، فلا تتشابه المخلوقات بأشكالها ولابألوانها ، فلا ربّ سواه ، ولاإله غيره ، ولاشريك معه من خلقه .

ثمّ يستنتج رحمه الله من هذا الدليل أيضا أنّ لله المشيئة المطلقة ؛ فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن . وأنّ من أسند شيئا من أمور الخلق إلى غير الله فقد افترى على الله الكذب ، وأتى بغاية الكفر والضلال ؛ لأنه جلّ وعلا المتفرد بالخلق والأمر ، والمستحقّ للعبادة وحده سبحانه وتعالى .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية {٦٩} .

(٢) أضواء البيان ٣/٢٢٧-٢٢٨ .

سابعا : جريان السفن :

من آيات الله الباهرة الدالة على عظمته وقدرته وأنه المعبود وحده : جريان السفن على ظهر البحر ، وتسخيرها للناس ; فتعبر بهم المحيطات ، وتنقل أثقالهم إلى بلاد بعيدة بيسر وسهولة وأمان ، محفوظة - بحفظ الله سبحانه - من الأخطار .

وهذه الآية الكونية برهان عظيم على أن الخالق الحافظ القادر هو الله سبحانه وتعالى ، وهو المستحق لأن يعبد وحده ، ولايشرك معه شيء من مخلوقاته .

وقد أوضح الشيخ الأمين رحمه الله هذا البرهان عند تفسيره لقوله تعالى : "ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام"(١) ; فقال : ((أي من علاماته الدالة على قدرته واستحقاقه للعبادة وحده : الجواري ; وهي السفن ، واحدتها جارية ، ومنه قوله تعالى : "إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية"(٢) ; يعني سفينة نوح ، وسميت جارية : لأنها تجري في البحر . . . . وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن جريان السفن في البحر من آياته تعالى الدالة على كمال قدرته ، جاء موضحا في غير هذا الموضع ; كقوله تعالى : "وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون * وخلقنا لهم من

---

(١) سورة الشورى ، الآية {٣٢} .

(٢) سورة الحاقة ، الآية {١١} .

مثله ما يركبون * وإن نشا نغرقهم فلا صريخ لهم ولاهم ينقذون * إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين"(١) ، وقوله تعالى : "فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين"(٢) ، وقوله تعالى : "إنّ في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس" إلى قوله : "لآيات لقوم يعقلون"(٣) ، وقوله تعالى في سورة النحل : "وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله" الآية (٤) ، وقوله في فاطر : "وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله" الآية (٥) . والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة))(٦) .

فالشيخ الأمين رحمه الله يستدل ّ على استحقاق الله للعبادة بجريان السفن التي تحمل الاثقال - في خضم البحر المتلاطم الامواج - بيسر وسهولة ، مكلوءة بحفظ الله سبحانه وتعالى . ولاريب انّ هذه الآية الكونية من آثار رحمة الله ، ودلائل قدرته ووحدانيته والوهيته ، وهي واضحة للعيان ، ولكلّ طالب للحق ّ .

---

(١) سورة يس ، الآيات {٤١-٤٤} .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية {١٥} .

(٣) سورة البقرة ، الآية {١٦٤} .

(٤) سورة النحل ، الآية {١٤} .

(٥) سورة فاطر ، الآية {١٢} .

(٦) اضواء البيان ١٩٤/٧ .

المطلب الثالث

ادلة بطلان إلهية ما سوى الله

بعد أن ذكر الشيخ الأمين رحمه الله تعالى البراهين العظيمة الدالة على أنّ المعبود بحق هو الله سبحانه وتعالى المتصف بصفات الجلال والكمال . أكد أنّ هناك براهين قطعية دلت على أنّ الآلهة المعبودة من دون الله باطلة ، وعبادتها لايرضى بها صاحب العقل السليم ؛ إذ أنها متصفة بصفات النقص الدالة على العجز ، والتي ينزه المعبود بحق عن الاتصاف بها .

يقول رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "واتخذوا من دونه آلهة لايخلقون شيئا وهم يخلقون ، ولايملكون لأنفسهم ضرا ولانفعا ولايملكون موتا ولاحياة ولانشورا"(١) : ((ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنّ الآلهة التي يعبدها المشركون من دونه متصفة بستة أشياء ، وكلّ واحد منها برهان قاطع أنّ عبادتها مع الله لاوجه لها بحال ، بل هي ظلم متناه ، وجهل عظيم ، وشرك يخلد به صاحبه في نار جهنم . وهذا بعد أن أثنى الله على نفسه جلّ وعلا بالأمور الخمسة المذكورة في الآية التي قبلها ، التي هي براهين قاطعة على أنّ المتصف بها هو المعبود وحده .

---

(١) سورة الفرقان ، الآية {٣} .

والأمور الستة التي هي من صفات المعبودات من دون الله :

الأول منها : انها لاتخلق شيئا ؛ أي لاتقدر على خلق شيء .

والثاني : انها مخلوقة كلها ؛ أي خلقها خالق كل شيء .

والثالث : انها لاتملك لأنفسها ضرا ولانفعا .

والرابع والخامس والسادس : انها لاتملك موتا ، ولاحياة ، ولانشورا ؛ أي بعثا بعد الموت . وهذه الأمور الستة المذكورة في هذه الآية الكريمة جاءت مبيّنة في مواضع اخر من كتاب الله تعالى))(١) .

ثمّ ذكر رحمه الله الآيات الدالة على هذا المعنى :

فاستدلّ للأمر الأول ؛ وهو كون الآلهة المعبودة من دون الله لاتخلق شيئا ، بقوله تعالى : "إنّ الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له" الآية (٢) ، وبقوله تعالى : "ما اشهدتهم خلق السموات والأرض ولاخلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا"(٣) .

وقد بيّن تعالى في آيات من كتابه الفرق بين من يخلق ومن لايخلق ؛ لأنّ من يخلق هو المعبود ، ومن لايخلق لاتصحّ عبادته :

---

(١) أضواء البيان ٢٦٩/٦ .

(٢) سورة الحج ، الآية {٧٣} .

(٣) سورة الكهف ، الآية {٥١} .

كقوله تعالى : "يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم" الآية (١)؛ اي : واما من لم يخلقكم فليس برب" ، ولابمعبود لكم كما لايخفى . وقوله تعالى : "افمن يخلق كمن لايخلق افلا تذكرون"(٢) ، وقوله تعالى : "ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل" شيء وهو الواحد القهار"(٣) ؛ اي ومن كان كذلك فهو المعبود وحده جل" وعلا . وقوله تعالى : "ايشركون ما لايخلق شيئا وهم يخلقون"(٤) .

واستدل" للامر الثاني ؛ وهو كون الآلهة المعبودة من دون الله مخلوقة بقوله تعالى : "والذين يدعون من دون الله لايخلقون شيئا وهم يخلقون"(٥) ، وبقوله تعالى : "ايشركون ما لايخلق شيئا وهم يخلقون"(٦) .

واستدل" للامر الثالث ؛ وهو كونهم لايملكون لانفسهم نفعا ولاضرا بقوله تعالى : "ايشركون ما لايخلق شيئا وهم يخلقون

---

(١) سورة البقرة ، الآية {٢١} .
(٢) سورة النحل ، الآية {١٧} .
(٣) سورة الرعد ، الآية {١٦} .
(٤) سورة الاعراف ، الآية {١٩١} .
(٥) سورة النحل ، الآية {٢٠} .
(٦) سورة الاعراف ، الآية {١٩١} .

ولايستطيعون لهم نصرا ولاانفسهم ينصرون"(١) - ومن لاينصر نفسه فهو لايملك لها ضرا ولانفعا - ، وبقوله تعالى : "والذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم ولاانفسهم ينصرون"(٢) .

واستدل‌ للامر الرابع والخامس والسادس ؛ وهي كونهم لايملكون موتا ولاحياة ولانشورا بقوله تعالى : "الله الذي خلقكم ثم‌ رزقكم ثم‌ يميتكم ، ثم‌ يحييكم ، هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون"(٣) ؛ فقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : "هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون" يدل‌ دلالة واضحة على ان‌ شركاءهم ليس واحد منهم يقدر ان يفعل شيئا من ذلك المذكور في الآية ؛ ومنه الحياة المعبر عنها ب"خلقكم" ، والموت المعبر عنه بقوله : "ثم يميتكم"، والنشور المعبر عنه بقوله : "ثم يحييكم" .

وبيّن انهم لايملكون حياة ولانشورا في قوله : "قل هل من شركائكم من يبدا الخلق ثم‌ يعيده ، قل الله يبدا الخلق ثم‌ يعيده" الآية (٤) .

وبيّن انه وحده الذي بيده الموت والحياة في آيات كثيرة ؛

---

(١) سورة الاعراف ، الآيتان {١٩١-١٩٢} .
(٢) سورة الاعراف ، الآية {١٩٧} .
(٣) سورة الروم ، الآية {٤٠} .
(٤) سورة يونس ، الآية {٣٤} .

كقوله تعالى : "وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا"(١) ، وقوله تعالى : "ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها" الآية (٢) . . . إلى آخر ما أورده الشيخ رحمه الله من أدلة في هذا الباب(٣) .

فالشيخ رحمه الله يهتم" بإبراز براهين التوحيد ، ويعرضها بأسلوبه ، وعلى طريقته في تفسير القرآن بالقرآن ، مؤكدا دلالتها على أن" الله تعالى هو المعبود بحق" وحده لاشريك له ، وأن" عبادة من دونه من أظلم الظلم ، ومن الشرك الأكبر الذي يخلد صاحبه في النار - عياذا بالله تعالى - .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية {١٤٥} .

(٢) سورة المنافقون ، الآية {١١} .

(٣) انظر أضواء البيان ٢٦٩/٦-٢٧١ . وانظر أيضا : المصدر نفسه ٣١/٤ ، ٣٢ ،، ٨٣٣/٥ .

وقد أشار الرازي إلى هذه البراهين في تفسيره (التفسير الكبير ٤٨/٢٤) .

المبحث الثالث

انواع العبادة

تمهيد :

العبادة منهج عملي شامل ، وفق الادلة الشرعية الثابتة .

عرفها الشيخ الأمين رحمه الله بقوله : ((العبادة لغة : الذلّ والخضوع ؛ فكلّ مذلل : معبّد . ومنه قيل للرقيق : عبد .

وقال الشاعر :

تباري عتاقا جاريات واتبعت   وظيفا وظيفا فوق مور معبّد (١)

وفي الاصطلاح : التقرب إلى الله جلّ وعلا بامتثال ما شرع وأمر به ، واجتناب ما نهى عنه ، على وجه الخضوع والذلّ والمحبة))(٢) .

اما عن كمال العبودية ، فقد ذكر رحمه الله لها شرطين ، لابد من اجتماعهما بها ؛ وهما غاية الحبّ ، وغاية الخضوع والذلّ .

يقول رحمه الله عند تفسير قوله سبحانه وتعالى حكاية عن هود : "قال يا قوم اعبدوا الله "(٣) : ((فكلّ التكليفات والحقوق مندرجة تحت هذه الكلمة ، ولهذا قال نبيّ الله هود : "اعبدوا الله " ؛ اي

---

(١) من معلقة طرفة بن العبد . (انظر: شرح المعلقات العشر ص ٤٣).

(٢) معارج الصعود ص ٤٠ ، ٤١ .

(٣) سورة هود ، الآية {٥٠} .

تقربوا إليه وحده بما أمركم بالتقرب به إليه من العبادات على وجه الخضوع والذل والمحبة ، فلا تكفي المحبة دون الخضوع والذل ؛ لأنه قد يكون خاضعا لمن يبغضه ، تحت قهره وسلطانه . وباجتماع ذلك يحصل كمال العبودية لله))(١) .

والعبادة تكون بالقلب واللسان والجوارح ، وكل واحد من هذه الأقسام تندرج تحته أنواع كثيرة . فهي باب واسع دعا الله عباده إلى ولوجه ، والسير فيه لنيل مرضاته ؛ قال تعالى : "وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله "(٢) .

وفي هذا المبحث سأذكر بعض ما تطرق إليه الشيخ رحمه الله من أنواع العبادة أثناء تفسيره لكتاب الله العزيز .

---

(١) معارج الصعود ص ١٣٦ .
ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كلام حول هذا المعنى في رسالة العبودية .
(انظر : العبودية ص ١٢٧) .
(٢) سورة الأنعام ، الآية {١٥٣} .

المطلب الأول

الدعاء

وهو افتقار ، وتذلل ، وطلب ممن يملك النفع والضر في جلب خير ، او دفع شر .

وهو من اعظم انواع العبادة ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الدعاء هو العبادة ، وقرا : ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم - إلى قوله - داخرين﴾(١)"(٢) .

وفيه مسائل :

المسألة الأولى : نوعا الدعاء :

الدعاء ينقسم إلى نوعين :

- دعاء مسئلة : وهو سؤال الله باسمائه الحسنى .

- دعاء عبادة : وهو التعبد لله بمقتضى هذه الأسماء .

والنوعان متلازمان(٣) .

وقد اشار الشيخ الامين رحمه الله إلى هذين النوعين ، وبيّن انه لااختلاف بينهما ؛ لأنّ من دعا الله فقد تحققت منه العبودية .

---

(١) سورة غافر ، الآية {٦٠} .

(٢) سنن الترمذي ٢١١/٥ ، وقال : "هذا حديث حسن صحيح" .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ١٠/١٥-١١ . واقتضاء الصراط المستقيم ٧٧٨/٢ . وبدائع الفوائد ١٦٤/١ .. ٣/٢-٣ .

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "وقال ربكم ادعوني استجب لكم إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين"(١) : ((قال بعض العلماء : "ادعوني استجب لكم" : اعبدوني اثيبكم عن عبادتكم . ويدلّ لهذا قوله بعده : "إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين" . وقال بعض العلماء : "ادعوني استجب لكم" : اي اسألوني اعطكم . ولامنافاة بين القولين ؛ لانّ دعاء الله من انواع عبادته))(٢) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله موضحا هذا المعنى : ((إنّ المعبود لابدّ ان يكون مالكا للنفع والضرّ ، فهو يدعى للنفع والضر دعاء مسألة ، ويدعى خوفا ورجاء دعاء العبادة ، فعلم انّ النوعين متلازمان ، فكلّ دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة ، وكلّ دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة . وعلى هذا فقوله : "وإذا سألك عبادي عني فإني قريب اجيب دعوة الداع إذا دعان"(٣) يتناول نوعي الدعاء ، وبكلّ منها فسّرت الآية ؛ قيل : اعطيه إذا سألني ، وقيل : اثيبه إذا عبدني . والقولان متلازمان ، وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنييه كليهما ، او

---

(١) سورة غافر ، الآية {٦٠} .
(٢) اضواء البيان ٩٦/٧ . وانظر ايضا المصدر نفسه ١٨٣/١ .
(٣) سورة البقرة ، الآية {١٨٦} .

استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه ، بل هذا استعماله في حقيقته المتضمنة للأمرين جميعا))(١) .

وهذا ما بينه الشيخ الأمين رحمه الله وأوضحه : أنّ من دعا الله دعاء المسألة فقد اعترف أنه المعبود النافع الضارّ وحده .

المسألة الثانية : إخفاء الدعاء :

أوضح الشيخ رحمه الله أنّ إخفاء الدعاء أعظم من الجهر به ورفع الصوت ، فقال رحمه الله في تفسير قوله تعالى : "إذ نادى ربه نداء خفيا"(٢) : ((أي دعاه في سر وخفية . وثناؤه جلّ وعلا عليه بكون دعائه خفيا يدلّ على أنّ إخفاء الدعاء أفضل من إظهاره وإعلانه . وهذا المعنى المفهوم من هذه الآية جاء مصرحا به في قوله تعالى : "قل من ينجيكم من ظلمات البرّ والبحر تدعونه تضرعا وخفية" الآية (٣) ، وقوله تعالى : "ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لايحبّ المعتدين"(٤) . وإنما كان الإخفاء أفضل من الإظهار لأنه

---

(١) الفتاوى ١٥/١٠-١١ .

وانظر : اقتضاء الصراط المستقيم ٧٧٨/٢-٧٧٩ . وبدائع الفوائد ٢/٣-٣ . وزاد المعاد ٣٣٥/١ .

(٢) سورة مريم ، الآية {٣} .

(٣) سورة الأنعام ، الآية {٦٣} .

(٤) سورة الأعراف ، الآية {٥٥} .

أقرب إلى الإخلاص ، وأبعد من الرياء))(١) .

وما ذهب إليه الشيخ الأمين رحمه الله من أن" إخفاء الدعاء أفضل من الجهر به قاله جمع غفير من العلماء(٢) .

فالشيخ الأمين رحمه الله إنما أراد بقوله :"إخفاء الدعاء أفضل من إظهاره" أن يؤكد أن" ذلك أقرب إلى الإخلاص ، وأبعد عن الرياء . وإذا كان الدعاء كذلك فهو أحرى بالإجابة .

المسألة الثالثة : النهي عن التعدي في الدعاء :

يوضح الشيخ رحمه الله أنه لاينبغي أن يطلب من الله ما ليس فيه مصلحة للسائل خوفا أن يكون مما لايرضاه الله ولايحبه ، فيقع السائل في المحظور .

يقول رحمه الله موضحا هذا المعنى عند قوله تعالى : "فلا تسألني ما ليس لك به علم"(٣) : ((أي لاتطلب مني الشيء الذي لاتعلم أن" في طلبك إياه مصلحة ; لأنك إذا سألت شيئا لاينبغي وقوعه فقد طلبت من الله أن يفعل ما لاينبغي . فكأنك هنا قلت : اللهم أنع

---

(١) أضواء البيان ٢٠٣/٤-٢٠٤ .

(٢) منهم على سبيل المثال : القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٤٣/٧ ،، ٥٢/١١ . وشيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ١٥/١٥-١٩ . وابن القيم في بدائع الفوائد ٦/٣-٩ . والألوسي في روح المعاني ٥٦/١٦ . وغيرهم .

(٣) سورة هود ، الآية {٤٦} .

كافرا من الكفار . فإذا جهلت شيئا فتوقف حتى تعلم أن" المصلحة في طلبه . ويؤخذ من هذه الآية الكريمة : أن" العبد إذا اشتبه عليه الأمر في شيء : هل في سؤاله ربه أن يقضيه مصلحة أو لا ؟ فإنه لايسأل الله ذلك خوفا من أن يكون مما يسخط الله تعالى . . . ويؤخذ من هذا أنه لو علمك إنسان دعاء أعجميا لاتعرف معناه لاينبغي أن تدعو به))(١) .

وما ذكره الشيخ رحمه الله هنا من النهي عن التعدي في الدعاء وسؤال الله ما لاينبغي سؤاله : ذكره غيره من العلماء ؛ فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ((فالاعتداء في الدعاء تارة بأن يسأل ما لايجوز له سؤاله من المعونة على المحرمات . وتارة يسأل ما لايفعله الله ؛ مثل أن يسأل تخليده إلى يوم القيامة ، أو يسأله أن يرفع عنه لوازمه البشرية من الحاجة إلى الطعام والشراب ، ويسأله بأن يطلعه على غيبه ، أو أن يجعله من المعصومين ، أو يهب له ولدا من غير زوجة ، ونحو ذلك من سؤاله اعتداء لايحبه الله ، ولايحب" سائله))(٢) .

---

(١) معارج الصعود ص ١٢٧-١٢٨ .

(٢) الفتاوى ٢٢/١٥ .

وانظر : بدائع الفوائد ١٣/٣ . وفتح القدير للشوكاني ٥٠٢/٢-٥٠٣ . وتفسير المنار ٨٥/١٢ .

المطلب الثاني

التوكل

هو الثقة بالله ، والاعتماد عليه ، والاستعانة به مع الأخذ بالأسباب .

وهو من أعظم أنواع العبادة ، ولايتم إيمان العبد إلا به ؛ قال تعالى : "فاعبده وتوكل عليه"(١) ، وقال سبحانه : "وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين"(٢) .

عرفه الشيخ الأمين رحمه الله بقوله : ((التوكل على الله : الثقة به ، وإسناد الأمور وتفويضها إليه مع تعاطي الأسباب ؛ لأن الله أمر بها . ولابد مع تعاطيها من الثقة بأنه لايقع إلا ما أراد الله تعالى))(٣) .

وهو رحمه الله حين وضح أن التوكل اعتماد على الله ، وثقة به مع تعاطي الأسباب أكد أن التوكل لايكون إلا على من يستحق العبادة ، وهو الله جل وعلا ؛ يقول رحمه الله عند تفسير سورة الفاتحة : ((وإتيانه بقوله : "وإياك نستعين" بعد قوله : "إياك نعبد" فيه إشارة إلى أنه لاينبغي أن يتوكل إلا على من يستحق

(١) سورة هود ، الآية {١٢٣} .
(٢) سورة المائدة ، الآية {٢٣} .
(٣) معارج الصعود ص ٣٠٧ .

العبادة ؛ لأنّ غيره ليس بيده الأمر . وهذا المعنى المشار إليه هنا جاء مبينا واضحا في آيات أخر ، كقوله تعالى : "فاعبده وتوكل عليه " الآية (١) ، وقوله : "فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت"(٢) ، وقوله : "ربّ المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا "(٣) ، وقوله : "قل هو الرحمن آمنّا به وعليه توكلنا "(٤) ، إلى غير ذلك من الآيات))(٥) .

ويذكر رحمه الله الأدلة على أنّ التوكل لاينافي الأخذ بالأسباب فيقول : ((ومن الأدلة على ذلك : قول الله تعالى لمريم : "وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيّا "(٦) ، مع أنه تعالى لو أراد لأسقطه لها بدون هزّ منها . ومن أوضح الأدلة على ذلك قول يعقوب ـ الذي وصفه الله بالعلم في قوله : "وإنه لذو علم لما علمناه "(٧) : "وقال يا بنيّ لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة "(٨) محافظة عليهم من العين ، ثم قال : "وما أغني

---

(١) سورة هود ، الآية {١٢٣} .
(٢) سورة التوبة ، الآية {١٢٩} .
(٣) سورة المزمل ، الآية {٩} .
(٤) سورة الملك ، الآية {٢٩} .
(٥) أضواء البيان ١/١٠٤ .
(٦) سورة مريم ، الآية {٢٥} .
(٧) سورة يوسف ، الآية {٦٨} .
(٨) سورة يوسف ، الآية {٦٧} .

عنكم مـن الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلـون"(١) ؛ فقد أخذ بالأسباب والحيطة ، وصرح بأن" الاعتماد علـى الله تعـالى وحـده ؛ فهـو متـوكل وآخـذ بالأسـباب .

ومما يـدل" أن" السبب لاينفـع إلا بإرادة الله ما قصّه الله في سـورة الأنبيـاء وغيرهـا عن إبراهيم عليه السلام ؛ فالنار طبيعتها المستمرة : الإحـراق ، ولكـن عندمـا لم يرد الله لها أن تؤثر في إبراهيم أحرقت الحطب ، وكانت عليه بردا وسلاما في آن واحد ؛ كما قال تعالى : "قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين * قلنا يـا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم"(٢) . فالمؤثر في الحقيقة هـو ربّ العـالمين ، ولو شـاء أن تتخلف مقتضيات الأسباب لتخلفت ، كمـا أنـه لـو شاء أن يجعل ما لم تجر العادة بأن يكون من الأسباب سببا لجعله كذلك))(٣) .

وهـذا الـذي بيّنـه الشيخ رحمه الله من أن" التوكل لايتم" إلا بالأسباب مـع الاعتقـاد أن" الأسـباب لاتفيـد إلا إذا أرادهـا الله سبحانه وتعـالى أشـار إليـه شيخ الإسلام ابـن تيمية رحمه الله بقوله : ((فالالتفات إلى الأسـباب شـرك في التوحيد . ومحو الأسـباب

---

(١) سورة يوسـف ، الآية {٦٧} .

(٢) سورة الأنبيـاء ، الآيتان {٦٨-٦٩} .

(٣) معارج الصعود ص ٢١٤ . وانظر المصدر نفسـه ص ١١٣ ، ٣٠٧ .

ان تكون اسبابا : نقص في العقل ، والإعراض عن الاسباب المامور بها قدح في الشرع . فعلى العبد ان يكون قلبه معتمدا على الله ، لاعلى سبب من الاسباب ، والله ييسر له من الاسباب ما يصلحه في الدنيا والآخرة ، فإن كانت الاسباب مقدورة له ، وهو مامور بها فنعلها مع التوكل على الله ؛ كما يؤدي الفرائض ، وكما يجاهد العدو ويحمل السلاح ويلبس جنة الحرب ، ولايكتفي في دفع العدو على مجرد توكله بدون ان يفعل ما امر به من الجهاد ومن ترك الاسباب المامور بها ، فهو عاجز مفرط مذموم))(١) .

واما عن ثمرات هذا التوكل ، فيذكر الشيخ الأمين رحمه الله ان" التوكل الصحيح على الله سبب للوقاية من كل" مكروه ، والحفظ من كل" شر" ؛ يقول رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "وافوض امري إلى الله إن" الله بصير بالعباد * فوقاه الله سيئات ما مكروا"(٢) : ((دليل واضح على ان" التوكل الصادق على الله ، وتفويض الامور إليه : سبب للحفظ والوقاية من كل" سوء . . . وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون التوكل على الله سببا للحفظ

---

(١) الفتاوى ٥٢٨/٨-٥٢٩ .

وانظر : مدارج السالكين ١٢٠/٢ . وشرح الطحاوية لابن ابي العز" الحنفي ص ٥٢٠ .

(٢) سورة غافر ، الآيتان {٤٤-٤٥} .

والوقاية من السوء جاء مبينا في آيات اخر ، كقوله تعالى : "ومن يتوكل على الله فهو حسبه"(١) ، وقوله تعالى : "الذين قال لهم الناس إن" الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل * فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء"(٢) ..))(٣) .

---

(١) سورة الطلاق ، الآية {٣} .

(٢) سورة آل عمران ، الآية {١٧٣} ح ٧ \

(٣) اضواء البيان ٨٩/٧ .

المطلب الثالث

الـــولاء والبـــراء

الـــولاء والـــبراء نوع مـــن انواع العبادة ، وهمـــا بمعنى الحبّ والبغض .

والـــولاء الـــذي هـــو الحـــب والنصـــر يكـــون لله ولرسوله ولدينه ولعباد الله الصالحين .

والـــبراء الـــذي هـــو البغض يكون لكلّ عدو لله ولرسوله ولعباد الله الصالحين .

ولايتـــمّ إيمـــان العبد إلا بالولاء والبراء ؛ قال تعالى : "فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى"(١) .

وقـــد بيّـــن الشيخ رحمه الله هذا الموضوع اتمّ بيان ، واوضح انّ مـــن تولى الكفار واحبهم فهو منهم ، قد انسلخ من إيمانه ، إلا ان يكـــون ذلـــك بسبب الخـــوف مـــن سطوتهم وبطشهم ، فله الرخصة في مداراتهم في الظاهر دون الباطن .

يقـــول رحمـــه الله مبينا هذا المعنى عند تفسير قوله تعالى : "ومـــن يتـــولهم منكـــم فإنه منهم"(٢) : ((ذكر في هذه الآية الكريمة

---

(١) سورة البقرة ، الآية {٢٥٦} .

(٢) سورة المائدة ، الآية {٥١} .

ان" من تولى اليهود والنصارى من المسلمين فإنه يكون منهم بتوليه إياهم . وبيّن في موضع آخر ان" توليهم موجب لسخط الله ، والخلود في عذابه ، وان" متوليهم لو كان مؤمنا ما تولاهم ، وهو قوله تعالى : "ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون * ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي" وما انزل إليه ما اتخذوهم اولياء ولكن" كثيرا منهم فاسقون"(١) . ونهى في موضع آخر عن توليهم مبينا سبب التنفير منه ، وهو قوله تعالى : "يا ايها الذين آمنوا لاتتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور"(٢) . وبيّن في موضع آخر ان" محل" ذلك فيما إذا لم تكن الموالاة بسبب خوف وتقية ، وإن كانت بسبب ذلك فصاحبها معذور ، وهو قوله تعالى : "لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا ان تتقوا منهم تقاة"(٣) ; فهذه الآية الكريمة فيها بيان لكل" الآيات القاضية بمنع موالاة الكفار مطلقا ، وإيضاح الكلام : لأن" محل ذلك في حالة الاختيار ، واما عند الخوف والتقية فيرخص في

---

(١) سورة المائدة ، الآيتان {٨٠-٨١} .

(٢) سورة الممتحنة ، الآية {١٣} .

(٣) سورة آل عمران ، الآية {٢٨} .

موالاتهم بقدر المداراة التي يتقى بها شرهم . ويشترط في ذلك سلامة الباطن من تلك الموالاة :

ومن يأت الأمور على اضطرار فليس كمثل آتيها اختيارا

ويفهم من ظواهر هذه الآيات أن" من تولى الكفار عمدا اختيارا رغبة فيهم أنه كافر مثلهم))(١) .

وهذا الذي ذكره الشيخ رحمه الله أورد نحوه الإمام ابن جرير الطبري(٢) رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى : "لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين .."(٣) ، فقال : ((لاتتخذوا أيها المؤمنون الكفارَ ظهرا وأنصارا توالونهم على دينهم ، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين ، وتدلونهم على عوراتهم ؛ فإنه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء ؛ يعني بذلك : فقد برئ من الله ، وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ، ودخوله في

---

(١) أضواء البيان ٢/١١٠-١١١ .
وانظر تفصيل ذلك أيضا في : المصدر نفسه ٢/٤٣١ ، ٤٨٤ ، ٧/٢٢٩ ، ٨٢٤ . ومعارج الصعود ص ١٤٤ .

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري . صاحب التفسير والتاريخ وتهذيب الآثار . إمام ثقة حافظ . ولد سنة (٢٤٠ هـ) ، وتوفي في بغداد سنة (٣١٠ هـ) .
(انظر : البداية والنهاية ١١/١٥٦ . وسير أعلام النبلاء ١٤/٢٦٧) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية {٢٨} .

الكفر ، إلا ان تتقوا منهم تقاة ، إلا ان تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على انفسكم فتظهروا لهم الولاية بالسنتكم ، وتضمروا لهم العداوة . ولاتشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ، ولاتعينوهم على مسلم بفعل))(١) .

والشيخ الأمين رحمه الله حين وضح انه لاموالاة مع الكفار إلا في الظاهر في حال الخوف والتقية اكد رحمه الله على الموالاة بين المؤمنين بعضهم مع بعض ، لوحدة رابطة "لاإله إلا الله" التي تجمعهم ؛ يقول رحمه الله موضحا هذا المعنى : ((إن الرابطة التي يجب ان يعتقد انها هي التي تربط بين افراد المجتمع وأن ينادى بالارتباط بها دون غيرها إنما هي دين الإسلام ؛ لأنه هو الذي يربط بين افراد المجتمع حتى يصير بقوة تلك الرابطة جميع المجتمع الإسلامي كأنه جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى . فربط الإسلام لك باخيك كربط يدك بمعصمك ، ورجلك بساقك))(٢) .

وقال رحمه الله ايضا في موضع آخر : ((واعلم انه لاخلاف بين العلماء . . . في منع النداء برابطة غير الإسلام ؛ كالقوميات ،

---

(١) تفسير الطبري ٢٢٨/٣ .

(٢) اضواء البيان ٤٤١/٣ .

والعصبيات النسبية ، ولاسيما إذا كان النداء بالقومية يقصد من ورائه القضاء على رابطة الإسلام وإزالتها بالكلية ; فإن النداء بها حينئذ معناه الحقيقي : انه نداء إلى التخلي عن دين الإسلام ، ورفض الرابطة السماوية رفضا باتا ، على ان يعتاض عن ذلك بروابط عصبية قومية ، مدارها على ان هذا من العرب ، وهذا منهم ايضا مثلا . فالعروبة لايمكن ان تكون خلفا من الإسلام ، واستبدالها به صفقة خاسرة))(١) .

وقال رحمه الله ايضا : ((وبالجملة فلا خلاف بين المسلمين ان الرابطة التي تربط افراد اهل الارض بعضهم ببعض ، وتربط بين اهل الارض والسماء هي رابطة "لاإله إلا الله" ، فلا يجوز النداء البتة برابطة غيرها ، ومن والى الكفار بالروابط النسبية محبة لهم ، ورغبة فيهم يدخل في قوله تعالى : "ومن يتولهم منكم فإنه منهم "(٢) ، وقوله تعالى : "إلا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير"(٣) ، والعلم عند الله تعالى))(٤) .

---

(١) اضواء البيان ٤٤٥/٣ .

(٢) سورة المائدة ، الآية {٥١} .

(٣) سورة الانفال ، الآية {٧٣} .

(٤) اضواء البيان ٤٤٨/٣ .

وقال رحمه الله مبينا موقف المسلم من قريبه الكافر :

((... وإنّ منع النداء بروابط القوميات لاينافي انه ربما انتفع المسلم بنصرة قريبه الكافر بسبب العواطف النسبية ، والاوامر العصبية التي لاتمتّ إلى الإسلام بصلة ؛ كما وقع من ابي طالب للنبيّ صلى الله عليه وسلم . وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : "إنّ الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر"(١) . ولكنّ تلك القرابات النسبية لايجوز ان تجعل هي الرابطة بين المجتمع ؛ لانها تشمل المسلم والكافر ، ومعلوم انّ المسلم عدو الكافر ، كما قال تعالى : "لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله " الآية (٢) ..))(٣) .

فالشيخ الامين رحمه الله يؤكد بهذا انّ الولاء والبراء قائم على بغض الكفر واهله ومعاداتهم ، وعدم موالاتهم حتى تبقى للمسلم شخصيته المتميزة بإيمانه بربه ، واعتزازه بدينه .

---

(١) اخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد . ومسلم في صحيحه (١٠٦/١) ، كلاهما من حديث ابي هريرة .

(٢) سورة المجادلة ، الآية {٢٢} .

(٣) اضواء البيان ٤٤٧/٣ .

وقد اطال الشيخ رحمه الله النفس في هذا الموضوع ؛ فقد تحدث عنه في الجزء الثالث من تفسيره في صفحة (٤٨-٤٩) ، ومن صفحة (٤٤١) ، وحتى صفحة (٤٤٨) . ومحل هذا الكلام ورد في كتاب معارج الصعود ص ٢٢٣ (جمعه / تلميذه د . عبدالله قادري) .

كما يؤكد رحمه الله انه لارابطة تجمع الناس وتوحد بينهم إلا رابطة "لاإله إلا الله" ؛ تلك الرابطة المحينة ، والعروة الوثقى التي تؤلف بين الامم والافراد والشعوب والقبائل .

ويكشف رحمه الله اباطيل دعاة القومية العربية ؛ تلك الدعوة الجاهلية المجردة عن العقيدة ، والتي تساوي بين الإسلام والكفر ، وتلغي رابطة الدين ، وتحل محلها رابطة الوطن والجنس .

فالقومية من الحركات الهدامة المعاصرة التي ابتلي بها المسلمون في هذا الزمن . وقد حذر منها العلماء والمصلحون ، وبيّنوا انها حركة هدم وتخريب ، تحاول اجتثاث الإسلام من جذوره ، واستئصال شأفته .

ومن العلماء الذين كشفوا زيف هذه الدعوة المضللة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز(١) حفظه الله ؛ حيث بيّن بطلان هذه الحركة وما انطوت عليه من خدع وتمويه ، وتلبيس على السذج الذين

---

(١) هو العلامة ابو عبدالله عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن ابن باز . ولد في الرياض عام (١٣٣٠ هـ) ، وتلقى العلوم الشرعية والعربية على ايدي كثير من علماء الرياض . يشغل حاليا منصب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .

(انظر : علماؤنا ص ٢٩ . مقدمة مجموعة فتاوى ومقالات متنوعة ٩/١) .

يتبعون كلّ ناعق ، فينبذون دينهم الذي ارتضاه الله لهم ؛ ذلك الدين العالمي الخالد الذي يوحّد بين الشعوب والقبائل والأوطان برابطة "لا إله إلا الله" . فالأخوة في الإسلام فوق أيّ اعتبار آخر ؛ لأنّ لها ضابطا وقيما عظيمة ، وغاية تصل إليها : فضابطها الكتاب والسنة ؛ - إذ أنّ الحبّ لله ، والبغض لله ، كما هو موضح في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم - ، وقيمها مجموع الدين الإسلامي ، وغاية هذه الرابطة هي الجنة دار الأبرار المتحابين في الله .

وقد أوضح الشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله - في معرض كشفه عن زيف دعوى القومية العربية - الأخطاء التي تمثلها هذه الدعوة الفاسدة المفسدة ، وهي :

أولا : أنّ القومية تفرق بين المسلمين ، وتفصل المسلم العجمي عن أخيه العربي ، وتفرق بين العرب أنفسهم ؛ فهي معول هدم غربيّ استعماري يراد به تفريقنا وإبعادنا عن ديننا الذي فيه مجدنا الأكبر ، وشرفنا الأعظم ، وهو مصدر عزتنا ، وسيادتنا ، وتقدمنا على الأمم .

ثانيا : أنّ الإسلام نهى عن دعوى الجاهلية وحذر منها . والدعوة إلى القومية من أمر الجاهلية ؛ لأنها دعوة إلى غير الإسلام ، ومناصرة لغير الحقّ . وكم جرّت الجاهلية على أهلها من

ويلات وحروب طاحنة وقودها النفوس والأموال والأعراض ، وعاقبتها تمزيق الشمل ، وغرس العداوة والشحناء في القلوب ، والتفريق بين القبائل والشعوب .

وأيضا : إنّ الدعوة إلى القومية دعوة إلى البغي والفخر ؛ لأنّ القومية ليست دينا سماويا يمنع أهله من البغي والفخر ، وإنما هي فكرة جاهلية تحمل أهلها على الفخر بها ، والتعصب لها ، والتعدي على من تطاول عليها بشيء ، وإن كانت هي الظالمة وغيرها المظلوم .

ثالثا : إنها سلّم إلى موالاة كفار العرب وملاحدتهم من أبناء غير المسلمين ، واتخاذهم بطانة ، والاستنصار بهم على أعداء القوميين من المسلمين وغيرهم .

ويقولون : إنّ نظامها لايفرق بين عربيّ وعربيّ وإن تفرقت أديانهم . فهل هذا إلا مصادمة لكتاب الله ، ومخالفة لشرع الله ، وتعدٍّ لحدود الله ، وموالاة ومعاداة وحبّ وبغض على غير دين الله ؟ ! . ما أعظم ذلك من باطل ، وما أسواه من منهج : القرآن يدعو إلى موالاة المؤمنين ، ومعاداة الكافرين أينما كانوا ، وكيفما كانوا ، وشرع القومية العربية يأبى ذلك ويخالفه .

رابعا : إنّ الدعوة إلى القومية ، والتكتل حول رايتها يفضي بالمجتمع - بلا ريب - إلى رفض حكم القرآن ؛ لأنّ القوميين غير

المسلمين لن يرضوا تحكيم القرآن ، فيوجب ذلك على زعماء القومية أن يتخذوا أحكاما وضعية تخالف حكم القرآن ، حتى يستوي مجتمع القوميين في تلك الأحكام . وقد صرح الكثير منهم بذلك ، وهذا هو الفساد العظيم ، والكفر المستبين ، والردة السافرة (١) .

وهكذا نرى كلام الشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله يهتك أستار هذه الدعوة ، ويبين أهدافها وكيدها للإسلام وأهله ، ويوضح بجلاء انعدام معتقد الولاء والبراء الشرعي عند معتنقيها .

وهذا الكلام يخرج وكلام الشيخ الأمين رحمه الله من مشكاة واحدة ؛ إذ أن" الشيخ الأمين رحمه الله وضح ، وبيّن ، وأبدأ ، وأعاد ، وأبان أنه لارابطة تجمع أهل الأرض ، وتربطهم بأهل السماء إلا رابطة "لاإله إلا الله " .

وكلا الشيخين ؛ أعني الشيخ الأمين رحمه الله ، والشيخ ابن باز حفظه الله أدركا خطر هذه الدعوة الضالة المضلة ، وكشفا مخططاتها وأهدافها ، وبيّنا أنها دعوة إلى الجاهلية التي أنقذنا الله منها . فحذر الشيخان أمتهم منها ، ومن شرورها ، ومن مغبة السير في ركابها . فأديا بذلك واجب النصح لأمتهم ، فجزاهم الله على إرشادهما ونصحهما خير الجزاء .

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ٢٨٩/١-٣٠٩ - باختصار وتصرف - .

المطلب الرابع

الخوف والرجاء

امتدح الله من عباده من يجمع في عبادته له سبحانه بين الخوف والرجاء ، بقوله : "اولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه "(١) .

وقد جمع الله سبحانه وتعالى بين هاتين العبادتين معلما بذلك عباده ، كي لايكون المؤمن من القانطين فيما لو اكتفى بالخوف ، وترك الرجاء . وكي لايكون من الآمنين من مكر الله فيما لو اكتفى بالرجاء وترك الخوف من الله .

وقد أوضح الشيخ الأمين رحمه الله هذا المعنى عند تفسير قوله تعالى : "وإنّ ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإنّ ربك لشديد العقاب"(٢) ، فقال : ((بيّن جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة انه ذو مغفرة للناس على ظلمهم ، وانه شديد العقاب ؛ فجمع بين الوعد والوعيد ليعظم رجاء الناس في فضله ، ويشتدّ خوفهم من عقابه وعذابه الشديد ؛ لأنّ مطامع العقلاء محصورة في جلب النفع ودفع الضرّ . فاجتماع الخوف والطمع ادعى للطاعة . وقد بيّن هذا المعنى في آيات كثيرة ، كقوله تعالى : "فإن كذبوك فقل ربكم ذو

---

(١) سورة الإسراء ، الآية {٥٧} .

(٢) سورة الرعد ، الآية {٦} .

رحمة واسعة ولايرد" بأسه عن القوم المجرمين"(١) ، وقوله : "إن" ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم"(٢) ، وقوله جل" وعلا : "نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وأن" عذابي هو العذاب الأليم"(٣) ، وقوله : "غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول" الآية (٤) ، إلى غير ذلك من الآيات))(٥) .

وقال رحمه الله في موضع آخر : ((فاعلم أنهما متلازمان ؛ فمن كان يرجو ما عند الله من الخير ، فهو يخاف ما لديه من الشر" ، كالعكس))(٦) .

وفي الأشرطة أوضح رحمه الله موقف الإنسان من الخوف والرجاء حال حياته وعند مماته ، فسمعته رحمه الله يقول : ((وقد أمرنا الله أن نكون في دعائه خائفين من عذابه وعقابه ونكاله ، وطامعين في فضله ورحمته ورأفته وجوده وما عنده من الخير ؛ لأن" مطامع العقلاء محصورة في أمرين : جلب النفع ، ودفع الضر" . وإذا كان من يعبد الله ، أو يدعو الله يستشعر الخوف من الله ، والطمع في

---

(١) سورة الأنعام ، الآية {١٤٧} .
(٢) سورة الأنعام ، الآية {١٦٥} .
(٣) سورة الحجر ، الآيتان {٤٩-٥٠} .
(٤) سورة غافر ، الآية {٣} .
(٥) أضواء البيان ٣/٧٩-٨٠ .
(٦) أضواء البيان ٤/٢٠٠ .

ثوابه وما عنده من الخير كان الخوف والطمع جناحين يطير بهما إلى الاستقامة . . . . وينبغي للمسلم إذا دعا الله او عبد الله ان يكون جامعا بين الخوف من الله ، والطمع فيما عند الله جلّ وعلا ، فلا يترك الرجاء لئلا يكون من القانطين "إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون"(١) ، ولايترك الخوف فيأمن مكر الله ; لأنه لايأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون . فيكون خائفا من الله ، طامعا راجيا من فضل الله . والعلماء يقولون : ينبغي للإنسان وهو في ايام صحته ان يغلب الخوف دائما على الرجاء ، وان يكون خوفه اغلب من رجائه ، فإذا حضره الموت غلب الرجاء في ذلك ليطغى على الخوف فلا ينبغي للمؤمن ان يموت إلا وهو يحسن الظنّ بالله جلّ وعلا ; بانّ ربه رؤوف رحيم ، كما جاء بذلك الحديث(٢) عن النبيّ صلى الله عليه وسلم))(٣) .

وما ذكره الشيخ الأمين رحمه الله عن الخوف والرجاء ، وحال العبد بينهما اوضحه شارح الطحاوية رحمه الله بقوله : ((فالرجاء يستلزم الخوف ، ولولا ذلك لكان قنوطا ويأسا . وكلّ

---

(١) سورة يوسف ، الآية {٨٧} .

(٢) يقصد قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "لايموتنّ احدكم إلا وهو يحسن الظنّ بالله عز وجلّ" .

(رواه مسلم في صحيحه ٢٢٠٦/٤) .

(٣) الشريط الأول من سورة التوبة ، الوجه الثاني .

واحد إذا خفته هربت منه إلا الله تعالى ، فإنك إذا خفته هربت إليه ؛ فالخائف هارب من ربه إلى ربه))(١) .

ثمّ بيّن شارح الطحاوية أيضا موقف العبد من الخوف والرجاء في حياته فقال : ((قيل : إنّ العبد ينبغي أن يكون رجاؤه في مرضه أرجح من خوفه ، بخلاف زمن الصحة ، فإنه يكون خوفه أرجح من رجائه))(٢) .

أنواع الخوف :

وفي الأشرطة يوضح الشيخ الأمين رحمه الله الخوف المذموم ، والفرق بينه وبين الخوف الطبيعي الذي جبل عليه الإنسان ؛ فيقول رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "ولم يخش إلا الله"(٣) : ((في هذه الآية الكريمة ، وأمثالها في القرآن الكريم سؤال معروف ، وهو أن يقال : لايوجد أحد إلا وهو يخشى من غير الله ، ويخاف من غير الله ؛ لأنّ كلّ المخاوف والمحاذير جُبلت طبائع البشر على الخوف والخشية منها ، والذي لم يخف شيئا من المخاوف والمحاذير هذا أمر صعب . والعلماء يجيبون عن هذا جوابين : بعضهم يقول :

(١) شرح الطحاوية ص ٣٧١-٣٧٢ .
(٢) المصدر نفسه ص ٣٧٢ . وانظر : مدارج السالكين ٥١/٢ .
(٣) سورة التوبة ، الآية {١٨} .

الخشية التي هي شرك بالله والتي يحذر الله منها هي خشية الأصنام والخوف من المعبودات من دون الله . وهذا النوع دلت عليه آيات كثيرة ؛ لأنّ عبدة الأصنام يخوّفون من يسبّ الأصنام بأنّ الأصنام ستفعل له وتفعل ؛ كما قالوا لنبيّ الله هود : "إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لاتنظرون * إني توكلت على الله " الآية (١) . وكذلك لما خوفوا منها نبيّ الله إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، وقالوا له : ستفعل بك أصنامنا وتفعل ، قال لهم : "وكيف أخاف ما أشركتم ولاتخافون أنك أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأيّ الفريقين أحقّ بالأمن إن كنتم تعلمون"(٢) . وخوّفوا بها نبيّ الله صلوات الله وسلامه عليه ؛ كما نصّ الله عليه في سورة الزمر في قوله : "ويخوفونك بالذين من دونه"(٣) ، ثمّ ردّ عليهم ، قال : "أليس الله بكاف عبده"(٣) ، وفي قراءة أخرى : "بكافي عباده" . وهذا كثير في القرآن ، وهذه الخشية التي خاف صاحبها من عاقبة الأصنام كفر بالله وشرك به . وقال بعض العلماء : هي الخشية الدنيوية من الناس إذا كانت تحمل

---

(١) سورة هود ، الآيتان {٥٤-٥٥} .

(٢) سورة الأنعام ، الآية {٨١} .

(٣) سورة الزمر ، الآية {٣٦} .

الإنسان على أن يعصي الله ؛ كالذي يخشى من الكفار ، ويجبن عن الجهاد في سبيل الله ، كما تقدم في قوله : "أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين"(١) . أما ما يعرض للإنسان من الخوف من الأشياء والمحاذير بجبلته ، فهذا أمر لامخالفة فيه ؛ لأن" الله لايكلف نفسا إلا وسعها كما هو معلوم))(٢) .

وكلام الشيخ الأمين رحمه الله عن الخوف وأقسامه يؤيده كلام الشيخ سليمان بن عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب(٣) رحمهم الله أجمعين حين قسم الخوف ، فذكر أن" القسم الأول : خوف السر" ؛ وهو أن يخاف من غير الله أن يصيبه بما شاء من مرض أو فقر أو قتل ، ونحو ذلك بقدرته ومشيئته ، فمن اتخذ مع الله ندا يخافه هذا الخوف فهو مشرك . الثاني : أن يترك الإنسان ما يجب عليه من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير عذر إلا الخوف من الناس ، فهذا محرم . الثالث : خوف وعيد الله الذي توعد به العصاة ، وهو الذي قال الله فيه : "ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد"(٤) ، وهذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان ، وإنما يكون

---

(١) سورة التوبة ، الآية {١٣} .
(٢) سمعته بصوت الشيخ رحمه الله ، في الشريط الثاني من تفسير سورة التوبة : الوجه الأول .
(٣) تقدمت ترجمته .
(٤) سورة إبراهيم ، الآية {١٤} .

محمودا إذا لم يوقع في القنوط واليأس من روح الله . الرابع : وهو الخوف الطبيعي ؛ كالخوف من عدو ، وسبع ، وهدم ، وغرق ، ونحو ذلك فهذا لايذم ، وهو الذي ذكره الله عن موسى عليه الصلاة والسلام في قوله : "فخرج منها خائفا يترقب"(١) . . . . إلخ(٢) .

وهكذا فالشيخ الامين رحمه الله يفرق بين الخوف المذموم المفضي إلى الشرك ، والموقع في معصية الله ، وبين الخوف الطبيعي الذي جُبل عليه الناس ؛ فهذا لامؤاخذة فيه لأنه خارج عن طاقة الإنسان وإرادته .

---

(١) سورة القصص ، الآية {٢١} .

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٤٨٤-٤٨٦ - باختصار وتصرف - .
وانظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥٨/٨ .

المطلب الخامس

الحكم بما انزل الله

رسالة الإسلام عامة تشمل جميع شئون الإنسان في هذه الدنيا. وهي تحقق له الخير العاجل والآجل ، وتمنع من لحوق الضرر به فردا كان او جماعة .

والحكم بما انزل الله هو التطبيق لهذه الرسالة العالمية التي تربط المخلوق بالخالق ، وتجعله خاضعا منقادا لأمر ربه ومالكه ومعبوده ؛ قال تعالى : "وهو الله لاإله إلا هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون"(١) .

فالحكم بما انزل الله من الإيمان بالله ، ومعنى الوهية الله ووحدانيته : إفراده بالعبادة ، والخضوع له في الحكم ، وتنفيذ اوامره ظاهرا وباطنا ؛ فلا يتم" الإيمان إلا بتحكيم شرع الله ؛ قال تعالى : "فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما"(٢) .

يوضح الشيخ الامين رحمه الله هذا المعنى فيقول : ((اقسم تعالى في هذه الآية الكريمة بنفسه الكريمة المقدسة انه لايؤمن احد

---

(١) سورة القصص ، الآية {٧٠} .

(٢) سورة النساء ، الآية {٦٥} .

حتى يحكم رسوله صلى الله عليه وسلم في جميع الامور ، ثمّ ينقاد لما حكم به ظاهرا وباطنا ، ويسلم له تسليما كليا من غير ممانعة ، ولامدافعة ، ولامنازعة . وبيّن في آية اخرى انّ قول المؤمنين محصور في هذا التسليم الكلي ، والانقياد التام ظاهرا وباطنا لما حكم به صلى الله عليه وسلم ، وهي قوله تعالى : "إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا" الآية (١) . . .))(٢) .

ويقول رحمه الله في موضع آخر : ((إنّ الحلال هو ما احله الله ، والحرام هو ما حرمه الله ، والدين هو ما شرعه الله . فكلّ تشريع من غيره باطل ، والعمل به بدل تشريع الله عند من يعتقد انه مثله او خير منه كفر بواح لانزاع فيه))(٣) .

ثمّ يسوق رحمه الله الادلة من القرآن الكريم الدالة على انّ الحكم لله وحده ، فيقول : ((وقد دلّ القرآن في آيات كثيرة على انه لاحكم لغير الله ، وانّ اتباع تشريع غيره كفر به . ومن الآيات الدالة على انّ الحكم لله وحده قوله تعالى : "إن الحكم إلا لله امر الا تعبدوا إلا إياه"(٤) ، وقوله تعالى : "إن الحكم إلا لله

---

(١) سورة النور ، الآية {٥١} .

(٢) اضواء البيان ١/٣٩٦-٣٩٧ .

(٣) اضواء البيان ١٦٢/٧ . وانظر المصدر نفسه ٨٢/٤ .

(٤) سورة يوسف ، الآية {٤٠} .

عليه توكلت" الآية (١) ، وقوله تعالى : "إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين"(٢) ، وقوله : "ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون"(٣) ، وقوله تعالى : "ولايشرك في حكمه احدا"(٤) ، وقوله : "كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون"(٥) ، وقوله تعالى : "له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون"(٦) ، والآيات بمثل ذلك كثيرة))(٧) .

ثم لما ساق رحمه الله الادلة على أن لاحكم إلا لله سبحانه وتعالى ، ذكر الادلة على ان صرف هذا الحق الخالص لله كفر به جل وعلا ، فقال : ((واما الآيات الدالة على ان اتباع تشريع غير الله المذكور كفر : فهي كثيرة جدا ؛ كقوله تعالى : "إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون"(٨) ، وقوله تعالى : "وإن اطعتموهم إنكم لمشركون"(٩) ، وقوله تعالى : "الم اعهد

---

(١) سورة يوسف ، الآية {٦٧} .
(٢) سورة الانعام ، الآية {٥٧} .
(٣) سورة المائدة ، الآية {٤٤} .
(٤) سورة الكهف ، الآية {٢٦} .
(٥) سورة القصص ، الآية {٨٨} .
(٦) سورة القصص ، الآية {٧٠} .
(٧) اضواء البيان ٧/١٦٢-١٦٣ .
(٨) سورة النحل ، الآية {١٠٠} .
(٩) سورة الانعام ، الآية {١٢١} .

إليكم يا بني آدم أن لاتعبدوا الشيطان" الآية (١) . والآيات بمثل ذلك كثيرة جدا))(٢) .

وقد أطال رحمه الله في تقرير هذا المعنى في مواضع كثيرة من تفسيره ، وذلك لأهميته ، وكثرة من خرج عن منهج الله فحكم بغير ما أنزل الله في هذا العصر .

وقد أكد رحمه الله أنّ من حكم بغير ما أنزل الله فقد أشرك مع الله غيره ، وخرج عن دائرة الإسلام ؛ قال رحمه الله : ((إنّ كل من اتبع تشريعا غير التشريع الذي جاء به سيد ولد آدم محمد ابن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه ، فاتباعه لذلك التشريع المخالف كفر بواح مخرج عن الملة الإسلامية . . . . والعجب ممن يحكم غير تشريع الله ، ثمّ يدعي الإسلام ؛ كما قال تعالى : "ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا"(٣) ، وقال : "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون"(٤) ، وقال : "أفغير الله أبتغي حكما

---

(١) سورة يس ، الآية {٦٠} .
(٢) أضواء البيان ١٦٣/٧ .
(٣) سورة النساء ، الآية {٦٠} .
(٤) سورة المائدة ، الآية {٤٤} .

وهو الذي انزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين"(١) . .))(٢) .

وقال رحمه الله في موضع آخر : ((إن من اتبع تشريع الشيطان مؤثرا له على ما جاءت به الرسل ، فهو كافر بالله ، عابد للشيطان ، متخذ الشيطان ربا ، وإن سمى اتباعه للشيطان بما شاء من الأسماء ؛ لأن الحقائق لاتتغير بإطلاق الألفاظ عليها كما هو معلوم))(٣) .

ويؤكد رحمه الله ان من ترك حكم الله ، واستعاض عنه بحكم القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على السنة اوليائه ، واتبعها فيما احلت وحرمت ، وجوز التحاكم إليها رغم مخالفتها لحكم الله جل وعلا انه كافر لايشك في كفره ، فيقول : ((إن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على السنة اوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على السنة رسله صلى الله عليهم وسلم انه لايشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته واعماه عن نور الوحي مثلهم))(٤) .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية {١١٤} .

(٢) اضواء البيان ٣/٤٣٩-٤٤١ .

(٣) اضواء البيان ١/٤٧٦ .

(٤) المصدر نفسه ٤/٨٣-٨٤ . وانظره ايضا : ٣/٤٤٠ ، ٤/٨٢ ، ٧/١٦٩-١٧٣ .

وبهذا تتجلى وقفة الشيخ الحازمة في وجه من غيّر حكم الله ، وحكم بحكم الطواغيت ، حيث إنه يقول بكفره . بل ويكفر كلّ من يشك في كفره .

وليس موقف الشيخ رحمه الله هذا على إطلاقه ، بل نراه يبيّن في موضع آخر متى يكون الحكم بغير ما انزل الله كفرا مخرجا عن الملة ، ومتى يكون صاحبه مرتكبا ذنبا محرما لايخرجه من دائرة الإسلام ، فيقول رحمه الله : ((إنّ الكفر والظلم والفسق كلّ واحد منها ربما اطلق في الشرع مرادا به المعصية تارة ، والكفر المخرج من الملة أخرى ؛ "ومن لم يحكم بما انزل الله" : معارضة للرسل ، وإبطالا لأحكام الله فظلمه وفسقه وكفره كلها كفر مخرج عن الملة . "ومن لم يحكم بما انزل الله" : معتقدا انه مرتكب حراما ، فاعل قبيحا ، فكفره وظلمه وفسقه غير مخرج عن الملة))(١) .

وراي الشيخ رحمه الله هذا هو راي الائمة الاعلام قبله ، من امثال الإمام ابن القيم رحمه الله الذي قال : ((إنّ الحكم بغير ما انزل الله يتناول الكفرين ؛ الاصغر والاكبر بحسب حال الحاكم ؛ فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما انزل الله في هذه الواقعة ، وعدل عنه عصيانا مع اعترافه بانه مستحقّ للعقوبة ، فهذا كفر اصغر .

---

(١) اضواء البيان ١٠٤/٢ .

وإن اعتقد انه غير واجب ، وانه مخيّر فيه ، مع تيقنه انه حكم الله ، فهذا كفر اكبر . وإن جهله واخطاه : فهذا مخطئ له حكم المخطئين)) (١) .

وبهذا التفصيل الدقيق من ابن القيم رحمه الله في هذه المسألة ندرك مدى توافق عقيدة الشيخ الأمين رحمه الله مع عقيدة السلف قبله ، وتتضح جهوده رحمه الله في تقرير عقيدة السلف والسير على منهجهم واتباع طريقهم .

ولم يكتف الشيخ الأمين رحمه الله ببيان انّ الحكم بغير ما انزل الله يتراوح بين ان يكون خروجا عن ملة الإسلام ، او وقوعا في كبيرة من كبائر الذنوب ، بل نراه يحذر المسلمين من الوعيد الذي توعّد الله به من يتهاون في تنفيذ اوامره ، او يقصّر في تحكيم شريعته بانّ عاقبته وخيمة - عياذا بالله تعالى - .

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "إنّ الذين ارتدوا على ادبارهم .." الآية (٢) : ((اعلم انّ كلّ مسلم يجب عليه في

---

(١) مدارج السالكين ٣٣٦/١-٣٣٧ .

وانظر للاستزادة : شرح الطحاوية لابن ابي العز الحنفي ص ٣٦٣-٣٦٤ - فانّ له كلاما مشابها لكلام ابن القيم - . وتحكيم القوانين للشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله ص ٥-٧ - فإنه فصّل في الموضوع ، وجعل القسم المخرج من الملة ستة انواع -. ومجموع فتاوى الشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله ٨٤/١ .

(٢) سورة محمد ، الآية {٢٥} .

هذا الزمان تأمل هذه الآيات من سورة محمد ، وتدبرها ، والحذر التام مما تضمنته من الوعيد الشديد ؛ لأن كثيرا ممن ينتسبون للمسلمين داخلون بلا شك فيما تضمنته من الوعيد الشديد ؛ لأن عامة الكفار من شرقيين وغربيين كارهون لما نزل الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو هذا القرآن ، وما يبينه به النبي صلى الله عليه وسلم من السنن . فكل من قال لهؤلاء الكفار الكارهين لما نزل الله : سنطيعكم في بعض الأمر ، فهو داخل في وعيد الآية . وأحرى من ذلك من يقول لهم : سنطيعكم في كل الأمر ؛ كالذين يتبعون القوانين الوضعية مطيعين بذلك للذين كرهوا ما نزل الله ، فإن هؤلاء لاشك انهم ممن تتوفاهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ، وانهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه ، وانه محبط أعمالهم . فاحذر كل الحذر من الدخول في الذين قالوا : سنطيعكم في بعض الأمر))(١) .

والشيخ الأمين رحمه الله يفرق بين النظام الإداري الذي ينظم الأمور بدون مخالفة للشرع ؛ فهذا لايمنعه . أما النظام المخالف لتشريع خالق السموات والأرض فالعمل به كفر بالله العظيم .

يقول رحمه الله : ((اعلم انه يجب التفصيل بين النظام الوضعي الذي يقتضي تحكيمه الكفر بخالق السموات والأرض ، وبين النظام

---

(١) أضواء البيان ٧/٥٨٩-٥٩٠ . وانظر المصدر نفسه ٧/١٨١ .

الذي لايقتضي ذلك . وإيضاح ذلك : أنّ النظام قسمان : إداري ، وشرعيّ))(١) .

ثمّ يبيّن رحمه الله النظام الإداري وأدلته ، فيقول : ((أما الإداري الذي يراد به ضبط الأمور وإتقانها على وجه غير مخالف للشرع : فهذا لامانع منه ، ولا مخالف فيه من الصحابة فمن بعدهم . وقد عمل عمر رضي الله عنه من ذلك أشياء كثيرة ما كانت في زمن النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ ككتابته أسماء الجند في ديوان لأجل الضبط ، ومعرفة من غاب ومن حضر . . . . فمثل هذا من الأمور الإدارية التي تفعل لإتقان الأمور مما لايخالف الشرع لابأس به ؛ كتنظيم شئون الموظفين ، وتنظيم إدارة الأعمال على وجه لايخالف الشرع ، فهذا النوع من الأنظمة الوضعية لابأس به ، ولايخرج عن قواعد الشرع من مراعاة المصالح العامة))(٢) .

ثمّ يذكر رحمه الله النظام الذي يقتضي تحكيمه الكفر بخالق السموات والأرض ، ويسوق أمثلة مما يحادد الله ورسوله بها من الأعمال التشريعية ، فيقول رحمه الله : ((وأما النظام الشرعي المخالف لتشريع خالق السموات والأرض فتحكيمه كفر بخالق السموات والأرض ؛ كدعوى أنّ تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث ليس

---

(١) أضواء البيان ٨٤/٤ .

(٢) أضواء البيان ٨٤/٤ .

بإنصاف ، وانهما يلزم استواؤهما في الميراث . وكدعوى أن" تعدد الزوجات ظلم ، وأن" الطلاق ظلم للمراة ، وأن" الرجم والقطع ونحوهما اعمال وحشية لايسوغ فعلها بالإنسان ، ونحو ذلك . فتحكيم هذا النوع من النظام في انفس المجتمع واموالهم واعراضهم وانسابهم وعقولهم واديانهم كفر بخالق السموات والأرض ، وتمرد على نظام السماء الذي وضعه من خلق الخلائق ، وهو اعلم بمصالحها سبحانه وتعالى عن ان يكون معه مشرع آخر علوا كبيرا "أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله"(١) ، "قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون"(٢) ، "ولاتقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن" الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون"(٣) ...))(٤) .

وهكذا نرى الشيخ الأمين رحمه الله مثالا للمؤمن المجاهد المشفق على امته ، فيحذرها مغبة ما يحاك ضدها من دسائس لتكفر بخالقها فيحق" عليها العذاب . ويبيّن لها أن" من اطاع مشرعي

---

(١) سورة الشورى ، الآية {٢١} .

(٢) سورة يونس ، الآية {٥٩} .

(٣) سورة النحل ، الآية {١١٦} .

(٤) اضواء البيان ٤/٨٤-٨٥ .

القوانين التي تحادّ شرع الله فقد استحق الوعيد الشديد من الجبار جلّ وعلا . وانّ من اتبع شرع الله ، وحكّم الله في كلّ امر من اموره صغيرا كان او كبيرا نال سعادة الدنيا والآخرة .

وكذلك تتضح لنا سعة افق الشيخ رحمه الله ، ودقة فهمه ، وكثرة فقهه ، إذ يفرق بين النظام الذي هو محادة لله ورسوله فيحذر منه ، وبين النظام الذي لايخالف قواعد الشرع ، وينظم مصالح العباد ، فلا يمنع منه ؛ إذ انه من امور الدنيا التي لايخالف فعلها شرع الله تبارك وتعالى .

المبحث الرابع

ما يضادّ إخلاص العبادة

بعد أن ذكرت - فيما مرّ - أنواع العبادة كما وضحها الشيخ الأمين رحمه الله ، وبيّنها في كتبه ، أشرع ها هنا بذكر ما يضادّ تلك الأنواع ، وينافي إخلاص العبادة ؛ من الشرك الأكبر ، والأصغر ، وكبائر الذنوب ، بحسب ما تطرق إليه الشيخ رحمه الله ، ووفق منهجه رحمه الله .

قال تعالى ممتنًّا على المؤمنين بأنه قد بغّض إلى قلوبهم ما يضادّ إخلاص العبادة ؛ من كفر ، أو فسوق ، أو عصيان بفضله عليهم ، ونعمته ، ورأفته بهم جلّ وعلا : "ولكنّ الله حبّب إليكم الإيمان وزيّنه في قلوبكم وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون"(١) .

ولبيان هذه الأنواع التي تضادّ إخلاص العبادة قسّمت هذا المبحث إلى مطالب :

---

(١) سورة الحجرات ، الآية {٧} .

المطلب الأول

الشرك بالله تعالى

كما أنّ أعظم طاعة وعبادة عُبِد الله تعالى بها ، وتُقُرِّب بها إليه هي التوحيد ، كذلك فإنّ أعظم ذنب عُصي الله تعالى به على الإطلاق هو الشرك ، لذلك فإنّ من مات عليه لايغفر له الله أبدا ، ويدخله النار خالدا مخلدا فيها أبدا ، ويحبط جميع عمله كبيره وصغيره ; لأنه صرف أعظم حقّ من حقوق الله تعالى لغير الله تعالى فأحبط الله جميع عمله بسبب التفاته إلى غير خالقه جلّ وعلا .

وقد اهتمّ الشيخ الأمين رحمه الله بهذا الجانب ، وذكر أن كلّ مسلم يجب عليه أن يعرف ما هي العبادة ، وما الذي يحبطها ويفسد العمل ; فقال رحمه الله :((اعلم أنه يجب على كل مسلم أن يتأمل في معنى العبادة ; وهي تشمل جميع ما أمر الله أن يتقرب إليه به من جميع القربات ، فيخلص تقربه بذلك إلى الله ، ولايصرف شيئا منه لغير الله كائنا ما كان))(١) .

وقبول العبادة مبنيّ على أمرين :

الأول : الإخلاص : وهو تجريد العبادة لله سبحانه وتعالى . وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله .

---

(١) أضواء البيان ٦٢٦/٧ .

الثاني : العمل الصالح : وهو تجريد المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو معنى شهادة أنّ محمدا رسول الله .

ودليل ذلك قوله تعالى : "فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحدا"(١) .

وهذا الموضوع ؛ أعني الإشراك بالله تعالى - عياذا بالله من ذلك - من الموضوعات الخطيرة ، لذلك اهتمّ الشيخ الأمين رحمه الله ببيانه ، وأطال النفس فيه جدا ؛ فقد بيّن رحمه الله أنّ المشرك لايقبل منه عمل ، ولايرجى له خلاص ؛ لأنه أتى بظلم عظيم ، فمن مات وهو يشرك بالله شيئا فهو في نار جهنم خالدا فيها ؛ لأنه صرف العبادة إلى غير الخالق الرازق المعبود وحده سبحانه وتعالى.

فقال رحمه الله : ((إنّ من أشرك بالله غيره . . . . ومات ولم يتب من ذلك فقد وقع في هلاك لاخلاص منه بوجه ، ولانجاة معه بحال))(٢) .

لذلك أهاب الشيخ رحمه الله بكلّ مسلم أن يفرق بين حقوق الله الخاصة به سبحانه ، وبين حقوق خلقه ، وأن يعطي كلّ ذي حقّ حقه ، حتى لايقع في هذا الأمر العظيم .

وأوضح رحمه الله أنّ أعظم الحقوق الخاصة بالله تعالى : إخلاص

---

(١) سورة الكهف ، الآية {١١٠} .

(٢) أضواء البيان ٦٩٠/٥-٦٩١ . وانظر المصدر نفسه ٣٩٣/١ .

العبادة له وحده جلّ وعلا ، وأخلص ما يكون وأصدقه حين تحيط الشدائد والكرب بالإنسان . فمن أخلص لله فقد عرف حقه ، واقتدى بنبيه صلى الله عليه وسلم :

يقول رحمه الله : ((اعلم أنه يجب على كلّ إنسان أن يميز بين حقوق الله تعالى التي هي من خصائص ربوبيته ، والتي لايجوز صرفها لغيره ، وبين حقوق خلقه ; كحقّ النبيّ صلى الله عليه وسلم ليضع كلّ شيء في موضعه على ضوء ما جاء به النبيّ صلى الله عليه وسلم في هذا القرآن العظيم ، والسنة الصحيحة . وإذا عرفت ذلك فاعلم أنّ من الحقوق الخاصة بالله التي هي من خصائص ربوبيته : التجاء عبده إليه إذا دهمته الكروب ودهمته الدواهي ، لايجوز إلا لله وحده ; لأنه من خصائص الربوبية . فصرف ذلك الحقّ لله ، وإخلاصه له هو عين طاعة الله ومرضاته ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ومرضاته ، وهو عين التوقير والتعظيم للنبيّ صلى الله عليه وسلم ; لأنّ أعظم أنواع توقيره وتعظيمه هو اتباعه والاقتداء به في إخلاص التوحيد والعبادة لله وحده جلّ وعلا))(١) .

ثمّ بيّن رحمه الله الأدلة من القرآن الكريم على أنّ الإخلاص حقّ لله ; لأنه هو الخالق الرازق القادر على كشف الدواهي والشدائد وحده ; فقال رحمه الله : ((بيّن جلّ وعلا في آيات

---

(١) أضواء البيان ٦١٨/٧ .

كثيرة من كتابه أنّ التجاء المضطر من عباده إليه وحده في أوقات الشدة والكرب من خصائص ربوبيته تعالى . ومن أصرح ذلك : الآيات التي في سورة النمل ؛ أعني قوله تعالى : "قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى" إلى قوله : "قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين"(١) ...))(٢) .

ثمّ بيّن رحمه الله محلّ الشاهد في هذه الآيات أنه قوله تعالى : "أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون"(٣) ، فقال رحمه الله : ((فهذه المذكورات التي هي إجابة المضطر إذا دعاه ، وكشف السوء ، وجعل الناس خلفاء في الأرض من خصائص ربوبيته جلّ وعلا ، ولذا قال بعدها : "أإله مع الله قليلا ما تذكرون" . فتأمل قوله تعالى : "أإله مع الله" ، مع قوله : "أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء" تعلم أنّ إجابة المضطرين إذا التجاوا ودعوا ، وكشف السوء عن المكروبين ، لافرق في كونه من خصائص الربوبية بينه وبين خلق السموات والأرض ، وإنزال الماء ، وإنبات النبات ، ونصب الجبال ، وإجراء الأنهار ؛ لأنه جلّ وعلا ذكر الجميع بنسق

---

(١) سورة النمل ، الآيات {٥٩-٦٤} .

(٢) أضواء البيان ٦١٨/٧ .

(٣) سورة النمل ، الآية {٦٢} .

وحفدة ورزقكم من الطيبات"(١) ، وقال تعالى : "واسألوا الله من فضله"(٢) ، إلى غير ذلك من الآيات . وفي الحديث : "إذا سألت فاسأل الله"(٣) . وقد أثنى الله جلّ وعلا على نبيّه صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالتجائهم إليه وقت الكرب يوم بدر في قوله : "إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم" الآية (٤) . فنبينا صلى الله عليه وسلم كان هو وأصحابه إذا أصابهم أمر أو كرب التجأوا إلى الله وأخلصوا له الدعاء ، فعلينا أن نتبع ولانبتدع))(٥) .

فالشيخ رحمه الله بيّن أنّ الإخلاص لله لابدّ أن يكون في جميع أنواع العبادة ، لايشرك مع الله أحدا من خلقه ، ولو كان ملكا مقربا ، أو نبيا مرسلا ؛ لأنه حقّ الله الذي افترضه على عباده ، والعلامة الفارقة بين الإيمان والكفر .

ولكنّ هذا الحقّ صُرف عند بعض الناس - ممن يدعون الإسلام ، وزين لهم الشيطان سوء عملهم - إلى غير الله ، فالتجأوا إلى ذلك الغير بأنواع العبادات من رغبة ورهبة عند نزول الملمات والكروب فصارت حالهم أعظم من حال المشركين الأوائل الذين كانوا يخلصون في

---

(١) سورة النحل ، الآية {٧٢} .

(٢) سورة النساء ، الآية {٣٢} .

(٣) جزء من حديث ابن عباس . أخرجه الترمذي في سننه ٦٦٧/٤ ، وقال : "حديث حسن صحيح" .

(٤) سورة الأنفال ، الآية {٩} .

(٥) أضواء البيان ٦٢٥/٧-٦٢٦ . وانظر المصدر نفسه ٥٦١/٤ .

واحد في سياق واحد ، واتبع جميعه بقوله : "أإله مع الله" . فمن صرف شيئا من ذلك لغير الله توجه إليه الإنكار السماوي الذي هو في ضمن قوله : "أإله مع الله" ، فلا فرق البتة بين تلك المذكورات في كونها كلها من خصائص الربوبية))(١) .

ويوضح الشيخ الأمين رحمه الله في موضع آخر أن كل ما لايقدر عليه إلا الله فهو حق لله سبحانه وتعالى ، لايطلب إلا منه ، وإذا طلب من غيره كان صرفا لخصائص الله لغيره ؛ لأن الله هو المعبود والمدعو في طلب كل خير ، ودفع كل شر في الرخاء والشدة . فقال رحمه الله : ((واعلم أيضا رحمك الله أنه لافرق بين ما ذكرنا من إجابة المضطر ، وكشف السوء عن المكروب ، وبين تحصيل المطالب التي لايقدر عليها إلا الله كالحصول على الأولاد والأموال ، وسائر أنواع الخير ؛ فإن التجاء العبد إلى ربه في ذلك أيضا من خصائص ربوبيته جل وعلا ؛ كما قال تعالى : "قل من يرزقكم من السماء والأرض"(٢) ، وقال تعالى : "فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له"(٣) ، وقال تعالى : "يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور" الآية (٤) ، وقال تعالى : "وجعل لكم من أزواجكم بنين

---

(١) أضواء البيان ٦١٩/٧-٦٢٠ .
(٢) سورة يونس ، الآية {٣١} .
(٣) سورة العنكبوت ، الآية {١٧} .
(٤) سورة الشورى ، الآية {٤٩} .

الشدائد ، ويشركون في الرخاء .

وقد وضح الشيخ الأمين حال هؤلاء فقال : ((إن الله ذم الكفار وعاتبهم بأنهم في وقت الشدائد والأهوال خاصة يخلصون العبادة له وحده ، ولايصرفون شيئا من حقه لمخلوق ، وفي وقت الأمن والعافية يشركون به غيره في حقوقه الواجبة له وحده ، التي هي عبادته وحده في جميع أنواع العبادة . ويعلم من ذلك أن بعض الجهلة المتسمين باسم الإسلام أسوأ حالا من عبدة الأوثان ؛ فإنهم إذا دهمتهم الشدائد ، وغشيتهم الأهوال والكروب التجأوا إلى غير الله ممن يعتقدون فيه الصلاح في الوقت الذي يخلص فيه الكفار العبادة لله ، مع أن الله جل وعلا أوضح في غير موضع : أن إجابة المضطر وإنجاءه من الكرب من حقوقه التي لايشاركه فيها غيره))(١) .

فالشيخ الأمين رحمه الله ينيط اللثام عن هؤلاء الذين يفرطون في حقوق الله وخصائصه ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؛ ففاقوا المشركين في شركهم ؛ إذ دعوا أوثانهم وتوجهوا إليها في الشدة والرخاء ، والسعة والضيق ؛ فهم أشد شركا من الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وأسوأ حالا منهم ؛ لأن أولئك كانوا يعلمون أن من يجيب الدعاء هو الله ، فكانوا يلجؤون إليه وقت الشدائد والكرب ، ويتركون أوثانهم .

---

(١) أضواء البيان ٣/٦١٤ .

وقد اشار إلى مشركي زماننا ، وشدة تالههم لأوثانهم في الرغبة والرهبة الشيخ سليمان بن عبدالله (١) رحمه الله فقال : ((واما عباد القبور اليوم فلا إله إلا الله كم ذا بينهم وبين المشركين الأولين من التفاوت العظيم في الشرك ; فإنهم إذا اصابتهم الشدائد برا وبحرا اخلصوا لآلهتهم واوثانهم التي يدعونها من دون الله ، واكثرهم قد اتخذوا ذكر إلهه وشيخه ديدنه وهجيراه إن قام ، وإن قعد ، وإن عثر))(٢) .

وقد اشار الشيخ الأمين رحمه الله إلى نماذج من شرك هؤلاء الذين يدعون انهم من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيغالون فيه ، وفي بعض الصالحين زاعمين انهم يحبونهم ويعظمونهم ، وفعلهم في الحقيقة من الأمور التي توجب سخط الله وسخط رسوله صلى الله عليه وسلم ، فيقول رحمه الله : ((أن ما انتشر في اقطار الدنيا من الالتجاء في اوقات الكروب والشدائد إلى غير الله جل وعلا كما يفعلون ذلك قرب قبر النبي صلى الله عليه وسلم وعند قبور من يعتقدون فيهم الصلاح زاعمين ان ذلك من دين الله ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيمه ومحبة الصالحين . وكله من اعظم الباطل، وهو إنتهاك لحرمات الله وحرمات

---

(١) تقدمت ترجمته ص ١١٥ .

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٢٢٠ .

رسوله ؛ لأنّ صرف الحقوق الخاصة بالخالق التي هي من خصائص ربوبيته إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره ممن يعتقد فيهم الصلاح مستوجب سخط الله ، وسخط النبي صلى الله عليه وسلم ، وسخط كل متبع له الحق))(١) .

فالشيخ الأمين رحمه الله يؤكد أنّ من توجه بشيء من حقوق الله إلى غيره فقد أغضب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وخالف طريقته ، وترك الاقتداء به ، فهو صلوات الله وسلامه عليه لم يأمر أمته بأن يجعلوه لله ندا ، بل كان يأمر بالإخلاص لله وإفراده بالعبادة وحده سبحانه وتعالى . وكذا الأنبياء قبله ، وأصحابه رضوان الله عليهم .

يقول رحمه الله مبينا هذا المعنى : ((ومعلوم أنه صلوات الله وسلامه عليه لم يأمر بذلك هو ولا أحد من أصحابه . وهو ممنوع في شريعة كلّ نبيّ من الأنبياء . والله جلّ وعلا يقول : "ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثمّ يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون * ولايأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون"(٢) ، بل الذي كان

---

(١) أضواء البيان ٧/٦٢٣-٦٢٤ .

(٢) سورة آل عمران ، الآيتان {٧٩-٨٠} .

يأمر به صلى الله عليه وسلم هو ما يأمره الله بالأمر به في قوله تعالى : "قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون"(١) ..))(٢) .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية {٦٤} .

(٢) أضواء البيان ٦٢٤/٧ .

المطلب الثاني

الذبح لغير الله

الذبح عبادة يتقرب بها إلى الله جلّ وعلا ، ولايجوز ان يتقرب بها لغيره ؛ قال تعالى : "فصلّ لربك وانحر"(١) .

وقد بيّن الشيخ الأمين رحمه الله انّ من ذبح لغير الله كائنا من كان فإنه جعله معبودا له من دون الله ، فقال رحمه الله : ((.. فمن صرف شيئا من ذلك لغير الله فقد جعله شريكا مع الله في هذه العبادة التي هي الذبح ، سواء كان نبيا او ملكا ، او بناء او شجرا او حجرا ، او غير ذلك ، لافرق في ذلك بين صالح وطالح ، كما نصّ عليه تعالى بقوله : "ولايامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا"(٢) ، ثمّ بيّن انّ فاعل ذلك كافر ، بقوله تعالى : "ايامركم بالكفر بعد إذ انتم مسلمون"(٣) ..))(٤) .

وكذا نرى الشيخ الأمين رحمه الله لايرتضي قول من فرق بين ما ذبحه اهل الكتاب لصنم ، وبين ما ذبحوه لعيسى ، او واحد من

---

(١) سورة الكوثر ، الآية {٢} .

(٢) سورة آل عمران ، الآية {٨٠} .

(٣) سورة آل عمران ، الآية {٨٠} .

(٤) دفع إيهام الاضطرب - الملحق باضواء البيان ١٠/١٠٤ - .

الملائكة ؛ حيث جعلوا الأول محرما ، والآخر مكروها ، فيرد على هذا التفريق بأن الجميع مما ذبح لغير الله ، فيقول رحمه الله : ((إن هذا الفرق باطل بشهادة القرآن ؛ لأن الذبح على وجه القربة عبادة بالإجماع ، وقد قال تعالى : "فصل لربك وانحر"(١) ، وقال تعالى :"قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله " الآية (٢) ..))(٣).

ويستشهد رحمه الله بقوله تعالى : "وما أهل لغير الله به "(٤) ، فيقول : ((وقوله : "لغير الله " يدخل فيه الملك والنبي كما يدخل فيه الصنم والنصب والشيطان . وقد وافقونا في منع ما ذبحوه باسم الصنم ، وقد دل الدليل على أنه لافرق في ذلك بين النبي والملك ، وبين الصنم والنصب ، فلزمهم القول بالمنع . وأما استدلالهم بقوله : "وما ذبح على النصب"(٥) : فلا دليل فيه ؛ لأن قوله تعالى : "وما ذبح على النصب" ليس بمخصص لقوله : "وما أهل لغير الله به " ؛ لأنه ذكر فيه بعض ما دل عليه عموم "وما أهل لغير الله به "))(٦) .

---

(١) سورة الكوثر ، الآية {٢} .

(٢) سورة الأنعام ، الآية {١٦٢} .

(٣) دفع إيهام الاضطراب - الملحق بأضواء البيان ١٠/١٠٣ - .

(٤) سورة المائدة ، الآية {٣} .

(٥) سورة المائدة ، الآية {٣} .

(٦) دفع إيهام الاضطراب ١٠/١٠٤-١٠٥ .

وما ذهب إليه الشيخ رحمه الله من انه لافرق في حكم الحرمة بين ما ذبح لعيسى او للصنم ؛ إذ انّ كليهما مما قُصد به غير الله سبحانه وتعالى ، هو ما وضحه الإمام النووي(١) رحمه الله ، وبيّن انّ من ذبح للانبياء ، او للاصنام فهو ممن ذبح لغير الله ، فقال : ((واما الذبح لغير الله فالمراد به ان يذبح باسم غير الله تعالى ; كمن ذبح للصنم ، او الصليب ، او لموسى ، او لعيسى صلى الله عليهما ، او للكعبة ، ونحو ذلك . فكلّ هذا حرام ، ولاتحلّ هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلما ، او نصرانيا ، او يهوديا نصّ عليه الشافعي ، واتفق عليه اصحابنا . فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله تعالى والعبادة له كان ذلك كفرا ، فإن كان الذابح مسلما قبل ذلك صار بالذبح مرتدا))(٢) .

فلا حجة لمن فرق بين ما ذبح للصنم ، او ذبح لعيسى عليه السلام فالكلّ داخل تحت قوله تعالى : "وما اهلّ لغير الله به"(٣) عندما ذكر ما حرمه علينا جلّ وعلا .

ومن المسائل التي وضّحها الشيخ الأمين رحمه الله في هذا الباب عدم جواز الذبح في مكان كان يعبد فيه غير الله ، او كان موضعا لعيد من اعياد الجاهلية ، وقد بيّن اثابه الله انّ هذا

---

(١) هو الإمام ابو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حزام النووي الدمشقي . ولد في "نوا" سنة (٦٣١ هـ) ، وتوفي فيها سنة (٦٧٦ هـ) .
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٤١/١٣ .
(٣) سورة المائدة ، الآية {٣} .

الذبح معصية لله تعالى لايتقرب به إلى الله . وقد استشهد بحديث ثابت بن الضحاك قال : نذر رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينحر إبلا ببوانه ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : "هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد" ؟ قالوا : لا . قال : "هل كان فيها عيد من أعيادهم" ؟ قالوا : لا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أوف بنذرك ، فإنه لاوفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لايملك ابن آدم"(١) .

وقد عقّب رحمه الله على هذا الحديث بقوله : ((وفيه الدلالة الظاهرة على أنّ النحر بموضع كان فيه وثن يعبد ، أو عيد من أعياد الجاهلية من معصية الله ، وأنه لايجوز بحال . والعلم عند الله تعالى))(٢) .

وقد سبقه إلى نحو هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية ; إذ عقب على هذا الحديث بقوله :((وهذا يدلّ على أنّ الذبح بمكان عيدهم ، ومحلّ أوثانهم معصية لله))(٣) . ثمّ بيّن كون ذلك معصية لله من وجوه عديدة ، وقد أطال في الكلام على ذلك رحمه الله .

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ٦٠٧/٣ . وقال عنه الألباني : إسناده صحيح . (انظر : مشكاة المصابيح ١٠٢٤/٢ ، رقم ٣٤٣٧) .

(٢) أضواء البيان ٦٨١/٥ .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٤٤٠/١ . وانظر : تيسير العزيز الحميد ص ٢٠١ .

المطلب الثالث

ادعاء علم الغيب

علم الغيب من خصائص الله سبحانه وتعالى ، فلا يعلم الغيب إلا هو ; قال تعالى : "قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون"(١) ، وقال تعالى : "وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو"(٢) .

والغيب كما ذكر الشيخ الأمين رحمه الله : ((يطلق على كلّ ما غاب من المعلومات))(٣) .

وهو يؤكد رحمه الله أنّ الغيب لايعلمه إلا الله ، وقد يطلع من شاء من رسله على شيء من المغيبات . يقول رحمه الله : ((أعلم المخلوقات ، وهم الرسل ، والملائكة لايعلمون من الغيب إلا ما علمهم الله تعالى . وهو تعالى يعلم رسله من غيبه ما يشاء ; كما أشار له بقوله : "وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكنّ الله يجتبي من رسله من يشاء"(٤) ، وقوله : "عالم الغيب فلا يظهر على

---

(١) سورة النمل ، الآية {٦٥} .

(٢) سورة الأنعام ، الآية {٥٩} .

(٣) معارج الصعود ص ١٠٠ .

وقد عرفه صاحب الصحاح (١٩٦/١) : بأنه كلّ ما غاب عنك .

وانظر : تهذيب اللغة ٢١٤/٨ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية {١٧٩} .

غيبه احدا * إلا من ارتضى من رسول" الآية (١) ..))(٢) .

لذلك فقد بيّن رحمه الله أنّ جميع وسائل ادعاء الاطلاع على الغيب هي من الضلال الذي نهى الله عنه ، وليس لنا إلا ما اطلع الله عليه رسوله ، واخبرنا به صلى الله عليه وسلم ، فيقول رحمه الله موضحا هذا المعنى : ((لما جاء القرآن العظيم بأنّ الغيب لايعلمه إلا الله كان جميع الطرق التي يراد بها التوصل إلى شيء من علم الغيب غير الوحي من الضلال المبين . وبعض منها ما يكون كفرا ولذا ثبت عن النبيّ صلى الله عليه وسلم انه قال : "من اتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة اربعين يوما"(٣) . ولاخلاف بين العلماء في منع العيافة (٤) ، والكهانة (٥) ، والعرافة (٦) ،

---

(١) سورة الجنّ ، الآيتان {٢٦-٢٧} .

(٢) اضواء البيان ١٩٦/٢-١٩٧ .

(٣) اخرجه مسلم ١٧٥١/٤ ، إلا انه قال : "ليلة" بدل "يوما" .

(٤) هي زجر الطير للتفاؤل ، والتشاؤم بأسمائها واصواتها وممرها.
(انظر : اللسان ١٦٧/١١ . وتهذيب اللغة ٢٣١/٣) .

(٥) الكهانة مثل العرافة ـ كما سيأتي ـ .
(انظر : الصحاح ٢١٩١/٦ . وتهذيب اللغة ٢٤/٦ . واللسان ٢٤٤/١٧-٢٤٥) .

(٦) العراف : هو الحازي او المنجم الذي يدعي علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه .
(انظر : الصحاح ١٤٠٢/٤ . وتهذيب اللغة ٣٤٧/٢ . واللسان١٤٢/١١) .

والطرق(١) ، والزجر(٢) ، والنجوم . وكلّ ذلك يدخل في الكهانة ، لأنها تشمل جميع أنواع ادعاء الاطلاع على علم الغيب . وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن الكهان ؟ فقال : "ليسوا بشيء"(٣)))(٤) .

ويؤكد الشيخ الأمين رحمه الله أن ليس للعباد تسلط إلى معرفة الغيب ، وأنّ جميع الطرق التي يدعي أصحابها أنها تنبئ عن الغائب كلها من البهتان . وهذا ما أوضحه الإمام القرطبي(٥) رحمه الله بقوله : ((قال العلماء رحمة الله عليهم : لما تمدح سبحانه بعلم الغيب ، واستأثر به دون خلقه ، كان فيه دليل على أنه لايعلم الغيب أحد سواه ، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فأودعهم ما شاء

---

(١) هو الضرب بالحصى ، و الخطّ في التراب . وهو ضرب من التكهن .
(انظر : الصحاح ١٥١٥/٤ . وتهذيب اللغة ٢٢٤/١٦ . واللسان ٨٥/١٢) .

(٢) ويكون للطير ، وغيرها للتيمن بسنوحها ، أو التشاؤم ببروحها . وهو ضرب من التكهن .
(انظر : الصحاح ٦٦٨/٢ . وتهذيب اللغة ٦٠٢/١٠) .

(٣) أخرجه البخاري ٢٨/٧ . ومسلم ١٧٥٠/٤ .

(٤) أضواء البيان ١٩٧/٢ .

(٥) هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي . من كبار المفسرين . رحل إلى المشرق واستقرّ بمنية ابن خصيب في صعيد مصر . وتوفي ودفن بها سنة (٦٧١ هـ).
(انظر : شذرات الذهب ٣٣٥/٥) .

من غيبه بطريق الوحي إليهم ، وجعله معجزة لهم ، ودلالة صادقة على نبوتهم . وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى ، وينظر في الكتب ، ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه ، بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه))(١) .

إذا : فادعاء معرفة الأمور الغائبة ليس بالأمر الهيّن ، بل هو زعم بمشاركة الله تعالى الذي لايعلم الغيب أحد سواه في علمه . ولذلك يبيّن الشيخ الأمين رحمه الله أنّ بعض أهل العلم قد كفّر من يدعي معرفة الغيب ، ويسوق الأدلة التي استدلوا بها فيقول : ((ووجه تكفير بعض أهل العلم لمن يدعي الاطلاع على الغيب أنه ادعى لنفسه ما استأثر الله تعالى به دون خلقه ، وكذب القرآن الوارد بذلك ؛ كقوله : "قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله"(٢) ، وقوله هنا : "وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو"(٣) ، ونحو ذلك))(٤) .

وما ذكره الشيخ رحمه الله من أنّ مدعي الغيب كافر هو القول الحقّ الذي تنصره الأدلة الصريحة الدالة على أنّ الغيب لله

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩/١٩ .
(٢) سورة النمل ، الآية {٦٥} .
(٣) سورة الأنعام ، الآية {٥٩} .
(٤) أضواء البيان ٢/١٩٩ .

وحده ، وأنه من خصائص ألوهيته وربوبيته جلّ وعلا . والمتطاول إلى معرفة الغيب هو بالحقيقة مدع لمشاركة الله تعالى في صفة من صفاته . ولاشك في كفر من ادعى هذه المنزلة .

يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي(١) رحمه الله موضحا هذا الأمر :

((إنّ الله تعالى هو المنفرد بعلم الغيب ، فمن ادعى مشاركة الله في شيء من ذلك ; بكهانة أو عرافة أو غيرها ، أو صدق من ادعى ذلك فقد جعل لله شريكا فيما هو من خصائصه ، وقد كذب الله ورسوله . وكثير من الكهانة المتعلقة بالشياطين لاتخلو من الشرك والتقرب إلى الوسائط التي تستعين بها على دعوى العلوم الغيبية ، فهو شرك من جهة دعوى مشاركة الله في علمه الذي اختص به ، ومن جهة التقرب إلى غير الله))(٢) .

وبذلك يتبين كفر من ادعى علم الغيب بأيّ طريقة من الطرق الشيطانية ; إذ أنه زعم لنفسه ما اختص الله به دون خلقه ، وكذب بالقرآن العظيم ، وبآياته الكريمة التي ذكر الله جلّ وعلا فيها أنه لايعلم الغيب أحد سواه جلّ وعلا .

---

(١) هو الشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر بن حمد آل سعدي . ينتهي نسبه إلى بني عمرو من قبيلة تميم . ولد في عنيزة سنة (١٣٠٧ هـ) ، وتوفي بها سنة (١٣٧٦ هـ) .
(انظر : علماء نجد ٤٢٢/٢ . والأعلام ٣٤٠/٣) .

(٢) القول السديد في مقاصد التوحيد ص ٨٤-٨٥ .

المطلب الرابع

الحلف بغير الله

حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من الحلف بغير الله ، وذلك لسدّ الطرق الموصلة للشرك ، وحماية لجناب التوحيد ، وحتى يكون الدين كله لله .

قال عليه الصلاة والسلام : "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك"(١) .

وهذا الشرك الذي عناه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : "أشرك" هو الشرك الأصغر ، الذي لايخلد صاحبه في النار ، ولكنه على خطر عظيم إن لم يتب منه .

وقد أشار الشيخ الأمين رحمه الله إلى أنه لايجوز الحلف بغير الله ، ومن حلف فإنّ يمينه باطلة ، وإنما يكون الحلف صحيحا إذا كان بالله ، أو بأسمائه ، أو صفاته .

قال رحمه الله : ((اعلم أنّ اليمين لاتنعقد إلا بأسماء الله وصفاته ، فلا يجوز القسم بمخلوق ; لقوله صلى الله عليه وسلم : "من كان حالفا فليحلف بالله ، أو ليصمت"(٢)))(٣) .

---

(١) أخرجه الترمذي ١١٠/٤ ، وقال : هذا حديث حسن .

(٢) أخرجه البخاري ٢٢١/٧ .

(٣) أضواء البيان ١٢٣/٢ . وانظر المصدر نفسه ٣٤/٣ .

ثم يرد رحمه الله على من جوز الحلف برسول الله صلى الله عليه وسلم مبيناً أن ذلك مصادمة للأمر النبوي الكريم المانع من الحلف بغير الله ، فيقول : ((ولاتنعقد يمين بمخلوق كائناً ما كان ، كما انه لاتجوز بإجماع من يعتد به من اهل العلم ، وبالنص الصحيح الصريح في منع الحلف بغير الله . فقول بعض اهل العلم (١) بانعقاد اليمين به صلى الله عليه وسلم لتوقف إسلام المرء على الإيمان به ظاهر البطلان ، والله تعالى اعلم)) (٢) .

وهذا الذي قرره الشيخ الأمين رحمه الله هو ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حين ذكر تنازع الناس في الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال بعد ذلك : ((إن الصواب الذي عليه عامة علماء المسلمين سلفهم وخلفهم انه لايحلف بمخلوق ؛ لانبي ولاغير نبي ، ولاملك من الملائكة ، ولاملك من الملوك ، ولاشيخ من الشيوخ . والنهي عن ذلك نهي تحريم عند اكثرهم كمذهب ابي حنيفة وغيره ، وهو احد القولين في مذهب احمد)) (٣) .

وإذا كان الشيخ الأمين رحمه الله يبين ان ليس للمخلوق ان يحلف بغير الله ، فإنه يؤكد في موضع آخر ان للخالق ان يقسم

---

(١) [redacted]منهم الإمام احمد – رحمه الله – . في الرواية الأخرى ، انظر مجموع الفتاوى ١/٣٣٥

(٢) أضواء البيان ١٢٣/٢ .

(٣) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٤٩/٢٧ . وانظر : تيسير العزيز الحميد ص ٥٩٠ .

بما شاء من خلقه ، فيقول رحمه الله : ((والله جلّ وعلا له أن يقسم بما شاء من خلقه ، ولم يقسم في القرآن بحياة أحد إلا نبينا صلى الله عليه وسلم . وفي ذلك من التشريف له صلى الله عليه وسلم ما لايخفى))(١) .

وما بيّنه الشيخ رحمه الله من أنّ للخالق أن يقسم بما شاء من خلقه أشار إليه الشيخ سليمان بن عبدالله (٢) رحمه الله بقوله : ((فإن قيل إنّ الله أقسم بالمخلوقات في القرآن . قيل : ذلك يختصّ بالله تبارك وتعالى ؛ فهو يقسم بما شاء من خلقه لما في ذلك من الدلالة على قدرة الربّ ووحدانيته ، وإلهيته ، وعلمه ، وحكمته ، وغير ذلك من صفات كماله . وأما المخلوق فلا يقسم إلا بالخالق تعالى . فالله تعالى يقسم بما شاء من خلقه ، وقد نهانا عن الحلف بغيره ، فيجب على العبد التسليم والإذعان لما جاء من عند الله))(٣) .

وهكذا نرى الشيخ الأمين رحمه الله يؤكد أنّ للخالق جلّ وعلا أن يقسم بما شاء من مخلوقاته ، وليس للمخلوق أن يقسم بأحد

---

(١) أضواء البيان ٣/٣٤ .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٥٩٠ .

سـوى خالقـه جلّ وعلا ؛ لدلالة الأدلة الشرعية على ذلك ، ولأنّ حلف المخلوق بغير خالقـه قد يجره إلى أمر جدّ خطير ، فقد يخرجه من الملة - عياذا بالله - ؛ لأنّ الحلف بغير الله ذريعة من أقوى الذرائع الموصلة إلى الشرك الأكبر ؛ إذ أنّ الحالف قد يتدرج في تعظيم المحلوف به ، حتى يصل به إلى درجة المساواة مع الخالق جلّ وعلا ، ولايختلف اثنان أنّ هذا شرك أكبر .

المطلب الخامس

السحر

السحر من الأعمال المحرمة التي تضادّ التوحيد ، وهو محادة لله ورسوله .

أنواعه كثيرة ، ومن أعظمها السحر الذي لايتمّ إلا بالإشراك بالله ، والتقرب إلى الشياطين حتى يحققوا للساحر مراده من حصول بعض التأثيرات القبيحة فيمن يريد أن يسحره .

ومنه ما تحصل بسببه بعض التأثيرات القبيحة ؛ كالتلبيس على العقول ، أوالقتل ، أوالتفريق بين المتحابين ، أوأعمال أخرى كثيرة ومؤذية .

والسحر لايقع إلا بإذن الله وإرادته الكونية ؛ قال تعالى : "واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكنّ الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولاينفعهم "(١) .

---

(١) سورة البقرة ، الآية {١٠٢} .

سـوى خالقـه جلّ وعلا ؛ لدلالة الأدلة الشرعية على ذلك ، ولأنّ حلف المخلوق بغير خالقـه قد يجره إلى أمر جدّ خطير ، فقد يخرجه من الملـة - عياذا باللـه - ؛ لأنّ الحلف بغير الله ذريعة من أقوى الذرائع الموصلة إلى الشرك الأكبر ؛ إذ أنّ الحالف قد يتدرج في تعظيم المحلوف به ، حتى يصل به إلى درجة المساواة مع الخالق جلّ وعلا ، ولايختلف اثنان أنّ هذا شرك أكبر .

المطلب الخامس

السحر

السحر من الأعمال المحرمة التي تضادّ التوحيد ، وهو محادة لله ورسوله .

أنواعه كثيرة ، ومن أعظمها السحر الذي لايتمّ إلا بالإشراك بالله ، والتقرب إلى الشياطين حتى يحققوا للساحر مراده من حصول بعض التأثيرات القبيحة فيمن يريد أن يسحره .

ومنه ما تحصل بسببه بعض التأثيرات القبيحة ؛ كالتلبيس على العقول ، أوالقتل ، أوالتفريق بين المتحابين ، أوأعمال أخرى كثيرة ومؤذية .

والسحر لايقع إلا بإذن الله وإرادته الكونية ؛ قال تعالى : "واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكنّ الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولاينفعهم "(١) .

---

(١) سورة البقرة ، الآية {١٠٢} .

لذلك حارب الإسلام السحر ، وحرمه على المسلمين لما فيه من ادعاء الاطلاع على المجهول ، وذلك مشاركة لله في علمه . وكذلك لما فيه من التوسل إلى الشياطين والتقرب إليهم ليساعدوه في تحقيق ماربه .

وقليل السحر وكثيره لايتمّ إلا بالتعرض لغضب الله وسخطه ، وهو من السبع الموبقات .

وقد بسط الشيخ الأمين رحمه الله الكلام عن السحر ، وطرقه من جميع جوانبه ، وقد اطال النفس فيه جدا ؛ فتكلم عن تعريفه ، وهل هو حقيقة او خيال ؟ ، وحكم متعاطيه ، وغير ذلك من المباحث .

تعريف السحر :

عرفه رحمه الله لغة بقوله : ((يطلق في اللغة على كلّ شيء خفي سببه ، ولطف ، ودقّ ، ولذلك تقول العرب في الشيء الشديد الخفاء : اخفى من السحر))(١) .

اما التعريف الاصطلاحي ، فقال فيه : ((لايمكن حده بحدّ جامع مانع ؛ لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته ، ولايتحقق قدر مشترك يكون جامعا لها ، مانعا لغيرها . ومن هنا اختلفت عبارات العلماء

---

(١) اضواء البيان ٤٤٤/٤ . وانظر ايضا : المصدر نفسه ٤٤٥/٤ . ومعارج الصعود ص ٥١ .
وهو قول ابن منظور في لسان العرب ٣٤٨/٤ .

في حده اختلافا متباينا))(١) .

ولهذا السبب لم يعرف الشيخ الأمين رحمه الله السحر تعريفا اصطلاحيا ؛ لأنه يرى انه يصعب ان يحدّ بتعريف يكون شاملا لجميع انواعه وطرقه .

حقيقة السحر :

اختلف الناس في السحر : هل له حقيقة ، ام خيال .

فذكر الشيخ(٢) رحمه الله انّ المعتزلة (٣) وغيرهم (٤) ذهبوا إلى

---

(١) اضواء البيان ٤٤٤/٤ .

(٢) ذكر ذلك في اضواء البيان ٤٤٤/٤ .

(٣) المعتزلة سموا بذلك لاعتزال رئيسهم واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري . وقيل لاعتزالهم قول الأمة في دعواهم انّ الفاسق من امة الإسلام لامؤمن ولاكافر . ولهم اصول خمسة اشتهروا بها : التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر .
(انظر : الفرق بين الفرق ص ٢٠ ، ١١٤ . والملل والنحل ٤٣/١ . وخطط المقريزي ٣٤٥/٢ . والبرهان في معرفة عقائد اهل الاديان ص ٤٩) .

(٤) وممّن قال بهذا القول - كما ذكر الحافظ ابن حجر - ابو جعفر الاستراباذي - من الشافعية - ، وابو بكر الرازي - من الحنفية - ، وابن حزم الظاهري .
(فتح الباري ٢٣٣/١٠) .

انه لاحقيقة للسحر(١) ، وانهم احتجوا بقوله تعالى : "يخيل إليه من سحرهم انها تسعى"(٢) ، وبقوله تعالى : "فلما القوا سحروا اعين الناس" الآية (٣) .

وذهب الجمهور إلى ان منه ما له حقيقة ، وليس خيالا فقط كما توهم البعض .

ورجح الشيخ الامين رحمه الله ما ذهب إليه الجمهور ، وذكر شيئا من ادلتهم ، فقال رحمه الله : ((والتحقيق الذي عليه جماهير العلماء من المسلمين ان السحر منه ما هو امر له حقيقة ، لامطلق تخييل لاحقيقة له . ومما يدل على ان منه ما له حقيقة قوله تعالى : "فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه "(٤) ؛ فهذه الآية تدل على انه شيء موجود له حقيقة تكون سببا للتفريق بين الرجل وامراته . وقد عبر الله عنه ب "ما" الموصولة وهي تدل على انه شيء له وجود حقيقي . ومما يدل على ذلك ايضا

---

(١) قال ذلك الزمخشري المعتزلي في الكشاف ١٠٣/٢ .
وقد رد عليه ابن المنير في حاشية الكتاب المذكور ، وبين خطا هذا القول ، واوضح معتقد اهل السنة والجماعة .
(وانظر : بدائع الفوائد ٢٢٧/٢ .
ومن المعاصرين ايضا من ينكر حقيقة السحر .

(٢) سورة طه ، الآية {٦٦} .

(٣) سورة الاعراف ، الآية {١١٦} .

(٤) سورة البقرة ، الآية {١٠٢} .

قوله تعالى : "ومن شرّ النفاثات في العقد"(١) ؛ يعني السواحر اللاتي يعقدن في سحرهنّ ، وينفثن في عقدهنّ . فلولا أنّ السحر حقيقة لم يأمر الله بالاستعاذة منه))(٢) .

وهذه الأدلة التي استدلّ بها الشيخ الأمين رحمه الله على حقيقة السحر أدلة صريحة على أنّ للسحر أثرا ، ومنه ما هو حقيقة ومحسوس ، وليس كله خيالا .

وأما جانب الخيال في السحر : فيجعل الشيخ رحمه الله من قصة سحرة فرعون مثالا على الخيال في السحر ، ولايرضى قول من قال : إنّ سحرهم حقيقة لاخيال ، فيقول رحمه الله : ((فإن قيل : قوله في "طـه" : "يخيل إليه من سحرهم" الآية(٣) ، وقوله في "الأعراف" : "سحروا أعين الناس"(٤) الدالان على أنّ سحر سحرة فرعون خيال لاحقيقة له ، يعارضهما قوله في "الأعراف" : "وجاءوا بسحر عظيم"(٥) ؛ لأنّ وصف سحرهم بالعظيم يدلّ على أنه غير خيال . فالذي يظهر في الجواب - والله أعلم - أنهم أخذوا كثيرا من الحبال والعصي ، وخيلوا بسحرهم لأعين الناس أنّ الحبال والعصي

---

(١) سورة الفلق ، الآية {٤} .

(٢) أضواء البيان ٤/٤٣٧-٤٣٨ . وانظر : معارج الصعود ص ٥١-٥٢ .

(٣) سورة طه ، الآية {٦٦} .

(٤) سورة الأعراف ، الآية {١١٦} .

(٥) سورة الأعراف ، الآية {١١٦} .

تسعى ، وهي كثيرة . فظن" الناظرون ان" الارض ملئت حيات تسعى لكثرة ما القوا من الحبال والعصي ، فخافوا من كثرتها . وبتخييل سعي ذلك العدد الكثير وصف سحرهم بالعظم . وهذا ظاهر لا إشكال فيه))(١) .

فالشيخ رحمه الله يوضح ان" السحر وصف بالعظم ؛ لكثرة ما القى السحرة من الحبال والعصي ، ولتخييلهم للناس انها تسعى . فهذا النوع ليس السحر فيه حقيقة ، بل هو تخييل .

وقد وافق الشيخ رحمه الله في فهم هذه الآية الحافظ ابن حجر حيث إنه جعل سحر سحرة فرعون من الخيال ، لا من الحقيقة ، فقال عند قوله تعالى : "يخيل إليه من سحرهم انها تسعى"(٢) : ((هذه الآية عمدة من زعم ان" السحر إنما هو تخييل . ولاحجة له بها ؛ لان" هذه وردت في قصة سحرة فرعون ، وكان سحرهم كذلك ، ولايلزم منه ان" جميع انواع السحر تخييل))(٣) .

فما قاله الشيخ الأمين رحمه الله من ان" السحر الذي جاء به سحرة فرعون إنما هو تخييل ، هو الصواب ؛ فلا شك انه من

---

(١) اضواء البيان ٤٣٨/٤ .

(٢) سورة طه ، الآية {٦٦} .

(٣) فتح الباري ٢٣٥/١٠-٢٣٦ .

وقد ذكر نحوا من هذا الكلام الإمام ابن قتيبة في كتابه تاويل مختلف الحديث ص ١٢٣ .

التخييل الناتج من تاثير السحر على ابصارهم حتى رات غير الحقيقة ؛ كما قال تعالى : "سحروا اعين الناس"(١) .

وحاصل الكلام ان السحر قسمان - كما ذكر ذلك الشيخ الامين - : حقيقي ، وخيالي . وهذا التقسيم تعضده الادلة النقلية وهو مذهب جمهور المسلمين .

قال الإمام القرطبي رحمه الله بعد ما ساق ادلة المعتزلة التي استدلوا بها على ان السحر خيال لاحقيقة ؛ مثل قوله تعالى : "سحروا اعين الناس"(١) ، وقوله تعالى : "يخيل إليه من سحرهم انها تسعى"(٢) . فقال : ((وهذا لاحجة فيه ؛ لاننا لاننكر ان يكون التخييل وغيره من جملة السحر ، ولكن ثبت وراء ذلك امور جوزها العقل ، وورد بها السمع ؛ فمن ذلك ما جاء في هذه الآية (٣) من ذكر السحر وتعليمه ، ولو لم يكن له حقيقة لم يكن تعليمه ، ولااخبر تعالى انهم يعلمونه الناس ، فدل على ان له حقيقة))(٤) .

واخيرا اختم كلام العلماء في هذا الجانب بقول احد ائمة

---

(١) سورة الاعراف ، الآية {١١٦} .

(٢) سورة طه ، الآية {٦٦} .

(٣) يعني قوله تعالى (في سورة البقرة ، الآية ١٠٢) : "فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه" .

(٤) الجامع لاحكام القرآن ٣٢/٢ .

الدعوة البارزين ؛ وهو الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله الذي قال : ((وقد زعم قوم من المعتزلة وغيرهم أن السحر تخييل لاحقيقة له ، وهذا ليس بصحيح على إطلاقه ، بل منه ما هو تخييل ، ومنه ما له حقيقة))(١) .

حكم استعمال السحر ، وتعلمه :

أوضح الشيخ الأمين رحمه الله أن قول جمهور العلماء - منهم أبو حنيفة ، ومالك ، وأصحاب أحمد ، وغيرهم - في الذي يستعمل السحر ويتعلمه أنه يكفر بذلك . وفي رواية عن أحمد ما يقتضي عدم كفره . وفصّل الشافعي رحمه الله في هذه المسألة ، فقال : ((إذا تعلم السحر ، قلنا له : صف لنا سحرك . فإن وصف ما يوجب الكفر ؛ مثل ما في سحر أهل بابل من التقرب للكواكب ، وأنها تفعل ما يطلب منها فهو كافر . وإن كان لايوجب الكفر : فإن اعتقد إباحته فهو كافر ، وإلا فلا))(٢) .

وقول الشيخ الأمين رحمه الله في هذه المسألة شبيه بقول الشافعي وأصحابه ؛ حيث إنه لايكفر الساحر إلا أن يكون في سحره

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٣٨٣ .

(٢) انظر : أضواء البيان ٤/٤٥٥ . وانظر أيضا : شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/١٧٦ . والمغني ١٢/٣٠٠ . وتيسير العزيز الحميد ص ٣٨٤ . وكتاب الدين الخالص ٢/٣٢٢ .

شرك بالله ، فإن كان يتمّ بدون الإشراك بالله فهو لايصل إلى الكفر ، ولكنّه محرم تحريما شديدا ، فيقول رحمه الله موضحا هذا المعنى : ((والتحقيق في هذه المسألة هو التفصيل ؛ فإن كان السحر مما يعظم فيه غير الله كالكواكب والجنّ وغير ذلك مما يؤدي إلى الكفر ، فهو كفر بلا نزاع . ومن هذا النوع سحر هاروت وماروت المذكور في سورة البقرة ؛ فإنه كفر بلا نزاع ، كما دلّ عليه قوله تعالى : "وما كفر سليمان ولكنّ الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر"(١) ، وقوله تعالى : "وما يعلمان من احد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر"(٢) ، وقوله : "ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق"(٣) ، وقوله تعالى : "ولايفلح الساحر حيث اتى"(٤) ..... وإن كان السحر لايقتضي الكفر ؛ كالاستعانة بخواص بعض الأشياء من دهانات وغيرها : فهو حرام حرمة شديدة ، ولكنه لايبلغ بصاحبه الكفر))(٥) .

والشيخ الأمين رحمه الله ربط حكم السحر بما يتصل به من أسباب ؛ فإن كانت أسبابه كفرا ، وكان لايتمّ إلا بالتقرب إلى

---

(١) سورة البقرة ، الآية {١٠٢} .

(٢) سورة البقرة ، الآية {١٠٢} .

(٣) سورة البقرة ، الآية {١٠٢} .

(٤) سورة طه ، الآية {٦٩} .

(٥) أضواء البيان ٤/٤٥٦ .

الشياطين والكواكب : فهو من انواع السحر التي يكفر متعاطيها . وإن كانت اسبابه غير مكفرة ؛ بمعنى انّ الساحر لايعظم احدا سوى الله ، ولايدعي انه يعلم الغيب ، ولايصرف شيئا من العبادة لغير الله : فهذا ليس كفرا وإن اشتمل على التخييل والكذب والخداع والغشّ ، بل هو عمل محرم من كبائر الذنوب .

وللإمام النووي(١) رحمه الله كلام قريب من هذا المعنى ؛ فقد قال رحمه الله عن حكم السحر : ((إنه قد يكون كفرا ، وقد لايكون كفرا ، بل معصية كبيرة . فإن كان فيه قول او فعل يقتضي الكفر كفر ، وإلا فلا . واما تعلمه وتعليمه فحرام ؛ فإن تضمن ما يقتضي الكفر كفر ، وإلا فلا . وإذا لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عزر ، واستتيب منه ، ولايقتل عندنا . فإن تاب قبلت توبته))(٢) .

وهكذا يتبيّن انّ كلام العلماء رحمهم الله يتفق مع ما ذكره الشيخ الامين رحمه الله من عدم كفر الساحر مطلقا ، بل الامر فيه تفصيل - كما مر معنا - .

---

(١) تقدمت ترجمته ص ((٢٢٧)) .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٧٦/١٤ . وانظر للاستزادة ايضا : فتح الباري ٢٣٥/١٠ . وتيسير العزيز الحميد ص ٣٨٤ .

حدّ الساحر :

اختلف العلماء رحمهم الله في حدّ الساحر : هل يقتل بمجرد فعله السحر ، أو لا ؟ .

فذكر الشيخ الأمين رحمه الله أقوال العلماء في هذه المسألة ، وذكر أدلتهم ، ثم ذكر ما ترجح لديه من هذه الأقوال .

وسوف استعرض أقوال العلماء ، وأدلتهم ، وما ترجح لدى الشيخ الأمين رحمه الله في هذه المسألة :

اتفق الأئمة الأربعة على قتل الساحر كفرا إذا تضمن سحره الكفر (١) .

أما إن قتل بسحره إنسانا ، ولم يكن سحره متضمنا الكفر : فإنه يقتل عند مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله . أما أبو حنيفة رحمه الله فقال : لايقتل حتى يتكرر منه ذلك ، أو يقرّ بذلك في حقّ شخص معين .

وإذا قتل فإنه يقتل حدا عندهم إلا الشافعي فإنه قال : يقتل والحالة هذه قصاصا (٢) .

---

(١) انظر : تفسير القرطبي ٣٣/٢ . وأضواء البيان ٤٥٧/٤ .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ١٤٧/١ . وشرح النووي على صحيح مسلم ١٧٦/١٤ .

اما هل يقتل الساحر بمجرد فعله السحر ؟

قال مالك وابو حنيفة ورواية عن احمد : يقتل(١) .

وقال الشافعي : الساحر إذا كان يعمل في سحره ما يبلغ به الكفر يقتل ، فإذا عمل عملا دون الكفر لم نر عليه قتلا(٢) . وهو رواية عن احمد(٣) .

اما عن قبول توبة الساحر : فقد منع من قبولها الإمام ابو حنيفة ، والإمام مالك ، والإمام احمد في رواية . وقال الإمام الشافعي والإمام احمد في رواية اخرى : تقبل توبته .

واما ساحر اهل الكتاب : فعند ابي حنيفة انه يقتل كما يقتل ساحر المسلمين . وقال مالك واحمد والشافعي : لايقتل ؛ يعني لقصة لبيد بن الاعصم .

واما الساحرة التي تنتسب إلى الإسلام : فعند ابي حنيفة انها لاتقتل ، ولكن تحبس . وقال الثلاثة : حكمها حكم الرجل(٤) .

ونخلص من ذلك إلى انه لاخلاف بين العلماء في قتل الساحر إذا اشتمل سحره على الكفر ، او قتل بسحره شخصا معينا بإقراره .

---

(١) انظر : المغني ٣٠٢/١٢ . وتيسير العزيز الحميد ص ٣٩١ .

(٢) انظر : فتح الباري ٢٤٧/١٠ . والمغني ٣٠٢/١٢ .

(٣) انظر : المغني ٣٠٢/١٢ . وتيسير العزيز الحميد ص ٣٩١ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ١٤٧/١ . واضواء البيان ٤٥٦/٤ ، ٤٥٧ .

وإنما الخلاف في قتل الساحر الذي يشتمل سحره على عمل دون الكفر - كما مر عند ذكر أقوال العلماء في ذلك - .

وقد ترجح لدى الشيخ الأمين رحمه الله أن" الساحر الذي لايحتم" سحره إلا بالكفر : يقتل كافرا إن لم يتب ؛ لأنه قد ارتد وبدل دينه . لكن إن استتيب فتاب وأناب فالراجح قبول توبته :

يقول رحمه الله : ((إن" السحر نوعان . . . . منه ما هو كفر ، ومنه ما لايبلغ بصاحبه الكفر . فإن كان الساحر استعمل السحر الذي هو كفر : فلا شك في أنه يقتل كفرا ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : "من بدل دينه فاقتلوه"(١) . وأظهر القولين عندي في استتابته : أنه يستتاب ، فإن تاب قبلت توبته))(٢) .

ويعلل رحمه الله ترجيحه قبول توبة الساحر ، فيقول : ((لأن" الله لم يأمر نبيه ، ولا أمته صلى الله عليه وسلم بالتنقيب عن قلوب الناس ، بل بالاكتفاء بالظاهر . وما يخفونه في سرائرهم أمره إلى الله تعالى))(٣) .

وأما ساحر أهل الكتاب : فيؤكد رحمه الله أنه يقتل ، فيقول : ((وأظهر الأقوال عندنا أنه لايكون أشد حرمة من ساحر المسلمين ،

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح ١٦٣/٨ .
(٢) أضواء البيان ٤٥٨/٤ .
(٣) المصدر نفسه ٤٥٨/٤ .

بل يقتل كما يقتل ساحر المسلمين))(١) .

وأما من استدل بقصة لبيد بن الأعصم على عدم قتل ساحر أهل الكتاب : فقد رد عليه الشيخ الأمين رحمه الله ، وبيّن سبب عدم قتل لبيد بن الأعصم مع أنه سحر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : ((بيّنت الروايات الصحيحة أنه ترك قتله اتقاء إثارة فتنة . فدل على أنه لولا ذلك لقتله . وقد ترك المنافقين لئلا يقول الناس محمد يقتل أصحابه ، فيكون في ذلك تنفير عن دين الإسلام ، مع اتفاق العلماء على قتل الزنديق ؛ وهو عبارة عن المنافق - والله أعلم -))(٢) .

وأما المرأة الساحرة : فيرجح رحمه الله أن حكمها حكم الرجل على التفصيل المتقدم ، فيقول : ((وأظهر القولين عندي : أن المرأة الساحرة حكمها حكم الرجل الساحر ، وأنها إن كفرت بسحرها قتلت كما يقتل الرجل ؛ لأن لفظة "من" في قوله : "من بدل دينه فاقتلوه"(٣) تشمل الأنثى على أظهر القولين وأصحهما إن شاء الله تعالى . ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى : "ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى" الآية (٤) ؛ فأدخل الأنثى في لفظة "من" ،

---

(١) أضواء البيان ٤٧١/٤ .

(٢) المصدر نفسه ٤٧١/٤ .

(٣) تقدم تخريجه قبل صفحتين .

(٤) سورة النساء ، الآية {١٢٤} .

وقولـه تعـالى : "يـا نسـاء النبـي" مـن يـات منكن" " الآية (١) ،

وقولـه : "ومـن يقنـت منكـن" للـه " الآيـة (٢) ، إلـى غـير ذلك من

الآيات)) (٣) .

وللعلماء ادلة وحجج في قتـل السـاحر وعدمـه . وقد ذكر الشيخ

الأميـن رحمـه اللـه هذه الادلـة ونـاقشـهـا ، ثم رجح مـا يظهر لـه انـه

الصواب من الاقوال في ذلك . وهاك تفصيل ذلك :

اولا : الـذين قالـوا بقتل السـاحر مطلقـا : اسـتدلـوا بـآثـار عن

الصحابة ، وحديث . فمن هذه الآثار :

{١} - قـول عمـر بـن الخطاب رضي الله عنه قبل موته بسـنة :

"اقتلـوا كـل" سـاحر" . قـال الـراوي : فقتلنـا في يوم واحد ثلاث

سـواحر (٤) .

{٢} - ومـا رواه مـالك من ان" حفصـة زوج النبـي" صلى اللـه عليه

وسـلم قتلـت جاريـة لهـا سـحرتهـا ، وقد كانت دبرتها فامرت بها

فقتلت (٥) .

---

(١) سورة الاحزاب ، الآية {٣٠} .

(٢) سورة الاحزاب ، الآية {٣١} .

(٣) اضواء البيان ٤/٤٥٩ .

(٤) اخرجـه ابـو داود ٣/٤٣١-٤٣٢ . وقـال عنـه الشـيخ سـليمان بن عبداللـه آل الشيخ : إسـنـاده حسـن .
(انظر تيسير العزيز الحميد ص ٣٩١-٣٩٢) .

(٥) الموطا ٢/٨٧١ .

{٣} - وما رواه البخاري في تاريخه الكبير : (كان عند الوليد رجل يلعب ، فذبح إنسانا وابان راسه ، فجاء جندب الازدي(١) فقتله)(٢) .

{٤} - وبما رواه الترمذي والدارقطني عن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "حدّ الساحر ضربة بالسيف"(٣) .

قال الشيخ الامين رحمه الله عن هذه الادلة : ((فهذه الآثار التي لم يعلم انّ احدا من الصحابة انكرها على من عمل بها ، مع اعتضادها بالحديث المرفوع المذكور . وهي حجة من قال بقتله مطلقا . والآثار المذكورة ، والحديث فيهما الدلالة على انه يقتل ولو لم يبلغ به سحره الكفر ؛ لانّ الساحر الذي قتله جندب رضي الله عنه كان سحره من نحو الشعوذة والاخذ بالعيون ، حتى إنه يخيّل إليهم انه ابان راس الرجل ، والواقع بخلاف ذلك . وقول

---

(١) هو جندب بن كعب بن عبدالله الازدي ، ابو عبدالله الغامدي . الملقب ب "جندب الخير" . قال علي بن المديني ، وابن حبان : له صحبة .

(انظر : الاستيعاب ٢١٨/١ . والإصابة ٢٥٠/١) .

(٢) التاريخ الكبير للبخاري /القسم الثاني من الجزء الاول ص ٢٢٢.

(٣) سنن الترمذي ٦٠/٤ ، وقال : والصحيح عن جندب موقوف . وسنن الدارقطني ١١٤/٣ .

وقال الشيخ الالباني : ضعيف (كما في سلسلة الاحاديث الضعيفة ٦٤١/٣) ، وقال الشيخ الامين : لايصحّ (كما في اضواء البيان ٤٥٩/٤) .

عمر : "اقتلوا كلّ ساحر" يدلّ على ذلك لصيغة العموم (١))) (٢) .

فالشيخ رحمه الله يرى أنّ هذه الأدلة قوية ومعتبرة ، ولها وزنها في الحكم ؛ (أعني الحكم بقتل الساحر مطلقا) ؛ حيث إنها من عمل بعض الصحابة رضوان الله عليهم ، ولم يعلم أنّ أحدا من الصحابة أنكرها على من عمل بها .

---

(١) قال الشيخ الأمين رحمه الله عن الساحر الذي قتله جندب : "إنّ سحره من نحو الشعوذة ، والأخذ بالعيون ، وليس ذلك مما يقتضي الكفر المخرج من ملة الإسلام" (كما في أضواء البيان ٤٦٢/٤) .
ويفهم من كلامه أنّ سحر التخييل ليس كفرا .
ولست أدري كيف يتفق كلامه هنا مع كلامه عن سحرة فرعون - (الذين كان سحرهم تخييلا) - عندما فسر قوله تعالى : "ولايفلح الساحر حيث أتى" فقال : ((وذلك دليل على كفره ؛ لأنّ الفلاح لاينفى بالكلية نفيا عاما إلا عمن لاخير فيه ، وهو الكافر)) . (أضواء البيان ٤٤٢/٤) .
وقد فصّل رحمه الله - كما مرّ معنا فيما مضى - في حكم الساحر ؛ إن كان لايتمّ سحره إلا بالكفر فهو كافر ، وإن كان لايبلغ الكفر فهو محرم حرمة شديدة . وسحر الشعوذة والتخييل قد لايتمّ إلا بطاعة الشيطان ، والكفر بالرحمن ، فيكفر فاعله بالله العظيم . وعلى هذا المنهج يقال إنّ سحر الشعوذة والتخييل ليس مما يقتضي الكفر المخرج من ملة الإسلام على إطلاقه ، بل الأمر فيه التفصيل السابق .
(٢) أضواء البيان ٤٦١/٤ .

ثانيا : ادلة من فصّلوا في الحكم على الساحر :

ذكر الشيخ الأمين رحمه الله ادلة الفريق الثاني ، وهي كما يلي :

{١} - استدلوا بما رواه البخاري بسنده عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لايحل دم امرئ مسلم يشهد ان لاإله إلا الله ، واني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والمارق من الدين التارك للجماعة "(١) .

ووجه الاستشهاد بهذا الحديث : ان" السحر الذي لم يكفر صاحبه ليس من الثلاث المذكورة في الحديث .

{٢} - واحتجوا بان" عائشة رضي الله عنها باعت مدبرة لها سحرتها (٢) .

ولو وجب قتلها لما جاز بيعها .

وذكر الشيخ رحمه الله ان" بعضهم (٣) اراد ان يوفق بين ادلة الفريقين بحمل ادلة الفريق الأول الدالة على قتل الساحر مطلقا

---

(١) اخرجه البخاري ٣٨/٨ .
(٢) اخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٣٧/٨ .
(٣) امثال ابن المنذر - الذي نقل ذلك القرطبي عنه ، ووافقه عليه - .
(انظر : الجامع لأحكام القرآن ٣٤/٢) .

بأنّ المراد السحر الذي يشتمل على كفر . أما الذي لايبلغ سحره الكفر فتحمل عليه أدلة من قال بعدم القتل .

لكنّ الشيخ رحمه الله لم يرتض هذا الجمع ، وردّ على ذلك بقوله : ((لايصحّ ؛ لأنّ الآثار الواردة في قتله جاءت بقتل الساحر الذي سحره من نوع الشعوذة ؛ كساحر جندب الذي قتله . وليس ذلك مما يقتضي الكفر المخرج من ملة الإسلام كما تقدم إيضاحه(١) ؛ فالجمع غير ممكن ، وعليه فيجب الترجيح : فبعضهم يرجح عدم القتل ؛ بأنّ دماء المسلمين حرام إلا بيقين(٢) . وبعضهم يرجح القتل ؛ بأنّ أدلته خاصة ، ولايتعارض عام وخاص ؛ لأنّ الخاص يقضي على العام عند أكثر أهل الأصول كما هو مقرر في محله))(٣) .

والشيخ الأمين رحمه الله يميل إلى القول بعدم قتل الساحر الذي لم يبلغ به سحره الكفر ، فيقول : ((والأظهر عندي أنّ الساحر الذي لم يبلغ به سحره الكفر ، ولم يقتل به إنسانا أنه لايقتل ؛ لدلالة النصوص القطعية والإجماع على عصمة دماء المسلمين عامة إلا بدليل واضح . وقتل الساحر الذي لم يكفر بسحره لم يثبت فيه شيء عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، والتجرؤ على دم مسلم

---

(١) تقدم قبل صفحتين .

(٢) كما قال القرطبي (انظر : الجامع لأحكام القرآن ٣٤/٢) .

(٣) أضواء البيان ٤٦٢/٤ .

من غير دليل صحيح من كتاب او سنة مرفوعة غير ظاهر عندي .
والعلم عند الله تعالى . مع انّ القول بقتله قويّ جدا بفعل
الصحابة له من غير نكير))(١) .

وما قاله الشيخ رحمه الله : قال به قبله الشافعي ، واحمد
- في رواية - ، وابن المنذر(٢) ، والنووي(٣) ، والقرطبي(٤) .

حلّ السحر عن المسحور :

يقال لحلّ السحر عن المسحور ، وكشفه وعلاجه : النشرة .
وقد نقل الشيخ الأمين رحمه الله اختلاف العلماء في حكمها ، فذكر
انّ بعضهم قد اجازها ، وبعضهم قد منع منها .

وممن اجازها : سعيد بن المسيب(٥) رحمه الله تعالى ; قال

---

(١) اضواء البيان ٤٦٢/٤ .
(٢) هو الإمام الحافظ العلامة ابو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري . صاحب التصانيف الرائعة في اختلاف العلماء ولد بنيسابور سنة (٢٤٢ هـ) ، وتوفي سنة (٣١٨ هـ) .
(انظر : سير اعلام النبلاء ٤٩٠/١٤-٤٩٢ . والأعلام للزركلي ١٨٤/٦) .
وقد نقل قوله ، وقول الشافعي واحمد في ذلك صاحب تيسير العزيز الحميد ص ٣٩١ .
(٣) كما في شرحه على صحيح مسلم ١٧٦/٧ .
(٤) كما في الجامع لأحكام القرآن ٣٤/٢ .
(٥) ابن حزن بن ابي وهب المخزومي القرشي . ابو محمد . سيد التابعين ، واحد الفقهاء السبعة بالمدينة . توفي سنة (٩٤هـ) .
(انظر: سير اعلام النبلاء ٢١٧/٤. والبداية والنهاية ١٠٥/٩) .

قتادة (١) : (قلت لسعيد بن المسيب : رجل به طب" (٢) ، - او يؤخذ عن امراته - ايحل" عنه ، او ينشر ؟ قال : لاباس ، إنما يريدون به الإصلاح ، فاما ما ينفع فلم ينه عنه) (٣) .

ومال إلى هذا المزني(٤) ، وقال الشعبي(٥) : لاباس بالنشرة (٦) .

وكذا قال ابو جعفر الطبري . وممن كرهها : الحسن البصري(٧) .

---

(١) هو قتادة بن دعامة بن عزيز البصري المحدث المفسر . كان من اوعية العلم ، واحد علماء التابعين . توفي سنة (١١٧ هـ) .
(انظر : سير اعلام النبلاء ٢٦٩/٥ . والبداية والنهاية ٣٢٥/٩) .

(٢) قال ابو عبيد : طب" : اي سحر ، يقال منه : رجل مطبوب . ونرى انه إنما قيل له مطبوب لانه كنّي بالطب عن السحر ، كما كنوا عن اللديغ فقالوا : سليم .
(انظر : تهذيب اللغة ٣٠٢/١٣) .

(٣) اخرجه البخاري ٢٩/٧ .

(٤) هو ابو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني المصري تلميذ الشافعي . ولد سنة (١٧٥ هـ) ، وتوفي سنة (٢٦٤ هـ) .
(انظر : سير اعلام النبلاء ٤٩٢/١٢) .

(٥) هو الإمام الحافظ عامر بن شراحيل بن عبدالله الشعبي . راوية التابعين . توفي سنة (١٠٤ هـ) .
(انظر : سير اعلام النبلاء ٢٩٤/٤) .

(٦) انظر : الجامع لاحكام القرآن ٣٥/٢ .

(٧) هو الحسن بن ابي الحسن : يسار . ابو سعيد مولى زيد بن ثابت . كان سيد اهل زمانه علما وعملا . توفي سنة (١١٠ هـ) .
(انظر سير اعلام النبلاء ٥٦٣/٤ . والبداية والنهاية ٢٧٨/٩) .
ونقل عنه الكراهة الشيخ الامين في اضواء البيان ٤٦٥/٤ .

أما الشيخ رحمه الله فيرى أنّ السحر إن كان يحلّ بالآيات الشرعية ، والأدعية المأثورة : فهذا مباح . وإن كان لايحلّ إلا بسحر مثله ، أوشيء ممنوع شرعا : فهذا لايجوز .

يقول رحمه الله : ((إنّ استخراج السحر إن كان بالقرآن والمعوذتين وآية الكرسي ، ونحو ذلك مما تجوز الرقية به : فلا مانع من ذلك . وإن كان بسحر ، أو بألفاظ عجمية ، أو بما لايفهم معناه ، أو بنوع آخر مما لايجوز : فإنه ممنوع . وهذا واضح ، وهو الصواب إن شاء الله تعالى كما ترى))(١) .

فالشيخ رحمه الله لم يمنع النشرة إن كانت بسبب مباح شرعا . أما النشرة التي تكون عن طريق الشيطان والسحرة : فهذه التي منعها ؛ لأنّ السحر من السبع الموبقات ، فكيف يحلّ الذهاب إلى الساحر والطلب منه أن يفكّ السحر ، والله سبحانه وتعالى لم يجعل شفاء أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيما حرم عليها .

واختم هذه المسألة بكلام للشيخ العلامة عبدالرحمن بن حسن(٢) رحمه الله في النشرة ، يقول فيه : ((إنّ ما كان منه بالسحر

---

(١) أضواء البيان ٤/٤٦٠ .

(٢) هو العلامة عبدالرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب . ولد في الدرعية سنة (١١٩٣ هـ) ، وتوفي في الرياض سنة (١٢٨٥ هـ) .
(انظر : علماء نجد ١/٥٦) .

فيحرم ، وما كان بالقرآن والدعوات والادوية المباحة فجائز . والله اعلم))(١) .

وهذا الكلام يتوافق مع ما قاله الشيخ الامين رحمه الله في هذه المسالة .

قدر تاثير الساحر في المسحور :

اشار الشيخ الامين رحمه الله إلى انّ هناك خلافا بين العلماء في بيان القدر الذي يمكن أن يبلغه تاثير السحر في المسحور .

وقد فصّل الشيخ رحمه الله في هذه المسالة ، وجعل لها واسطة وطرفين .

فالطرف الاول : لاخلاف في انّ تاثير السحر يبلغه ؛ كالتفريق بين الرجل وامراته ، وكالمرض الذي يصيب المسحور من السحر ، ونحو ذلك .

واستدل على ذلك بادلة من الكتاب والسنة :

اما الكتاب : فاشار إلى قوله تعالى : "فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه "(٢) .

واما من السنة : فاورد الحديث الثابت في الصحيحين ، وفيه

---

(١) فتح المجيد ص ٢٤٣ . ويعزى هذا القول إلى الحافظ ابن القيم كما في كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١٠ انظر فتح المجيد ٢٤٣

(٢) سورة البقرة ، الآية {١٠٢} .

أن" رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر ، حتى كان يرى أنه يأتي النساء ، ولايأتيهن" (١) .

والطرف الثاني : لاخلاف في أن" تأثير السحر لايمكن أن يبلغه ؛ كإحياء الموتى ، وفلق البحر ، ونحو ذلك .

وأما الواسطة : فهي التي وقع فيها الخلاف بين العلماء . وأمثلتها : هل يجوز أن ينقلب الإنسان بالسحر حمارا . أو الحمار إنسانا ؟ وهل يصح" أن يطير الساحر في الهواء ؟ أو يدقق جسمه حتى يتمكن من الدخول من كوة ضيقة ؟ أو ينتصب على رأس قصبة ؟ أو يجري على خيط مستدق ؟ أو يمشي على الماء ، ويركب الكلب ، ونحو ذلك ؟ .

ثم" ذكر رحمه الله أن" بعض الناس جعل من مقدور الساحر أن يفعل هذه الأمور ، ومنهم الفخر الرازي(٢) . وبعضهم منع ذلك(٣) .

---

(١) أخرجه البخاري ٢٩/٧ .
(٢) هو فخر الدين محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني . ويعرف بابن الخطيب . كان من أئمة الأشاعرة ، وذكر ابن كثير أنه رجع إلى معتقد السلف . توفي سنة (٦٠٦ هـ) .
(انظر : سير أعلام النبلاء ٥٠٠/٢١ . والبداية والنهاية ٦٠/١٣) .
(٣) انظر : أضواء البيان ٤٦٦/٤-٤٦٧ .

وممن اجازه المازري(١) ، وقال : هو مذهب الاشعرية (٢) ; لأنه لافاعل إلا الله تعالى(٣) .

وكذلك اجازه القرطبي ، ونقل ذلك عن بعض مشايخه ، فقال : ((قالوا : ولايبعد في السحر ان يستدق جسم الساحر حتى يتولج في الكوات والخوخات ، والانتصاب على راس قصبة ، والجري على خيط مستدق ، والطيران في الهواء ، والمشي على الماء ، وركوب كلب ، وغير ذلك . ومع ذلك فلا يكون السحر موجبا لذلك ، ولاعلة لوقوعه ، ولاسببا مولدا ، ولايكون الساحر مستقلا به ، وإنما يخلق الله تعالى هذه الاشياء ويحدثها عند وجود السحر ، كما يخلق الشبع

---

(١) هو العلامة محمد بن علي بن عمر التميمي المازري ، من كبار فقهاء المالكية . كان بصيرا بعلم الحديث . توفي سنة (٥٣٦ هـ) .
(انظر : سير اعلام النبلاء ١٠٤/٢٠ . وشذرات الذهب ١١٤/٤) .

(٢) هم اتباع ابي الحسن الاشعري ، وعلى مذهبه في طوره الثاني . وكان - في طوره الثاني - على معتقد الكلابية ، ثم رجع إلى معتقد اهل السنة والجماعة . والاشعرية الاغلب عليهم انهم مرجئة في باب الاسماء والاحكام ، جبرية في باب القدر ، اما في الصفات فليسوا بجهمية بل فيهم نوع من التجهم .
(راجع : الفتاوى ٥٥/٦ . وانظر : الملل والنحل ص ٩٤-١٠٣ . ومقدمة تحقيق د/عبدالله شاكر لرسالة اهل الثغر لابي الحسن الاشعري ص ٦٣-٦٨) .

(٣) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٧٥/١٤ .

عند الاكل ، والريّ عند شرب الماء))(١) .

أما موقف الشيخ رحمه الله فيختلف عن موقف من اجازه بهذا المعنى الذي تقدم ؛ فإنه رحمه الله قد اوضح انّ هذا النوع من السحر مقتدر للساحر على سبيل انّ الله هو خالق الأسباب ومسبباتها . وما يجري من هذه الافعال فالسحر سبب له . لكنه رحمه الله يميل إلى انّ هذه الأمثلة هي من نوع التخييل والشعوذة ، ليست من نوع تغيير طبيعة الشيء إلى غيرها . وقد اكد انّ هذا المعنى هو الاظهر عنده فقال : ((اما بالنسبة إلى أنّ الله قادر على ان يفعل جميع ذلك ، وانه يسبب ما شاء من المسببات على ما شاء من الاسباب وإن لم تكن هناك مناسبة عقلية بين السبب والمسبب كما قدمناه مستوفى في سورة مريم (٢) ، فلا مانع من ذلك والله جلّ وعلا يقول : "وما هم بضارين به من احد إلا بإذن

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣٣/٢ . إلا انه لم يذكر تحويل الساحر الإنسان إلى حمار ، والحمار إلى إنسان .

ونقل عنه الحافظ ابن حجر قوله : (والحقّ انّ لبعض اصناف السحر تاثيرا في القلوب ؛ كالحبّ والبغض وإلقاء الخير والشر ، وفي الابدان ؛ بالالم والسقم . وإنما المنكور انّ الجماد ينقلب حيوانا او عكسه بسحر الساحر ، ونحو ذلك) .

(انظر : فتح الباري ٢٣٣/١٠) .

(٢) ذكر الشيخ ذلك في اضواء البيان ٢٥٠/٤ .

الله "(١) . وأما بالنسبة إلى ثبوت وقوع مثل ذلك بالفعل فلم يقم عليه دليل مقنع ؛ لأنّ غالب ما يستدلّ عليه به قائله حكايات لم تثبت عن عدول ، ويجوز أن يكون ما وقع منها من جنس الشعوذة والأخذ بالعيون ، لاقلب الحقيقة مثلا إلى حقيقة أخرى . وهذا هو الأظهر عندي ، والله تعالى أعلم))(٢) .

وأوضّح كلام الشيخ رحمه الله ببعض النقاط :

أولا : ما قاله الشيخ الأمين رحمه الله من أنّ الله قادر على أن يفعل ، وأنه سبحانه يجعل بعض الأسباب لها تأثير في بعض الأشياء . هذا هو معتقد أهل السنة في أفعال الله سبحانه وتعالى .

والشيخ رحمه الله بهذا الكلام يردّ على من جعل بمقدور الساحر أن يفعل ما مرّ معنا من الأمثلة ، على كون الله هو الفاعل ، وأنّ الساحر لاسبب له في ذلك ولاقدرة ، وإنما خلقه الله عندما يريد الساحر ذلك ، لاكونه جعله الله سببا لحصول هذه الأمور . وهذا هو قول من ينكر حكمة الله والأسباب التي جعلها الله سببا لحصول بعض الأشياء ، ولافعل للعبد عندهم ، والله هو الفاعل . وهذا هو قول الأشاعرة كما مرّ معنا .

وقد بيّن شيخ الإسلام رحمه الله مقدورات الله ، وأنها على

---

(١) سورة البقرة ، الآية {١٠٢} .

(٢) أضواء البيان ٤/٤٦٧-٤٦٨ .

قسمين ، فقال : ((منها ما يفعله بواسطة قدرة العبد ؛ كأفعال العباد وما يمنعونه ، ومنها ما يفعله بدون ذلك ؛ كإنزال المطر))(١) .

وبهذا يتضح مراد الشيخ الأمين رحمه الله ؛ وهو أنّ الله يعطي الساحر من الأسباب ما به يستطيع أن تحصل له هذه الأمور ، والله هو خالق الأسباب ومسبباتها .

ثانيا : ما ذكر الشيخ رحمه الله من الأمثلة المختلف فيها عن مقدورات الساحر ؛ فهي بمقدور الخلق من الجنّ والإنس فعله ، وليست بصعبة عليهم . أما المثال الذي ذكره ضمن الأمثلة ؛ وهو أنّ الساحر بمقدوره أن يقلب الإنسان حمارا ، والحمار إنسانا : فهذا ليس باستطاعة الخلق فعله ؛ لأنه ليس من مقدورهم ، إلا على سبيل التخييل والشعوذة ؛ لأنّ السحرة تساعدهم الشياطين ، وهذا الأمر ليس باستطاعة الشياطين فعله ؛ لأنها لاتستطيع قلب عين إلى آخر ، ولا التصرف في الطبائع والحقائق ؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ((وجميع ما يختص بالسحرة والكهان وغيرهم ممن ليس بنبيّ : لايخرج عن مقدور الإنس والجنّ . وأعني بالمقدور : ما يمكنهم التوصل إليه بطريق من الطرق . . . . فما يقدر عليه

---

(١) النبوات ص ٤١٧ .

الساحر من سحر بعض الناس حتى يمرض أو يموت هو من مقدور الجنّ ، وهو من جنس مقدور الإنس))(١) .

وقال أيضا : ((فإنّ الساحر قد يصعد في الهواء والناس ينظرونه ، وقد يركب شيئا من الجمادات ؛ إما قصبة ، وإما خابية ، وإما مكنسة ، وإما غير ذلك فيصعد به الهواء ، وذلك أنّ الشياطين تحمله . وتفعل الشياطين هذا ونحوه بكثير من العباد والضلال من عباد الشركس ..... وكذلك المشي على الماء : قد يجعل له الجنّ ما يمشي عليه وهو يظنّ أنه يمشي على الماء ، وقد يخيلون إليه أنه التقى طرفا النهر ليعبر ، والنهر لم يتغير في نفسه ، ولكن خيلوا إليه ذلك))(٢) .

إذا : ما يفعله الساحر من هذه الأمور يكون بمساعدة الشيطان له ، فتتضافر قدرة الشيطان مع فعل الساحر فيحصل المطلوب .

فالشياطين يتلبسون بالسحرة ، ويحققون مآربهم إذا أطاعوهم ، لكن لايستطيعون قلب عين إلى آخر ؛ لأنه ليس بمقدور الخلق فعل ذلك ، وإنما هو الله وحده .

والشيخ الأمين رحمه الله يميل إلى أنّ هذه الأمور التي يظهر منها أنّ عين الشيء انقلبت إلى أخرى هي من التخييل والشعوذة ،

---

(١) النبوات ص ٣٩١ .

(٢) المصدر نفسه ص ٣٩٤-٣٩٥ .

وسحر عين الرائي ، وليس من قلب الحقيقة إلى أخرى .

ولاشك أنّ عمل الساحر إما أن يكون بالتأثير على أعين الناس ؛ فيرون الشيء على غير حقيقته . وإما أن يكون التأثير في المشاهد بفعل السحر الذي يتم بتعاون الشياطين مع السحرة ؛ قال ابن القيم رحمه الله : ((إنّ الساحر يفعل هذا وهذا ؛ فتارة يتصرف في نفس الرائي وإحساسه حتى يرى الشيء بخلاف ما هو به . وتارة يتصرف في المرئي باستعانته بالأرواح الشيطانية حتى يتصرف فيها))(١) .

وكلّ ذلك - ولله الحمد - ليس فيه قلب للحقائق كما قال الشيخ الأمين رحمه الله ؛ لأنّ السحر كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لايتعدى مقدور الخلق ، والخلق ليس باستطاعتهم قلب الطبائع .

---

(١) بدائع الفوائد ٢٢٨/٢ .

القول بانهم كفار ، فلا إشكال في انّ فعلهم ليس بحجة ؛ إذ لم يقل احد بالاحتجاج بافعال الكفار كما هو ضروري . وعلى القول بانهم مسلمون كما يدلّ له ذكر المسجد ؛ لانّ اتخاذ المساجد من صفات المسلمين ، فلا يخفى على ادنى عاقل انّ قول قوم من المسلمين في القرون الماضية انهم سيفعلون كذا لايعارض به النصوص الصحيحة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم إلا من طمس الله بصيرته ؛ فقابل قولهم : "لنتخذنّ عليهم مسجدا "(١) بقوله صلى الله عليه وسلم في مرض موته قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى بخمس : "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد" الحديث(٢) . يظهر لك انّ من اتبع هؤلاء القوم في اتخاذهم المسجد على القبور ملعون على لسان الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم كما هو واضح. ومن كان ملعونا على لسانه صلى الله عليه وسلم فهو ملعون في كتاب الله ، كما صحّ عن ابن مسعود رضي الله عنه ؛ لانّ الله يقول : "وما آتاكم الرسول فخذوه "(٣) ..))(٤) .

وبذلك يتضح انّ هذه الآية لاتدل على جواز البناء على القبور

---

(١) سورة الكهف ، الآية {٢١} .

(٢) اخرجه مسلم ٣٧٦/١ ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) سورة الحشر ، الآية {٧} .

(٤) نقلا عن اضواء البيان ١٧٧/٣ ؛ فإني لم اعثر عليه في تفسير الطبري .

كما زعم بعضهم .

وقد قال العلامة الآلوسي(١) رحمه الله : ((وكيف يمكن أن يكون اتخاذ المساجد على القبور من الشرائع المتقدمة ، مع ما سمعت من لعن اليهود والنصارى حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))(٢) .

وهذا واضح ؛ إذ لو كان شرعا لمن قبلنا لما لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعله من الأمم الماضية ، فدلّ على أنه من الأمور المحرمة عند جميع الأمم ؛ لأنه من وسائل الشرك . وكما هو معروف فإنّ الأنبياء جميعهم يدعون إلى عبادة الله وحده لاشريك له ، ويسدون الذرائع الموصلة إلى عبادة غيره جلّ وعلا .

أما استدلالهم بأنه كان في موضع مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم قبور للمشركين ؛ فقد نقل الشيخ الأمين رحمه الله ردّ الإمام الطبري على هؤلاء فقال رحمه الله : ((وأما استدلالهم بأنّ مسجد النبيّ صلى الله عليه وسلم بالمدينة مبنيّ في محل مقابر المشركين : فسقوطه ظاهر ؛ لأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أمر بها فنبشت وأزيل ما فيها ؛ ففي الصحيحين من حديث أنس رضي الله

---

(١) شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبدالله الحسني الآلوسي . ولد في بغداد سنة (١٢١٧ هـ) ، وتوفي سنة (١٢٧٠ هـ) . من تصانيفه : روح المعاني .
(انظر : الأعلام ١٧٦/٧-١٧٧ . والتفسير والمفسرون ٣٥٢/١).
(٢) روح المعاني ٢٣٩/١٥ .

عنه : "فكان فيه ما اقول لكم : قبور المشركين ، وفيه خرب ، وفيه نخل . فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين فنبشت ، ثم بالخرب فسويت ، وبالنخل فقطع . فصفوا النخل قبلة المسجد ، وجعلوا عضادتيه الحجارة ... " الحديث . هذا لفظ البخاري(١) ، ولفظ مسلم قريب منه بمعناه (٢) . فقبور المشركين لاحرمة لها ، ولذلك امر صلى الله عليه وسلم بنبشها وإزالة ما فيها ، فصار الموضع كان لم يكن فيه قبر اصلا ؛ لأزالته بالكلية . وهو واضح كما ترى))(٣) .

ولذلك لايوجد - ولله الحمد - ادلة يتمسك بها من اجاز البناء على القبور ؛ لأن مبدا عبادة الأوثان اصلها من الفتنة بالمقبورين . لذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البناء على القبور ، واتخاذ المساجد عليها ، وحذر امته من ذلك . وكل ذلك من نصحه عليه السلام لأمته ، ومن حرصه على حماية جناب التوحيد ؛ فالفتنة بالمقبورين من الوسائل الموصلة إلى عبادتها من دون الله جل وعلا ، وهذا ما يريده الشيطان من المؤمنين ؛ يريد ان يضلهم ضلالا بعيدا .

---

(١) اخرجه البخاري في صحيحه ١/١١١ .

(٢) انظر صحيح مسلم ١/٣٧٣ .

(٣) نقلا عن اضواء البيان ٣/١٧٧ .

وقد بيّن الشيخ الأمين رحمه الله حرمة البناء على القبور فقال : ((والتحقيق الذي لاشك فيه أنه لايجوز البناء على القبور ولاتجصيصها ; لما رواه مسلم في صحيحه وغيره عن أبي الهياج الأسدي(١) أنّ عليا رضي الله عنه قال له : "ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ; ألا تدع تمثالا إلا طمسته ، ولاقبرا مشرفا إلا سويته "(٢) ، ولما ثبت في صحيح مسلم وغيره أيضا عن جابر رضي الله عنه قال : "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر ، وأن يقعد عليه ، وأن يبنى عليه "(٣) . فهذا النهي ثابت عنه صلى الله عليه وسلم ، وقد قال : "إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه "(٤) ، وقال جلّ وعلا : "وما نهاكم عنه فانتهوا "(٥) ..))(٦) .

وهذه النصوص الشرعية التي ذكرها الشيخ رحمه الله أدلة قاطعة على تحريم هذا العمل ، حتى تبقى دعوة التوحيد خالصة لله لايشوبها إشراك ; لذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ((فهذا

---

(١) هو حيان بن حصين الكوفي . روى عن علي ، وعمار . وذكره ابن حبان في الثقات . وقال العجلي : تابعي ثقة .
(انظر : تهذيب التهذيب ٦٧/٣) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٦٦٦/٢ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٦٦٧/٢ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ١٤٢/٨ .

(٥) أضواء البيان ١٧٧/٣-١٧٨ .

التحذير منه ، واللعن عن مشابهة اهل الكتاب في بناء المساجد على قبر الرجل الصالح صريح في النهي عن المشابهة في هذا ، ودليل على الحذر من جنس اعمالهم حيث لايؤمن في سائر اعمالهم ان تكون من هذا الجنس . ثم من المعلوم ما قد ابتلي به كثير من هذه الامة من بناء المساجد على القبور ، واتخاذ القبور مساجد بلا بناء . وكلا الامرين محرم ملعون فاعله بالمستفيض من السنة))(١) .

ولذلك نرى الشيخ الامين رحمه الله يؤكد ان" عقيدة هذه الامة المحمدية هي تحريم البناء على القبور ، وقد ايد كلامه بالنصوص الصريحة في النهي عن البناء على القبور ، وفي الامر بهدم ما بني منها وتسويته بالارض سدا لذريعة الشرك ، وحماية لجناب التوحيد .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢٩٥/١ .

الفصل الثالث

جهود الشيخ الأمين في توضيح توحيد الأسماء والصفات

وفيه مبحثان :

المبحث الأول

جهوده في إبراز عقيدة السلف في الصفات

وفيه مطالب :

المطلب الأول : تعريف توحيد الأسماء والصفات .

المطلب الثاني : الأسس التي يقوم عليها معتقد السلف في الصفات .

المطلب الثالث : قواعد في الصفات .

المطلب الرابع : ذكر جملة من الصفات التي ذكرها الشيخ الأمين رحمه الله .

المبحث الثاني

موقفه من أهل التأويل

وفيه مطالب :

المطلب الأول : معاني التأويل .

المطلب الثاني : بعض شبه أهل التأويل ، ورد الشيخ الأمين رحمه الله عليها .

المطلب الثالث : مقارنة بين مذهب السلف والخلف .

المطلب الرابع : رجوع بعض أئمة أهل التأويل إلى معتقد السلف .

الفصل الثالث

جهود الشيخ رحمه الله في توضيح توحيد الأسماء والصفات

تمهيد :

إنّ توحيد الأسماء والصفات من أصول دين الإسلام الذي بعث الله به رسله ، وأنزل به كتبه .

وتوحيد الأسماء والصفات أحد أقسام التوحيد الثلاثة الذي لايتمّ الإيمان إلا به ، والله سبحانه وتعالى خلق الخلق ليعرفوه ، ويعبدوه . والطريق إلى معرفة الله يكون بمعرفة أسمائه وصفاته ، والتعبد بها . وقد عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته به .

والله تبارك وتعالى وصف لنا نفسه سبحانه ، ووصفه رسوله صلى الله عليه وسلم . وليس لنا طريق لمعرفته إلا الكتاب والسنة ؛ لأنّ الله لايرى في هذه الدنيا ؛ كما قال تعالى : "قال ربي أرني أنظر إليك قال لن تراني"(١) ، وكما قال صلى الله عليه وسلم : "إنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت"(٢) .

فهذا النوع من التوحيد من أشرف العلوم ، وبمعرفته يتمّ إيمان العبد . وهو يستلزم أن لايعبد إلا الله ، ولايتوجه إلا إليه

---

(١) سورة الأعراف ، الآية [١٤٣] . أخرجه مسلم ٤/٢٢٤٥

(٢) أخرجه الترمذي ٥٠٨/٤ ، وقال : حديث حسن صحيح .

سبحانه ؛ فهو إذا مستلزم لتوحيد الألوهية ؛ فإذا أخبرنا الله بأنه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، وبأنه الخالق والرازق ، والمعطي والمانع فهذا يستلزم أن لانصرف شيئا من العبادة إلا إليه ، وأن لانشرك به أحدا جلّ وعلا .

وللإمام ابن القيم رحمه الله كلام نفيس حول هذا المعنى يقول فيه رحمه الله : ((فلكلّ صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها ؛ أعني من موجبات العلم بها ، والتحقق بمعرفتها . وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح ؛ فعلم العبد بتفرد الربّ تعالى بالضرّ والنفع ، والعطاء والمنع ، والخلق والرزق ، والإحياء والإماتة : يثمر له عبودية التوكل عليه باطنا ، ولوازم التوكل وثمراته ظاهرا . وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه ، وأنه لايخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولافي الأرض ، وأنه يعلم السرّ وأخفى ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور : يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كلّ ما لايرضي الله))(١) .

ثم يذكر بعض الصفات وآثارها ، ويختم كلامه بقوله : ((فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات))(١) .

ولذلك فأهمية هذا التوحيد في حياة المسلم عظيمة ، وآثاره في الكون جليلة .

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢/٤٩١-٤٩٢ .

وقد تكفل الله بإظهار دينه ، وبحفظه من التبديل والتحريف حتى يبقى الدين كله لله ، وهيأ له العلماء الذين يذودون عنه تحريف الغالين ، وتلبيس الجاهلين ، وانتحال المبطلين ، فكلما ظهرت بدعة قيض الله لها من كشف زيفها وضررها على الدين ؛ لأنه لارسول ولانبي بعد خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم .

وبذلك بقي معتقد السلف ظاهرا وواضحا لالبس فيه ولاخفاء .

وقد اهتم علماء السنة بهذه العقيدة ؛ فمنهم من ألف في تسهيلها وتوضيحها المؤلفات العظيمة ، ومنهم من ردّ على من خاض فيها بغير علم ودعا إلى غير هدى .

ومن هؤلاء العلماء : الشيخ محمد الأمين رحمه الله ، الذي نصر عقيدة أهل السنة والجماعة بلسانه وقلمه ، وذاد عن حماها كلّ معطل ومحرف ومشبه ، وقلّ أن يخلو كتاب من كتبه من اهتمام بعقيدة السلف ، ودعوة إليها ؛ كما مرّ معنا عند الكلام على جهوده في إبراز توحيد الألوهية واهتمامه به ، وكما سيظهر لنا في هذا الفصل من اهتمامه بتوحيد الأسماء والصفات .

ومن أول الأمور الدالة على اهتمام الشيخ الأمين رحمه الله بهذا النوع من التوحيد ، والتي يلاحظها الباحث عند قراءته في مؤلفاته أنه جعل البحث في الصفات نوعا من أنواع بيان القرآن بالقرآن ؛ فيقول رحمه الله : ((ومن أنواع البيان المذكور في هذا

الكتاب المبارك ، وهو من اهمها : بيان ان" جميع ما وصف الله به نفسه في هذا القرآن العظيم من الصفات ؛ كالاستواء ، واليد ، والوجه ، ونحو ذلك من جميع الصفات: فهو موصوف به حقيقة لامجازا ، مع تنزيهه جل" وعلا عن مشابهة صفات الحوادث سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا . وذلك البيان العظيم لجميع الصفات في قوله جل" وعلا : "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"(١) ؛ فنفى عنه مماثلة الحوادث بقوله : "ليس كمثله شيء" ، واثبت له الصفات على الحقيقة بقوله : "وهو السميع البصير"))(٢) .

ومن اهتمامه بهذا النوع من انواع التوحيد : إبرازه وإيضاحه باسلوب عربي بعيد عن مصطلح اهل الكلام ؛ لتكون الفائدة في الانتفاع به اعم" ؛ يقول رحمه الله : ((وقد أردنا ان نوضحها هنا باختصار باسلوب عربي خال من اصطلاح اهل المنطق واهل البحث والمناظرة ، لينفع الله بذلك من اراد هدايته من خلقه))(٣) .

لذلك نراه رحمه الله يكره التعمق في آيات الصفات مشيرا إلى ان" ذلك هو طريق السلف ، فيقول رحمه الله : ((اعلموا ان" كثرة الخوض والتعمق في البحث في آيات الصفات ، وكثرة الأسئلة في ذلك

---

(١) سورة الشورى ، الآية {١١} .

(٢) اضواء البيان ١/٨١-٨٢ .

(٣) آداب البحث والمناظرة ١٢٧/٢ .

الموضوع من البدع التي يكرهها السلف))(١) .

لأنّ عقيدة السلف واضحة تقوم على نصوص الكتاب والسنة ، بعيدة عن شبه المعطلين والمشبهين ، وتربط المسلم بسلفه الصالح ، وتحجزه عن ان يتكلم في ذات الله وصفاته بغير علم .

لذلك نرى الشيخ رحمه الله مستاء من ابتعاد كثير من الناس عن طريق السلف الصالح ، وانتهاجهم طريقة أهل المنطق التي توقع صاحبها في تعطيل الله عن صفاته ; يقول رحمه الله : ((اما هذا الكلام الذي يدرس في اقطار الدنيا اليوم في المسلمين ، فإنّ اغلب الذين يدرسونه إنما يبحثون من الصفات التي يسمونها صفات المعاني سبع صفات فقط ، وينكرون سواها من المعاني))(٢) .

لذا فقد اعتنى الشيخ رحمه الله بإظهار العقيدة الصحيحة ، والذبّ عنها ; فقد ابرز رحمه الله الأسس التي يقوم عليها منهج الأسماء والصفات عند السلف ، وأنّ الضابط هو الكتاب والسنة ; فكلّ ما ثبت فيهما من الصفات يوصف به الله على ما يليق بجلاله سبحانه وتعالى . وكذلك فقد ابان رحمه الله عن كثير من الصفات بالتفصيل وفق العقيدة الصحيحة ، مبينا ادلتها ، وسهولة مأخذها ، وانها بعيدة عن شوائب التشبيه والتعطيل .

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٣ .

ثمّ نراه رحمه الله يبيّن خطأ طريقة المتكلمين في الصفات ، موضحا شبههم ، ورادا عليهم . وقد اثبت رجوع كثير من ائمتهم في اواخر حياتهم مؤيدا ذلك بنقولات من كتبهم .

وفي الأخير يعقد مقارنة بين مذهب السلف وبين الخلف مبرزا مذهب السلف ، مشيرا إلى انه هو الأسلم والأحكم والأعلم ، وانه المنجي يوم القيامة ، موضحا الأخطاء التي وقع فيها اهل التاويل ، وانّ الاعتقاد فيهم انهم اجتهدوا فاخطاوا فكان قصدهم حسنا ، غير انّ طريقهم سيء .

هذه ابرز النقاط التي تحدث عنها الشيخ رحمه الله عند كلامه على توحيد الاسماء والصفات .

وقد قمت بتقسيم هذا الموضوع إلى مبحثين ؛ تكلمت في الاول عن جهود الشيخ رحمه الله في إبراز عقيدة السلف في الأسماء والصفات ، وفي الثاني عن موقفه رحمه الله من اهل التاويل .

المبحث الأول

جهود الشيخ في إبراز عقيدة السلف في الصفات

المطلب الأول

تعريف توحيد الأسماء والصفات

يقوم هذا التعريف على أساسين ، ذكرهما الله في قوله تعالى : "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"(١) ؛ وهما : إثبات صفات الكمال كما جاءت بالسمع ، ونفي صفات العيوب والنقص .

وقد اعتمد الشيخ رحمه الله على هذه الآية عند تعريفه لهذا النوع من أنواع التوحيد ؛ فقد اثبت الأسماء والصفات لله كما جاءت في الكتاب والسنة ، مع نفي صفات النقص والعيوب .

قال رحمه الله عند تعريفه لأنواع التوحيد : ((النوع الثالث : هو توحيده جلّ وعلا في أسمائه وصفاته . وهذا النوع من التوحيد ينبني على أصلين ؛ كما بينه جلّ وعلا :

(الأول) : هو تنزيهه تعالى عن مشابهة صفات الحوادث .

(الثاني) : هو الإيمان بكلّ ما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، حقيقة لامجازا على الوجه اللائق بكماله وجلاله .

---

(١) سورة الشورى ، الآية {١١} .

ومعلوم انه لايصف الله اعلم بالله من الله ، ولايصف الله بعد الله اعلم بالله من رسول الله ، والله يقول : "أأنتم أعلم أم الله "(١) ، ويقول عن رسوله : "وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى"(٢) ؛ فقد بيّن تعالى نفي المماثلة عنه بقوله : "ليس كمثله شيء" ، وبيّن إثبات الصفات له على الحقيقة بقوله : "وهو السميع البصير" ؛ فأول الآية يقضي بعدم التمثيل ، وآخرها يقضي بعدم التعطيل . فيتضح من الآية أنّ الواجب إثبات الصفات حقيقة من غير تمثيل ، ونفي المماثلة من غير تعطيل . وبيّن عجز الخلق عن الإحاطة به جلّ وعلا ، فقال : "يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولايحيطون به علما "(٣) ..))(٤) .

ويقول رحمه الله في موضع آخر : ((إنّ الحقّ الذي هو مذهب أهل السنة والجماعة إثبات هذه الصفات التي أثبتها تعالى لنفسه ، والإيمان بها من غير تكييف(٥) ، ولاتشبيه(٦) ،

---

(١) سورة البقرة ، الآية {١٤٠} .
(٢) سورة النجم ، الآيتان {٣-٤} .
(٣) سورة طه ، الآية {١١٠} .
(٤) محاضرة (الإسلام دين كامل) ص ٩-١٠ . وانظر أضواء البيان ٣٢١/٢ ، ٤١١/٣ . ومنع جواز المجاز - الملحق بأضواء البيان ٥٤/١٠ - .
(٥) التكييف : هو تعيين كيفية الصفة .
(٦) التشبيه : هو تشبيه الشيء بالشيء لمشابهته من بعض الوجه ، وهو لايقتضي التماثل .

ولاتعطيل (١) ، ولاتمثيل (٢) ..)) (٣) .

ويزيد رحمه الله هذا المعنى إيضاحا ، مبينا الطريقة الصحيحة لفهم الصفات ، والضابط الذي نميز به صفات الله سبحانه وتعالى حتى نعتقدها في قلوبنا ، ونتعبد بها في جوارحنا ؛ فيقول : ((ومن اعتقد انّ وصف الله يشابه صفات الخلق ، فهو مشبه ملحد ضال . ومن اثبت ما اثبته لنفسه ، او اثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم مع تنزيهه جلّ وعلا عن مشابهة الخلق ؛ فهو مؤمن جامع بين الإيمان بصفات الكمال والجلال ، والتنزيه عن مشابهة الخلق ، سالم من ورطة التشبيه والتعطيل . والآية التي اوضح الله بها هذا هي قوله تعالى : "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" ؛ فنفى عن نفسه جلّ وعلا مماثلة الحوادث بقوله تعالى : "ليس كمثله شيء" ، واثبت لنفسه صفات الكمال والجلال بقوله : "وهو السميع البصير" ؛ فصرح

---

(١) التعطيل : هو نفي الصفات ، او بعضها عن الله سبحانه وتعالى.

(٢) التمثيل : هو ان يقال : إنّ صفات الله مثل صفات المخلوقين ؛ كان يقول : يد لله كايدينا . فالمماثلة تقتضي المساواة من كلّ وجه ، بخلاف المشابهة .

وقد اخذت هذه التعريفات الأربعة من التحفة المهدية لابن مهدي ص ٢٥٩ ، وشرح العقيدة الواسطية : للشيخ صالح الفوزان ص ١٤ .

(٣) منع جواز المجاز ص ٩ .

في هذه الآية الكريمة بنفي المماثلة مع الاتصاف بصفات الكمال والجلال))(١) .

وقال الشيخ الأمين رحمه الله في موضع آخر ؛ عند تفسير قوله تعالى : "يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان"(٢) : ((فنحن معاشر المسلمين نصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، ونثبت له ما أثبت لنفسه ، منزهين خالق السموات والأرض عن مشابهة الخلق ؛ فلا نميل إلى التعطيل ، ولا إلى التمثيل ، بل نقرّ بصفات الله ونؤمن بها على سبيل مخالفة صفات الخلق ، كما علمنا الله في قوله : "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"(٣) ..))(٤) .

وهذا المسلك الذي سلكه الشيخ الأمين رحمه الله في توضيحه لتعريف توحيد الأسماء والصفات ، هو ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله : ((فالأصل في هذا الباب - توحيد الصفات - أن يوصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفته به رسله نفيا وإثباتا ؛ فيثبت لله ما أثبته لنفسه ، وينفى عنه ما نفاه عن

---

(١) أضواء البيان ٣٠٥/٢ . وانظر : المصدر نفسه ٤١١/٣ .
(٢) سورة التوبة ، الآية {٢١} .
(٣) سورة الشورى ، الآية {١١} .
(٤) الوجه الثاني ، من الشريط رقم {٢} الخاص بتفسير سورة التوبة .

نفســـه . وقــد علم أنّ طريقة سلف الأمة وأئمتها : إثبات ما أثبته من الصفــات مــن غــير تكــييف ولاتمثيل ، ومن غير تحريف ولاتعطيل . وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفســه))(١) .

وقــال العلامــة الســفاريني(٢) رحمــه اللــه فــي تعريفــه لهــذا التوحــيد : ((توحــيد الصفــات : أن يــوصف اللــه تعالى بما وصف به نفســه ، وبمــا وصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم نفيا وإثباتا ؛ فيثبت له ما أثبته لنفســه ، وينفى عنه ما نفاه عن نفســه))(٣) .

وبهــذا يتضــح لنــا أنّ الشيخ الأمين رحمه اللــه متبع لمنهج أهل الحقّ الــذي هو وســط بين المعطلة والممثلة .

---

(١) العقيــدة التــدمريــة ص ٧ .

(٢) هــو العلامة محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني ، ولد في سفارين عام (١١١٤ هـ) ، وتوفي في نابلس سنة (١١٨٨ هـ) .
(انظر : الأعلام ١٤/٦ ، ومعجم المؤلفين ٢٦٢/٨) .

(٣) لوامع الأنوار البهية ١٢٩/١ .

المطلب الثاني

معتقد السلف في الصفات يقوم على ثلاثة أسس

إنّ من الأمور الأساسية لفهم العقيدة هو ذكر المبادئ التي تقوم عليها ، والضوابط المميزة لها ; فهي المعيار الذي يعرف بها قرب الشخص أو بعده في تحقيق العقيدة الصحيحة .

وعقيدة السلف في الصفات تقوم على أسس عظيمة حرص الشيخ الأمين رحمه الله على إبرازها ، والإشارة إلى أهميتها ، وأكد أنّ من أحرز تلك الدعائم الثابتة فهم الصفات كما فهمها السلف الصالح . وبيّن أنها الطريق الوحيد التي تأخذ بالعبد بعيدا عن أهل التعطيل والتشبيه .

وقد أوضح رحمه الله أنّ هذه الأسس قائمة على الكتاب والسنة التي من اعتقدها ووعاها فقد أخذ بعقيدة الصفات طرية كما جاءت من عند الله ، وفاز بثواب الدنيا والآخرة .

قال رحمه الله : ((اعلم أنّ المعتقد الصحيح المنجي عند الله في آيات الصفات هو ما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم ، وهو مقتضى نصوص القرآن العظيم . وهو مبنيّ على ثلاثة أسس ، كلها صرح الله بها في كتابه عن نفسه ، وصرح بها رسوله صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة . ولايصف الله أعلم بالله من الله :

"أأنتم أعلم أم الله"(١) . ولايصف الله بعد الله أعلم بالله من رسوله صلى الله عليه وسلم الذي قال سبحانه في حقه : "وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى"(٢) ..))(٣) .

وهذه الأسس التي أبرزها الشيخ رحمه الله لكل من أراد أن يفهم عقيدة السلف في الصفات : ثلاثة :

(الأول) : تنزيه الله عن مشابهة الخلق .

(الثاني) : الإيمان بالصفات الثابتة بالكتاب والسنة .

(الثالث) : قطع الطمع عن إدراك الكيفية .

وقد كررها الشيخ الأمين رحمه الله مرارا في مؤلفاته ومحاضراته ودروسه ، حتى ترسخ في أذهان الناس ، فتنعقد في قلوبهم .

وهذه الأسس كفيلة لمن أخذ بها أن يكون متمسكا بالعروة الوثقى ، فهي طريق سلامة ، آمن من سلكها .

قال الشيخ رحمه الله موضحا أول هذه الأسس : ((هو تنزيه خالق السموات والأرض جل وعلا عن مشابهة خلقه في شيء من ذواتهم أو صفاتهم أو أفعالهم سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا . وهذا

---

(١) سورة البقرة ، الآية {١٤٠} .

(٢) سورة النجم ، الآيتان {٣-٤} .

(٣) آداب البحث والمناظرة ١٢٧/٢ .

الأســاس الأعظم للعقيـدة الصحيحـة ؛ صرح الله به في قوله : "ليس كمثلـه شـيء"(١) ، وقولـه : "ولم يكن له كفوا احد"(٢) ، وقوله : "هـل تعلـم لـه سميا"(٣) ، وقوله : "فلا تضربوا لله الأمثال"(٤) . ومـن وفقـه اللـه لفهم هذا الأساس الأعظـم ، ونزه خالقه عن مشابهة الخـلق تنزيهـا تامـا جازمـا به قلبه ؛ فإن قلبه يكون طاهرا من اقـذار التشبيه ، وتكون عقيدته مبنية على اساس صحيح ؛ وهو تنزيه خـالق السموات والارض عن مشابهة خلقه ، في ضوء قوله تعالـى : "ليس كمثلـه شيء" ، ونحوها من الآيات . فإذا استحكم هذا الأســاس الأعظم فـي قلـب المـؤمن كـان استحكامه فيـه سببا لتوفيقـه للأســاس الثانـي))(٥) .

ثـم بيّـن رحمه الله الأســاس الثاني ، فقال : ((تصديق اللـه فيمـا اثنى به على نفسـه ، وتصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمـا اثنـى علـى ربـه . والإيمان بتلك الصفات الثابتة في القرآن العظيم والسـنة إيمانا مبنيا على اساس ذلك التنزيه))(٦) .

---

(١) سورة الشورى ، الآية {١١} .

(٢) سورة الإخلاص ، الآية {٤} .

(٣) سورة مريم ، الآية {٦٥} .

(٤) سورة النحل ، الآية {٧٤} .

(٥) آداب البحث والمناظرة ٢/١٢٧-١٢٨ .

(٦) المصدر نفسه ٢/١٢٨ .

ثمّ يزيد رحمه الله هذين الأساسين إيضاحا ، ويشرع في شرحهما شرحا وافيا فيقول : ((فهذان أساسان عظيمان : الأول : تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه . والثاني : الإيمان بصفاته الثابتة في الوحي الصحيح إيمانا مبنيا على أساس ذلك التنزيه ، بعيدا كلّ البعد عن مشابهة الخلق . وكيف يخطر في ذهن المؤمن العاقل مشابهة الخلق لخالقهم ؛ فالصنعة لاتشبه صانعها بحال . وهذان الأساسان أوضحهما الله في محكم كتابه إيضاحا لايترك في الحقّ لبسا ولاشبهة ، وذلك في قوله : "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" ؛ لأنّ قوله : "وهو السميع البصير" بعد قوله : "ليس كمثله شيء" فيه سر أعظم ، وتعليم أكبر في أوضح عبارة وأوجزها لايترك في الحقّ لبسا . وإيضاح ذلك أنّ السمع والبصر من حيث هما سمع وبصر صفتان يتصف بهما جميع الحيوانات - ولله المثل الأعلى - . فكأنّ الله يقول : يا عبدي لايخطر في عقلك أنّ سمعي وبصري يشابهان أسماع المخلوقين وأبصارهم حتى تقول إنّ هذا النص يوهم غير اللائق فتؤوله أو تنفيه ، بل أثبت لي سمعي وبصري كما أثنيت بهما على نفسي إثباتا مبنيا على أساس التنزيه ، ولاحظ في ذلك قولي قبله : "ليس كمثله شيء" . وهذا تعليم قرآني لايترك في الحقّ لبسا ولاشبهة ، فأول الآية الكريمة الذي هو : "ليس كمثله شيء" تنزيه تام غير تشبيه ولاتمثيل ، فيجب علينا أن نعتقد ما دلّ عليه أولها من التنزيه ،

وما دلّ عليه آخرها من إثبات الصفات ، والإيمان بها على أساس ذلك التنزيه . فلا نتنطع بين يدي خالقنا وننفي عنه صفة الكمال [التي] اثنى بها على نفسه ، ولانشبه خالقنا بخلقه ، بل نجمع بين التنزيه أولا والإيمان بالصفات ثانيا حسبما دلت عليه آية "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"))(١) .

وبعد هذا الشرح المستفيض من الشيخ رحمه الله لهذين الأساسين العظيمين يوضح الأساس الثالث فيقول رحمه الله : ((هو أن تعلم أنّ العقول البشرية عاجزة عن إدراك كيفية اتصاف الله جلّ وعلا بتلك الصفات ; لأنّ قوله تعالى : "يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولايحيطون به علما"(٢) صريح في أنّ إحاطة علم البشر به جلّ وعلا منفية نفيا باتا قرآنيا))(٣) .

ثمّ يبين رحمه الله أنّ من أخلّ بأحد هذه الأسس فقد جانب الصواب ، وسار على غير هدى ، فيقول - مخبرا عن هذه الأسس - : ((من جاء بها كلها فقد وافق الصواب ، وكان على الاعتقاد الذي كان

---

(١) آداب البحث والمناظرة ١٢٧/٢-١٢٨ .

(٢) سورة طه ، الآية {١١٠} .

(٣) آداب البحث والمناظرة ١٢٨/٢ .

وانظر هذه الأسس الثلاثة أيضا في (منهج ودراسات) ص ٩-١٠. ومعارج الصعود ص ١١٤ . وتفسير سورة النور - جمع د/عبدالله قادري - ص ١٣٨-١٤٠ .

عليه النبي" صلى الله عليه وسلم واصحابه والسلف الصالح ، ومن اخل" بواحد من تلك الأسس الثلاثة فقد ضل")) (١) .

اما من تمسك بجميع هذه الأسس العظيمة فقد سار على طريق سلامة محقق ، وهو ناج يوم العرض الاكبر ، لانه قد استنار بالكتاب والسنة .

قال رحمه الله : ((لو متم يا إخواني وانتم على هذا المعتقد اترون الله يوم القيامة يقول لكم : لم نزهتموني عن مشابهة الخلق ويلومكم على ذلك ؟ لا وكلا ، والله لايلومكم على ذلك . اترون انه يلومكم على انكم آمنتم بصفاته وصدقتموه فيما اثنى به على نفسه ويقول لكم : لم اثبتم لي ما اثبت لنفسي ، او اثبت لي رسولي ؟ لا والله لايلومكم على ذلك ، ولاتاتيكم عاقبة سيئة من ذلك . وكذلك لايلومكم الله يوم القيامة ويقول لكم : لم قطعتم الطمع عن إدراك الكيفية ولم تحددوني بكيفية مدركة)) (٢) .

وبهذا الاسلوب الرائع من الشيخ رحمه الله في عرضه العقيدة الصحيحة في الصفات ، وبسطه لها بالكلام المقنع ، ووضع القارئ امام الأمر الواقع ، وانه سيقف امام الله يوم القيامة . فمن اخذ

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ٤٤-٤٥ . وانظر : آداب البحث والمناظرة ١٣٠/٢ .

بتلك الأسس فإنه سوف يستمسك بالأسباب المنجية . ولكنّ الخوف كلّ الخوف على من حاد عنها فعطّل أو حرف أو شبه ، فماذا يكون جوابه عن ذلك يوم الفزع الاكبر .

وبهذه الحجة المقنعة من الشيخ رحمه الله نستطيع أن ندرك ما كان رحمه الله يتمتع به من عقلية فذة ، وعلم واسع ، وحجة قوية ، وفهم لعقيدة السلف ، وحرص على العمل بها ونشرها بين الناس .

وبعد أن فهمنا هذه الأسس العظيمة كما قررها الشيخ الأمين رحمه الله ، ولبيان سلامة فهم الشيخ ، واتباعه لمنهج السلف ، وبعده عن سواه من المناهج المبتدعة اختم الكلام بإيراد بعض أقوال السلف التي تؤيد ما ذكره الشيخ رحمه الله ، وتدلّ على أنه مقتف آثار السلف الصالح ، وعلى نهجهم يسير ، وإلى ما ذهبوا إليه يذهب :

فقد قال الإمام الشافعي رحمه الله : ((لله أسماء وصفات لايسع احدا ردها ، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر . وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل ; لانّ علم ذلك لايدرك بالعقل ولا الرؤية والفكر ، فنثبت هذه الصفات ، وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال : "ليس كمثله شيء"(١)))(٢) .

---

(١) سورة الشورى ، الآية {١١} .

(٢) فتح الباري ٤١٨/١٣ . وانظر طبقات الحنابلة ٢٨٣/١ .

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري(١) رحمه الله : ((وأجمعوا على وصف الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه ، ووصفه به نبيه من غير اعتراض فيه ، ولاتكييف له . وأن الإيمان به واجب ، وترك التكييف له لازم))(٢) .

وقال الإمام ابن خزيمة(٣) رحمه الله : ((فنحن وجميع علمائنا من أهل الحديث ، وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه ، نقر بذلك بألسنتنا ،

---

(١) هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر . ينتسب إلى أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكنيته أبو الحسن . ولد في البصرة سنة (٢٦٠ هـ) ، وتوفي على القول الراجح سنة (٣٢٤ هـ) في بغداد . وكان له ثلاث أحوال : كان في أولاها معتزليا ، وسلك في الثانية مذهب ابن كلاب ، ورجع أخيرا إلى معتقد السلف ، وألف عدة كتب في نصرة معتقدهم ; ككتاب الإبانة ، ورسالة إلى أهل الثغر ، ومقالات الإسلاميين .
(انظر : البداية والنهاية ١٩٩/١١ . وشذرات الذهب ٣٠٣/٢ . ومقدمة تحقيق د/ عبدالله شاكر لرسالة إلى أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري) .

(٢) رسالة إلى أهل الثغر ص ٢٣٦ .

(٣) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة السلمي النيسابوري الإمام الحافظ الحجة . كان سلفي العقيدة على طريقة أهل الحديث . من مصنفاته : كتاب التوحيد ، وكتاب الصحيح . توفي سنة (٣١١ هـ) .
(انظر : سير أعلام النبلاء ٣٦٥/١٤ . والبداية والنهاية ١٦٠/١١ . وشذرات الذهب ٢٦٢/٢) .

ونصدق ذلك بقلوبنا ، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين ، عزّ ربنا عن أن يشبه المخلوقين ، وجلّ ربنا عن مقالة المعطلين ، وعزّ أن يكون عدما كما قاله المبطلون ؛ لأنّ ما لاصفة له : عدم" ، تعالى الله عما يقوله الجهميون))(١) .

وقال حافظ المغرب الإمام ابن عبدالبر(٢) رحمه الله : ((أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة ، والإيمان بها ، وحملها على الحقيقة ، لاعلى المجاز ، إلا أنهم لايكيفون شيئا من ذلك ، ولايحددون فيه صفة محصورة))(٣) .

وقال ابن قدامة المقدسي(٤) رحمه الله تعالى : ((.. وعلى هذا

---

(١) كتاب التوحيد لابن خزيمة ٢٦/١ .

(٢) هو الإمام يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي المالكي ، أبو عمر ، من كبار حفاظ الحديث . ولد بقرطبة سنة (٣٦٨ هـ) ، وتوفي سنة (٤٦٣ هـ) . له مؤلفات عظيمة ؛ منها التمهيد ، والاستيعاب . قال الذهبي عنه : "كان في أصول الديانة على مذهب السلف ، ولم يدخل في علم الكلام" . (انظر : سير أعلام النبلاء ١٥٣/١٨. وشذرات الذهب ٣١٤/٣).

(٣) التمهيد ١٤٥/٧ .

(٤) هو الإمام أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي . ولد سنة (٥٤١ هـ) ، وكان عالم أهل الشام في زمانه . قال ابن النجار :"كان إمام الحنابلة بجامع دمشق" . توفي بدمشق سنة (٦٢٠ هـ) . من مؤلفاته : لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ، وذمّ التأويل ، والمغني .
(انظر : سير أعلام النبلاء ١٦٥/٢٢ . وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ١٣٣/٢ . وشذرات الذهب ٨٨/٥) .

درج السلف وائمة الخلف ، كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتاويله))(١) .

وقال القاضي ابو يعلى(٢) رحمه الله : ((واعلم انه لايجوز رد هذه الأخبار على ما ذهب إليه جماعة من المعتزلة ، ولا التشاغل بتاويلها على ما ذهب إليه الاشعرية . والواجب حملها على ظاهرها ، وانها صفات لله تعالى لاتشبه سائر الموصوفين بها من الخلق ، ولانعتقد التشبيه فيها ، لكن على ما روي عن شيخنا وإمامنا ابي عبدالله احمد بن حنبل ، وغيره من ائمة اصحاب الحديث انهم قالوا في هذه الاخبار : امروها كما جاءت ، فحملوها على ظاهرها في انها صفات لله تعالى لاتشبه سائر الموصوفين))(٣) .

وقال الإمام ابن كثير(٤) رحمه الله : ((واما قوله تعالى : "ثم استوى على العرش" فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا ليس

---

(١) لمعة الاعتقاد ص ١٠ .

(٢) هو القاضي ابو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف البغدادي الفراء . شيخ الحنابلة ، وعالم العراق في زمانه . توفي سنة (٤٥٨ هـ) .
(انظر : سير اعلام النبلاء ١٨/٨٩ . وطبقات الحنابلة ٢/١٩٣ . والبداية والنهاية ١٢/١٠١) .

(٣) إبطال التاويلات لأخبار الصفات ١/٤٤ .

(٤) تقدمت ترجمته .

هذا بموضع بسطها ، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح : مالك ، والأوزاعي(١) ، والثوري(٢) ، والليث بن سعد(٣)، والشافعي ، وأحمد ، وإسحاق بن راهويه(٤) ، وغيرهم من أئمة

---

(١) هو أبو عمرو عبدالرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي الدمشقي . كان صاحب سنة واتباع ، وله مذهب مستقل في الفقه عمل به فقهاء الشام والأندلس مدة . ولد سنة (٨٨) ، وقيل سنة (٩٣) في بعلبك ، ونشأ بالبقاع ، ثم نقلته أمه إلى بيروت ، وبها توفي سنة (١٥٧ هـ) .
(انظر : وفيات الأعيان ١٢٧/٣ . وسير أعلام النبلاء ١٠٧/٧. وشذرات الذهب ٢٤١/١) .

(٢) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي ، أمير المؤمنين في الحديث . من أئمة المسلمين وأعلام الدين مع الاتقان والحفظ والمعرفة والضبط والورع والزهد . وهو أحد الأئمة المجتهدين . ولد سنة (٩٧) ، وتوفي سنة (١٦١ هـ) على القول الصحيح .
(انظر : البداية والنهاية ١٣٧/١٠ . وسير أعلام النبلاء ٢٢٩/٧-٢٧٩) .

(٣) الليث بن سعد بن عبدالرحمن ، أبو الحارث . إمام حافظ عالم الديار المصرية . كان فقيها كثير العلم ، صحيح الحديث ، مع الورع والفضل . توفي سنة (١٧٥) .
(انظر : سير أعلام النبلاء ١٣٦/٨ . وشذرات الذهب ٢٨٥/١).

(٤) هو الإمام إسحاق بن إبراهيم بن مخلد التميمي ثم الحنظلي المروزي ، المعروف بابن راهويه . نزيل نيسابور . ولد سنة (١٦١) ، وتوفي سنة (٢٣٨ هـ) . قال عنه الإمام أحمد : "لا أعرف لإسحاق في الدنيا نظيرا" .
(انظر : سير أعلام النبلاء ٣٥٨/١١ . والبداية والنهاية ٣٣١/١٠) .

المسلمين قديما وحديثا ، وهو : إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولاتشبيه ولاتعطيل ، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله ؛ فإن" الله لايشبهه شيء من خلقه ، و"ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"))(١) .

وهكذا كانت طريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم في جميع الصفات الثابتة لله بالكتاب والسنة : لايعطلونها ، ولايحرفونها ، بل يجرونها على ظاهرها مع عدم التعرض للكيفية ، وكانوا يقولون عنها إنها لاتشابه صفات المخلوقين . وهم متفقون على هذا المنهج . وهو الذي سار عليه الشيخ الأمين رحمه الله تعالى ، وجاهد من أجل إبرازه وتوضيحه وترسيخه في أذهان الناس . فرحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه خير الجزاء .

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٢٠/٢ .

المطلب الثالث

قواعد في الصفات

ذكر العلماء رحمهم الله قواعد وأصولاً يقوم عليها هذا النوع من أنواع التوحيد ؛ (أعني توحيد الأسماء والصفات) . وقد حرصوا على استنباطها ووضعها بغية تسهيل فهم هذا العلم ومعرفته وحفظه .

ومن هؤلاء العلماء الذين اهتموا بهذا الجانب : الشيخ الأمين رحمه الله ؛ فقد جعل لإثبات الصفات والردّ على المخالف قواعد ملزمة فيها تقرير للمعتقد الصحيح .

أولى هذه القواعد : القول في الصفات جميعها من باب واحد .

قال رحمه الله : ((أولا : أن يعلم طالب العلم أنّ جميع الصفات من باب واحد ؛ إذ لافرق بينها البتة ؛ لأنّ الموصوف بها واحد . وهو جلّ وعلا لايشبه الخلق في شيء من صفاتهم البتة ، فكما أنكم أثبتم له سمعا وبصرا لائقين بجلاله لايشبهان شيئا من أسماع الحوادث وأبصارهم ، فكذلك يلزم أن تجروا هذا بعينه في صفة الاستواء ، والنزول ، والمجيء ، إلى غير ذلك من صفات الجلال والكمال التي أثنى الله بها على نفسه . واعلموا أنه ربّ

السموات والأرض يستحيل عقلا أن يصف نفسه بما يلزمه محذور ويلزمه محال ، أو يؤدي إلى نقص . كلّ ذلك مستحيل عقلا ؛ فإنّ الله لايصف نفسه إلا بوصف بالغ من الشرف والعلو والكمال ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين ، على حد قوله تعالى : "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"(١)))(٢) .

وهذه القاعدة التي ذكرها الشيخ رحمه الله تتضمن إثبات الصفات جميعها ، وتردّ على الأشاعرة الذين أثبتوا بعضها ، ونفوا البعض الآخر . ففيها من الإلزام والقوة في الرد على المخالف ما يجعله يذعن ويستسلم للحقّ ممن ينشده ؛ لأنّ من الأمور البديهية عدم التفريق بين المتماثلين إلا بدليل ، وقد دلّ السمع والعقل على أنه لايجوز التفريق بين الصفات ، وإلا كان تحكما وقولا على الله بغير علم ، وتنكبا للطريق المستقيم . فمن حاول أن يثبت البعض وينفي البعض الآخر فهو واقع في التناقض والاضطراب ، وليس أمامه إلا أن يثبت جميع الصفات كما يليق بجلاله ، لذلك يقول الشيخ الأمين رحمه الله : ((فلا يشكل عليكم بعد هذا صفة نزول ولامجيء ، ولاصفة يد ولاأصابع ، ولاعجب ، ولاضحك ؛ لأنّ هذه الصفات كلها من

---

(١) سورة الشورى ، الآية {١١} .

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٣٧ . وانظر : أضواء البيان ٢/٣١٨ . وآداب البحث والمناظرة ٢/١٣٦ .

باب واحد . فما وصف الله به نفسه منها فهو حق ، وهو لائق بكماله وجلاله لايشبه شيئا من صفات المخلوقين . وما وصف به المخلوقون منها فهو حق مناسب لعجزهم وفنائهم وافتقارهم))(١) .

وقد سبق الشيخ الأمين رحمه الله في تقرير هذه القاعدة وإيضاحها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، ورد بها على من فرق بين الصفات ، وهم الأشاعرة ، فقال رحمه الله : ((فإن كان المخاطب ممن يقر بأن الله حي بحياة ، عليم بعلم ، قدير بقدرة ، سميع بسمع ، بصير ببصر ، متكلم بكلام ، مريد بإرادة ، يجعل ذلك كله حقيقة ، وينازع في محبته ورضاه وغضبه وكراهيته ، فيجعل ذلك مجازا ، ويفسره إما بالإرادة ، وإما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات . قيل له :
لافرق بين ما نفيته وما أثبته ، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر . فإن قلت : إن إرادته مثل المخلوقين ، فكذلك محبته ورضاه وغضبه ، وهذا هو التمثيل . وإن قلت : له إرادة تليق به ، كما أن للمخلوق إرادة تليق به ، قيل لك : وكذلك له محبة تليق به ، وللمخلوق محبة تليق به ، وله رضا وغضب يليق به ، وللمخلوق رضا وغضب يليق به))(٢) .

وخلاصة القول : أن هذه القاعدة العظيمة حجة لمن أثبت جميع الصفات على ما يليق بجلال الله وكماله ، ولم يفرق بينها ؛ لأن طريقها واحد من حيث الإثبات ونفي المماثلة وعدم العلم بالكيفية : فالذي قال : "وهو السميع البصير"(٣) هو الذي قال : "بل يداه

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٤٣ .

(٢) العقيدة التدمرية ص ٣١ .

(٣) سورة الشورى ، الآية {١١} .

مبسوطتان"(١) ، والجميع لانعلم كيفيته ، لانه قال سبحانه : "ليس كمثله شيء"(٢) ، وقال : "هل تعلم له سميا"(٣) ، وقال : "لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد"(٤) .

القاعدة الثانية : القول في الصفات كالقول في الذات(٥) .

في هذه القاعدة يرد الشيخ الامين رحمه الله على الذين اثبتوا الاسماء ونفوا الصفات ; وهم المعتزلة ، فيقول لهم : كما انكم تثبتون لله ذاتا حقيقية على ما يليق بجلاله من غير تشبيه لذات الخالق بذوات المخلوقين ، فكذلك صفاته ثابتة بنفس المنهج ونفس الطريقة ، إذ لايعقل ان توجد ذات مجردة عن الصفات ، فكما انّ لله ذاتا لاتشابه ذوات المخلوقين ، فكذلك لله صفات لاتشابه صفات المخلوقين .

وبهذه الطريقة نلزمهم إثبات الصفات على ما يليق بجلال الله وكماله .

---

(١) سورة المائدة ، الآية {٦٤} .
(٢) سورة الشورى ، الآية {١١} .
(٣) سورة مريم ، الآية {٦٥} .
(٤) سورة الإخلاص ، الآيتان {٣-٤} .
(٥) راجع : منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات ص ٣٨ . واضواء البيان ٣١٨/٢ . ومعارج الصعود ص ١١٤ .

وفي تقرير هذه القاعدة يقول الشيخ الأمين رحمه الله :

((الثاني : أن تعلموا أنّ الصفات والذات من باب واحد ؛ فكما أننا نثبت ذات الله جلّ وعلا إثبات وجود وإيمان ، لا إثبات كيفية مكيفة محددة ، فكذلك نثبت لهذه الذات الكريمة المقدسة صفات إثبات إيمان ووجود ، لا إثبات كيفية وتحديد))(١) .

وهذا ما أوضحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في العقيدة التدمرية فقال : ((القول في الصفات كالقول في الذات ؛ فإنّ الله ليس كمثله شيء لافي ذاته ولافي صفاته ولافي أفعاله ، فإذا كان له ذات حقيقة لاتماثل الذوات ، فالذات متصفة بصفات حقيقية لاتماثل صفات سائر الذوات))(٢) .

وهذا ما قرره أيضا الخطيب البغدادي(٣) رحمه الله حين قال : ((أما الكلام في الصفات : فإنّ ما روي منها في السنن الصحاح ،

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٣٨ . وانظر : أضواء البيان ٣١٨/٢ . ومعارج الصعود ص ١١٤ .

(٢) العقيدة التدمرية ص ٤٣ .

(٣) هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد البغدادي الحافظ المحدث المؤرخ المعروف بالخطيب . أحد الأئمة الأعلام ، وصاحب التواليف المنتشرة في بلاد الإسلام . من أشهر مصنفاته تاريخ بغداد . ولد سنة (٣٩٥ هـ) ، وتوفي سنة (٤٦٣ هـ) .
(انظر : سير أعلام النبلاء ٢٧٠/١٨ . ووفيات الأعيان ٩٢/١ . وشذرات الذهب ٣١١/٣) .

مذهب السلف رضي الله عنهم إثباتها وإجراؤها على ظاهرها ، ونفي الكيفية والتشبيه عنها . والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات ، ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله . فإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين عز وجل إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف ، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف))(١) .

وبهذا يتضح لنا أن الشيخ الأمين رحمه الله متبع للسلف مقتف لآثارهم ، فهو حين يقرر هذه القاعدة يسلك مسلكهم ويتبنى ما قرروه ، ويأخذ بهذه القاعدة العظيمة الملزمة لمن فرق بين الأسماء والصفات ، أو بين الصفات والذات ؛ إذ لايعقل أن نثبت الأسماء وننفي الصفات ، أو نثبت الذات وننفي الصفات ، إذ الجميع من باب واحد .

ولاريب أن هذه القاعدة ملزمة للمعطل : إما أن يثبت الصفات كما أثبت الذات من غير معرفة الكيفية ، أو ينفي ما أثبته من الأسماء أو الذات فيكون بذلك نافياً لوجود الله ؛ لأنه فرق بين الذات وبين الصفات من حيث الإثبات .

---

(١) ذم التأويل لابن قدامة ص ١٥ . وكذا ذكر الذهبي كلام الخطيب في تذكرة الحفاظ ١١٤٢/٣ .

القاعدة الثالثة : آيات الصفات ليست من المتشابه .

اراد الشيخ الأمين رحمه الله بإيراد هذه القاعدة ان يردّ على من قال بانّ آيات الصفات من المتشابه ، وهم المفوضة الذين يجعلون معرفة معاني آيات الصفات مما استأثر الله بعلمه ، وبذلك لايثبتون لها معاني صحيحة (١) ، بل يقولون : إنّ هذه المتشابهات يجب القطع بانّ مراد الله منها شيء يخالف ظاهرها ، ويوجبون تفويض معناها إلى الله تعالى ، ولايجيزون الخوض في تفسيرها (٢) .
ويقولون ايضا : إنّ صفات الله من العقائد التي لايكتفى فيها بالظنّ ، بل لابدّ من اليقين ، ولاسبيل إليه . لذلك نتوقف ونكل التعيين إلى العليم الخبير (٣) .

فالشيخ الأمين رحمه الله يردّ بهذه القاعدة الجليلة على هذا القول ، ويؤكد انّ آيات الصفات ليست من المتشابه ، وإنما كيفية الصفات من المتشابه الذي لانعلمه ، والذي نكل علمه إلى الله سبحانه وتعالى(٤). وأما إثبات الصفة على ما يليق بجلاله فهذا ليس من المتشابه ; قال رحمه الله : ((اعلموا انّ آيات الصفات كثير

---

(١) انظر قانون التاويل لابن العربي ص ٦٦٦ . وقال السيوطي في كتابه "الاتقان" (٧/٢) : "من المتشابه : آيات الصفات" .
(٢) أساس التقديس للرازي ص ٢٢٣ .
(٣) مناهل العرفان للزرقاني ١٨٣/٢-١٨٦ .
(٤) انظر التحفة المهدية ص ٢٣٤ .

من الناس يطلق عليها اسم المتشابه ، وهذا من جهة غلط ، ومن جهة قد يسوغ ؛ كما بينه الإمام مالك بن أنس بقوله : "الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والسؤال عنه بدعة ، والإيمان به واجب"(١) ، كذلك يقال في النزول : النزول غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والسؤال عنه بدعة ، والإيمان به واجب . واطرده في جميع الصفات ؛ لأنّ هذه الصفات معروفة عند العرب . إلا أنّ ما وصف به خالق السموات والأرض أكمل وأجل وأعظم من أن يشبه شيئا من صفات المخلوقين ، كما أنّ ذات الخالق جلّ وعلا حقّ ، والمخلوقون لهم ذوات ، وذات الخالق جلّ وعلا أكمل وأنزه وأجلّ من أن تشبه شيئا من ذوات المخلوقين))(٢) .

وما قاله الشيخ الأمين رحمه الله حول هذه القاعدة قد قال به كثير من علماء الأمة المعتبرين ؛ من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية

---

(١) رواه البيهقي عن مالك ، وعن ربيعة الرأي في الأسماء والصفات (ص ٥١٦) . ووصف الحافظ ابن حجر (في الفتح ٤١٧/١٣) سنده بأنه جيد إلى الإمام مالك .

ورواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣٩٨/٣)، والدارمي في الرد على الجهمية (ص ٣٣) . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (في الفتاوى ٣٦٥/٥) بعد أن ذكر قول الإمام مالك : (وهذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك ، وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفا ومرفوعا ، ولكن ليس في إسناده من يعتمد عليه) .

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٣٨-٣٩ .

رحمه الله ، وتلميذه ابن القيم رحمه الله ، وغيرهم . وهذا يدلّ على أنّ الشيخ رحمه الله قد سلك منهج سلف هذه الأمة ، واقتفى أثرهم ، وقال بقولهم ، واتبع طريقتهم .

وسأذكر بعض أقوال العلماء المؤيدة لما قاله ، فمنها قول العلامة ابن القيم رحمه الله : ((قد فسر الإمام أحمد الآيات التي احتج بها الجهمية من المتشابه ، وقال : "إنهم تأولوها على غير تأويلها"(١) وبيان معناها . وكذلك الصحابة والتابعون فسروا القرآن وعلموا المراد بآيات الصفات كما علموا المراد من آيات الأمر والنهي ، وإن لم يعلموا الكيفية ، كما علموا معاني ما أخبر الله به في الجنة والنار وإن لم يعلموا حقيقة كنهه وكيفيته . فمن قال من السلف : إنّ تأويل المتشابه لايعلمه إلا الله بهذا المعنى فهو حقّ . وأما من قال : إنّ التأويل الذي هو تفسيره وبيان المراد منه لايعلمه إلا الله فهو غلط ، والصحابة والتابعون وجمهور الأمة على خلافه))(٢) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الردّ على من قال إنّ الصفات من المتشابه : ((من قال إنّ هذا من المتشابه ، وأنه

---

(١) انظر الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد ص ١٠٤ - تحقيق الدكتور عبدالرحمن عميرة - .

(٢) مختصر الصواعق المرسلة ١/١٢٥ .

لايفهم معناه ، فنقول : اما الدليل على [بطلان] ذلك : فإني ما اعلم عن احد من سلف الامة ، ولامن الائمة ، لااحمد بن حنبل ولاغيره انه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية ونفى ان يعلم احد معناه ، او جعلوا اسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الاعجمي الذي لايفهم ، ولاقالوا : إن" الله ينزل كلاما لايفهم احد معناه . وإنما قالوا كلمات لها معان صحيحة ، قالوا في احاديث الصفات :"تمر كما جاءت" ، ونهوا عن تاويلات الجهمية - وردوها وابطلوها - التي مضمونها تعطيل النصوص عما دلت عليه))(١) .

واما ما ذكره الشيخ الامين رحمه الله من ان" جواب الإمام مالك يصح" في جميع الصفات : فهذا ما قرره ايضا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال : ((وهذا الجواب من مالك رحمه الله في الاستواء شاف كاف في جميع الصفات ; مثل النزول ، والمجيء ، واليد ، والوجه ، وغيرها . فيقال في مثل النزول : النزول معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة . هكذا يقال في سائر الصفات ; إذ هي بمثابة الاستواء الوارد به الكتاب والسنة))(٢) .

---

(١) رسالة الإكليل في المتشابه والتاويل - انظر مجموع الفتاوى ٢٩٤/١٣-٢٩٥ - . وانظر موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ١٢٠/١ .

(٢) نقض المنطق ص ٣ .

وبهذا نرى الشيخ الأمين رحمه الله يقرر هذه القاعدة الجليلة ، ويبيّن أنّ المتشابه في آيات الصفات ليس كما قرره المتكلمون من أنه في باب المعاني ، وإنما معانيها معلومة معروفة من لغة العرب . وإنما المتشابه كما أشار الشيخ رحمه الله يكون في باب الكيفية ؛ لأنّ معاني الصفات من الأمور المعلومة ، أما الكيفية : فيجب الجزم بعدم إدراكها . وهو ما سبق تقريره .

القاعدة الرابعة : ليس ظاهر الصفات التشبيه حتى تحتاج إلى تأويل.

يردّ الشيخ الأمين رحمه الله بهذه القاعدة على الأشاعرة الذين يردون أكثر نصوص الصفات ؛ كما قال صاحب الجوهرة (١) :

وكلّ نصّ أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تنزيها (٢)

---

(١) هو إبراهيم بن إبراهيم بن حسن بن علي المالكي اللقاني . ألف جوهرة التوحيد ، وتوضيح ألفاظ الأجرومية ، وقضاء الوطر من نزهة النظر . توفي سنة (١٠٤١ هـ) .
(انظر : الأعلام ٢٨/١) .

(٢) شرح الصاوي على جوهرة التوحيد ص ١٣٠ .
بل صرح الصاوي أنّ الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر . (انظر حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ١٩/٣) .
وقال السنوسي أيضا : والتمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير بصيرة في العقل هو أصل ضلالة الحشوية ، فقالوا بالتشبيه والتجسيم والجهة محلا بظاهر قوله تعالى : "الرحمن على العرش استوى" ، "أأمنتم من في السماء"، "لما خلقت بيدي" ، ونحو ذلك . (انظر شرح أم البراهين ص ٨٢ - نقلا عن علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين ص ٥٤ -).

وكذلك رحمه الله يردّ على المعتزلة والجهمية الذين ينفون الصفات خوفا من التشبيه بصفات المخلوقين كما زعموا (١) .

وقد ذكر رحمه الله حجتهم في اعتقادهم أنّ ظاهر الصفات يدلّ على المشابهة ، فقال رحمه الله : ((فزعموا أنّ الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من معنى الاستواء واليد مثلا في الآيات القرآنية هو مشابهة صفات الحوادث . وقالوا : يجب علينا أن نصرفه عن ظاهره إجماعا ؛ لأنّ اعتقاد ظاهره كفر ؛ لأنّ من شبه الخالق بالمخلوق فهو كافر)) (٢) .

ثم بيّن رحمه الله اللوازم التي تلزم هذا القول ، فقال : ((ولايخفى على أدنى عاقل أنّ حقيقة معنى هذا القول : أنّ الله وصف نفسه في كتابه بما ظاهره المتبادر منه السابق إلى الفهم الكفر بالله والقول فيه بما لايليق به جلّ وعلا . والنبيّ صلى الله عليه وسلم الذي قيل له : "وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم" (٣) لم يبيّن حرفا واحدا من ذلك ، مع إجماع من يعتدّ به من العلماء على أنه صلى الله عليه وسلم لايجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه ، وأحرى في العقائد ولاسيما ما

---

(١) انظر : الصفات الاختيارية لشيخ الإسلام ابن تيمية (جامع الرسائل ٧/١) .

(٢) أضواء البيان ٣١٩/٢ .

(٣) سورة النحل ، الآية {٤٤} .

ظاهره المتبادر منه الكفر والضلال المبين ، حتى جاء هؤلاء الجهلة من المتأخرين ، فزعموا أنّ الله أطلق على نفسه الوصف بما ظاهره المتبادر منه لايليق ، والنبيّ صلى الله عليه وسلم كتم أنّ ذلك الظاهر المتبادر كفر وضلال يجب صرف اللفظ عنه ، وكلّ هذا من تلقاء أنفسهم من غير اعتماد على كتاب أو سنة ، سبحانك هذا بهتان عظيم . ولايخفى أنّ هذا القول من أكبر الضلال ومن أعظم الافتراء على الله جلّ وعلا ، ورسوله صلى الله عليه وسلم))(١) .

ثمّ بيّن رحمه الله القول الحقّ في ظاهر الصفات أنه كما يليق بجلاله سبحانه وتعالى ، وأن نصف الله كما وصف نفسه ، ووصفه رسوله صلى الله عليه وسلم ، وليس من تشابه بين صفات الله وصفات خلقه ؛ فقال رحمه الله : ((والحقّ الذي لايشك فيه أدنى عاقل أنّ كل وصف وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم فظاهره المتبادر منه السابق إلى فهم من في قلبه شيء من الإيمان هو التنزيه التام عن مشابهة شيء من صفات الحوادث . فبمجرد إضافة الصفة إليه جلّ وعلا يتبادر إلى الفهم أنه لامناسبة بين تلك الصفة الموصوف بها الخالق ، وبين شيء من صفات المخلوقين . وهل ينكر عاقل أنّ السابق إلى الفهم المتبادر لكلّ عاقل : هو منافاة الخالق للمخلوق في ذاته وجميع صفاته ، لا والله

---

(١) أضواء البيان ٣١٩/٢ .

لاينكر ذلك إلا مكابر))(١) .

ثمّ يبيّن رحمه الله السبب الذي جعل هؤلاء المعطلة يقولون إنّ الظاهر من معاني الصفات التشبيه ؛ فقال : ((والجاهل المفتري الذي يزعم أنّ ظاهر آيات الصفات لايليق بالله لأنه كفر وتشبيه ، وإنما جرّ إليه ذلك تنجيس قلبه بقذر التشبيه بين الخالق والمخلوق ، فأداه شؤم التشبيه إلى نفي صفات الله جلّ وعلا ، وعدم الإيمان بها ، مع أنه جلّ وعلا هو الذي وصف بها نفسه ، فكان هذا الجاهل مشبها أولا ، ومعطلا ثانيا . فارتكب ما لايليق بالله ابتداء وانتهاء ، ولو كان قلبه عارفا بالله كما ينبغي ، معظما لله كما ينبغي ، طاهرا من أقذار التشبيه ، لكان المتبادر عنده السابق إلى فهمه : أنّ وصف الله جلّ وعلا بالغ من الكمال والجلال ما يقطع أوهام علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين ، فيكون قلبه مستعدا للإيمان بصفات الكمال والجلال الثابتة لله في القرآن والسنة الصحيحة ، مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق ، على نحو قوله : "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"(٢)))(٣) .

---

(١) أضواء البيان ٣٢٠/٢ .

(٢) سورة الشورى ، الآية {١١} .

(٣) أضواء البيان ٣٢٠/٢ . وانظر : منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٤٠ .

وقال رحمه الله في موضع آخر : ((إنه يجب على كلّ مسلم أن يعتقد هذا الاعتقاد الذي يحلّ جميع الشبه ، ويجيب عن جميع الأسئلة ؛ وهو أنّ الإنسان إذا سمع وصفا وصف به خالق السموات والأرض نفسه ، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، فليملأ صدره من التعظيم ، ويجزم بأنّ ذلك الوصف بالغ من غايات الكمال والجلال والشرف والعلو ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين . فيكون القلب منزها معظما له جلّ وعلا غير متنجس بأقذار التشبيه ، فتكون أرض قلبه قابلة للإيمان والتصديق بصفات الله التي تمدح بها ، وأثنى عليه بها نبيّه صلى الله عليه وسلم على غرار "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" . والشرّ كلّ الشرّ في عدم تعظيم الله ، وأن يسبق في ذهن الإنسان أنّ صفة الخالق تشبه صفة المخلوق ، فيضطر المسكين أن ينفي صفة الخالق بهذه الدعوى الكاذبة الخائنة))(١) .

وهذا الكلام الذي أورده الشيخ رحمه الله في إيضاح القاعدة المذكورة ، وفي إيضاح كيفية الردّ بها على المخالفين في نقاش علمي رصين ليس ببدع فيه ، بل قد سبقه إليه أساطين من علماء الأمة الذين جاهدوا في سبيل توضيح عقيدة الإسلام الصافية النقية مستندين في كلّ ما قالوه إلى الكتاب والسنة ، لذلك كان لهم قصب

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ٣٦-٣٧ ، ٣٩ .

السبق في توضيح الاعتقاد الصائب ، والرد على كل مخالف زائغ .

ففي هذا الجانب يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ((من قال إن الظاهر غير مراد ، بمعنى ان ظاهر صفات المخلوقين غير مراد ، قلنا له : اصبت في هذا المعنى ، لكن اخطات في اللفظ واوهمت البدعة ، وجعلت للجهمية طريقا إلى غرضهم ، وكان يمكنك ان تقول : تمر كما جاءت على ظاهرها ، مع العلم بان صفات الله ليست كصفات المخلوقين ، وانه منزه مقدس عن كل ما يلزم منه حدوثه اونقصه . ومن قال إن الظاهر غير مراد بالتفسير ; وهو مراد الجهمية ، ومن تبعهم من المعتزلة والاشعرية وغيرهم : فقد اخطا))(١) .

وقال الشيخ مرعي المقدسي(٢) رحمه الله : ((ومن المعلوم انه عليه السلام كان يحضر في مجلسه الشريف والعالم والجاهل والذكي والبليد والاعرابي الجافي ، ثم لايجد شيئا يعقب تلك النصوص مما يصرفها عن حقائقها لانصا ولاظاهرا كما تاولها بعض هؤلاء المتكلمين . ولم ينقل عنه عليه السلام انه كان يحذر الناس من

---

(١) الرسالة المدنية ص ٣٦ . - تحقيق الوليد بن عبدالرحمن الفريان - .

(٢) هو مرعي بن يوسف بن ابي بكر بن احمد الكرمي المقدسي . مؤرخ اديب من كبار الفقهاء . ولد في طور كرم في فلسطين ، ثم انتقل إلى القاهرة ، وتوفي بها سنة (١٠٣٣ هـ) .
(انظر : الاعلام ٢٠٣/٧ . ومعجم المؤلفين ٢١٨/١٢) .

الإيمان بما يظهر من كلامه في صفته لربه من الفوقية واليدين ونحو ذلك ، ولانقل عنه أنّ لهذه الصفات معاني اخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها ، ولمّا قال للجارية : "أين الله" ؟ فقالت : في السماء . لم ينكر عليها بحضرة أصحابه كي لايتوهموا أنّ الأمر على خلاف ما هو عليه ، بل أقرها ، وقال : "اعتقها فإنها مؤمنة "(١)))(٢) .

فأين في كلّ هذا ما ظاهره التشبيه إذا كانت الصفة تابعة للموصوف . فالله يوصف من هذه الصفات بما يليق بجلاله وعظمته ، فليست صفته سبحانه مشابهة لصفات خلقه وإن اشتركت معها في اللفظ الوارد ؛ لأنّ صفة المخلوق تابعة لضعفه وافتقاره ، وصفة الخالق على ما يليق بكماله وعظمته وجلاله .

القاعدة الخامسة : الصفات على الحقيقة لامجاز فيها :

يؤكد الشيخ الأمين رحمه الله أنّ صفات الله تعالى الواردة في الكتاب والسنة هي على الحقيقة كما يليق بجلاله ، وليس كما يدعي المؤولة أنها مجاز ، فيقولون : الاستواء : معناه الاستيلاء ، واليد : القدرة ، وهكذا ، يحرفون الصفات ، ويعطلون الله عن

---

(١) أخرجه مسلم ٣٨٢/١ .

(٢) أقاويل الثقات ص ٨٥ . وانظر : رسالة في الاستواء والفوقية لأبي محمد الجويني - ضمن رسائل المجموعة المنيرية ١٧٧/١ - .

صفاته العظيمة .

قال الشيخ رحمه الله : ((إنّ جميع ما وصف الله به نفسه في هذا القرآن من الصفات ؛ كالاستواء ، واليد ، والوجه ، ونحو ذلك من جميع الصفات فهو موصوف به حقيقة لامجازا(١) ، مع تنزيهه جلّ وعلا عن مشابهة صفات الحوادث سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا . وذلك البيان العظيم لجميع الصفات في قوله جلّ وعلا : "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"(٢) ، فنفى عنه مماثلة الحوادث بقوله : "ليس كمثله شيء" ، واثبت له الصفات على الحقيقة بقوله : "وهو السميع البصير" ..))(٣) .

وقال رحمه الله في موضع آخر : ((فإثبات الحقيقة ونفي المجاز في صفات الله هو اعتقاد كلّ مسلم طاهر القلب من اقذار التشبيه ؛ لأنه لايسبق إلى ذهنه من اللفظ الدالّ على الصفة ؛ كصفة اليد

---

(١) للشيخ الأمين رحمه الله رسالة مستقلة في نفي المجاز ، سماها "منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والاعجاز" اثبت فيها أنّ القرآن كله حقائق لامجاز فيه ، وأنّ القول بالمجاز ذريعة لنفي ما اثبته الله لنفسه من صفات الكمال بادعاء انها مجاز وأنّ المجاز يجوز نفيه . وهذا من اعظم وسائل التعطيل .
(انظر مقدمة هذه الرسالة ص ٣-٤ . وهي ملحقة بأضواء البيان ، الجزء العاشر) .

(٢) سورة الشورى ، الآية {١١} .

(٣) أضواء البيان ٨٢/١ . وانظر : المعين والزاد ص ٤١-٤٥ .

والوجه ، إلا أنها صفة كمال منزهة عن مشابهة صفات الخلق . فلا يخطر في ذهنه التشبيه الذي هو سبب نفي الصفة وتأويلها بمعنى لا أصل له))(١) .

وما أشار إليه الشيخ رحمه الله أمر مجمع عليه عند السلف ، وقاعدة تجري على كلّ الصفات .

وسأذكر كلام بعض العلماء الذين سبقوا الشيخ الأمين رحمه الله في تقرير هذه القاعدة ؛ فمنهم : الحافظ ابن عبدالبر الذي قال : ((وأهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة ، والإيمان بها ، وحملها على الحقيقة لا على المجاز ، إلا أنهم لا يكيّفون شيئاً من ذلك ، ولا يحدون فيه صفة محصورة . وأمّا أهل البدع ، والجهميّة(٢) ،

---

(١) أضواء البيان ٤٦٣/٧ .

(٢) الجهمية : أتباع جهم بن صفوان الراسبي مولاهم ، أبو محرز السمرقندي ، رأس الجهمية . قتله سلم بن أحوز نائب أصبهان سنة ثمان وعشرين ومائة . كان يقول بأنّ العباد مجبورون على أفعالهم ، وأنّ الإيمان هو المعرفة بالله فقط ، وأنّ الجنة والنار تفنيان ، وأنّ القرآن مخلوق . وكان ينكر صفات الله عزّ وجلّ وأسمائه . ويقول إنّ الله في الأمكنة كلها . تعالى الله عما يقول الجاهلون علواً كبيراً .

(انظر : الفرق بين الفرق ص ٢١١ . والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص ٣٤ . وسير أعلام النبلاء ٢٦/٦ . والبداية والنهاية ٣٦٤/٩ . والخطط للمقريزي ٣٤٩/٢) .

والمعتزلة (١) ، والخوارج (٢) ، فكلهم ينكرها ، ولايحمل شيئا منها على الحقيقة)) (٣) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ((ومن المعلوم باتفاق المسلمين أن الله حيّ حقيقة ، عليم حقيقة ، قدير حقيقة ، سميع حقيقة ، بصير حقيقة ، إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته)) (٤) .

فما قرره الشيخ الأمين رحمه الله بأن الحق في الصفات إثباتها على الحقيقة اللائقة بجلال الله سبحانه وتعالى ، وأنها ليست مجازا ، فلا تؤول ولاتفوض : هو الذي تفيده نصوص الشرع وأقوال السلف رضوان الله عليهم .

---

(١) سبق التعريف بهم .

(٢) الخوارج : سموا بهذا الاسم لخروجهم على علي رضي الله عنه . وهم فرق كثيرة . قال أبو الحسن الأشعري : أجمعت الخوارج على إكفار عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأجمعوا على أنّ كلّ كبيرة كفر ، إلا النجدات : فإنها لاتقول بذلك . وأجمعوا على أنّ الله يعذب أصحاب الكبائر عذابا أليما ، إلا النجدات . (انظر : مقالات الإسلاميين ١/١٦٧ . والملل والنحل ١/١١٤ . والخطط للمقريزي ٢/٣٥٠ ، ٣٥٤ . والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص ١٧) .

(٣) التمهيد ٧/١٤٥ .

(٤) الفتاوى ٣/٢١٨ . وانظر كلامه رحمه الله في رده على من قال إنّ صفات الله مجاز . (كتاب الإيمان ص ١٠٦ - طبعة المكتب الإسلامي -) .

وهكذا نرى شدة عناية الشيخ الأمين رحمه الله بعقيدة السلف ، وتقعيده القواعد لإيضاحها . وكذا شدة اهتمامه بتسهيلها ، وشدة حرصه على تفهيمها للناس ؛ حيث أرشد طالب العلم إلى الأخذ بهذه الأصول السهلة الميسرة التي تأخذ بيد طالب الحق ، وتوصله إلى مبتغاه ؛ إلى عقيدة الإثبات مع التنزيه ، فلا يغلو في الإثبات حتى يشبه الله بخلقه ، ولايغلو في التنزيه حتى يعطل الله جل وعلا عن صفاته ، بل يثبتها إثباتا يليق بجلال الله وعظمته وكماله ، منزها لها عن مشابهة صفات الحوادث ، متبعا لقول مولاه جل وعلا : "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"(١) .

---

(١) سورة الشورى ، الآية {١١} .

المطلب الرابع

ذكر جملة من الصفات التي ذكرها الشيخ الأمين رحمه الله

فيما يلي أورد كلام الشيخ الأمين رحمه الله مفصلا عن بعض الصفات التي كثر الكلام حولها بين السلف ومخالفيهم ، وذلك كي أبين مدى التطابق بين ما سبق أن نقلته عنه من منهج وقواعد قعدها ، واستند إليها في الإثبات والردّ على الخصوم ، وبين ما سأورده من كلامه التفصيلي حول بعض الصفات .

وسنلاحظ عند الكلام عن الصفات تفصيلا أنّ الشيخ الأمين رحمه الله قد اهتمّ بذكر رأيه في الصفات في ضوء الدليل ، ووفق المنهج المرسوم . وسنلاحظ أيضا أنه لايطيل في الحديث عنها ؛ لأنه اكتفى ببيان المنهج ، ووضع القواعد العامة التي تشترك فيها سائر الصفات .

ومن الصفات التي فصّل الشيخ الأمين رحمه الله فيها الكلام : صفة الاستواء ، وصفة الكلام ، وصفة اليدين ، وصفة المعية ، وصفة العلم ، وصفة العلو ، وصفة العظمة ، وصفة الكبرياء ، وصفة القدرة ، وصفة السمع ، وصفة البصر ، وصفة الحياة ، وصفة القيومية ، وصفة الوجه ، وصفة العين ، وصفة القدم ، وصفة الغضب ، وصفة الرحمة ، وصفة المجيء .

{١} - صفة الاستواء :

الاستواء على العرش(١) من صفات الله الفعلية الثابتة على ما يليق بجلاله وكماله ، فلا يتطرق إلى تشبيه معناها ، بل تثبت من غير كيف ، وفق منهج السلف الذين يثبتون الصفات من غير كيف - كما مرّ آنفا - .

وهذه الصفة العظيمة أطال المتكلمون حولها النقاش ، وحشدوا لردها كلّ ما استطاعوا من جدل وسفسطة ، وكلها تضمحلّ أمام سبع آيات من القرآن الكريم أثنى الله بها على نفسه واصفا لها بالاستواء على العرش ، وجعلها من صفات الكمال التي يمتدح بها جلّ وعلا .

وقد قرّر الشيخ الأمين رحمه الله هذه الصفة بأسلوب سهل ، وبدون تعقيد مستشهدا على ذلك بالنقل من آيات القرآن الكريم مؤكدا أنّ هذه الصفة من صفات الجلال والكمال ، وهي ثابتة لله على ما يليق بجلاله ، فقال رحمه الله : ((اعلموا أنّ هذه الصفة التي هي صفة الاستواء صفة كمال وجلال ، تمدح بها ربّ السموات والأرض .

---

(١) قال الشيخ الأمين رحمه الله في العرش : (والعرش سرير الملك ، ويطلق على السقف ، والمراد به هنا عرش الرحمن الذي ذكره الله عزّ وجلّ في سبعة مواضع من كتابه ، واصفا نفسه باستوائه عليه جلّ وعلا) . (معارج الصعود ص ٤٩) .

والقرينة على انها صفة كمال وجلال انّ الله ما ذكرها في موضع من كتابه إلا مصحوبة بما يبهر العقول من صفات جلاله وكماله))(١) .

ثمّ استدلّ رحمه الله على هذه الصفة العظيمة بكلام الله سبحانه وتعالى ، الذي امتدح نفسه بها في سبعة مواضع من القرآن الكريم .

والشيخ رحمه الله حين يورد هذه الآيات الكريمات يؤكد انه لامجال معها لتاويل متاول ، او تحريف محرف ، وانّ الحقّ مع من اثبتها لله كما يليق بجلاله ؛ وهم اهل السنة والجماعة .

وقد اورد رحمه الله هذه الآيات السبعة التي ذكر الله فيها استواءه على عرشه حسب ترتيبها في القرآن الكريم ، مبتدا بقوله تعالى في سورة الاعراف : "إنّ ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله ربّ العالمين"(٢) .

ثمّ عقب رحمه الله على إيراده الاية بقوله : ((فهل لأحد أن ينفي شيئا من هذه الصفات الدالة على الجلال والكمال))(٣) .

---

(١) منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات ص ٢٨ . وانظر : رحلة الحج ص ٨١ .

(٢) سورة الاعراف ، الآية {٥٤} .

(٣) منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات ص ٢٨ .

ثمّ ذكر رحمه الله الموضع الثاني الذي ذكر فيه الاستواء : وهو قوله تعالى في سورة يونس : "إنّ ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون * إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدا الخلق ثم يعيده"(١) ، وعقّب على هذه الآيات الكريمات بقوله : ((فهل لأحد أن ينفي شيئا من هذه الصفات الدالة على هذا الكمال والجلال))(٢) .

ثمّ ذكر رحمه الله الموضع الثالث من سورة الرعد ، وهو قوله تعالى : "الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كلّ يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون * وهو الذي مدّ الأرض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كلّ الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون"(٣) .

ثمّ قال رحمه الله بعد ذكر هذه الآيات الكريمات : ((فهل لأحد أن

---

(١) سورة يونس ، الآيتان {٣-٤} .

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٢٩ .

(٣) سورة الرعد ، الآيتان {٢-٤} .

ينفي شيئا من هذه الصفات الدالة على الجلال والكمال))(١) .

ثمّ ذكر رحمه الله الموضع الرابع من سورة طه ، من قوله تعالى : "طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * إلا تذكرة لمن يخشى * تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى * الرحمن على العرش استوى * له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى * وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السرّ وأخفى * الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى"(٢) ، ثمّ قال رحمه الله : ((فهل لأحد أن ينفي شيئا من هذه الصفات الدالة على الجلال والكمال))(٣) .

ثمّ ذكر رحمه الله الموضع الخامس ، من سورة الفرقان ، وهو قوله تعالى : "وتوكل على الحيّ الذي لايموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا * الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا"(٤) ، وقال بعد ذلك : ((فهل لأحد أن ينفي شيئا من هذه الصفات الدالة على هذا الكمال والجلال))(٥) .

ثمّ ذكر رحمه الله الموضع السادس ، وهو من سورة السجدة ،

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٣٠ .

(٢) سورة طه ، الآيات {١-٨} .

(٣) منهج ودراسات ص ٣١ .

(٤) سورة الفرقان ، الآيتان {٥٨-٥٩} .

(٥) منهج ودراسات ص ٣١ .

وهو قوله تعالى : "الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من وليّ ولاشفيع افلا تتذكرون * يدبر الأمر من السماء إلى "الأرض" (١) ، ثمّ قال بعد ان اورده : ((فهل لأحد ان ينفي شيئا من هذه الصفات الدالة على الغاية من الجلال والكمال)) (٢) .

ثمّ ذكر رحمه الله الموضع السابع من المواضع التي ذكرت فيها هذه الصفة العظيمة ; وهو قوله تعالى في سورة الحديد : "هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكلّ شيء عليم * هو الذي خلق السموات والأرض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اين ما كنتم والله بما تعملون بصير" (٣) (٤) .

وبعد أن أورد الشيخ رحمه الله هذه الآيات الكريمات الدالة على ثبوت اتصاف الله سبحانه وتعالى بهذه الصفة العظيمة ، نوه بأنّ بعض المتكلمين تجرا على هذه الصفة الكريمة التي وصف الله تعالى بها نفسه فحرفها عن موضعها ، وانتحل لها من تلقاء نفسه

---

(١) سورة السجدة ، الآيتان {٤-٥} .

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٣١ .

(٣) سورة الحديد ، الآيتان {٣-٤} .

(٤) منهج ودراسات ص ٣٢ . وانظر : اضواء البيان ٢/١٦-١٨ . وآداب البحث والمناظرة ٢/١٣٢ .

معاني عطلتها عن معناها الحقيقي المتضمن للكمال المطلق ، زاعما انّ إثباتها على ظاهرها يجعلها صفة نقص لايجوز اتصاف الربّ بها ، لذلك تؤول بمعنى آخر غير المعنى الظاهر المتبادر إلى الذهن .

يقول الشيخ الامين رحمه الله مبيّنا حال هؤلاء القوم : ((فالشاهد انّ هذه الصفات التي يظنّ الجاهلون انها صفة نقص ، ويتهجمون على ربّ السموات والأرض بانه وصف نفسه بصفة نقص ، ثمّ يتسببون عن هذا ان ينفوها ويؤولوها ، مع انّ الله جلّ وعلا تمدح بها ، وجعلها من صفات الجلال والكمال ، مقرونة بما يبهر من صفات الجلال والكمال . وهذا يدلّ على جهل وهوس من ينفي بعض صفات الله جلّ وعلا بالتاويل))(١) .

ولإبعاد الشبهة التي استقرت في عقول المؤولة ؛ وهي انّ صفة الاستواء تشابه صفة المخلوق ، لذلك تحرف إلى استولى ، او غيرها اكد رحمه الله انّ السلف لايقصدون بإثباتهم صفة الاستواء لله انها تشابه صفة استواء المخلوق ، فكما انّ لله الخالق ذاتا لاتشابه الذوات ، كذلك له صفات لاتشبه الصفات .

ولذلك ذكر رحمه الله انّ اتصاف المخلوق بالاستواء هو على ما يليق به ، كما انّ استواء الخالق جلّ وعلا على ما يليق به . وانّ

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٣٢ .

الصفـــة وإن اشتركت فـي المعنى ، إلا ان" كل صفة تتبع موصوفها .
فاللـــه تعـــالى يقول عن استواء الإنسان : "لتستووا على ظهوره ، ثم تذكـروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه"(١) ، ويقول سبحانه : "فإذا استويت انـت ومـن معـك عـلى الفلـك" الآية (٢) ، ويقول عن استواء السفينة : "واستوت على الجودي" الآية (٣) .

ثـم" قال رحمه الله بعد ما ذكر هذه الآيات الكريمات : ((وإن" للخـالق جل" وعـلا استـواء لائقـا بكمالـه وجلاله ، وللمخلوق أيضا اسـتواء منـاسـب لحالـه ، وبيـن اسـتواء الخـالق والمخلوق مـن المنافـاة ما بين ذات الخالق والمخلوق ، على نحو "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"(٤)))(٥) .

وبـذلك يقطـع الشيـخ رحمـه اللـه الطريق على الجاهلين الذين شبهوا الله بخلقه ، ثم" عطلوه عن صفة الكمال التي أثبتها لنفسه فهـو رحمه الله يؤكد ان" صفة الاستواء التي اتصف بها الله سبحانه وتعـالى ليسـت كمـا تصور لكم عقـولكم ، بـل هـو استواء لانعلم كيفيتـه ، كمـا اننـا لانعـرف كيفيـة الذات ، فلله سبحانه من هذه

---

(١) سورة الزخرف ، الآية {١٣} .
(٢) سورة المؤمنون ، الآية {٢٨} .
(٣) سورة هود ، الآية {٤٤} .
(٤) سورة الشورى ، الآية {١١} .
(٥) اضواء البيان ٣١٨/٢ .

الصفة ما يليق بجلاله وعظمته من غير تشبيه أو تكييف . وهذا هو المذهب الحق الذي تدل عليه نصوص الوحي المثبتة للصفات ؛ لأن المنهج والطريقة في ذلك واضحة لم يدعنا الله تعالى فيها لعقولنا حين قال : "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"(١) ؛ فالصفات ثابتة ، وأما الكيفية فمنفية ؛ إذ كيف نعرف كيفية صفته سبحانه ، ونحن لم نعلم كيفية ذاته . تعالى الله عما قاله المبطلون علوا كبيرا .

فالشيخ رحمه الله ينطلق في كلامه من الكتاب والسنة ، ومن مفهوم السلف الصالح ؛ الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان .

سئل الإمام مالك رحمه الله عن الاستواء ، فقال : ((الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة))(٢) .

وقال الأوزاعي رحمه الله : ((كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله تعالى ذكره فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته جل وعلا))(٣) .

---

(١) سورة الشورى ، الآية {١١} .
(٢) تقدم تخريجه ص {٣٠٦} .
(٣) الأسماء والصفات للبيهقي ص ٥١٥ .

وقال الشيخ ابو نصر السجزي(١) : ((وائمتنا ; كسفيان الثوري(٢) ، ومالك بن انس ، وسفيان بن عيينة (٣) ، وحماد بن سلمة (٤) ، وحماد بن زيد (٥) ، وعبدالله بن المبارك(٦) ، والفضيل

---

(١) هو الإمام الحافظ شيخ السنة ابو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوائلي المجستاني . توفي سنة (٤٤٤ هـ) .
(انظر : سير اعلام النبلاء ٦٥٤/١٧. وشذرات الذهب ٢٧١/٣).

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) هو الإمام سفيان بن عيينة بن ميمون ، مولى محمد بن مزاحم الهلالي الكوفي ، ثم المكي . حافظ العصر ، واحد ائمة الحديث . ولد سنة (١٠٧) ، وتوفي سنة (١٩٨) .
(انظر : سير اعلام النبلاء ٤٥٤/٨ . وشذرات الذهب ٣٥٤/١).

(٤) هو الإمام حماد بن سلمة بن دينار البصري . من كبار المحدثين . توفي سنة (١٦٧ هـ) .
(انظر : سير اعلام النبلاء ٤٤٤/٧ . وشذرات الذهب ٢٦٢/١).

(٥) هو الإمام حماد بن زيد بن درهم الازدي الجهضمي ، ابو إسماعيل البصري . احد ائمة الحديث . ولد سنة (٩٨) ، وكان ضريرا . وتوفي سنة (١٧٩ هـ) .
(انظر : سير اعلام النبلاء ٤٥٦/٧ ، ٤٦٦ . والبداية والنهاية ١٨٠/١٠) .

(٦) هو الإمام عبدالله بن المبارك بن واضح ، ابو عبدالرحمن الحنظلي المروزي . احد ائمة الحديث . قال عنه ابن معين : ذاك امير المؤمنين في الحديث . ولد سنة (١١٨ هـ) ، وتوفي سنة (١٨١ هـ) .
(انظر : سير اعلام النبلاء ٣٧٨/٨ . والبداية والنهاية ١٨٣/١٠) .

ابن عياض(١) ، واحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه (٢) ؛ متفقون على انّ الله سبحانه بذاته فوق العرش ، وعلمه بكلّ مكان ، وانه ينزل إلى السماء الدنيا ، وانه يغضب ويرضى ويتكلم بما شاء))(٣) .

فهذه عقيدة اهل السنة والجماعة في استواء الله سبحانه وتعالى على عرشه ؛ فهم يؤمنون بها على مراد الله من غير تكييف لمعناها ، ولامشابهة لها بصفة المخلوقين .

والشيخ رحمه الله متبع لطريقة السلف المستندة إلى نصوص الوحي ، فهو من دعاة الاتباع ، ومن اشدّ اعداء الابتداع .

موقف المتكلمين من صفة الاستواء ،

وردّ الشيخ الامين رحمه الله عليهم :

وفي معرض إيضاح الشيخ الأمين رحمه الله لهذه الصفة بيّن رأي المتكلمين فيها ، وذكر انهم اكثروا من الخوض فيها حتى نفوها بادلة جدلية كلامية عقيمة استدلوا بها لإبطال الحقّ وإحقاق الباطل

(١) هو الإمام الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الخراساني . احد الائمة العباد والزهاد . توفي سنة (١٨٧ هـ).

(انظر : سير اعلام النبلاء ٤٢١/٨ . والبداية والنهاية ٢٠٦/١٠ . وشذرات الذهب ٣١٦/١) .

(٢) تقدمت ترجمته ص ٢٩٧ .

(٣) سير اعلام النبلاء ٦٥٦/١٧ .

حتى تجرأ كثير من الناس ممن يدعي الإسلام على تعطيل هذه الصفة عن رب السموات والأرض بهذه الأدلة الواهية التي يعارضون بها كلام الله سبحانه وتعالى(١) ، ولهم تأويلات مختلفة في نفي تلك الصفة عن الله ، ولكنّ مؤدى الكل واحد من حيث تعطيل الله جلّ وعلا عن الاتصاف بهذه الصفة العظيمة ، وتحريفها عن الاستواء إلى الاستيلاء (٢) .

وقد ناقشهم الشيخ الأمين رحمه الله مناقشة علمية رصينة اظهر من خلالها كثيرا من التحريفات التي وقعوا فيها ، واستوعب مزاعمهم وأدلتهم التي جمعوها ، وبيّن انهم بهذه المزاعم يريدون التوصل إلى نفي الاستواء عن الله سبحانه وتعالى .

ومن هذه المزاعم التي ذكروها : قالوا : إنّ قوله : على العرش استوى مجاز ; فنفوا الاستواء ; لأنه مجاز ، وقالوا : معنى استوى : استولى . وشبهوا استيلاءه باستيلاء بشر بن مروان على العراق . وقالوا أيضا : إنّ الاستواء يوهم غير اللائق بالله لاستلزامه مشابهة استواء الخلق . فجاؤوا بالاستيلاء لأنه هو اللائق

---

(١) انظر : منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) انظر : الارشاد ص ٤٠ ، ٤١ . وشرح الأصول الخمسة لعبدالجبار المعتزلي ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ . وانظر أيضا : مختصر الصواعق المرسلة ٣٧٩/٢ ، ٣٨٠ .

به بزعمهم (١) .

ونبته رحمه الله إلى مشابهة المؤولة لليهود الذين بدلوا كلام الله وحرفوه ، فغضب الله عليهم ولعنهم ، وذكر أنّ المؤولة سلكوا الطريق نفسه الذين سلكه اليهود ؛ فقال رحمه الله مبينا هذا المعنى : ((ولو تدبروا كتاب الله لمنعهم ذلك من تبديل الاستواء بالاستيلاء ، وتبديل اليد بالقدرة ، أو النعمة ؛ لأنّ الله جلّ وعلا يقول في محكم كتابه في سورة البقرة : "فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون" (٢) ، ويقول في الأعراف : "فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون" (٣) . فالقول الذي قاله الله لهم ، هو قوله : "حطة " ؛ وهي فعلة من الحطّ بمعنى الوضع : خبر مبتدا محذوف ؛ أي دعاؤنا ومسالتنا لك حطة لذنوبنا ؛ أي حطّ وضعها عنا ، فهي بمعنى طلب المغفرة . وفي بعض روايات الحديث (٤) في شانهم انهم بدلوا هذا القول بان زادوا نونا فقط ؛ فقالوا : حنطة ؛ وهي القمح . واهل التاويل قيل لهم على العرش استوى ، فزادوا لاما فقالوا استولى .

---

(١) انظر : اضواء البيان ٤٥٢/٧ . وانظر ايضا : المصدر نفسه ٤٥٤/٧ . وآداب البحث والمناظرة ١٣٥/٢ . ورحلة الحج ص ٨٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية {٥٩} .

(٣) سورة الأعراف ، الآية {١٦٢} .

(٤) انظر مسلم ٤/ ٢٣١٢، وفيه انهم قالوا حبة في شعيرة بدل حطة
وفي مسند الإمام احمد انهم (فقولوا حطة قال فبدلوا فقالوا حنطة في شعرة)
انظر الفتح الرباني ١٨/ ٧٣

وهذه "اللام" التي زادوها أشبه شيء بالنون التي زادها اليهود في

قوله تعالى : "وقولوا حطة"(١) ، وبقول الله جلّ وعلا في منع

تبديل القرآن بغيره : "قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن

أتبع إلا ما يوحى إليّ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم"(٢) .

ولاشك أنّ من بدل استوى باستولى مثلا لم يتبع ما أوحي إلى النبيّ

صلى الله عليه وسلم ، فعليه أن يجتنب التبديل ، ويخاف العذاب

العظيم الذي خافه رسول الله صلى الله عليه وسلم لو عصى الله

فبدل قرآنا بغيره ، المذكور في قوله : "إني أخاف إن عصيت ربي

عذاب يوم عظيم"(٢) . واليهود لم ينكروا أنّ اللفظ الذي قاله

الله لهم هو لفظ حطة ، ولكنهم حرفوه بالزيادة المذكورة .

وأهل هذه المقالة لم ينكروا أنّ كلمة القرآن هي استوى ، ولكن

حرفوها وقالوا في معناها : استولى . وإنما أبدلوها بها لأنها

أصلح في زعمهم من لفظ كلمة القرآن التي توهم غير اللائق ، وكلمة

استولى في زعمهم هي المنزهة اللائقة بالله ، مع أنه لايعقل تشبيه

أشنع من تشبيه استيلاء الله على عرشه المزعوم باستيلاء بشر

على العراق))(٣) .

---

(١) سورة البقرة ، الآية {٥٨} .

(٢) سورة يونس ، الآية {١٥} .

(٣) أضواء البيان ٤٥٢/٧-٤٥٤ .

ولله درّ العلامة ابن القيم رحمه الله حيث يقول : = =

وبهذه الالزامات التي ساقها الشيخ الأمين رحمه الله برهن على صحة حكمه في المؤولة بانهم سلكوا مسلك اليهود في تحريف كلام الله تعالى ، ومعارضته . فليس كلامه رحمه الله مجرد دعوى يلقيها على عواهنها ، بل ضمّن ذلك امثلة من القرآن الكريم ليتضح وجه الشبه بين اليهود والمؤولة .

ثمّ يناقش الشيخ رحمه الله هؤلاء المؤولة في صميم تاويلهم ، فيطرح عليهم عدة اسئلة ينسف من خلالها تاويلهم الباطل ؛ إذ هذه الأسئلة لاتحتمل إلا إجابة واحدة لايستطيع المؤولة ان يقولوا بها . وهذه الأسئلة التي يطرحها الشيخ رحمه الله هي من لوازم قولهم الشنيع في تاويل صفة استواء الربّ سبحانه وتعالى ؛ فيقول رحمه الله : ((هل كان احد يغالب الله على عرشه حتى غلبه على العرش واستولى عليه ؟ وهل يوجد شيء إلا والله مستول عليه ، فالله مستول على كل شيء . وهل يجوز ان يقال إنه تعالى استولى على كلّ شيء غير العرش ؟ فافهم))(١) .

وهكذا يظهر الشيخ رحمه الله شناعة هذا القول ، وما يلزم

= أمر اليهود بان يقولوا حطة فابوا ، وقالوا حنطة لهوان
وكذلك الجهمي قيل له استوى فابى ، وزاد الحرف للنقصان
قال استوى استولى وذا من جهله لغة وعقلا ما هما سيان
نون اليهود ولام جهميّ هما في وحي ربّ العرش زائدتان
(انظر : المقاصد وتصحيح القواعد لأحمد بن عيسى ص ٢٦) .

(١) اضواء البيان ٧/٤٥٤ .

عليـــه من لـوازم كفرية إن اعتقدها المؤول ، كل" ذلك بأسلوب مقنع يظهر فظاعة قول المؤولة الذين قالوا على الله بغير علم .

واخيرا يجهز الشيخ الامين رحمه الله على تاويلهم ناسفا له من اساســه ، فبيّــن لهـم ان" المحـذور الذي فروا منه ؛ وهو خوفهم مـن تشـبيه اسـتواء الخـالق بـالمخلوق ، قد وقعوا فيه حين أولـوا اســتوى باسـتولى . فيســالهم مسـتفسـرا منهم هل تقصدون باستيلاء الله على عرشـه استيلاء مشابها لاستيلاء بشر بن مروان على العراق ، ام تريـدون استيلاء خاصا كما يليق بجلال الله وعظمته . وبلاشـك فهم سيجيبون بالجواب الاخير ؛ إذ هم قد أولـوا الاستواء بالاستيلاء فرارا مـن التشـبيه . وبهذه الطريقة ليس امامهم من منفذ يخرجون منه إلا ان يذعنـوا للحـق" ، ويقولـوا بقول اهل السنة والجماعة دون تلاعب بالالفاظ : إن" الله مستو على العرش استواء يليق بجلاله سبحانه ؛ إذ لفظ "استوى" هو اللفظ الذي اثنى الله به على نفسـه ، وتعبدنا بتلاوته ، فهو احق" بان يوصـف الله تعالى به .

وفـي ذلـك يقـول رحمه الله : ((تشبيه استيلاء الله على عرشه باسـتيلاء بشر بن مروان على العراق هو افظع انواع التشبيه ، وليس بلائـق قطعـا . إلا ان يقول : إن" الاستيلاء المزعوم منزه عن مشابهة استيلاء الخلـق ، مع انه ضرب لـه المثل باستيلاء بشر على العراق ، والله يقـول : "فـلا تضربـوا للـه الامثـال إن" اللـه يعلم وانتم

لاتعلمون"(١) ، ونحن نقول : أيها المؤول هذا التأويل : نحن نسألك إذا علمت أنه لابد من تنزيه أحد اللفظين ؛ أعني لفظ "استوى" الذي أنزل الله به الملك على النبي صلى الله عليه وسلم قرآنا يتلى ، كل حرف منه عشر حسنات ، ومن أنكر أنه من كتاب الله كفر . ولفظ "استولى" التي جاء بها قوم من تلقاء أنفسهم من غير استناد إلى نص من كتاب الله ، ولاسنة رسوله ، ولاقول أحد من السلف . فأي الكلمتين أحق بالتنزيه في رأيك ؟ ؛ الأحق بالتنزيه كلمة القرآن المنزلة من الله على رسوله ، أم كلمتكم التي جئتم بها من تلقاء أنفسكم من غير مستند أصلا ؟ ونحن لايخفى علينا الجواب الصحيح عن هذا السؤال إن كنت لاتعرفه))(٢) .

وهذه الطريقة المقنعة التي سلكها الشيخ رحمه الله تستعمل في كل تأويل فروا إليه خشية المشابهة ؛ فإذا لم يقولوا فيه كما يليق بجلاله لزمتهم مشابهة الخالق بالمخلوق ، ووقعوا فيما فروا منه . وحينئذ نقول لهم : نحن نثبت الصفات لله ، ونقول : كما يليق بجلاله ، وهذه صفات أثنى الله بها على نفسه ، وتعبدنا بتلاوتها كما أوضح ذلك كله الشيخ الأمين رحمه الله تعالى .

---

(١) سورة النحل ، الآية {٧٤} .

(٢) أضواء البيان ٧/٤٥٤-٤٥٥ . وانظر : منهج ودراسات ص ٥٠ .

وقد سبق الشيخ الأمين إلى سلوك هذه الطريقة شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على المؤولة (١) . وهذا من الأدلة الجلية على اقتداء الشيخ الأمين رحمه الله بسلفه الصالح من العلماء الأجلاء الذين ردوا على من انحرف عن الطريق المستقيم ، وجادلوا من عاند منهم ، وقارعوا حججهم الواهية الباطلة بحجج في غاية القوة والوضوح والاقناع .

ولم يكتف الشيخ الأمين رحمه الله بإيراد تلك الحجة الظاهرة الساطعة البيان رادا بها هذا التاويل ، بل نجده رحمه الله يفرد مبحثا مستقلا لمناقشة المتكلمين في ردهم صفة الاستواء ، يقيم فيه عليهم الحجة بمقتضى قواعدهم التي قعدوها لنفي معاني الصفات التي لاتوافق أهواءهم ؛ فهم يقولون : لو كان الله مستويا على العرش لكان مشابها للخلق ، لكنه غير مشابه للخلق ، فهو غير مستو على العرش . وبهذه الطريقة القياسية نفوا صفة الاستواء الثابتة في سبعة مواضع من كتاب الله تعالى .

يقول رحمه الله موضحا ذلك : ((نحب أن نذكر كلمة قصيرة لجماعة قرؤوا في المنطق والكلام ، وظنوا نفي بعض الصفات من أدلة كلامية ؛ كالذي يقول مثلا : لو كان مستويا على العرش لكان مشابها للحوادث ، لكنه غير مشابه للحوادث ، ينتج : فهو غير مستو على

---

(١) راجع العقيدة التدمرية ص ٤٥-٤٦ .

العرش . هذه النتيجة الباطلة تضادّ سبع آيات من المحكم المنزل ، ولكننا الآن نقول في مثل هذا (١) على طريق المناظرة والجدل المعروف عند المتكلمين ، نقول : هذا قياس استثنائي مركب من شرطية متصلة لزومية ، استثنائية ، استثنى فيه نقيض التالي ، فانتج نقيض المقدم ، حسب ما يراه مقيم هذا الدليل . ونحن نقول : إنه تقرر عند عامة النظار انّ القياس الاستثنائي المركب من شرطية متصلة لزومية يتوجه عليه القدح من ثلاث جهات :

١ - يتوجه عليه القدح من جهة استثنائية .

٢ - ويتوجه عليه من جهة شرطيته إذا كان الربط بين المقدم والتالي ليس بصحيح .

٣ - ويتوجه عليه من جهة شرطيته إذا كان الربط بين المقدم وهذه القضية كاذبة الشرطية . فالربط بين مقدمها وتاليها كاذب كذبا بحتا ، ولذا جاءت نتيجتها مخالفة لسبع آيات .

إيضاحه : ان نقول : قولكم لو كان مستويا على العرش لكان مشابها للحوادث . هذا الربط بين لو واللام كاذب كاذب ، بل هو مستو على عرشه كما قال من غير مشابهة للحوادث ، كما انّ سائر صفاته واقعة كما قال من غير مشابهة للخلق . ولايلزم من استوائه على عرشه كما قال ان يشبه شيئا من المخلوقين في صفاتهم

---

(١) يريد القدح في القياس الاستثنائي الذي اوردوه .

البتة ، بل استواؤه صفة من صفاته ، وجميع صفاته منزهة عن مشابهة الخلق ، كما أنّ ذاته منزهة عن مشابهة ذوات الخلق . ويطّرد هذا في مثل هذا ، وعلى كل حال فالجواب عن شيء واحد من هذا يطّرد في الجميع))(١) .

وهكذا يردّ عليهم الشيخ الأمين رحمه الله بمنطقهم ، مبيّناً أنّ هذه القاعدة الجدلية ، والدليل الجدلي الذي اتخذوه ذريعة لنفي الاستواء : كاذب من أساسه ، فلا شك أنّ النتيجة التي رتبوها على هذا الدليل الكاذب ستكون كاذبة أيضا ، وبذلك يتضح أنّ صفة الاستواء ثابتة لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته بأدلة النقل ؛ من كتاب وسنة . ولاشك ان العقل السليم الذي لم تدخله الآراء الفاسدة والشبهات لايعارض الدليل الصحيح ، بل يسلم له ؛ فالعقل السليم يوافق الدليل الصحيح .

بقي ان انبه إلى انّ الشيخ الأمين رحمه الله رغم معرفته للجدل والمنطق ، ومعرفته لقواعده وجزئياته ـ كما تبيّن لنا من هذا الردّ ـ إلا انه لم يجعله اساسا لإثبات الصفات ، بل لم يستخدمه في مبحث التوحيد إلا للرد على من يعتقده ويأخذ به ، وذلك لإقامة الحجة عليهم ، وإبطال حججهم بمنطقهم الذي يفهمونه .

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٤١-٤٢ . وانظر : آداب البحث والمناظرة ١٢٢/٢-١٢٦ . ومنع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز ـ الملحق بأضواء البيان ٥٧/١٠-٦٢ ـ .

{٢} - صفة الكلام :

الكلام من صفات الله الثابتة على ما يليق بجلاله سبحانه . وهو صفة ذاتية باعتبار نوع الكلام ، وصفة فعل لتعلقه بمشيئة الله باعتبار افراد الكلام (١) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا آدم . فيقول : لبيك ربنا وسعديك . فينادي بصوت : إن الله يامرك ان تخرج من ذريتك بعثا إلى النار" (٢) .

فهو سبحانه وتعالى لم يزل متكلما إذا شاء ، ومتى شاء ، وكيف شاء . وهو متكلم بصوت يسمع (٣) ; يسمعه من شاء من خلقه ; سمعه موسى عليه السلام من غير واسطة ، وسمعه من اذن له من ملائكته ورسله . وهو سبحانه وتعالى يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه .

هذا معتقد سلف الأمة في صفة كلام الله سبحانه وتعالى . وهو ما قرره الشيخ الأمين رحمه الله ، وبينه خير بيان ; فقد قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "فاجره حتى يسمع كلام الله" (٤)

---

(١) انظر : الفتاوى لشيخ الإسلام ٢١٩/٦ . وانظر ايضا : الصفات الإلهية للدكتور محمد امان ص ٢٦٢ .

(٢) اخرجه البخاري في الصحيح ٢٤١/٥ . ومسلم في الصحيح ٢٠١/١ .

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٠ .

(٤) سورة التوبة ، الآية {٦} .

((هذه الآية الكريمة من سورة براءة نص صريح في أنّ هذا الذي نقرؤه ونتلوه هو بعينه كلام الله ؛ فالصوت صوت القاري ، والكلام كلام الباري ؛ لأنّ الله صرح أنّ هذا المشرك المستجير يسمع كلام الله يتلوه عليه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم . هذا المحفوظ في الصدور ، المقروء بالألسنة ، المكتوب بالمصاحف هو كلام الله جلّ وعلا بمعانيه وألفاظه . ولاشك أنّ أصل الكلام صفة لله جلّ وعلا ونحن لانحب إكثار الخوض فيه .... ولكن نقول : إنّ الكلام صفة الله التي لم يزل متصفا بها ، ولم يتجرد يوما عن كونه متكلما . فالكلام صفته المتصف بها أزلا ، لم يتجرد يوما عن كونه متكلما ، وهو في كلّ وقت يتكلم بما شاء كيف شاء على الوجه اللائق بكماله وجلاله ؛ فكلامه صفة ليس بمخلوق))(١) .

وهذا النصّ من كلام الشيخ رحمه الله واضح الدلالة على أنّ عقيدته في كلام الله هي عقيدة السلف ؛ أنّ الله يتكلم حقيقة متى يشاء ، وكيف يشاء ، وأننا لانعلم كيفية كلامه سبحانه وتعالى ، والقرآن الكريم كلام الله غير مخلوق ، وفي ذلك ردّ على الجهمية والمعتزلة ، وهو ما سوف أوضحه فيما بعد إن شاء الله .

---

(١) الشريط الأول من تفسير سورة التوبة ، الوجه الأول ، عند تفسير قوله تعالى : "فأجره حتى يسمع كلام الله" . وانظر : مذكرة أصول الفقه للشيخ الأمين ص ٥٤ ، ١٨٩ . وأضواء البيان ٣٠٩/٢ . ومنهج ودراسات ص ١٦ . ورحلة الحج ص ٧٦ .

ومن الادلة على انّ عقيدة الشيخ الامين رحمه الله في صفة الكلام هي عقيدة السلف عينها ، انّ ما قاله ائمة السلف عن صفة الكلام مطابق تمام المطابقة لما ذكره الشيخ الامين رحمه الله :

فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ((إنّ الله لم يزل متكلما إذا شاء ، وانه يتكلم بصوت كما جاءت به الآثار . والقرآن وغيره من الكتب الإلهية كلام الله تكلم به بمشيئته وقدرته ، وليس ببائن عنه مخلوقا ، ولايقولون إنه صار متكلما بعد ان لم يكن متكلما ، ولا انّ كلام الله تعالى من حيث هو : هو حادث ، بل مازال متكلما إذا شاء ، وإن كان كلم موسى وناداه بمشيئته وقدرته ، فكلامه لاينفد))(١) .

وقال في موضع آخر مبينا القول الحق في القرآن : ((فالقرآن الذي نقرؤه هو كلام الله مبلغا عنه لامسموعا منه ، وإنما نقرؤه بحركاتنا واصواتنا ، الكلام كلام الباري ، والصوت صوت القاري ، كما دلّ على ذلك الكتاب والسنة مع العقل))(٢) .

وقال تقيّ الدين عبدالغني المقدسي(٣) : ((مذهب اهل الحقّ انّ الله عزّ وجلّ لم يزل متكلما بكلام مسموع مفهوم مكتوب))(٤) .

---

(١) الفتاوى ١٧٣/١٢ .

(٢) الفتاوى ٩٨/١٢ . وانظر المصدر نفسه ٢٤٤/١٢ .

(٣) تقدمت ترجمته .

(٤) انظر عقيدة المقدسي ص ٦١ .

وقال ابن أبي العز الحنفي(١) : ((والحق أن التوراة والإنجيل والزبور والقرآن من كلام الله حقيقة ، وكلام الله تعالى لايتناهى ؛ فإنه لم يزل يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء ، ولايزال كذلك . . . . كلام الله محفوظ في الصدور ، مقروء بالألسنة ، مكتوب في المصاحف))(٢) .

وقال العلامة عبدالباقي المواهبي(٣) : ((فلم يزل الله متكلما كيف يشاء ، إذا شاء بلا كيف ، يأمر بما شاء ويحكم))(٤) .

فهذا هو مذهب السلف الحق في إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى . وهو ما سار عليه الشيخ الأمين رحمه الله في إثبات هذه الصفة وإيضاحها ، وتقرير المعتقد الصحيح فيها مستندا إلى أدلة الوحي .

---

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٢ .

(٣) هو عبدالباقي بن عبدالباقي بن عبدالقادر البعلي . ولد سنة (١٠٠٥ هـ) في بعلبك ، وتوفي سنة (١٠٧١ هـ) في دمشق .
(انظر : الأعلام ٢٧٢/٣) .

(٤) العين والأثر ص ٦٥ .

موقف المتكلمين من صفة الكلام ، ورد الشيخ الأمين رحمة الله عليهم

اكثر المتكلمون من اشاعرة ومعتزلة وجهمية وغيرهم من الخوض في صفة الكلام ، حتى قيل إنما سمي علم الكلام بهذا الاسم اخذا من كثرة ما قيل فيها . ونظرا لما عرف عن القوم من حب في الإطالة والسفسطة والاخذ بالجدل العقيم الذي لايسعفه عقل ولانقل من اجل تقرير الباطل ؛ فقد تشعبت فيها الاقوال ، حتى ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله انها سبعة اقوال ، او تزيد (١) ، وذكر العلامة ابو العز الحنفي شارح الطحاوية تسعة اقوال في صفة الكلام (٢) .

ولكن سوف اقتصر على اشهر هذه الاقوال التي انتشرت وذاع صيتها ، والتي ذكرها الشيخ الامين رحمه الله ، وهما قول المعتزلة والجهمية ، وقول الاشاعرة والكلابية (٣) ؛ فقد ذكرهما رحمه الله

---

(١) انظر الفتاوى ١٢/١٦٣ .

(٢) شرح الطحاوية ص ١٨٠ .

(٣) الكلابية : هم اتباع ابي محمد عبدالله بن سعيد بن كلاب الذي سلك الاشعري مسلكه في طوره الثاني .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (الكلابية والاشعرية خير من هؤلاء - يقصد النجارية والضرارية - في باب الأسماء والصفات فإنهم يثبتون لله الصفات العقلية ، وائمتهم يثبتون الصفات الخبرية في الجملة ، كما فصلت اقوالهم في غير هذا الموضع . واما في باب القدر ، وسائر الأسماء والاحكام فاقوالهم = =

وكرّ عليهما بالتفنيد والإبطال بالحجج الدامغة من النقل والعقل .

فالقول الأول : قول المعتزلة والجهمية : القائلين أنّ كلام الله عزّ وجلّ مخلوق خلقه الله منفصلا عنه (١) .

والقول الثاني : قول الكلابية والأشاعرة : القائلين انّ الكلام معنى واحد قديم قائم بذات الله ، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار ؛ إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا ، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة (٢) .

وسيأتي مزيد إيضاح لكلامه عند الردّ عليهم .

الردّ على الجهمية والمعتزلة :

سبق أن ذكرت أنّ الجهمية والمعتزلة نفوا صفات الله سبحانه وتعالى ، ومن الأولى أن ينفوا صفة الكلام عن الله ، ولذلك قالوا عن كلام الله أنه مخلوق .

= = متقاربة) .

(الفتاوى ١٠٣/٣ . وانظر : مقالات الإسلاميين ٢٤٩/١ ، ٢٥١ ، ، ٢٢٥/٢ ، ٢٢٧) .

(١) شرح الأصول الخمسة ص ٥٢٨ .

(٢) أصول الدين للبغدادي ص ١٠٦ . والإرشاد ص ٩٩ . والمواقف ص ٢٩٣ . وشرح الصاوي على جوهرة التوحيد ص ١٠١ ، ١٠٤ . وانظر أيضا : الفتاوى ١٦٥/١٢ . والبرهان ص ٣٧ . ومختصر الصواعق ٥١٣/٢ .

وهذا ما صرح به عبدالجبار المعتزلي(١) بقوله : ((واما مذهبنا في ذلك فهو انّ القرآن كلام الله تعالى ووحيه ، وهو مخلوق محدث))(٢) .

وقد بيّن الشيخ الأمين رحمه الله خطا هذا القول وجهالة قائله ، واستدل بالادلة السمعية على بطلان هذا الراي البعيد عن جادة الصواب والحقّ ؛ فقال في تفسير النداء المذكور في قوله تعالى : "وناديناه من جانب الطور الأيمن" الآية (٣) : ((فهو كلام الله اسمعه نبيه موسى . ولايعقل انه كلام مخلوق . ولاكلام خلقه الله في مخلوق كما يزعم ذلك بعض الجهلة الملاحدة ؛ إذ لايمكن أن يقول غير الله : "إنه انا الله العزيز الحكيم"(٤) ، ولا ان يقول "إنني انا الله لا إله إلا انا فاعبدني"(٥) . ولو فرض انّ الكلام المذكور قاله مخلوق افتراء على الله كقول فرعون : "انا ربكم الاعلى"(٦) على سبيل فرض المحال ، فلا يمكن ان يذكره الله في معرض

---

(١) عبد الجبار بن احمد بن عبدالجبار الهمداني الاسترابادي . من كبار ائمة المعتزلة . ولد سنة (٣٥٩ هـ) ، وتوفي سنة (٤١٥). (انظر : سير اعلام النبلاء ٢٤٤/١٧ . ومعجم المؤلفين ٧٨/٥ . والاعلام ٢٧٣/٣) .

(٢) شرح الأصول الخمسة ص ٥٢٨ .

(٣) سورة مريم ، الآية {٥٢} .

(٤) سورة النمل ، الآية {٩} .

(٥) سورة طه ، الآية {١٤} .

(٦) سورة النازعات ، الآية {٢٤} .

انه حق" وصواب . فقوله : "إنني انا الله لا إله إلا انا فاعبدني"(١) ، وقوله : "إنه انا الله العزيز الحكيم"(٢) صريح في ان" الله هو المتكلم بذلك صراحة لاتحتمل غير ذلك ، كما هو معلوم عند من له ادنى معرفة بدين الإسلام))(٣) .

الرد" على الكلابية والاشعرية :

ذهب الكلابية والاشعرية إلى ان" الله متكلم بكلام قائم بذاته ازلا وابدا ، لايتعلق بمشيئته وقدرته ، إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا ، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة ، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا .

ونفوا ان يكون الله متكلما بحرف وصوت ; زاعمين أن" كلامه سبحانه نفسي" . أما القرآن الكريم : فقد صرحوا بانه مخلوق محدث ليس كلام الله ، بل هو عبارة عن كلام الله (٤) .

وقد بيّن الشيخ الامين رحمه الله موقفهم من هذه الصفة بعبارة سهلة موجزة ، فقال : ((اعلم ان" كثيرا من المتكلمين

---

(١) سورة طه ، الآية {١٤} .

(٢) سورة النمل ، الآية {٩} .

(٣) اضواء البيان ٢٩٣/٤-٢٩٤ .

(٤) أصول الدين للبغدادي ص ١٠٦ . والإرشاد ص ٩٩ . والمواقف ص ٢٩٣ . والبرهان ص ٣٧ . وانظر : الفتاوى ١٦٥/٢ .

يزعمون أنّ كلام الله معنى قائم بذاته ، مجرد عن الألفاظ والحروف. والأمر عندهم هو اقتضاء الفعل بذلك المعنى القائم بالنفس ، المجرد عن الصيغة . ولأجل هذا الاعتقاد الفاسد قسموا الأمر إلى قسمين : نفسيّ ولفظيّ . فالأمر النفسي عندهم هو ما ذكرنا ، والأمر اللفظي هو اللفظ الدالّ عليه كصيغة "افعل"))(١) .

ثمّ لما فصّل رحمه الله معتقدهم وموقفهم من كلام الله سبحانه وتعالى ، ردّ رحمه الله على معتقدهم الفاسد مبيّنا بطلانه بالأدلة القوية المقنعة ، مبرزا القول الحقّ في هذه المسألة ؛ فقال رحمه الله : ((إذا علمت ذلك فاعلم أنّ هذا المذهب باطل ، وأنّ الحقّ أنّ كلام الله هو هذا الذي نقرؤه بألفاظه ؛ فالكلام كلام الباري ، والصوت صوت القاري . وقد صرح تعالى بذلك في قوله : "فأجره حتى يسمع كلام الله"(٢) ، فصرح بأنّ ما يسمع ذلك المشرك المستجير بألفاظه ومعانيه كلامه تعالى . وأقام الحجج على أنّ ما في النفس إن لم يتكلم به لايسمى كلاما ؛ كقوله في قصة زكريا : "قال آيتك ألّاتكلم الناس"(٣) ، مع أنه أشار إليهم كما قال : "فأوحى إليهم أن سبحوا"(٤) ، فلم يكن ذلك

---

(١) مذكرة أصول الفقه للشيخ الأمين ص ١٨٨-١٨٩ .

(٢) سورة التوبة ، الآية {٦} .

(٣) سورة مريم ، الآية {١٠} .

(٤) سورة مريم ، الآية {١١} .

المعنى القائم بنفسه الذي عبر عنه بالإشارة كلاما . وكذلك قصة مريم : "إني نذرت للرحمن صوما" الآية (١) ، مع قوله : "فأشارت إليه "(٢) ، وفي الحديث : "إنّ الله عفى لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به "(٣) . واتفق أهل اللسان على أنّ الكلام : اسم ، وفعل ، وحرف . وأجمع الفقهاء على أنّ من حلف لايتكلم لايحنث بحديث النفس ، وإنما يحنث بالكلام))(٤) .

وهكذا يتبين لنا مدى فهم الشيخ الأمين رحمه الله لعقيدة السلف ، وتقريره لها ؛ بإثبات الكلام لله تبارك وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته ، والردّ على الكلابية والأشعرية الذين قسموا الكلام إلى كلام نفسي وكلام لفظي ، جاعلين كلام الربّ جلّ وعلا من القسم الأول . ولاريب أنّ هذا التقسيم لم يقل به أحد من العقلاء ، وأنّ الزعم بأنّ كلام الله نفسيّ قول على الله بغير علم .

ولم يكتف الشيخ الأمين رحمه الله بما ذكره آنفا ، بل استطرد في مواضع أخرى مبينا أنّ الكلام في لغة العرب هو ما ننطق به

---

(١) سورة مريم ، الآية {٢٦} .

(٢) سورة مريم ، الآية {٢٩} .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ١١٦/١-١١٧ ، بلفظ مقارب لما ذكره الشيخ رحمه الله ، وفيه : "تجاوز" بدل "عفى" ، مع تقديم وتأخير في بعض ألفاظه .

(٤) مذكرة أصول الفقه ص ١٨٨-١٨٩ .

وتلفظ به ، وسمع ، لاما كان في النفس ؛ إذ ما كان في النفس لايسمى كلاما ، بل يقيد بما يدل علیه ، فيقال : حديث النفس ، أو قول النفس ؛ يقول رحمه الله موضحا هذا الجانب : ((وإذا اطلق الكلام في بعض الأحيان على ما في النفس ، فلا بد أن يقيد بما يدل على ذلك ؛ كقوله تعالى : "ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول" الآية (١) . فلو لم يقيد بقوله "في انفسهم" لانصرف إلى الكلام باللسان)) (٢) .

وبهذا يتضح لنا بطلان مذهب الاشاعرة والكلابية لتهافت محتوياته امام الادلة الدامغة من الكتاب والسنة ، والتي يستند إليها الشيخ رحمه الله فيما ذهب إليه من رد أو تقرير .

{٣} - صفة اليدين :

صفة اليدين صفة خبرية ذاتية حقيقية ثابتة لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلال الله ؛ قال الله تعالى : "ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي" (٣) ، وقال تعالى : "بل يداه مبسوطتان" (٤) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله عز وجل يبسط يده

---

(١) سورة المجادلة ، الآية {٨} .

(٢) مذكرة اصول الفقه ص ١٨٩ .

(٣) سورة ص ، الآية {٧٥} .

(٤) سورة المائدة ، الآية {٦٤} .

بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها"(١) .

وقد دلت الآيات والأحاديث النبوية الكثيرة على هذه الصفة العظيمة لربنا سبحانه وتعالى .

وقد أوضح الشيخ الأمين رحمه الله هذه الصفة ، وبيّن أنها صفة كمال لله سبحانه وتعالى وصف بها نفسه ، وهي لاتشابه صفات المخلوقين ؛ فقال رحمه الله : ((فالظاهر المتبادر من لفظ اليد بالنسبة للمخلوق ، هو كونها جارحة هي عظم ولحم ودم . هذا هو المتبادر إلى الذهن في نحو قوله تعالى : "فاقطعوا أيديهما"(٢) . والظاهر المتبادر من اليد بالنسبة للخالق في نحو قوله تعالى : "ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ"(٣) أنها صفة كمال وجلال ، لائقة بالله جلّ وعلا ، ثابتة له على الوجه اللائق بكماله وجلاله . وقد بيّن جلّ وعلا عظم هذه الصفة وما هي عليه من الكمال والجلال ، وبيّن أنها من صفات التأثير كالقدرة ؛ قال تعالى في تعظيم شأنها : "وما قدروا الله حقّ قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون"(٤) .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٢١١٣/٤ .

(٢) سورة المائدة ، الآية {٣٨} .

(٣) سورة ص ، الآية {٧٥} .

(٤) سورة الزمر ، الآية {٦٧} .

وبيـــن انهـا صفة تاثير كالقدرة في قوله تعالى : "قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي" "(١) ; فتصريحه تعالى بانه خلق نبيه آدم بهذه الصفة العظيمة التي هي من صفات كماله وجلاله يدل على انها من صفات التاثير كما ترى))(٢) .

وهـذا الكلام من الشيخ الأمين رحمه الله هو معتقد السلف جميعا في صفة اليدين لله سبحانه وتعالى على الحقيقة كما يليق بجلاله ، وانهـا لاتشابه يدي المخلوق كمـا أن ذات الله سبحانه وتعالى لاتشابه ذات المخلوق .

قال الإمام ابن خزيمة رحمه الله : ((نحن نقول : الله جل وعلا له يدان كما اعلمنا الخالق البارئ في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ونقول : كلتا يدي ربنا عز وجل يمين))(٣) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ((وقد تواتر في السنة مجيء اليد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، فالمفهوم من هذا الكلام أن لله تعالى يدان مختصتان به ذاتيتان له كما يليق بجلاله ، وانه سبحانه خلق آدم بيده دون الملائكة وإبليس ، وانه

---

(١) سورة ص ، الآية {٧٥} .

(٢) أضواء البيان ٤٤٤/٧-٤٤٥ . وانظر : رحلة الحج ص ٧٩ .

(٣) التوحيد لابن خزيمة ١٩٣/١ .

سبحانه يقبض الأرض ويطوي السموات بيده اليمنى ، وأنّ يديه مبسوطتان . ومعنى بسطهما بذل الجود وسعة الإعطاء))(١) .

وهكذا نرى أنّ تناول الشيخ رحمه الله لهذه الصفة ينطلق من اتباعه لمنهج الوحي ، وسلوكه مسلك السلف ، ولذلك جاء تقريره للمذهب الحقّ المستند إلى الدليل في غاية القوة والبيان .

موقف الشيخ الأمين رحمه الله ممن تأول هذه الصفة :

أول المتكلمون هذه الصفة كدأبهم في تحريف الصفات التي لاتنطبق مع أقيستهم وعقولهم ، فعدوها من المتشابه ; فأولتها المعتزلة بمعنى القوة أو النعمة (٢) ، وقال متأخرو الأشاعرة : هي بمعنى القدرة (٣) . أما متقدموا الأشاعرة فأثبتوها صفة لله تعالى على ما يليق بجلاله كما هو معتقد السلف(٤) .

وقد ردّ الشيخ الأمين رحمه الله على من تأول هذه الصفة الكريمة ، مظهرا زيف دعواهم ، ومبيّنا أنّ إثبات هذه الصفة على ما يليق بالله لايأباه إلا ذوو القلوب المريضة بالتشبيه ; فقال :

---

(١) الرسالة المدنية ص ٤٥ .

(٢) شرح الأصول الخمسة ص ٢٢٨ .

(٣) مشكل الحديث ص ٢٤٣ . وأصول الدين ص ١١٠ . والإرشاد ص ١٤٦ . والمواقف ص ٢٩٨ .

(٤) أصول الدين ص ١١١ .

((ولايصح هنا تأويل اليد بالقدرة البتة ؛ لإجماع أهل الحق والباطل كلهم على أنه لايجوز تشبيه القدرة . ولايخطر في ذهن المسلم المراجع عقله دخول الجارحة التي هي عظم ولحم ودم في معنى هذا اللفظ الدال على هذه الصفة العظيمة من صفات خالق السموات والأرض))(١) .

ثم ذكر رحمه الله شبههم التي يتعلقون بها ، ورد عليها ، وبين اللوازم التي تلزم هذا القول ؛ فقال : ((فاعلم أيها المدعي أن ظاهر لفظ اليد في الآية المذكورة وأمثالها لايليق بالله ؛ لأن ظاهرها التشبيه بجارحة الإنسان ، وأنها يجب صرفها عن هذا الظاهر الخبيث . ولم تكتف بذلك حتى ادعيت الإجماع على صرفها عن ظاهرها . إن قولك هذا كله افتراء عظيم على الله تعالى وعلى كتابه العظيم ، وإنك بسببه كنت أعظم المشبهين والمجسمين . وقد جرك شؤم هذا التشبيه إلى ورطة التعطيل ؛ فنفيت الوصف الذي أثبته الله في كتابه لنفسه بدعوى أنه لايليق به ، وأولته بمعنى آخر من تلقاء نفسك بلا مستند من كتاب ولاسنة ولا إجماع ولاقول أحد من السلف . وماذا عليك لو صدقت وآمنت بما مدح به نفسه على الوجه اللائق بكماله وجلاله من غير كيف ولاتشبيه ولاتعطيل . وبأي موجب سوغت لذهنك أن يخطر فيه صفة المخلوق عند

---

(١) أضواء البيان ٤٤٥/٧ . وانظر : رحلة الحج ص ٨٤ .

ذكر صفة الخالق ؟ وهل تلتبس صفة الخالق بصفة المخلوق على أحد حتى يفهم صفة المخلوق من اللفظ الدالّ على صفة الخالق ؟))(١) .

وبعد هذا الردّ من الشيخ رحمه الله على المؤولة ، والذي أبان فيه زيف دعاويهم ، وأنها لا حظّ لها من كلام الله ولارسوله ولا إجماع المسلمين ، ولايدلّ عليها عقل ولاسمع : نراه رحمه الله يحذر المؤولة ويخوفهم بالله أن يتجرؤوا على تحريف وصف الله لنفسه ، مبيّناً لهم أنّ كيفية صفات الربّ جلّ وعلا لايحيط بها أحد ، ولايستطيع مخلوق معرفة كنهها ، فهي ثابتة لله جلّ وعلا كما يليق بجلاله ؛ فيقول رحمه الله : ((فاخش الله يا إنسان ، واحذر من التقول على الله بغير علم ، وآمن بما جاء في كتاب الله مع تنزيه الله عن مشابهة خلقه . واعلم أنّ الله الذي أحاط علمه بكلّ شيء لايخفى عليه الفرق بين الوصف اللائق به والوصف غير اللائق به ، حتى يأتي إنسان فيتحكم في ذلك فيقول : هذا الذي وصفتَ به نفسك غير لائق بك ، وأنا أنفيه عنك بلا مستند منك ولامن رسولك ، وآتيك بدله بالوصف اللائق بك ؛ فاليد مثلا التي وصفتَ بها نفسك لاتليق بك لدلالتها على التشبيه بالجارحة ، وأنا أنفيها نفيا باتا وأبدلها لك بوصف لائق بك وهو النعمة أو القدرة مثلا ، أو

---

(١) أضواء البيان ٧/٤٤٥-٤٤٦ .

الجود))(١) .

وهكذا نلاحظ القوة التي يختص بها الشيخ رحمه الله في إيضاح الحق ودمغ الباطل ، ففيها من الغيرة على الحق ومحاربة الباطل ما يجعلها قارعة على رؤوس المعطلين .

إشكال ، وتوضيحه :

اورد الشيخ الأمين رحمه الله قضية قد تشكل على بعض الناس . ومضمونه : ان القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع السلف دل على أن الله متصف بان له يدين - بالتثنية - . وكذلك أجمعوا على أن الله لايوصف بصفة الأيدي - بالجمع - ، مع أن الله وصف نفسه بذلك ، فقال : "اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون"(٢) . فلماذا اجمع السلف على تقديم آية "لما خلقت بيدي" على آية "مما عملت ايدينا" ؟(٣) .

وقد اجاب الشيخ رحمه الله عن هذا السؤال : انه لاتعارض ولاإشكال بين الآيتين ، وأن صيغ الجموع لها معنيان . وقد بيّن

---

(١) اضواء البيان ٤٤٦/٧ .

(٢) سورة يس ، الآية {٧١} .
وانظر : كلام شيخ الإسلام ابن تيمية حول هذا المعنى (في الرسالة المدنية ص ٤٩) .

(٣) انظر : اضواء البيان ٤٦٣/٧ .

رحمه الله هذه المعاني مدللا عليها بآيات من القرآن الكريم ؛ فقال : ((الجواب : انه لاخلاف بين اهل اللسان العربي ، ولابين المسلمين أنّ صيغ الجموع تأتي لمعنيين ؛ احدهما : إرادة التعظيم فقط ، فلا يدخل في صيغة الجمع تعدد أصلا ؛ لأنّ صيغة الجمع المراد بها التعظيم إنما يراد بها واحد . الثاني : أن يراد بصيغة الجمع معنى الجمع المعروف . وإذا علمت ذلك فاعلم أنّ القرآن العظيم يكثر فيه جدا إطلاق الله جلّ وعلا على نفسه صيغة الجمع ؛ يريد بذلك تعظيم نفسه ، ولايريد بذلك تعددا ، ولاأنّ معه غيره سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ، كقوله تعالى : "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"(١) ؛ فصيغة الجمع في قوله : "إنا" وفي قوله : "نحن" ، وفي قوله : "نزلنا" ، وقوله : "حافظون" لايراد بها أنّ معه منزلا للذكر وحافظا له غيره تعالى ، بل هو وحده المنزل له والحافظ له . وكذلك قوله تعالى : "افرايتم ما تمنون أانتم تخلقونه ام نحن الخالقون"(٢) ، وقوله : "أانتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون"(٣) ، وقوله : "أانتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون"(٤) ، ونحو هذا كثير في القرآن جدا ،

---

(١) سورة الحجر ، الآية {٩} .

(٢) سورة الواقعة ، الآيتان {٥٨-٥٩} .

(٣) سورة الواقعة ، الآية {٦٩} .

(٤) سورة الواقعة ، الآية {٧٢} .

وبه تعلم أنّ صيغة الجمع في قوله : "إنا" ، وفي قوله : "خلقنا"، وفي قوله : "عملت أيدينا" إنما يراد بها التعظيم ، ولايراد بها التعدد أصلا . وإذا كان يراد بها التعظيم لاالتعدد علم بذلك أنها لاتصح بها معارضة قوله : "لما خلقت بيديّ"(١) ؛ لأنها دلت على صفة اليدين ، والجمع في قوله : "أيدينا" لمجرد التعظيم . وما كان كذلك لايدلّ على التعدد ، فيطلب الدليل من غيره ، فإن دلّ على أنّ المراد بالتعظيم واحد حكم به . فقوله مثلا : "وإنا له لحافظون"(٢) قام فيه البرهان القطعي أنه حافظ واحد . وكذلك قوله : "أم نحن الخالقون"(٣) ، "أم نحن المنزلون"(٤) ، "أم نحن المنشئون"(٥) ؛ فإنه قد قام في كلّ ذلك البرهان القطعي على أنه خالق واحد ، ومنزل واحد ، ومنشئ واحد . وأما قوله : "مما عملت أيدينا" فقد دلّ البرهان القطعي على أنّ الله موصوف بصفة اليدين كما صرح به في قوله : "لما خلقت بيديّ" كما تقدم إيضاحه قريبا . وقد علمت أنّ صيغة الجمع في قوله : "لحافظون" ، وقوله : "أم نحن الخالقون" ، وقوله : "أم نحن المنزلون" ، وقوله : "أم نحن

---

(١) سورة ص ، الآية {٧٥} .

(٢) سورة الحجر ، الآية {٩} .

(٣) سورة الواقعة ، الآية {٥٩} .

(٤) سورة الواقعة ، الآية {٦٩} .

(٥) سورة الواقعة ، الآية {٧٢} .

المنشئون" ، وقوله : "خلقنا لهم مما عملت أيدينا"(١) ، لايراد بشيء منه معنى الجمع ، وإنما يراد به التعظيم فقط))(٢) .

وهذا الجواب من الشيخ رحمه الله مقنع لمن أراد الحق ومعرفة معتقد السلف ؛ فهو مقنع لطالب الحق غاية الإقناع بما اشتمل عليه من تقرير علمي رصين .

وقد نبّه الشيخ الأمين رحمه الله إلى أنّ قوله تعالى في سورة الذاريات : "والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون"(٣) أنّ هذه الآية ليست من آيات الصفات ، وأنّ "أيد" لايراد منها صفة اليد ، وإنما هي بمعنى القوة ؛ فقال رحمه الله : ((قوله تعالى في هذه الآية الكريمة : "بنيناها بأيد" ليست من آيات الصفات المعروفة بهذا الإسم ؛ لأنّ قوله : "بأيد" ليس جمع يد ، وإنما الأيد : القوة ، فوزن قوله هنا : "بأيد" : فعل ، ووزن الأيدي : أفعل ؛ فالهمزة في قوله : "بأيد" في مكان الفاء ، والياء في مكان العين ، والدال في مكان اللام . ولو كان قوله تعالى :

---

(١) سورة يس ، الآية {٧١} .

(٢) أضواء البيان ٧/٤٦٣-٤٦٥ .

وانظر كلام أبي الحسن الأشعري في الإبانة (ص ١٠٤) ، وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة التدمرية (ص ٧٥) عن هذا الإشكال .

(٣) سورة الذاريات ، الآية {٤٧} .

"بـأيد" جمع يد ، لكان وزنه افعلا ، فتكون الهمزة زائدة ، والياء في مكـان الفـاء ، والـدال فـي مكـان العيـن ، والياء المحذوفة - لكونـه منقوصـا - هـي الـلام . والأيـد والآد في لغة العرب بمعنى القـوة ، ورجـل أيـد : قـوي ، ومنـه قوله تعالى : "وأيدنـاه بروح القـدس"(١) ؛ أي قويـنـاه . فمن ظنّ أنها جمع يد في هذه الآية فقد غلط غلطا فاحشـا ، والمعنى : والسـماء بنيناها بقوة))(٢) .

{٤} - صـفـة المـعـيـة :

تطـرق الشـيخ الأميـن رحمـه اللـه لهذه الصفة من عدة جوانب ؛ أحدها : اقسامها . وثانيها : الجمع بينها وبين استواء الله على عرشـه . وثالثـهـا : الـردّ على الجهمية القائلين إنّ الله معنا بذاته .

أولا : تقسـيم المعيـة : أوضح الشـيخ الأمين رحمه الله أنّ المعيـة تنقسـم إلـى قسـمين ؛ خاصـة وعامة ؛ فقال رحمه الله : ((إنّ للـه معيـة خاصـة ومعيـة عامـة . فالمعيـة الخاصـة بالنصر والتـوفيق والإعانـة ، وهـذه لخصوص المتقيـن المحسـنين ؛ كقوله

---

(١) سورة البـقرة ، الآية {٨٧} .

(٢) أضواء البيان ٧/٦٦٩ .

وانظـر كـلام أبي الحسـن الأشـعري (في الإبانة ص ١٠٠-١٠١) عن هذه المسالة .

تعالى : "إن الله مع الذين اتقوا" الآية (١) ، وقوله : "إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم" الآية (٢) ، وقوله : "إنني معكما أسمع وأرى"(٣) ، وقوله : "لاتحزن إن الله معنا"(٤) . ومعية عامة بالإحاطة والعلم ؛ لأنه تعالى أعظم وأكبر من كل شيء ، محيط بكل شيء . فجميع الخلائق في يده أصغر من حبة خردل في يد أحدنا ، وله المثل الأعلى))(٥) .

وقال رحمه الله في موضع آخر : ((وأما المعية العامة لجميع الخلق : فهي بالإحاطة التامة والعلم ونفوذ القدرة ، وكون الجميع في قبضته جل وعلا))(٦) .

ثانيا : الجمع بين معيته سبحانه ، واستوائه على عرشه جل وعلا .

لاشك أن من كان عالما بأحوال عباده ، مطلعا عليهم ، ومهيمنا عليهم ، يسمع أقوالهم ، ويرى أفعالهم ، ويدبر جميع أمورهم : أنه معهم حقيقة ، وإن كان فوق عرشه حقيقة ؛ لأن

---

(١) سورة النحل ، الآية {١٢٨} .
(٢) سورة الأنفال ، الآية {١٢} .
(٣) سورة طه ، الآية {٤٦} .
(٤) سورة التوبة ، الآية {٤٠} .
(٥) دفع إيهام الاضطراب - الملحق بأضواء البيان ١٠/١٧٦-١٧٧ - .
(٦) المصدر نفسه ٣/٣٩٠ . وانظر كلام شيخ الإسلام في الفتاوى ١١/٢٤٩ . وكلام الإمام ابن كثير في تفسيره ٤/٣٢٢ .

المعية لاتستلزم الاجتماع في مكان(١) . ومعيته لاتشبه معية مخلوق لمخلوق ، بل هي معية على ما يليق بجلاله .

وقد أشار الشيخ الأمين رحمه الله إلى هذا المعنى ؛ فقال : ((إنه تعالى مستو على عرشه كما قال بلا كيف ولاتشبيه ، استواء لائقا بكماله وجلاله ، وجميع الخلائق في يده أصغر من حبة خردل ، فهو مع جميعهم بالإحاطة الكاملة والعلم التام ، ونفوذ القدرة سبحانه وتعالى علوا كبيرا . فلا منافاة بين علوه على عرشه ومعيته لجميع الخلائق ؛ ألا ترى - ولله المثل الأعلى - أن" أحدنا لو جعل في يده حبة من خردل أنه ليس داخلا في شيء من أجزاء تلك الحبة مع أنه محيط بجميع أجزائها ومع جميع أجزائها . والسموات والأرض ومن فيهما في يده تعالى أصغر من حبة خردل في يد أحدنا ، وله المثل الأعلى سبحانه وتعالى علوا كبيرا . فهو أقرب إلى الواحد منا من عنق راحلته (٢) ، بل من حبل وريده (٣) ، مع أنه مستو على عرشه ،

---

(١) من القواعد المثلى للشيخ ابن عثيمين ص ٥٩ - بتصرف - .

(٢) يشير رحمه الله إلى قوله صلى الله عليه وسلم : "والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم" .
(أخرجه مسلم في صحيحه ٢٠٧٧/٤) .

(٣) يشير رحمه الله إلى قوله تعالى : "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" . (سورة ق ، الآية {١٦}) .

لايخفى عليه شيء من عمل خلقه جلّ وعلا))(١) .

ثالثا : الردّ على الجهمية القائلين إنّ الله معنا بذاته :

يرى الجهمية أنّ الله في كلّ مكان ، وانه معنا بذاته(٢) .

وقد استدلوا بقوله تعالى : "وهو معكم اينما كنتم"(٣) ، وقوله : "وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم"(٤) ، إلى غير ذلك من الآيات .

وقد ردّ عليهم الشيخ الأمين رحمه الله مبيّنا لهم انّ هذا الفهم لهذه الآية غير صحيح ; فالله سبحانه هو الذي أحاط بمخلوقاته ، ولاتحيط به جلّ وعلا ، فهو أكبر من كلّ شيء ; فقال رحمه الله : ((اعلم أنّ ما يزعمه الجهمية من أنّ الله تعالى في كلّ مكان مستدلين بهذه الآية(٥) على انه في الأرض : ضلال مبين ،

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب - الملحق بأضواء البيان ٢٨٥/١٠ - . وانظر : أضواء البيان ٣٩٠/٣ .
ولشيخ الإسلام رحمه الله ، والحافظ ابن القيم رحمه الله كلام حول هذا المعنى . (انظر : الفتاوى ١٠٣/٥ . ومختصر الصواعق ص ٤٩١-٤٩٢) .

(٢) انظر الردّ على الجهمية للإمام الدارمي ص ١٨ .

(٣) سورة الحديد ، الآية {٤} .

(٤) سورة الأنعام ، الآية {٣} .

(٥) يقصد قوله تعالى : "وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم" . (سورة الأنعام ، الآية {٣}) .

وجهل بالله تعالى ؛ لأنّ جميع الأمكنة الموجودة أحقر وأصغر من أن يحلّ في شيء منها ربّ السموات والأرض الذي هو أعظم من كلّ شيء ، وأعلى من كلّ شيء ، محيط بكلّ شيء ولايحيط به شيء ، فالسموات والأرض في يده جلّ وعلا أصغر من حبة خردل في يد أحدنا - وله المثل الأعلى - ، فلو كانت حبة خردل في يد رجل ، فهل يمكن أن يقال : إنه حالّ فيها ، أو في كلّ جزء من أجزائها ؟ لا ، وكلا هي أصغر وأحقر من ذلك . فإذا علمت ذلك : أعلم أنّ ربّ السموات والأرض أكبر من كلّ شيء ، وأعظم من كلّ شيء ، محيط بكلّ شيء ولايحيط به شيء ، ولايكون فوقه شيء . "ولايعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولافي الأرض ، ولاأصغر من ذلك ولاأكبر إلا في كتاب مبين"(١) سبحانه وتعالى علوا كبيرا ، لانحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه ، "يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولايحيطون به علما"(٢)))(٣) .

وبهذا يتضح لنا بطلان هذا القول القبيح الذي هو حلول صرف ؛ إذ يلزم منه أنّ الله تعالى حالّ في كلّ مكان ، ليس في مكان دون آخر ، ويلزم منه أن تكون الأماكن القذرة ، وأجواف الخنازير محلا لله سبحانه وتعالى عما يقول المبطلون علوا كبيرا .

---

(١) سورة سبأ ، الآية {٣} .

(٢) سورة طه ، الآية {١١٠} .

(٣) أضواء البيان ٢/١٨٢-١٨٣ . ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام حول هذا المعنى في الفتاوى (٥/٢٣٠) .

{٥} - صفة العلم :

العلم من صفات الله الذاتية ، فهي لاتنفك عنه جلّ وعلا . وعلمه سبحانه وتعالى محيط بكلّ شيء ازلا وابدا . وهو أحد مراتب القدر الأربعة ؛ فقد علم الله سبحانه وتعالى جميع ما هو كائن ، ولم يطلع على غيبه احدا من خلقه ، إلا ما أطلع عليه رسله تاييدا لهم في دعوتهم الناس إلى الإيمان به جلّ وعلا .

وقد اوضح الشيخ رحمه الله هذه الصفة العظيمة فقال : ((علم الغيب صفة مختصة بالله تعالى ، وقد نفاها عن كلّ خلقه . وكونه يطلع بعض خلقه على بعض الغيب لايقتضي أن يوصفوا بما وصف به))(١) .

وقال رحمه الله في موضع آخر ، عند تفسير قوله تعالى : "فلنقصنّ عليهم بعلم وما كنا غائبين"(٢) : ((بيّن تعالى في هذه الآية الكريمة انه يقصّ على عباده يوم القيامة ما كانوا يعملونه في الدنيا ، واخبرهم بانه جلّ وعلا لم يكن غائبا عما فعلوه أيام فعلهم له في دار الدنيا ، بل هو الرقيب الشهيد على جميع الخلق ، المحيط علمه بكلّ ما فعلوه من صغير وكبير ، وجليل وحقير . وبيّن هذا المعنى في آيات كثيرة ، كقوله : "ما يكون من نجوى

---

(١) معارج الصعود ص ١٠٣ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية {٧} .

ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولاخمسة إلا هو سادسهم ، ولاادنى من ذلك ولااكثر إلا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إنّ الله بكلّ شيء عليم"(١) ، وقوله : "يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم"(٢) ، وقوله : "وما تكون في شان وما تتلو منه من قرآن ولاتعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه ، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولافي السماء ولااصغر من ذلك ولااكبر إلا في كتاب مبين"(٣)))(٤) .

{٦} - صفات العلوّ والعظمة والكبرياء :

ذكر الشيخ الأمين رحمه الله صفتي العلوّ والعظمة عند تفسير قوله تعالى : "وهو العليّ العظيم"(٥) ؛ فقال رحمه الله : ((وصف نفسه جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة بالعلوّ والعظمة ، وهما من

---

(١) سورة المجادلة ، الآية {٧} .
(٢) سورة الحديد ، الآية {٤} .
(٣) سورة يونس ، الآية {٦١} .
(٤) اضواء البيان ٢٩١/٢ . وانظر : المصدر نفسه ٣٠٣/٢ ، ٣٠٨ . ومنهج ودراسات ص ١٥-١٦ . ورحلة الحج ص ٧٦ . ومعارج الصعود ص ٤٥ ، ٤٧ ، ٦٧ ، ١٠٠ . وانظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن صفة العلم في الفتاوى ٣٤٠/٦ .
(٥) سورة الشورى ، الآية {٤} .

الصفات الجامعة كما قدمنا في سورة الأعراف(١) ..... وما تضمنته هذه الآية الكريمة من وصفه تعالى نفسه بهاتين الصفتين الجامعتين لكل كمال وجلال ، جاء مثله في آيات أخر ; كقوله تعالى : "ولايؤده حفظهما وهو العليّ العظيم"(٢) ، وقوله تعالى : "إنّ الله كان عليا كبيرا"(٣) ، وقوله تعالى : "عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال"(٤) ، وقوله تعالى : "وله الكبرياء في السموات والأرض" الآية (٥) ، إلى غير ذلك من الآيات))(٦) .

وذكر رحمه الله صفة الكبرياء عند تفسير قوله تعالى : "وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم"(٧) ; فقال رحمه الله : ((ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنّ له الكبرياء في السموات والأرض ; يعني أنه المختصّ بالعظمة والكمال والجلال والسلطان في السموات والأرض ; لأنه هو معبود أهل السموات والأرض ، الذي يلزمهم تكبيره وتعظيمه وتمجيده والخضوع والذلّ له))(٨) .

---

(١) انظر أضواء البيان ٣١٣/٢ .
(٢) سورة البقرة ، الآية {٢٥٥} .
(٣) سورة النساء ، الآية {٣٤} .
(٤) سورة الرعد ، الآية {٩} .
(٥) سورة الجاثية ، الآية {٣٧} .
(٦) أضواء البيان ١٥٠/٧-١٥١ . وانظر المصدر نفسه ٣١٣/٢-٣١٤ .
(٧) سورة الجاثية ، الآية {٣٧} .
(٨) أضواء البيان ٣٦١/٧ . وانظر : رحلة الحج ص ٧٨ . ومنهج ودراسات ص ٢٣ .

ثمّ ذكر رحمه الله أنّ ما تضمنته هذه الآية الكريمة جاء مبينا في آيات اخر ؛ فذكر عدة آيات في القرآن الكريم ، ومنها : قوله تعالى : "وله المثل الاعلى في السموات والارض"(١) ؛ فقال رحمه الله : ((معناه أنّ له الوصف الاكمل الذي هو اعظم الأوصاف واكملها واجلها في السموات والارض . وفي حديث ابي هريرة وابي سعيد ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم : "إنّ الله يقول : العظمة إزاري ، والكبرياء ردائي ، فمن نازعني في واحد منهما اسكنته ناري"(٢)))(٣) .

{٧} - صفة القدرة :

صفة القدرة من الصفات الذاتية . وقد ذكرها الشيخ رحمه الله

---

(١) سورة الروم ، الآية {٢٧} .
(٢) اخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٢٣/٤) بلفظ مقارب عن ابي سعيد وابي هريرة قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "العزة إزاره والكبرياء رداؤه ، فمن ينازعني عذبته" .
واخرجه ابو داود (في سننه ٣٥٠/٤-٣٥١) عن ابي هريرة بنحو اللفظ الذي اورده الشيخ ، وفيه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "قال الله عزّ وجلّ : الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار" .
وكذا اخرجه ابن ماجه (في السنن ١٣٩٧/٢) بلفظ ابي داود إلا أنّ فيه : "القيته في جهنم" بدل " قذفته في النار" .
(٣) اضواء البيان ٢٦١/٧ . وانظر : المصدر نفسه ١٣٦/٥ . وإبطال التاويلات ٢٣٢/١ . والفتاوى ٢٥٣/١٠-٢٥٤ .

عند تفسير قوله تعالى : "وهو على كلّ شيء قدير"(١) ، قال : ((أي قادر . وهذه الصفة التي هي صفة القدرة : هي التي يوجد الله جلّ وعلا بها الممكنات . وهو تعالى قادر على ما يشاء ، وما لم يشاء ؛ مثال ذلك : أنه تعالى شاء إيمان أبي بكر وهدايته ، وقد هداه للإيمان ، ولم يشأ إيمان أبي جهل ، وهو قادر عليه ، ولم تتعلق به مشيئته ، فلم يوجده . وكلّ صفات الله عزّ وجلّ من الكمال ؛ بحيث لو تصور شيء من المبالغة في الصفة فهي فوق ذلك))(٢) .

{٨} - صفتا السمع والبصر :

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "أبصر به وأسمع"(٣) : ((أي ما أبصره وما أسمعه جلّ وعلا . وما ذكره في هذه الآية الكريمة من اتصافه جلّ وعلا بالسمع والبصر ذكره أيضا في مواضع أخر ؛ كقوله : "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"(٤) ، وقوله : "قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله

---

(١) سورة هود ، الآية {٤} .

(٢) معارج الصعود ص ٤٤ . وانظر : أضواء البيان ٣٠٧/٢ . ورحلة الحج ص ٧٦ . وآداب البحث ١٣٢/٢ . ومنهج ودراسات ص ١٣ . وانظر أيضا : الفتاوى ١٨/٦ .

(٣) سورة الكهف ، الآية {٢٦} .

(٤) سورة الشورى ، الآية {١١} .

يسمع تحاوركما إن" الله سميع بصير"(١) ، وقوله تعالى : "الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن" الله سميع بصير"(٢) ، والآيات بذلك كثيرة جدا))(٣) .

{٩} - صفتا الحياة والقيومية :

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "وعنت الوجوه للحي" القيوم"(٤) : ((الحي" : المتصف بالحياة ، الذي لايموت أبدا . والقيوم : صيغة مبالغة ؛ لأنه جل" وعلا هو القائم بتدبير شئون جميع الخلق ، وهو القائم على كل" نفس بما كسبت . وقيل : القيوم : الدائم الذي لايزول))(٥) .

وصفة القيومية صفة ذاتية باعتبار ، وفعلية باعتبار ؛

---

(١) سورة المجادلة ، الآية {١} .
(٢) سورة الحج ، الآية {٧٥} .
(٣) أضواء البيان ٨١/٤ . وانظر : المصدر نفسه ٣٠٨/٢ . ورحلة الحج ص ٧٦ . وآداب البحث والمناظرة ١٣٢/٢ . ومنهج ودراسات ص ١٤ . وانظر أيضا : كتاب التوحيد لابن خزيمة ١٠٦/١ .
(٤) سورة طه ، الآية {١١١} .
(٥) أضواء البيان ٥١٨/٤ . وانظر كلام الشيخ الأمين رحمه الله عن صفة الحياة في : أضواء البيان ٣٠٨/٢ . ورحلة الحج ص ٧٦ . وآداب البحث ١٣٢/٢ . ومنهج ودراسات ص ١٤ .
وقد تكلم على صفة الحياة من السلف ، فقال نحوا من كلام الشيخ الأمين ، كل" من شيخ الإسلام ابن تيمية (في الفتاوى ٦٨/٦) ، وابن أبي العز (في شرح الطحاوية ص ١٢٤) ، وغيرهما .

فالله سبحانه وتعالى قائم بنفسه ، ومقيم لغيره جلّ وعلا .

وهذه الصفة تشبه صفة الكلام من حيث كونها صفة ذاتية فعلية ؛ إذ أنّ صفة الكلام صفة ذاتية باعتبار نوع الكلام ، وفعلية باعتبار افراد الكلام .

{١٠} - صفة الوجه :

قال رحمه الله : ((والوجه صفة من صفات الله العلى وصف بها نفسه . فعلينا ان نصدق ربنا ، ونؤمن بما وصف به نفسه مع التنزيه التامّ عن مشابهة صفات الخلق))(١) .

{١١} - صفة العين :

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "باعيننا ووحينا"(٢) : ((العين صفة لله تعالى لائقة بجلاله ، لاتشبه صفة المخلوقين . وإنما جمعت هنا لمناسبة إضافتها إلى الضمير المجموع

---

(١) أضواء البيان ٤٥٠/٧ . وانظر المصدر نفسه ٣٣٢/٢ ،، ١٩٩/٤ ،، ٤٥٧/٦ .

وكلام الشيخ هذا يشبه كلام من سبقه من السلف

و~~للسلف كلام يشبه ما أورده الشيخ الأول~~ عن هذه الصفة الكريمة . (انظر مثلا : التوحيد لابن خزيمة ٢٤/١-٢٥ . والفتاوى ٦٨/٦ . ومختصر الصواعق ص ٤١٧) .

(٢) سورة هود ، الآية {٣٧} .

للتعظيم))(١) .

{١٢} - صفة القدم :

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "لأملأن" جهنم من الجنة والناس أجمعين"(٢) : ((وثبت في بعض الأحاديث أن" النار لايزال الله يلقي فيها ، وتقول : هل من مزيد . فيضع رب" العزة قدمه عليها فتقول : قط قط(٣) . وهذه صفة لله تعالى لائقة بجلاله تثبت كغيرها على أساس التنزيه))(٤) .

{١٣} - صفة الغضب :

قال رحمه الله : ((اعلم أن" الغضب صفة وصف الله بها نفسه

---

(١) معارج الصعود ص ١١٣ .
وللسلف رحمهم الله كلام حول هذه الصفة الكريمة يشبه ما أورده الشيخ الأمين رحمه الله . (انظر مثلا : التوحيد لابن خزيمة ١/٩٦-٩٧ . والفتاوى ٦/٦٨) .
(٢) سورة هود ، الآية {١١٩} .
(٣) يشير رحمه الله إلى الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه (٦/٤٧) ، ومسلم في صحيحه (٤/٢١٨٦) — ١٨٧ ح)
(٤) معارج الصعود ص ٣٠٤ .
وممن تكلم من السلف على هذه الصفة بكلام يشبه كلام الشيخ الأمين : القاضي أبو يعلى في إبطال التأويلات لأخبار الصفات (١/١٩٥) ، وشيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٦/٦٨) ، وغيرهما .

إذا انتهكت حرماته ، تظهر آثارها في المغضوب عليهم . نعوذ بالله من غضبه جلّ وعلا . ونحن معاشر المسلمين نمرها كما جاءت ؛ فنصدق ربنا في كلّ ما وصف به نفسه ، ولانكذب بشيء من ذلك مع تنزيهنا التامّ له جلّ وعلا عن مشابهة المخلوقين سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا))(١) .

فهي إذا صفة ثابتة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته ؛ لايشبه غضبه غضب خلقه ، كما أنّ صفاته كلها لاتشبه صفات خلقه ؛ إذ الصفات تتبع المتصف بها ، كما سبق أن قرر الشيخ الأمين رحمه الله ذلك .

{١٤} - صفة الرحمة :

وفي بيان هذه الصفة يقول رحمه الله : ((الرحمة صفة الله التي اشتق لنفسه منها اسمه الرحمن ، واسمه الرحيم : وهي صفة تظهر آثارها في خلقه الذين يرحمهم ، وصيغة التفضيل في قوله : "وأنت خير الراحمين"(٢) ؛ لأنّ المخلوقين قد يرحم بعضهم بعضا ،

---

(١) أضواء البيان ٤٨٨/٤ . وانظر المصدر نفسه ٣١٦/٢ .
وللسلف رحمهم الله كلام حول هذه الصفة يطابق ما أورده الشيخ الأمين رحمه الله . (انظر مثلا : التدمرية ص ٤٦ . وسير أعلام النبلاء ٦٥٦/١٧) .
(٢) سورة المؤمنون ، الآية {١٠٩} .

ولاشك ان" رحمة الله تخالف رحمة خلقه ؛ كمخالفة ذاته وسائر صفاته لذواتهم وصفاتهم))(١) .

{١٥} - صفة المجيء :

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "وجاء ربك والملك صفا صفا"(٢) : ((ومثل هذا من صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه يمر" كما جاء ، ويؤمن بها ، ويعتقد انه حق" ، وانه لايشبه شيئا من صفات المخلوقين . فسبحان من احاط بكل" شيء علما ، "يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولايحيطون به علما"(٣)))(٤) .

{١٦} - صفة العجب :

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "بل عجبت ويسخرون"(٥) : ((هذه الآية الكريمة على قراءة حمزة والكسائي فيها إثبات العجب لله تعالى ، فهي إذا من آيات الصفات على هذه

---

(١) اضواء البيان ٨٣٤/٥ . وانظر المصدر نفسه ١٠١/١ ، ٣١٥/٢ . ورحلة الحج ص ٧٩ . ومنهج ودراسات ص ٢٦ . ومعارج الصعود ص ٣٠ ، ٥٠ ، ١٢٠ ، ١٨٢ ، ٢١٩ . وانظر ايضا الفتاوى ١٨/٦ .

(٢) سورة الفجر ، الآية {٢٢} .

(٣) سورة طه ، الآية {١١٠} .

(٤) اضواء البيان ٢٨٤/٢ .

(٥) سورة الصافات ، الآية {١٢} .

القراءة))(١) .

{١٧} - صفة النور :

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "الله نور السموات والأرض"(٢) : ((وصف الله بأنه نور . ومن أسمائه تعالى : النور. ومما يدل على وصفه به قوله تعالى : "وأشرقت الأرض بنور ربها"(٣)))(٤) .

وقد ذكر الشيخ الأمين رحمه الله بعض الصفات بإيجاز ، وبيّن أنها ثابتة لله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله : مثل صفة الإرادة(٥) ، وصفة الرضى(٦) ، وغيرهما .

وقد سرد الشيخ رحمه الله بعض الصفات ، فقال : ((فلا يشكل عليكم بعد هذا صفة نزول ولامجيء ، ولاصفة يد ولا أصابع ، ولاعجب ، ولاضحك ; لأنّ هذه الصفات كلها من باب واحد : فما وصف الله به

---

(١) أضواء البيان ٦٨٠/٦ .
ولأبي يعلى كلام قريب من هذا الكلام . (انظر : إبطال التأويلات ٢٤٥/١) .
(٢) سورة النور ، الآية {٣٥} .
(٣) سورة الزمر ، الآية {٦٩} .
(٤) تفسير سورة النور ص ١٣٨ . - جمعه الدكتور عبدالله قادري -.
(٥) أضواء البيان ٣٠٧/٢ .
(٦) المصدر نفسه ٣١٦/٢ .

نفسه منها : فهو حق ، وهو لائق بكماله وجلاله ، لايشبه شيئا من صفات المخلوقين . وما وصف به المخلوق منها : فهو حق مناسب لعجزهم وفنائهم وافتقارهم))(١) .

وبهذا يتضح لنا من الصفات التي ذكرها الشيخ الأمين رحمه الله مفصلة ، ومن الأخرى التي سردها سردا أن منهجه رحمه الله هو منهج السلف ؛ لايتجاوزون الكتاب والسنة ؛ فما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم اثبتوه له على ما يليق بجلاله وكماله . وما نفاه الله عن نفسه ، أو نفاه عنه رسوله محمد صلى الله عليه وسلم نفوه عن الله جل وعلا . وهم في إثبات الصفات ينزهون الله تبارك وتعالى عن مشابهة المخلوقين تنزيها لايصل إلى التعطيل ، بل يتقيدون بقوله جل وعلا : "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"(٢) .

وبما أوردته من كلام الشيخ الأمين رحمه الله حول الصفات يتضح لنا انه رحمه الله سلفي العقيدة والمنهج ؛ فعلى منهج السلف في الإثبات سار ، وبما قالوا به قال رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له المثوبة .

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٤٣-٤٤ . وانظر كلام الحافظ ابن القيم رحمه الله : في مختصر الصواعق المرسلة (٣٦٥/١) .

(٢) سورة الشورى ، الآية {١١} .

المبحث الثاني

موقف الشيخ رحمه الله من اهل التاويل

المطلب الأول

معاني التاويل

التاويل له معان ثلاثة ؛ اوضحها الشيخ الأمين رحمه الله وفصّلها ، وهي :

الأول : بمعنى العاقبة ، وما يؤول إليه الحال .

والثاني : بمعنى التفسير .

والثالث : صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به . وهذا الأخير من وضع المتاخرين .

قال الشيخ رحمه الله مبينا هذه الأقسام بادلتها : ((اعلموا أنّ التأويل يطلق في الاصطلاح مشتركا بين ثلاثة معان :

١ - يطلق على ما تؤول إليه حقيقة الأمر في ثاني حال . وهذا هو معناه في القرآن نحو قوله تعالى : "ذلك خير واحسن تاويلا"(١) ، "ولما ياتهم تاويله"(٢) ، "يوم ياتي تاويله يقول

---

(١) سورة النساء ، الآية {٥٩} .

(٢) سورة يونس ، الآية {٣٩} .

الذين نسوه من قبل"(١) : اي ما تؤول إليه حقيقة الأمر في ثاني حال .

٢ ـ ويطلق التأويل بمعنى التفسير ، وهذا قول معروف ؛ كقول ابن جرير : القول في تأويل قوله تعالى : كذا ؛ أي تفسيره .

٣ ـ اما في اصطلاح الاصوليين : فالتأويل هو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه لدليل))(٢) .

ثمّ بيّن رحمه الله انّ التأويل بمعناه الأخير له ثلاث حالات . وذكر رحمه الله تلك الحالات مقرونة بأدلتها ، مبينا المقبول منه من غير المقبول ؛ فقال رحمه الله : ((وصرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه له عند علماء الأصول ثلاث حالات :

أ ـ إما أن يصرفه عن ظاهره المتبادر منه لدليل صحيح من كتاب او سنة . وهذا النوع من التأويل صحيح مقبول لانزاع فيه . ومثال هذا النوع : ما ثبت عن النبيّ صلى الله عليه وسلم انه قال : "الجار احقّ بسقبه"(٣) ؛ فظاهر هذا الحديث ثبوت الشفعة للجار . وحمل هذا الحديث على الشريك المقاسم حمل للفظ على محتمل مرجوح

---

(١) سورة الأعراف ، الآية {٥٣} .

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٣٢-٣٣ . وانظر : أضواء البيان ٣٢٩/١ . وذكر هذه الأنواع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله . (انظر العقيدة التدمرية ص ٩١) .

(٣) أخرجه البخاري ٤٧/٣ .
والسقب ، والصقب : القرب . (حاشية البخاري ٤٧/٣) .

غير ظاهر متبادر . إلا أنّ حديث جابر الصحيح : "فإذا ضربت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة "(١) دلّ على أنّ المراد بالجار الذي هو أحقّ بصقبه خصوص الشريك المقاسم . فهذا النوع من صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه لدليل واضح من كتاب أو سنة يجب الرجوع إليه . وهذا التأويل يسمى تأويلا صحيحا ، وتأويلا قريبا . ولامانع منه إذا دلّ عليه النصّ .

ب ـ الثاني : هو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه لشيء يعتقده المجتهد دليلا ، وهو في نفس الأمر ليس بدليل . فهذا يسمى تأويلا بعيدا ، ويقال له : فاسد . ومثّل له بعض العلماء بتأويل الإمام أبي حنيفة رحمه الله ـ لفظ امرأة ـ في قوله صلى الله عليه وسلم : "أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل "(٢) ؛ قالوا : حمل هذا على خصوص المكاتبة تأويل بعيد ؛ لأنه صرف للفظ عن ظاهره المتبادر منه ؛ لأنّ "أي" في قوله : "أيما امرأة " صيغة عموم ، وأكدت صيغة العموم ب"ما " المزيدة للتوكيد . فحمل هذا على صورة نادرة هي المكاتبة حمل للفظ على غير ظاهره

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح ٤٧/٣ بنحوه ، وفيه : "فإذا وقعت" بدل : "فإذا ضربت" .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٣٩٩/٣ ، وقال : حديث حسن . وقال الشيخ الألباني في إرواء الغليل ٢٤٣/٦ : صحيح .

لغير دليل جازم يجب الرجوع إليه))(١) .

ثمّ بيّن رحمه الله التأويل الذي نحن بصدده ، والمعنى في هذا المبحث ، والذي ينطبق على تأويل أهل الكلام لصفات الله ، وعلى تأويل الباطنية الذين يقولون إنّ لكلّ نص ظاهرا وباطنا ؛ فيؤولون جميع نصوص الدين بما تشتهي أنفسهم .

وقد بيّن الشيخ رحمه الله أنّ هذا النوع لايستحقّ أن يسمى تأويلا ، وإنما هو اعتداء ، وتلاعب بنصوص الشرع ؛ فقال رحمه الله : ((وأما حمل اللفظ على غير ظاهره لا لدليل : فهذا لايسمى تأويلا في الاصطلاح ، بل يسمى لعبا ؛ لأنه تلاعب بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . ومن هذا تفسير غلاة الروافض قوله تعالى : "إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة"(٢) ؛ قالوا : عائشة . ومن هذا النوع صرف آيات الصفات عن ظواهرها إلى محتملات ما أنزل الله بها من سلطان ؛ كقولهم : "استوى" بمعنى "استولى" ، فهذا لايدخل في اسم التأويل ، لأنه لادليل عليه البتة ، وإنما يسمى في اصطلاح أهل الأصول : لعبا ؛ لأنه تلاعب بكتاب الله جلّ وعلا من غير دليل ولامستند . فهذا النوع لايجوز لأنه تهجم على كلام رب العالمين

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٣٣-٣٤ . وانظر أضواء البيان ١/٣٥٩ .

(٢) سورة البقرة ، الآية {٦٧} .

والقاعدة المعروفة عند علماء السلف : أنه لايجوز صرف شيء من كتاب الله ، ولاسنة رسوله عن ظاهره المتبادر منه إلا بدليل يجب الرجوع إليه))(١) .

وقد ذكر شارح الطحاوية هذه المعاني الثلاثة، فقال عن المعنى الثالث منها : ((والتأويل في كلام المتأخرين من الفقهاء والمتكلمين هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدلالة توجب ذلك . وهذا هو التأويل الذي تنازع الناس فيه ، فيه كثير من الأمور الخبرية والطلبية . والتأويل الصحيح منه الذي يوافق ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة ، وما خالف ذلك فهو التأويل الفاسد))(٢) .

والتأويل بالمعنى الثالث طغى على المعنيين الآخرين ، وكتب له من الذيوع والانتشار بين الفقهاء والأصوليين والمتكلمين بحيث أصبح هو المتبادر إلى الذهن عند سماع لفظ التأويل ، مع أنه لم يكن معروفا بلغة العرب ، ولا عند السلف(٣) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن المعنى الثالث :

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٣٣-٣٤ . وانظر أضواء البيان ١/٣٣٠ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣٥ .

(٣) انظر قسم الدراسة في تحقيق قانون التأويل / محمد السلماني ص ٢٣٤ . وابن تيمية وقضية التأويل ص ١٣٣ .

((وهذا التأويل لايكون إلا مخالفا لما يدل عليه اللفظ ويبينه . وتسمية هذا تأويلا لم يكن في عرف السلف ، وإنما سمى هذا وحده تأويلا طائفة من المتأخرين الخائضين في الفقه وأصوله والكلام ، وظن هؤلاء أن قوله : "وما يعلم تأويله إلا الله "(١) يراد به هذا المعنى ، ثم صاروا في هذا التأويل على طريقين ؛ قوم يقولون : إنه لايعلمه إلا الله . وقوم يقولون : أن الراسخين في العلم يعلمونه . وكلا الطائفتين مخطئة ؛ فإن هذا التأويل في كثير من المواضع أو أكثرها ، وعامتها من باب تحريف الكلم عن مواضعه ؛ من جنس تأويلات القرامطة والباطنية . وهذا هو التأويل الذي اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذمه ، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض ، ورموا في آثارهم بالشهب))(٢) .

وقال ابن قدامة رحمه الله : ((إن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على ترك التأويل بما ذكرنا عنهم . وكذلك أهل كل عصر بعدهم ، ولم ينقل التأويل إلا عن مبتدع أو منسوب إلى بدعة))(٣) .

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن المتأولة أنهم يزعمون ((أن النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول أن

---

(١) سورة آل عمران ، الآية {٧} .
(٢) نقض المنطق ص ٥٨ . وانظر : الفتوى الحموية الكبرى ص ٤٠ ، ومختصر الصواعق ص ١١ . وشرح الطحاوية ص ٢٣٢-٢٣٧ .
(٣) ذم التأويل ص ٤٠ .

يعتقد الناس الباطل ، ولكن قصد بها معاني ، ولم يبين لهم تلك المعاني ولادلهم عليها ، ولكن اراد ان ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم ، ثم يجتهدوا في صرف النصوص من مدلولها . ومقصوده امتحانهم وتكليفهم وإتعاب اذهانهم وعقولهم في ان يعرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه ويعرف الحق من غير جهته)) . ثم قال رحمه الله : ((وهذا قول المتكلمة والجهمية والمعتزلة ومن دخل معهم في شيء من ذلك))(١) .

وهؤلاء المؤولة منهم المقل ومنهم المكثر من التاويل ؛ فالمعتزلة تؤول جميع الصفات ، والاشاعرة يرون تاويل بعض الصفات ، والجميع من الاشاعرة والمعتزلة يرون الإيمان بنصوص المعاد ، وينكرون على الباطنية الذين يؤولونها ، لكن للباطنية أن تلزمهم بتاويل نصوص المعاد قياسا على تاويلهم لنصوص الصفات ، فيصبحوا مؤولة لجميع النصوص كالباطنية سواء بسواء . او يثبتوها مثل اهل السنة الذين يثبتون نصوص الكتاب والسنة كما اراد الله جل وعلا(٢) . وبذلك تقوم الحجة على الباطنية والجهمية والمعتزلة والاشاعرة الذين يؤولون النصوص جميعها ، او بعضها .

---

(١) الفتوى الحموية الكبرى ص ٣٨ . وانظر كلام شيخ الإسلام عن معاني التاويل الثلاثة في التدمرية ص ٩١-٩٢ .

(٢) انظر : موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ١/١١٦-١١٧ . والفتوى الحموية ص ٣٨ . والصفات الإلهية ص ١٤٧ .

ولاشك ان" التأويل بمعناه الاخير معول هدم للدين الإسلامي ، وتحريف لكلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ، فلا يستحق" هذا المعنى أن يسمى تأويلا ، بل هو تحريف وتلاعب بنصوص الوحي ، وفيه من الجناية على العقيدة الإسلامية ما يؤدي إلى هدمها ومسخها في أذهان من اتخذ التأويل طريقا ومنهجا نعوذ بالله من ذلك .

المطلب الثاني

بعض شبه أهل التأويل ، وردّ الشيخ عليها

لأهل التأويل شبه قدحت بأذهانهم عطلوا بها صفات الله ، فكلما جاءتهم آية وحديث يخالف عقولهم وأفكارهم حرفوه وعطلوه . وقد بنوا معتقدهم على هذه الشبه التي امتلوها من عند أنفسهم زاعمين أنهم ينزهون الله عن صفات النقص ومشابهة الحوادث ، وهم في الحقيقة قد شبهوه بالجمادات والمعدومات ، وعطلوه عن صفات الكمال التي امتدح بها نفسه سبحانه ، وأثنى عليه بها رسوله صلى الله عليه وسلم .

ومن هذه الشبه :

الشبهة الأولى : قولهم أنّ ظاهر الصفة غير مراد ; لأنّ ظاهرها التشبيه .

قال صاحب الجوهرة :

وكلّ نصّ أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تنزيها (١)

ومعنى هذا أنّ كلّ نصّ في القرآن الكريم والسنة النبوية فيه صفة لله سبحانه وتعالى ، ويوهم المشابهة بصفات المخلوقين بزعمهم يصرف عن ظاهره ; مثل الإستواء : الذي أولوه بالاستيلاء . واليد :

---

(١) شرح الصاوي على جوهرة التوحيد ص ١٢٨ .

التي اولوها بالقدرة . والعين : التي اولوها بالرعاية . والمحبة : بإرادة الإحسان . وهكذا .

وقد ذكر الشيخ الامين رحمه الله مضمون دعواهم هذه ، فقال رحمه الله : ((زعم كثير من النظار الذين عندهم فهم أنّ ظواهر آيات الصفات واحاديثها غير لائقة بالله ; لأنّ ظواهرها المتبادرة منها هو تشبيه صفات الله بصفات خلقه . وعقد ذلك المَقَّري(١) في إضاءته في قوله :

والنصّ إن اوهم غير اللائق بالله كالتشبيه بالخلائق

فاصرفه عن ظاهره إجماعا واقطع عن الممتنع الأطماعا(٢)))(٣)

وقد ردّ رحمه الله على هذه الدعوى ردا مقنعا مفحما ، حيث قال : ((وهذه الدعوى الباطلة من اعظم الافتراء على آيات الله تعالى واحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم . والواقع في نفس الأمر أنّ ظواهر آيات الصفات واحاديثها المتبادرة منها لكلّ مسلم راجع

---

(١) هو احمد بن محمد بن احمد بن يحيى بن عبدالرحمن المقري المغربي . ولد في تلمسان ، ونشا بها ، ودخل مصر عام (١٠٢٨)، وتوفي فيها عام (١٠٤١ هـ) .
(انظر مقدمة شرح إضاءة الدجنة المسماة ب "رائحة الجنة " لعبدالغني النابلسي ص ٧-٨ . والأعلام ١/٢٣٧) .

(٢) إضاءة الدجنة في عقائد اهل السنة ، مع شرحها ص ١٤٨ ط الأولى ، عام ١٣٧٧ هـ .

(٣) اضواء البيان ٧/٤٤٣ .

عقله هي مخالفة صفات الله لصفات خلقه . ولابدّ أن نتساءل هنا فنقول : أليس الظاهر المتبادر مخالفة الخالق للمخلوق في الذات والصفات والأفعال ؟ والجواب الذي لاجواب غيره : بلى . وهل تشابهت صفات الله مع صفات خلقه حتى يقال إنّ اللفظ الدالّ على صفته تعالى ظاهره المتبادر منه تشبيهه بصفة الخلق ؟ والجواب الذي لاجواب غيره : لا . فبأي وجه يتصور عاقل أنّ لفظا أنزله الله في كتابه مثلا دالا على صفة من صفات الله أثنى بها تعالى على نفسه يكون ظاهره المتبادر منه مشابهته لصفة الخلق ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم ; فالخالق والمخلوق متخالفان كلّ التخالف ، وصفاتهما متخالفة كلّ التخالف ، فبأي وجه يعقل دخول صفة المخلوق في اللفظ الدالّ على صفة الخالق ؟ أو دخول صفة الخالق في اللفظ الدالّ على صفة المخلوق مع كمال المنافاة بين الخالق والمخلوق ؟ فكلّ لفظ دلّ على صفة الخالق ظاهره المتبادر منه أن يكون لائقا بالخالق منزها عن مشابهة صفات المخلوق . وكذلك اللفظ الدالّ على صفة المخلوق لايعقل أن تدخل فيه صفة الخالق))(١) .

ثمّ بيّن رحمه الله هذا التفصيل في الفرق بين صفات الله وصفات خلقه بمثال يوضح به أنّ الظاهر المتبادر من صفات الله هو كما يليق بجلاله ، لايشابه صفة المخلوقين ; قال رحمه الله :

---

(١) أضواء البيان ٧/٤٤٤ .

((فالظاهر المتبادر من لفظ اليد بالنسبة للمخلوق هو كونها جارحة هي عظم ولحم ودم ، وهذا هو الذي يتبادر إلى الذهن في نحو قوله تعالى : "فاقطعوا أيديهما"(١) ، والظاهر المتبادر من اليد بالنسبة للخالق في نحو قوله تعالى : "ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي"(٢) أنها صفة كمال وجلال لائقة بالله جلّ وعلا ، ثابتة له على الوجه اللائق بكماله وجلاله))(٣) .

الشبهة الثانية : قولهم أنّ التأويل إجماع .

يرى المتأولة أنّ التأويل مجمع عليه . وقد تقدم قول المقريّ في إضاءته :

فاصرفه عن ظاهره إجماعا واقطع عن الممتنع الأطماعا(٤)

وقد كذب الشيخ رحمه الله حكاية هذا الإجماع ، وبيّن أنه لا أساس له من الصحة . وعقّب على قول المقريّ بقوله : ((إجماع مفقود أصلا ، ولاوجود له البتة ؛ لأنه مبني على شرط مفقود لاوجود له البتة ؛ فالإجماع المعدوم المزعوم لم يرد في كتاب الله ، ولا في

---

(١) سورة المائدة ، الآية {٣٨} .

(٢) سورة ص ، الآية {٧٥} .

(٣) أضواء البيان ٤٤٥/٧ . وانظر : المصدر نفسه ٣١٩/٢ ، ٤٥١/٧ . ومنهج ودراسات ص ٣٥ . ومنع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز - الملحق بأضواء البيان ٥٥/١٠ - .

(٤) إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة ص ١٤٨ .

سنة رسوله ، ولم يقله احد من اصحاب رسول الله ، ولا من تابعيهم ولم يقله احد من الائمة الاربعة ، ولا من فقهاء الأمصار المعروفين . وإنما لم يقولوا بذلك ; لأنهم يعلمون أن ظواهر نصوص الوحي لاتدل إلا على تنزيه الله عن مشابهة خلقه . وهذا الظاهر الذي هو تنزيه الله لا داعي لصرفها عنه كما ترى))(١) .

وقد سبق الشيخ الأمين رحمه الله إلى القول بأن التاويل ليس من طريقة السلف كل من شيخ الإسلام ابن تيمية (٢) ، والذهبي(٣) ، وغيرهما . بل نص العلامة عبدالباقي الواهبي على تحريم التاويل في صفات الله ، فقال رحمه الله : ((يحرم تأويل ما يتعلق به تعالى وتفسيره : كآية الاستواء ، وحديث النزول ، وغير ذلك من آيات الصفات ، إلا بصادر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، او بعض الصحابة . وهذا مذهب السلف قاطبة))(٤) .

ولاشك أنه لم يصدر عن الله ولا عن رسوله ما يوجب التاويل ، وإنما ما يوجب الإثبات .

---

(١) اضواء البيان ٧/٤٥١-٤٥٢ .

(٢) الفتاوى ٦/٣٩٤ .

(٣) سير اعلام النبلاء ١٠/٦١٠ .

(٤) العين والأثر ص ٣٥-٣٦ .

الشبهة الثالثة : قولهم أنّ الصفات مجاز .

يرى المؤولة أنّ الصفات التي يؤولونها ليست على الحقيقة ، بل هي من المجاز . والمجاز باب واسع ، يمكن من خلاله تعطيل الصفات .

وقد ردّ الشيخ الأمين رحمه الله على هذه الشبهة فقال : ((إنّ الله تبارك وتعالى موصوف بتلك الصفات حقيقة لامجازا ; لأنا نعتقد اعتقادا جازما لايتطرق إليه شك أنّ ظواهر آيات الصفات وأحاديثها لاتدلّ البتة إلا على التنزيه عن مشابهة الخلق ، واتصافه تعالى بالكمال والجلال . وإثبات التنزيه والكمال والجلال لله حقيقة لامجازا لاينكره مسلم . ومما يدعو إلى التصريح بلفظ الحقيقة ونفي المجاز كثرة الجاهلين الزاعمين أنّ تلك الصفات لاحقائق لها ، وأنها كلها مجازات . وجعلوا ذلك طريقا إلى نفيها ; لأنّ المجاز يجوز نفيه ، والحقيقة لايجوز نفيها . فقالوا : مثلا : اليد مجاز يراد به القدرة والنعمة ، أو الجود ; فنفوا صفة اليد لأنها مجاز. وقالوا : "على العرش استوى" مجاز ; فنفوا الاستواء لأنه مجاز))(١) .

وقال رحمه الله في موضع آخر : ((ومن المعلوم أنّ هذه الصفات

---

(١) أضواء البيان ٧/٤٥٢ . وانظر المصدر نفسه ٧/٤٦٣ .

لو كان يقصد بها شيء آخر من المجازات التي يحملها عليها المؤولون لبادر صلى الله عليه وسلم إلى بيانه ؛ لأنه لايجوز في حقه صلوات الله عليه وسلامه تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه ، ولاسيما في العقائد))(١) .

الشبهة الرابعة : الصفة التي لايشتق منها تؤول .

قال رحمه الله : ((ومن الغريب أنّ بعض الجاحدين لصفات الله المؤولين لها بمعان لم ترد عن الله ولا عن رسوله يؤمنون فيها ببعض الكتاب دون بعض ؛ فيقرون بأنّ الصفات السبع التي تشتق منها أوصاف ثابتة لله مع التنزيه ، ونعني بها القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام ؛ لأنها يشتق منها قادر حيّ عليم إلخ . وكذلك في بعض الصفات الجامعة ؛ كالعظمة والكبرياء والملك والجلال مثلا ؛ لأنها يشتقّ منها العظيم والمتكبر والجليل والملك . وهكذا يجحدون كلّ صفة ثبتت في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لم يشتق منها غيرها ؛ كصفة اليد والوجه ، ونحو ذلك . ولاشك أنّ هذا التفريق بين صفات الله التي أثبتها لنفسه ، أو أثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم لاوجه له البتة بوجه من الوجوه ، ولم يرد عن الله ولا عن رسوله صلى الله عليه

---

(١) رحلة الحج للشيخ الأمين رحمه الله ص ٨٣ .

وسلم الإذن في الإيمان ببعض صفاته وجحد بعضها ، وتأويله ؛ لأنها لايشتق منها . وهل يتصور عاقل أن يكون عدم الاشتقاق مسوغا لجحد ما وصف الله به نفسه ؟ ولاشك عند كلّ مسلم راجع عقله أنّ عدم الاشتقاق لايرد به كلام الله فيما أثنى به على نفسه ، ولاكلام رسوله فيما وصف به ربه . والسبب الموجب للإيمان إيجابا حتما كليا هو كونه من عند الله ، وهذا هو الذي علم الراسخون في العلم أنه الموجب للإيمان بكلّ ما جاء عن الله سواء استأثر الله بعلمه ؛ كالمتشابه ، أو كان ممن يعلمه الراسخون في العلم ، كما قال الله عنهم : "والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلّ من عند ربنا "(١)))(٢) .

الشبهة الخامسة : الصفة التي ليس لها آثار تؤول .

قال الشيخ الأمين رحمه الله : ((وما يزعمه بعضهم من أنّ القدرة والإرادة مثلا ، ونحوهما ليست كاليد ، والوجه بدعوى أنّ القدرة والإرادة مثلا ظهرت آثارهما في العالم العلوي والسفلي بخلاف غيرهما كصفة اليد ونحوها . فهو من أعظم الباطل ، ومما يوضح ذلك أنّ الذي يقوله هو وأبوه وجده من آثار صفة اليد التي خلق الله

---

(١) سورة آل عمران ، الآية {٧} .
(٢) أضواء البيان ٧/٤٤٧ .

بها نبيه آدم))(١) .

الشبهة السادسة : أنّ الاستواء والعلوّ والفوقية تستلزم الجهة .

ذكر رحمه الله هذه الشبهة ، وردّ عليها ، وفصّل في المعنى المراد من الجهة ، فقال : ((واعلم أنّ ما يزعمه كثير من الجهلة من أنّ ما في القرآن العظيم من صفة الاستواء والعلوّ والفوقية يستلزم الجهة ، وأنّ ذلك محال على الله ، وأنه يجب نفي الاستواء والعلوّ والفوقية ، وتأويلها بما لادليل عليه من المعاني : كله باطل . وسببه سوء الظنّ بالله وكتابه ، وعلى كلّ حال فمدعي لزوم الجهة لظواهر نصوص القرآن العظيم ، واستلزام ذلك للنقص الموجب للتأويل . يقال له : ما مرادك بالجهة ؟ إن كنت تريد بالجهة مكانا موجودا انحصر فيه الله ، فهذا ليس بظاهر القرآن ، ولم يقله أحد من المسلمين . وإن كنت تريد بالجهة : العدم المحض فالعدم عبارة عن لاشيء ؛ فميّز أولا بين الشيء الموجود ، وبين لاشيء))(٢) .

وقد ردّ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على هذه الشبهة(٣)

---

(١) أضواء البيان ٤٤٨/٧ .

(٢) أضواء البيان ٤٥٩/٧-٤٦٠ .

(٣) انظر العقيدة التدمرية ص ٦٦ .

بنحو كلام الشيخ الأمين رحمه الله .

الشبهة السابعة : قول المفوضة : إنّ قولكم حقيقة لامجازا لم يرد عن السلف .

وقد ردّ الشيخ الأمين رحمه الله على هذه الشبهة ردا مقنعا ، فقال : ((إنما قلنا حقيقة لامجازا لقطعنا وجزمنا بانّ تلك الصفات التي مدح الله بها نفسه صفات كمال وجلال منزهة عن مشابهة صفات الخلق ؛ كتنزيه ذاته عن مشابهة ذواتهم . وجميع العقلاء إذا راجعوا عقولهم تحققوا انّ الظاهر المتبادر لكلّ مسلم هو مخالفة الله لخلقه وتنزيهه عن مشابهتهم في صفاتهم وذواتهم وافعالهم ؛ فالظاهر المتبادر من صفة الاستواء والوجه واليد مثلا انها صفات كمال وجلال منزهة عن كلّ ما يخطر في قلوب الجهلة من مشابهة صفات الخلق . وإذا كان ظاهرها المتبادر منها التنزيه وعدم المشابهة فإثباتها حقيقة لا محذور فيه ؛ لانّ إثبات الكمال والتنزيه لله لامحذور فيه البتة))(١) .

وقال في موضع آخر: ((إنّ سبب نفوره (٢) من لفظة الحقيقة ونفي المجاز هو ما ينطوي عليه قلبه من سوء الظنّ بكلام الله في كتابه ، وانّ ظاهره المتبادر منه الكفر والتشبيه . ولو هداه الله إلى ما

---

(١) المعين والزاد ص ٤٣ .

(٢) يقصد المفوض .

هدى إليه السلف الصالح من اليقين الجازم بأنّ ما مدح الله به نفسه في كتابه بالغ من الكمال والتنزيه ما يقطع علائق الوساوس وأوهام التشبيه ؛ لأنه جلّ وعلا لايمكن بحال أن يشبهه شيء من خلقه لما وقع فيما وقع فيه ؛ فقد كان في بادئ الأمر يتبادر إلى ذهنه التشبيه لظنه أنّ ظواهر آيات الصفات تستلزم التشبيه ، وكان ثانيا معطلا بدعواه أنّ ما مدح الله به نفسه في كتابه من الصفات كالاستواء ، واليد لاحقيقة له . وايّ جهل بالله ، وايّ إلحاد في آياته اعظم من دعوى أنّ معاني آياته لاحقيقة لها . سبحانك هذا بهتان عظيم . وعلى كلّ حال فإنا نقطع بأنّ ما مدح الله به نفسه في كتابه كله كمال وجلال منزه أتمّ التنزيه عن مشابهة الخلق ، وأنّ حقيقة ذلك الكمال والجلال ثابتة له تعالى حقا ؛ لأنّ من أسمائه تعالى الحقّ ؛ فهو جلّ وعلا حقّ ، وعبادته وحده حقّ ، وجميع صفاته حقّ ، وكلّ ما اثنى به على نفسه حقّ يقين . فمن ادعى على شيء من صفاته التي مدح بها نفسه أنها لاحقيقة لها متهجما عليها بادعائه أنّ ظاهرها المتبادر منها الكفر الذي هو مشابهة صفات الخلق . فالله جلّ وعلا حسبه ، وسيجازيه الجزاء اللائق به))(١) .... إلى أن قال رحمه الله : ((وقد قال الإمام

---

(١) المعين والزاد ص ٤٣-٤٤ .

مالك رحمه الله : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة . فلو كان الاستواء لاحقيقة له عنده لما صرح بأنّ الإيمان به واجب ، ولقال : إنه يجب تأويله بمعنى آخر ، وأنه مجاز ولا حقيقة له))(١) .

وقال رحمه الله أيضا في معرض الردّ عليهم : ((إنّ أصل الحقيقة في اللغة التي نزل بها القرآن (فعيلة) بمعنى: فاعل ، من قول العرب : حقّ الشيء ، بمعنى ثبت . أو بمعنى مفعول من حققت الشيء - بتخفيف القاف - إذا أثبته . وإذا علمت أنّ الحقيقة معناها من معنى مادة الثبوت ، فثبوت صفات الله دلت عليه نصوص الوحي دلالة قاطعة لانزاع فيها . فمعنى اتصافه بصفاته حقيقة بدلالة المطابقة : هو كونها ثابتة له حقا . وهذا هو معنى نصوص الوحي ، فلا زيادة فيه البتة على المعنى الذي دلّ عليه الوحي . وقد ذكرنا آنفا أنّ من أسمائه الحقّ ، وذلك مستلزم لأنّ صفاته كلها حقّ ، وكلّ ما هو ثابت حقيقة فهو حقّ ، وبهذا تعلم أنّ نفي الحقيقة عن بعض الصفات مستلزم لنفي ثبوتها ، ونفي ثبوت ما أثبته الله لنفسه محادة له جلّ وعلا من حيث لايشعر ذلك النافي . وأما نفي المجاز عن صفات الله فقد أوضحناه في رسالة مستقلة ، ومن أوضح

---

(١) المعين والزاد ص ٤٥ .

أدلته أنّ القائلين بالمجاز منذ نشأ المجاز مجمعون على أنّ من الفوارق بينه وبين الحقيقة في اصطلاح البيانيين أنّ كلّ مجاز يجوز نفيه باعتبار الحقيقة . . . . ومعلوم أنّ ما مدح الله به نفسه في كتابه لايجوز نفي شيء منه ، وذلك يستلزم منع المجاز فيؤول ؛ لأنّ وجود المجاز يستلزم جواز النفي كما وضحنا))(١) .

وما قاله الشيخ الأمين رحمه الله في رده على هذه الشبهة قد قاله غيره من أئمة أهل السنة والجماعة ؛ كالإمام ابن عبدالبر رحمه الله الذي قال : ((أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة ، وحملها على الحقيقة لا على المجاز ، إلا أنهم لايكيفون شيئا من ذلك ، ولايحدون فيه صفة محصورة))(٢) .

وفي ختام هذا المبحث نشير إلى أنّ الشيخ الأمين رحمه الله أورد سؤالين بلسان أهل التأويل ، ثمّ أجاب عليهما ، ونسفهما من أساسهما موضحا أنهما مجرد شبهة تدور في مخيلة المتأولة

---

(١) الزاد والمعين ص ٤٥-٤٦ .

(٢) التمهيد ١٤٥/٧ .

وهذه المسألة من المسائل التي نوقش فيها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حين حبس . وقد ردّ عليهم بالردّ المقنع .

(انظر : الفتاوى ١٨٨/٣ ، ١٩٩) .

وانظر كلام الإمام أبي الحسن الأشعري عن الحقيقة .

(في رسالة أهل الثغر ص ٢١٣ ، ٢١٦) .

يلقونها في أسماع من يصغي إليهم ليبدلوا كلام الله ويحرفوا معانيه .

وقد أورد الشيخ رحمه الله سؤالهم الأول ، بقوله : ((اعلم أنه إن قال معطل متنطع : نحن لانعقل كيفية استواء مثلا منزهة عن مشابهة كيفية استواء الخلق ، فبيّنوا لنا كيفية معقولة منزهة عن مشابهة كيفيات استواء الخلق لنعتقدها ؛ لأنا لم تدرك عقولنا كيفية استواء منزهة عن ذلك ؟))(١) .

ثمّ أجاب الشيخ رحمه الله عن هذا السؤال مبيّناً أنّ أشباه هذا السؤال يورده المعاند ليبطل به المعتقد السلفي ، وقد سدّ رحمه الله على المعاند كلّ الطرق التي سلكها للنيل من العقيدة. فأجاب عن هذا السؤال بجوابين ، يكفي واحد منهما لدمغ حجتهم ، فقال : ((الأول : أن يقال : هل عرفت كيفية الذات الكريمة المقدسة المتصفة بتلك الصفات ؟ فلا بدّ أن يقول : لا . فإن قال : لا ، قلنا له : معرفة كيفية الاتصاف بالصفات متوقفة على معرفة كيفية الذات ؛ لأنّ الصفات تختلف باختلاف موصوفاتها ؛ فكلّ صفة بحسب موصوفها))(٢) .

---

(١) آداب البحث والمناظرة ١٣٠/٢ . وانظر منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٤٥ .

(٢) آداب البحث والمناظرة ١٣٠/٢ . وانظر : منهج ودراسات ص ٤٥ . وأضواء البيان ٣٢٠/٢ ، ٤٥٠/٧ .

وفي هذه الإجابة تظهر لنا براعة الشيخ الأمين رحمه الله ؛ فهو قد بدا مع السائل وانطلق معه من قاعدة يتفقان عليها ، وأوضح له أنّ الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ؛ فإذا كنت تثبت لله ذاتا حقيقية لاتشبه ذوات خلقه ، وهذا أمر نتفق عليه ؛ إذ لاتشبه ذات الله الذوات ، ولانعلم كيفيتها ، فمن البديهي إذا أنّ صفات الله تختلف عن صفات خلقه ، وإن لانعلم كيفيتها . وحينئذ فليس أمام هذا المعترض إلا أن يرضخ أمام هذا الجواب المقنع ، ويسلم .

ولم يكتف الشيخ رحمه الله بما سبق ، بل أورد مثلا فيه عبرة لمن أراد الله هدايته ؛ برهانا صادقا مشاهدا في الوجود ، وحجة بالغة ، فقال : ((ألا ترى – ولله المثل الأعلى – أنّ لفظة رأس مثلا إذا أضفتها إلى الإنسان فقلت : رأس الإنسان ، وأضفتها إلى الوادي أو أضفتها إلى الجبل ، فقلت : رأس الجبل ، وأضفتها إلى المال فقلت : رأس المال : أنّ لفظة الرأس لفظة واحدة ، وأنها اختلفت حقائقها اختلافا عظيما بحسب اختلاف إضافاتها . وهذا في اختلاف الإضافات إلى مخلوقات حقيرة ، فما بالك بالاختلاف الواقع بين ما أضيف إلى الخالق وما أضيف إلى خلقه ؛ فالفرق بين ذلك كالفرق بين ذات الخالق وذوات المخلوقين))(١) .

---

(١) آداب البحث والمناظرة ١٣١/٢ . وانظر منهج ودراسات ص ٤٥-٤٦ . وأضواء البيان ٤٥١/٧ .

وبهذا يوضح الشيخ الأمين رحمه الله قاعدة مهمة ؛ وهي أنّ الألفاظ قبل الإضافة والتخصيص هي معان مشتركة ، ولكنها بعد الإضافة والتخصيص تخصّ من أضيفت إليه . وهذا ملحوظ فيما بين المخلوقات ، فكيف بين الخالق جلّ وعلا وبين المخلوق ؛ فصفات الله جلّ وعلا تشترك مع صفات المخلوق في المعنى العام الكلي ، وتفترق بعد الإضافة والتخصيص .

بل هي تفترق بعد الإضافة والتخصيص بين المخلوقات أنفسهم ؛ فلفظة اليد مثلا من المعاني المشتركة ، لكن إذا قلت : يد الباب ، أو يد الإنسان ، أو يد الطائر ، أو يد الحيوان ؛ ظهرت النتيجة الدالة على التفاوت فيما بين هذه المخلوقات ، فكيف بين الخالق جلّ وعلا وبين خلقه ، إنها والله لأعظم مباينة .

أما الشقّ الثاني من الجواب على هذا السؤال : فهو خاصّ بمن أثبت بعض الصفات ، وأول البعض الآخر ؛ فيلزمه أن يثبت بقية الصفات كما يليق بجلاله سبحانه ، مثل ما قال في بعضها ؛ إذ الكلّ لانعلم كيفيتها ، والمشابهة منتفية عن الجميع ؛ قال رحمه الله : ((الوجه الثاني : هو أن تقول : هل عرفتم كيفية منزهة عن مشابهة الخلق في السمع والبصر مثلا ؟ فلا بدّ أن يقولوا أيضا : لا ، ولكنا نعلم أنّ سمع الله وبصره منزهان عن مشابهة أسماع الخلق وأبصارهم . فإن قالوا ذلك ، قلنا : ونحن نقول مثل

ذلك في الاستواء ، وسائر الصفات الثابتة بالوحي الصحيح))(١) .

وبعد هذا البسط الواضح من الشيخ الأمين رحمه الله في الإجابة عن هذا السؤال الإجابة المقنعة التي تزيل الشبه ، وتمحو التصورات التي يحسبها أصحابها علما ومهارة يخدعون بها السذج ويبلبلون أفكارهم ومعتقداتهم : أريد أن أقول : إنّ الشيخ الأمين رحمه الله بهذه الإجابة الواضحة دلل على أنه قد أوتي علما وافيا وحجة بالغة في مجادلة الخصوم ، وأعطى مثلا واضحا للداعية في الأسلوب الذي ينبغي أن يحتذي به في إقناع الخصم من غير إثارة البغضاء والجدل . فرحم الله الشيخ الأمين رحمة واسعة .

أما السؤال الثاني :

فقد أورده رحمه الله بقوله : ((اعلم إن قال معطل متنطع : إنّ القرآن العظيم نزل بلغة العرب ، والاستواء في لغتهم هو هذا الذي نشاهده في استواء المخلوقين ، فإثباته لله يستلزم التشبيه بالخلق بحسب الوضع العربي الذي نزل به القرآن))(٢) .

وقد ردّ رحمه الله على هذا السؤال ، وبيّن بطلانه من وجهين :

---

(١) آداب البحث والمناظرة ١٣١/٢ .

(٢) آداب البحث والمناظرة ١٣١/٢ . وانظر : أضواء البيان ٤٤٩/٧ .

الأول : أنّ المعترض لم يفرق بين الخالق والمخلوق ، لكن العرب لم يقعوا في هذا الخطأ ؛ فهم يعرفون ما بين الخالق والمخلوق من مباينة ، وأنّ للخالق صفات تليق بعظمته ، وهي صفات كمال لانقص فيها ، وللمخلوق صفات مناسبة تليق بما هو عليه من النقص والضعف ؛ فقال رحمه الله موضحا هذا المعنى : ((الأول : أنّ العرب الذين نزل القرآن بلغتهم يعلمون كلّ العلم من معاني لغتهم أنّ بين الخالق والمخلوق ، والرازق والمرزوق ، والمحيي والمحيى، والمميت والممات ، إلى آخره فوارق عظيمة هائلة مستلزمة للاختلاف التام بين صفات الخالق والمخلوق والرازق والمرزوق . وأنّ أصل اللغة يقتضي أن تكون صفة كلّ منهما مناسبة لحاله ؛ فعظمة صفة الخالق كعظمة ذاته ، وانحطاط صفة المخلوق عنها كانحطاط ذاته عن عظمة ذاته . وما كان يلتبس ذلك على عوام المسلمين في زمنه صلى الله عليه وسلم ، فما كان يخطر في عقولهم مشابهة صفة الخالق لصفة خلقه ، بل يعلمون أنّ صفة الخالق لائقة به ، وصفة المخلوق لائقة به ، والفرق بينهما كالفرق بين الذات والذات))(١) .

أما الشقّ الثاني من الجواب : فقد عنى به الشيخ رحمه الله من أثبت بعض الصفات من غير كيف ، وأول الباقي : أنه يلزمه

---

(١) آداب البحث والمناظرة ١٣١/٢ . وانظر : أضواء البيان ٤٤٩/٧-٤٥٠ .

إثبات الجميع لله من غير كيف ، أو نفي الجميع ؛ لأنها تشابه صفات المخلوقين ؛ فقال رحمه الله : ((الوجه الثاني : أن العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لايعرفون للسمع والبصر مثلا كيفية إلا هذا المعنى المشاهد في المخلوقين بالحاسة التي هي جارحة ، فيلزم قولكم أن يكون إثبات السمع والبصر ونحوهما من الصفات يستلزم التشبيه بحسب الوضع العربي الذي نزل به القرآن . فإن قالوا : لايلزم من كون الوضع العربي يراد فيه بمعنى السمع والبصر ما هو مشاهد في المخلوقات أن يكون سمع الله وبصره مشابهين لأسماع الخلق وأبصارهم ، لتنزيه صفاته عن مشابهة صفاتهم . قلنا : وكذلك نقول في الاستواء ونحوه ، ولاوجه البتة للفرق بين السمع والبصر وبين الاستواء ، والمشاهد من الجميع في المخلوقات لايليق بالله جل وعلا ، والذي اتصف الله به من الجميع منزه عن مشابهة صفات الخلق ؛ كتنزيه سائر صفاته وذاته عن مشابهة صفات الخلق وذواتهم)) (١) .

ونلاحظ في هذا الجواب قوة الحجة التي عرضها الشيخ الأمين رحمه

---

(١) آداب البحث والمناظرة ١٣١/٢-١٣٢ .

وانظر الإجابة عن هذين السؤالين أيضا : في أضواء البيان ٣٢٠/٢ ، ٤٤٩/٧-٤٥١ . ومنهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٤٥ .

الله ، إذ انه قد استخدم حجة المنازع المثبت لبعض الصفات ، فالزمه ان يقول في بعض الصفات كما قال في بعضها الآخر ؛ إما إثباتا ، وإما نفيا ؛ لأن التفريق بينهما قول على الله بغير علم وتحكم بغير دليل . وقد دلت الأدلة السمعية والعقلية على ثبوت الصفات لله من غير كيف .

المطلب الثالث

مقارنة بين مذهب السلف والخلف

السلف يثبتون صفات الله على الحقيقة ، ويفوضون الكيفية إلى العليم الخبير : فلا يحرفون ، ولايعطلون ، ولايشبهون ، ولايفوضون المعنى .

وقد غلط المتكلمون في فهم معتقد السلف ، ورجحوا عليه مذهب الخلف ؛ قال البيجوري(١) : ((طريقة الخلف اعلم واحكم لما فيها من مزيد الإيضاح ، والرد على الخصوم . وهي الأرجح . وطريقة السلف أسلم لما فيها من السلامة من تعيين معنى غير مراد له تعالى))(٢) .

فكذب على السلف حيث جعل معتقدهم التفويض المحض ، والجهل بكلام الله وعدم العلم والفقه ؛ فآمنوا باللفظ وجهلوا المعنى . وجعل الخلف أعلم وأفقه وأحكم طريقة ؛ لأنهم صرفوا اللفظ إلى معاني بنوع من التكلف(٣) .

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن احمد البيجوري ؛ شيخ الجامع الأزهر في وقته . أشعري العقيدة . له عدة مؤلفات منها : تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد . توفي سنة (١٢٧٧ هـ) .
(انظر : الأعلام ٧١/١ . ومعجم المؤلفين ٨٤/١) .

(٢) تحفة المريد ص ٩١ .

(٣) انظر العقيدة الحموية الكبرى ص ١٤ .

وقد أوضح الشيخ الأمين رحمه الله خطأ هذه المقالة وتهافتها ، وجورها ؛ حيث اتهمت السلف بالجهل بكلام الله ، والتفويض المحض ، وردّ عليها ، وأكد أنّ طريق السلامة متضمن العلم والحكمة ؛ إذ لاسلامة إلا بالعلمْ والحكمة ؛ فقال رحمه الله : ((وصفوا مذهب السلف بأنه أسلم ، وهي صيغة تفضيل ، من السلامة . وما كان يفوق غيره ، ويفضله في السلامة فلا شك أنه أعلم منه وأحكم))(١).

وقال رحمه الله في موضع آخر : ((إنّ مذهب السلف أسلم وأحكم وأعلم ، وقولهم : مذهب السلف أسلم ؛ إقرار منهم بذلك ؛ لأنّ لفظ أسلم : صيغة تفضيل من السلامة ، وما كان يفضل غيره ويفوقه في السلامة فهو أحكم منه وأعلم . وبه يظهر أنّ قولهم : ومذهب الخلف أحكم وأعلم : ليس بصحيح ، بل الأحكم الأعلم هو الأسلم كما لايخفى))(٢) .

فلا وجه لجعل الخلف أعلم وأحكم من السلف ، مع اعترافهم بأنّ مذهب السلف أسلم ؛ فالسلامة إذا وجدت في شيء فلا بدّ أن يكون أحكم وأعلم ؛ إذ من المستحيل أن توجد السلامة في شيء لاتتوفر فيه الحكمة والعلم ؛ إذ السلامة من ثمراتهما .

والشيخ الأمين رحمه الله لايرضى هذا الفهم الناقص لمعتقد

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٤٦-٤٧ .

(٢) آداب البحث والمناظرة ٢/١٣٦ .

السلف ; إذ هو تجهيل لهم ، وتفضيل لأهل الجدل والسفسطة (١) عليهم .
وفيه انتقاص للصحابة والتابعين ومن سلك سبيلهم من صالح الأمة ؛
إذ هم المعنيون بكلمة "السلف " .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ردّ على هذه المقولة ردّ به على الأشاعرة ، فقال : ((وتارة يجعلون إخوانهم المتأخرين احذق واعلم من السلف ، ويقولون : "طريقة السلف أسلم ، وطريقة هؤلاء اعلم واحكم" ، فيصفون إخوانهم بالفضيلة في العلم والبيان والتحقيق والعرفان ، والسلف بالنقص في ذلك والتقصير فيه ، أو الخطأ والجهل . وغايتهم عندهم أن يقيموا أعذارهم في التقصير والتفريط . ولاريب أنّ هذا شعبة من الرفض ; فإنه وإن لم يكن تكفيرا للسلف ، كما يقوله من يقوله من الرافضة والخوارج ، ولاتفسيقا لهم كما يقوله من يقوله من المعتزلة والزيدية وغيرهم كان تجهيلا لهم وتخطئة وتضليلا ، ونسبة لهم إلى الذنوب والمعاصي ، وإن لم يكن فسقا ، فزعما أنّ أهل القرون المفضولة في الشريعة أعلم وأفضل من أهل القرون الفاضلة . ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف أنّ خير قرون هذه الأمة في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها من كلّ فضيلة أنّ خيرها القرن الأول ،

---

(١) يراد بالسفسطة الخداع والتمويه في الكلام .
راجع : بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ١/٣٢٢-٣٢٤ .

ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم))(١) .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله أيضا في موضع آخر يمدح منهج السلف : ((ومن تدبر كلام أئمة السنة المشاهير في هذا الباب علم أنهم كانوا أدق الناس نظرا ، وأعلم الناس في هذا الباب بصحيح المنقول وصريح المعقول ، وأن أقوالهم هي الموافقة للمنصوص والمعقول ، ولهذا تأتلف ولاتختلف ، وتتوافق ولاتتناقض . والذين خالفوهم لم يفهموا حقيقة أقوال السلف والأئمة ، فلم يعرفوا حقيقة المنصوص والمعقول ، فتشعبت بهم الطرق ، وصاروا مختلفين في الكتاب ، مخالفين للكتاب ، وقد قال تعالى : "وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد"(٢)))(٣) .

وقد رد العلامة مرعي الكرمي رحمه الله على من قال بأن مذهب السلف أسلم ، ومذهب الخلف أحكم وأعلم بقوله : ((فمذهب السلف أسلم ، ودع ما قيل من أن مذهب الخلف أعلم ؛ فإنه من زخرف الأقاويل ، وتحسين الأباطيل ؛ فإن أولئك قد شاهدوا الرسول والتنزيل ، وهم أدرى بما نزل به الأمين جبريل ، ومع ذلك فلم

---

(١) الفتاوى ٤/١٥٧-١٥٨ .
(٢) درء تعارض العقل والنقل ٢/٣٠١ .
(٣) سورة البقرة ، الآية {١٧٦} .

يكونوا يخوضون في حقيقة الذات))(١) .

وبعد معرفة حقيقة مذهب السلف الذي اختلط على المتكلمين فلم يفهموه ، بيّن لنا الشيخ الأمين رحمه الله موقف السلف من صفات الله تعالى بيانا يدلّ على أنّ معتقد السلف هو الأسلم والأعلم والأحكم ، فقال رحمه الله : ((إنّ من كان على معتقد السلف الصالح إذا سمع مثلا قوله تعالى : "على العرش استوى" امتلأ قلبه من الإجلال والتعظيم والإكبار لصفة ربّ العالمين التي مدح بها نفسه ، وأثنى عليه بها ، فجزم بأنّ تلك الصفة التي تمدح بها خالق السموات والأرض بالغة من غايات الكمال والجلال ما يقطع علائق أوهام المشابهة بينها وبين صفات الخلق ; لأنّ الصفة لايمكن أن تشبه صانعها في ذاته ، ولافي شيء من صفاته . وبإجلال تلك الصفة وتعظيمها وحملها على أشرف المعاني اللائقة بكمال من وصف بها نفسه وجلاله يسهل على ذلك المؤمن السلفي أن يؤمن بتلك الصفة ويثبتها لله كما أثبتها الله لنفسه على أساس التنزيه ; فيكون أولا : منزها سالما من أقذار التشبيه ، وثانيا : مؤمنا بالصفات مصدقا بها على أساس التنزيه ، فيكون سالما من أقذار التعطيل ،

---

(١) أقاويل الثقات ص ٤٦ .

فيجمع بين التنزيه والإيمان بالصفات على نحو "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"(١) ، فمعتقده طريق سلامة محققة ؛ لأنه مبنيٌّ على ما تضمنته آية "ليس كمثله شيء" الآية من التنزيه ، والإيمان بالصفات ، فهو تنزيه من غير تعطيل ، وإيمان من غير تشبيه ولاتمثيل . وكلٌّ هذا طريق سلامة محققة ، وعمل بالقرآن . فهذا هو مذهب السلف))(٢) .

وقال رحمه الله أيضا : ((والسلف الصالح رضي الله عنهم ما كانوا يشكون في شيء من ذلك ، ولا كان يشكل عليهم . ألا ترى إلى قول الفرزدق ، وهو شاعر فقط ، وأما من جهة العلم فهو عاميٌّ :

وكيف أخاف الناس والله قابض   على الناس والسبعين في راحة اليد

فمن علم مثل هذا من كون السموات والأرضين في يده جلّ وعلا أصغر من حبة خردل ، فإنه عالم بعظمة الله وجلاله ، لايسبق إلى ذهنه مشابهة صفاته لصفات الخلق . ومن كان كذلك زال عنه كثير من الإشكالات التي أشكلت على كثير من المتأخرين))(٣) .

وبعد أن ذكر الشيخ الأمين رحمه الله طريقة السلف ، وبيَّن أنها أعلم وأحكم وأسلم ، وشرح لنا موقفهم من صفات الباري

---

(١) سورة الشورى ، الآية {١١} .

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٤٧-٤٨ . وانظر : آداب البحث والمناظرة ٢/١٣٣ .

(٣) أضواء البيان ٢/٣٢١ .

سبحانه وتعالى ، وذكر أن معتقدهم هو المعتقد الذي لايخيب معتقده ، ولايضل مسترشده ، فهو طريق محقق السلامة . شرع يذكر لنا في المقابل مذهب الخلف ، وما يترتب عليه من أخطاء شنيعة ، تجعل معتقده يشطط عن الطريق السوي ، فيتهجم على صفات الله قائلا فيها بغير علم ولا هدى ؛ فقال رحمه الله : ((وأما ما يسمونه مذهب الخلف : فالحامل لهم فيه على نفي الصفات وتأويلها هو قصدهم تنزيه الله عن مشابهة الخلق . ولكنهم في محاولتهم لهذا التنزيه وقعوا في ثلاث بلايا ليست واحدة منها إلا وهي أكبر من أختها :

الأولى من هذه البلايا الثلاث : أنهم إذا سمعوا قول الله تعالى "ثم استوى على العرش" : زعموا أن ظاهر الاستواء في الآيه هو مشابهة استواء المخلوقين ؛ فتهجموا على ما وصف الله به نفسه في محكم كتابه ، وادعوا عليه أن ظاهره المتبادر منه هو التشبيه بالمخلوقين في استوائهم ؛ فكأنهم يقولون لله : هذا الاستواء الذي اثنيت به على نفسك في سبع آيات من كتابك ظاهره قذر نجس لايليق بك ؛ لأنه تشبيه بالمخلوقين ، ولاشيء من الكلام أقذر وأنجس من تشبيه الخالق بخلقه . سبحانك هذا بهتان عظيم . وهذه هي البلية الأولى التي هي تهجم على نصوص الوحي ، وادعاء أن ظاهرها تشبيه الخالق بالمخلوق ، وناهيك بها بلية .

ثم لما تقررت هذه البلية في أذهانهم ، وتقذرت قلوبهم بأقذار

التشبيه ، اضطروا بسببها إلى نفي صفة الاستواء فرارا من مشابهة الخلق التي افتروها على نصوص القرآن انها هي ظاهرها . ونفي الصفة التي اثنى الله بها على نفسه من غير استناد إلى كتاب او سنة هو البلية الثانية التي وقعوا فيها ؛ فحملوا نصوص القرآن اولا على معان غير لائقة بالله ، ثم نفوها من اصلها فرارا من المحذور الذي زعموا))(١) .

ثم ذكر رحمه الله الخطأ الثالث الذي وقع فيه المنحرفون عن منهج السلف ، فقال : ((والبلية الثالثة : انهم يفسرون الصفة التي نفوها بصفة اخرى من تلقاء انفسهم ، من غير استناد إلى وحي مع ان" الصفة التي فسروها بها هي بالغة غاية التشبيه بالمخلوقين ؛ فيقولون : "استوى" ظاهره مشابهة استواء المخلوقين فمعنى استوى : استولى ، ويستدلون بقول الراجز في اطلاق الاستواء على الاستيلاء :

قد استوى بشر على العراق　　　من غير سيف ودم مهراق

ولايدرون انهم شبهوا استيلاء الله على عرشه الذي زعموه باستيلاء بشر بن مروان على العراق . فاي تشبيه بصفات المخلوقين اكبر من هذا ؟ . وهل يجوز لمسلم ان يشبه صفة الله التي هي الاستيلاء

---

(١) منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات ص ٤٨-٤٩ . وانظر : آداب البحث والمناظرة ٢/١٣٣-١٣٤ .

المزعوم بصفة بشر التي هي استيلاؤه على العراق ؟ وصفة الاستيلاء من أوغل الصفات في التشبيه بصفات المخلوقين ؛ لأنّ فيها التشبيه باستيلاء مالك الحمار على حماره ، ومالك الشاة على شاته ، ويدخل فيها كلّ مخلوق قهر مخلوقا واستولى عليه . وفي هذا من أنواع التشبيه ما لايحصيه إلا الله))(١) .

وبعد ما ذكر الشيخ الأمين رحمه الله هذه الأمور الشنيعة التي وقع فيها من سلك مسلك الخلف ، بيّن أنهم نتيجة تحريفهم وقعوا في شرّ مما فروا منه ؛ فالسلف أثبتوا صفات الله التي امتدح الله بها نفسه ، وأثنى بها عليه رسوله صلى الله عليه وسلم كما يليق بجلاله وكماله . وأهل التحريف أثبتوا صفات ما أنزل الله بها من سلطان ، وقالوا كما يليق بجلاله . فأيّ الفريقين أحقّ بالأمن ؟ وقد قال رحمه الله في بيان حالهم : ((فإن زعم من شبه أولا ، وعطل ثانيا ، وشبه ثالثا أيضا أنّ الاستيلاء المزعوم منزه عن مشابهة استيلاء المخلوقين . قلنا له : نحن نسألك ونطلب منك الجواب بإنصاف : أيهما أحقّ بالتنزيه عن مشابهة الخلق : الاستواء الذي مدح الله به نفسه في محكم كتابه ، وهو في نفس القرآن الذي يتلى ، ولتاليه بكلّ حرف منه عشر حسنات ؛ لأنه كلام الله . أم الأحقّ بالتنزيه هو الاستيلاء الذي جئتم به من تلقاء أنفسكم من

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ .

غير استناد إلى وحي ؟ ولاشك ان" الجواب ان" اللفظ الوارد في القرآن احق" بالتنزيه والحمل على اشرف المعاني واكملها من اللفظ الذي جاء به معطل من كيسه الخاص لامستند له من الوحي . وبهذه الكلمات القليلة يظهر لكم ان" مذهب السلف اسلم واحكم واعلم)) (١) .

وهكذا ختم الشيخ رحمه الله هذه المقارنة التي اظهر فيها معتقد السلف في صفات الله سبحانه وتعالى مبينا حال اهله عند سماعهم لصفات خالقهم جل" وعلا ، ومؤكدا ان" طريقهم طريق سلامة محققة ، بخلاف مذهب الخلف الذين تهجموا على صفات الله ووقعوا في اخطاء شنيعة جعلتهم ممقوتين عند اهل الإيمان .

وقد دعا الشيخ الامين رحمه الله لمن التبس عليه الامر ممن ابتعدوا عن منهج السلف ، وكان مقصدهم حسنا ان يغفر الله لهم وان يتجاوز عن آثامهم ؛ لانهم لم يتعمدوا تشبيه الله وتعطيله عن صفاته ، وإن كان مسلكهم فاسداً مخالفاً لمراد الله سبحانه وتعالى ، فقال رحمه الله : ((ونحن نرجو ان يغفر الله تعالى للذين ماتوا على هذا الاعتقاد ؛ لانهم لايقصدون تشبيه الله بخلقه ، وإنما يحاولون تنزيهه عن مشابهة خلقه ؛ فقصدهم حسن ، ولكن طريقهم إلى

---

(١) منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات ص ٤٩-٥٠ . وانظر : آداب البحث والمناظرة ٢/١٣٣-١٣٦ .

ذلك القصد سيئة . وإنما نشأ لهم ذلك السوء بسبب أنهم ظنوا لفظ الصفة التي مدح الله بها نفسه يدلّ ظاهره على مشابهة صفة الخلق ؛ فنفوا الصفة التي ظنوا أنها لاتليق قصداً منهم لتنزيه الله ، وأولوها بمعنى آخر يقتضي التنزيه في ظنهم ، فهم كما قال الشافعي :

رام نفعاً فضرّ من غير قصد ومن البرّ ما يكون عقوقاً (١)

ونحن نرجو أن يغفر الله لهم خطأهم ، وأن يكونوا داخلين في قوله تعالى : "وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً" (٢) . وخطؤهم المذكور لاشك فيه ، ولو وفقهم الله لتطهير قلوبهم من التشبيه أولاً ، وجزموا بأنّ ظاهر صفة الخالق هو التنزيه عن مشابهة صفة المخلوق ، لسلموا مما وقعوا فيه . ولاشك أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم عالم كلّ العلم بأنّ الظاهر المتبادر مما مدح الله به نفسه في آيات الصفات هو التنزيه التام عن صفات الخلق ، ولو كان يخطر في ذهنه أنّ ظاهره لايليق لأنه تشبيه بصفات الخلق ، لبادر كلّ المبادرة إلى بيان ذلك ؛ لأنه لايجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه ، ولاسيما في العقائد ، ولاسيما فيما ظاهره الكفر والتشبيه .

---

(١) ديوان الإمام الشافعي ص ٦٧ - جمع / محمد الزعبي - .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية {٥} .

فسكوت النبيّ صلى الله عليه وسلم عن بيان هذا يدلّ على أنّ ما زعمه المؤولون لا أساس له كما ترى))(١) .

وبذلك يظهر لنا موقف الشيخ الأمين رحمه الله ممن مات على هذا المعتقد ؛ حسن الظنّ في نيته ، وأنه لم يتعمد التعطيل وإن وقع فيه ، ودعاء الله له بالمغفرة والتجاوز عن المآثم والزلات ؛ لأنّ مقصدهم حسن ، لكنهم لم يفلحوا في الوصول إليه .

أما موقفه رحمه الله من معتنقي هذا المذهب من الأحياء : فهو موقف المحذر لهم من سوء العاقبة والمنقلب ؛ فخوفهم بالله ، وأمرهم بخشيته ، والإيمان بما امتدح به نفسه ، وبيّن لهم أنّ كلامهم قول على الله بغير علم ، وبهتان عظيم ؛ فقال رحمه الله : ((فاخش الله يا إنسان ، واحذر من التقول على الله بلا علم ، وآمن بما جاء في كتاب الله مع تنزيه الله عن مشابهة خلقه . واعلم أنّ الله الذي أحاط علمه بكلّ شيء لايخفى عليه الفرق بين الوصف اللائق به والوصف غير اللائق به ، حتى يأتي إنسان فيتحكم في ذلك ، فيقول : هذا الذي وصفت به نفسك غير لائق بك ، وأنا أنفيه عنك بلا مستند منك ، ولا من رسولك ، وآتيك بدله بالوصف اللائق بك ؛ فاليد مثلا التي وصفت بها نفسك لاتليق بك لدلالتها على التشبيه

---

(١) أضواء البيان ٧/٤٤٨-٤٤٩ .

بالجارحة ، وأنا أنفيها عنك نفيا باتا ، وأبدلها لك بوصف لائق بك وهو النعمة أو القدرة مثلا ، أو الجود . سبحانك هذا بهتان عظيم . "فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا * رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور"(١)))(٢) .

وهكذا نراه رحمه الله يرجو لمن مات المغفرة والرحمة ، ويخاف على الحي ، فيعظه ويأمره أن يتدارك نفسه ، ويعظم مالعه . فيصفه بما امتدح به نفسه ، وأنزله في كتابه ، فلا يصف الله أعلم من الله ، فهو العليم الخبير .

---

(١) سورة الطلاق ، الآيتان {١٠-١١} .

(٢) أضواء البيان ٧/٤٤٦-٤٤٧ .

المطلب الرابع

رجوع بعض أئمة أهل التأويل عن مذهب الخلف إلى معتقد السلف

تفانى أئمة المتكلمين في خدمة مذهب الخلف والدعوة إليه والدفاع عنه ، وأفنوا أعمارهم في تقويته وتصويبه ، وتضعيف وتجهيل معتقد السلف . ولكنّ الله غالب على أمره ؛ فمنّ عليهم بالهداية ، ورجعوا إلى معتقد السلف الصالح ، فأثبتوا الصفات ونفوا الكيفية .

وقد أثبتوا رجوعهم بمؤلفات حذروا النّاس من خلالها من علم الكلام وأهله ، وحثوهم على اعتقاد معتقد السلف لأنه الأسلم والأعلم والأحكم .

ولقد كان للشيخ الأمين رحمه الله وقفة متأنية عند هذه الظاهرة ؛ حيث جعلها من الأمور التي تقام بها الحجة على بقية القوم الذين أصروا على باطلهم ، ولم يراجعوا مذهبهم .

وقد ذكر رحمه الله رجوع هؤلاء الأئمة إلى معتقد السلف ، وحذر من أصر منهم على مذهبه السابق من مغبة فعله ، مبينا له أنّ الطريق الذي انتهجه غير محمود العاقبة ؛ إذ فيه من التهجم على آيات الله وصفاته ، ومن رمي سلف هذه الأمة بالتشبيه والتجسيم الشيء الكثير .

قال رحمه الله : ((واعلم أنّ أئمة القائلين بالتأويل رجعوا قبل موتهم عنه ؛ لأنه مذهب غير مأمون العاقبة ؛ لأنّ مبناه على ادعاء أنّ ظواهر آيات الصفات وأحاديثها لاتليق بالله ؛ لظهورها وتبادرها في مشابهة صفات الخلق ، ثم نفي تلك الصفات الواردة في الآيات والأحاديث لأجل تلك الدعوى الكاذبة المشؤومة ، ثم تأويلها بأشياء أخر ، دون مستند من كتاب أو سنة أو قول صحابي أو أحد من السلف . وكلّ مذهب هذه حاله فإنه جدير بالعاقل المفكر أن يرجع عنه إلى مذهب السلف . وقد أشار تعالى في سورة الفرقان أنّ وصف الله بالاستواء صادر عن خبير بالله وبصفاته ، عالم بما يليق به وبما لايليق ، وذلك في قوله تعالى : "الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا"(١) ؛ فتأمل قوله : "فاسأل به خبيرا" ، بعد قوله : "ثم استوى على العرش الرحمن" تعلم أنّ من وصف الرحمن بالاستواء على العرش خبير بالرحمن وبصفاته ، لايخفى عليه اللائق من الصفات وغير اللائق . فالذي نبأنا بأنه استوى على عرشه هو العليم الخبير الذي هو الرحمن ، وقد قال تعالى : "ولاينبئك مثل خبير"(٢) . وبذلك تعلم أنّ من يدعي أنّ الاستواء يستلزم التشبيه ، وأنه غير لائق :

---

(١) سورة الفرقان ، الآية {٥٩} .

(٢) سورة فاطر ، الآية {١٤} .

غير خبير ؛ نعم والله هو غير خبير . وسنذكر إن شاء الله انّ أئمة المتكلمين المشهورين رجعوا كلهم عن تأويل الصفات))(١) .

ثمّ شرع رحمه الله في إيراد هؤلاء السعداء بعاقبتهم فردا فردا :

{١} - ابو الحسن الاشعري رحمه الله :

اوضح الشيخ الأمين رحمه الله انّ ابا الحسن الاشعري رجع عن مذهبه إلى معتقد السلف ، كما تدلّ على ذلك مؤلفاته الاخيرة ، فهو بريء من اشعرية اليوم الذين يدعون انه حرف بعض صفات الباري جلّ وعلا .

قال رحمه الله : ((فمن ادعى على ابي الحسن الاشعري انه يؤول صفة من الصفات كالوجه ، واليد ، والاستواء ، ونحو ذلك ، فقد افترى عليه افتراء عظيما . بل الاشعري رحمه الله مصرح في كتبه العظيمة التي صنفها بعد رجوعه عن الاعتزال ؛ ك {الموجز} ، و {مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين}(٢) ، و {الإبانة عن اصول الديانة}(٣) انّ معتقده الذي يدين الله به هو ما كان عليه السلف الصالح من الإيمان بكلّ ما وصف الله به نفسه ، او وصفه به رسوله

---

(١) اضواء البيان ٧/٤٦٧-٤٦٨ .

(٢) انظر مقالات الإسلاميين ١/٣٤٥-٣٥٠ ؛ حيث صرح بمعتقده .

(٣) انظر الإبانة ص ١٧ . وكذا انظر : رسالة إلى اهل الثغر ؛ فهي على معتقد السلف ايضا .

صلى الله عليه وسلم ، وإثبات ذلك كله من غير كيف ولاتشبيه ولاتعطيل . وأنّ ذلك لايصح تأويله ، ولا القول بالمجاز فيه . وأنّ تأويل الاستواء بالاستيلاء هو مذهب المعتزلة ومن ضاهاهم . وهو أعلم الناس بأقوال المعتزلة ؛ لأنه كان أعظم إمام في مذهبهم قبل أن يهديه الله إلى الحقّ))(١) .

ونقل من كتابه الإبانة ، ومقالات الإسلاميين ما يثبت صحة رجوعه إلى معتقد السلف ، وتركه لمذهب الخلف .

يقول الإمام أبو الحسن - رحمه الله - بعد ما ذكر أنّ مذهبه في الصفات هو مذهب السلف - رحمهم الله - ، وأنه يذهب إلى ما ذهب إليه الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - : ((قولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها : التمسك بكتاب ربنا عز وجلّ ، وبسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان يقول به أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل - نضر الله وجهه ، ورفع درجته وأجزل مثوبته - قائلون ، ولمن خالف قوله مجانبون ؛ لأنه الإمام الفاضل ، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحقّ ، ودفع به الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدع المبتدعين ، وزيغ الزائغين ، وشك الشاكّين . فرحمة الله عليه من إمام مقدم ، وجليل معظم ، وكبير مفخم ، وعلى جميع أئمة المسلمين))(٢) .

{٢} - القاضي أبو بكر الباقلاني(٣) رحمه الله :

قال عنه الشيخ الأمين رحمه الله : ((أما كبيرهم الذي هو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى أبي الحسن الأشعري ، وهو القاضي محمد بن الطيب ، المعروف بأبي بكر الباقلاني ، فإنه كان يؤمن بالصفات على مذهب السلف ، ويمنع تأويلها منعا باتا ، ويقول فيها بمثل ما قدمنا عن الأشعري))(٤) .

ثمّ نقل الشيخ الأمين رحمه الله من أحد كتب الباقلاني ، وهو

---

(١) أضواء البيان ٤٥٤/٧ . وانظر : فتاوى شيخ الإسلام ٧٢/٤ .
(٢) الإبانة عن أصول الديانة للأشعري ص ١٧ .
(٣) هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر البصري . أوحد المتكلمين . وكان على طريقة الأشعري . توفي سنة (٤٠٣ هـ) . (انظر : سير أعلام النبلاء ١٩٠/١٧. والبداية والنهاية ٣٧٣/١١).
(٤) أضواء البيان ٤٦٨/٧-٤٦٩ .

كتاب "التمهيد"(١) ما دلل به على صحة رجوعه إلى معتقد السلف .

وقد نقل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية نقولا من الكتاب المذكور تدل على صحة رجوعه إلى مذهب السلف ، منها قوله : ((فإن قال : فهل تقولون إنه في كل مكان ؟ قيل له : معاذ الله ، بل مستو على عرشه كما أخبر في كتابه فقال : "الرحمن على العرش استوى"...))(٢) .

وقال في موضع آخر من كتابه التمهيد : ((صفات ذاته التي لم يزل ولايزال موصوفا بها ، وهي الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والإرادة ، والبقاء ، والوجه ، والعينان ، واليدان ، والغضب ، والرضا ..))(٢) .

{٣} - إمام الحرمين ، أبو المعالي الجويني(٣) :

ذكر الشيخ الأمين رحمه الله رجوع أبي المعالي الجويني إلى معتقد السلف ، فقال : ((واعلم أن إمام الحرمين أبا المعالي الجويني ، كان في زمانه من أعظم أئمة القائلين بالتأويل ، وقد قرر التأويل وانتصر له في كتابه الإرشاد ، ولكنه رجع عن ذلك في رسالته : العقيدة النظامية (٤)))(٥) .

ثم نقل رحمه الله مقتطفات من هذه العقيدة موضحا رجوعه إلى

---

(١) انظر التمهيد ص ٢٦٠ .

(٢) نقل ذلك عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية ص ٥٨ .

(٣) أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله الجويني ، إمام الحرمين . توفي سنة (٤٧٨ هـ) ، وكان من أئمة الأشاعرة .
(انظر : سير أعلام النبلاء ٤٦٨/١٨ . وشذرات الذهب ٣٥٨/٣) .

(٤) انظر العقيدة النظامية ص ٢٣-٢٥ .

(٥) أضواء البيان ٤٧٢/٧ .
وانظر : الفتاوى ٧٣/٤ . وشرح العقيدة الطحاوية ص ٢٢٨ .
وقد ذكر الذهبي رحمه الله أنه تاب ورجع إلى عقيدة السلف ، ونقل نصوصا من العقيدة النظامية مدللا على قوله .
(انظر : سير أعلام النبلاء ٤٧٢/١٨-٤٧٣) .

معتقد السلف ، وتوبته من طريقة الخلف .

من ذلك ما ذكره الذهبي من أنّ الجويني قال لأصحابه في مرض موته : ((اشهدوا عليّ أني قد رجعت عن كل مقالة قلتها أخالف فيها ما قال السلف الصالح ، وأني أموت على ما تموت عليه عجائز نيسابور)) (١) .

ونقل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه قال في مرض موته : ((لقد خضت البحر الخضم ، وخليت أهل الإسلام وعلومهم ، ودخلت فيما نهوني عنه . والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني ، وها أنذا أموت على عقيدة أمي ..)) (٢) .

ويقصد بعقيدة أمه ، أو ما تموت عليه عجائز بلده الفطرة الصافية النقية من الشوائب .

{٤} - أبو حامد الغزالي(٣) رحمه الله :

قال عنه الشيخ رحمه الله : ((وكذلك أبو حامد الغزالي ، كان في زمانه من أعظم القائلين بالتأويل ، ثم رجع عن ذلك ، وبيّن أنّ الحقّ الذي لاشك فيه هو مذهب السلف)) (٤) .

ونقل رحمه الله من كتابه إلجام العوام شواهد مستدلا بها على صحة رجوعه إلى طريقة السلف ، وختم ذلك بقوله : ((وذكر غير واحد عن الغزالي أنه رجع في آخر حياته إلى تلاوة كتاب الله وحفظ الأحاديث الصحيحة ، والاعتراف بأنّ الحقّ هو ما في كتاب الله وسنة رسوله . وذكر بعضهم أنه مات وعلى صدره صحيح البخاري رحمه الله)) (٤) .

---

(١) انظر مختصر العلو للذهبي ص ٢٧٥ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٧٣/٤ .

(٣) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي . ولد سنة (٤٥٠ هـ) ، وتوفي سنة (٥٠٥ هـ) . وكان من أئمة الأشاعرة والمتصوفة .
(انظر : سير أعلام النبلاء ٣٢٢/١٩ . وشذرات الذهب ١٠/٤-١١) .

(٤) أضواء البيان ٤٧٣/٧-٤٧٤ .
وقد ذكر رجوعه إلى معتقد السلف غير واحد من العلماء .
(انظر إضافة إلى مصادر الحاشية السابقة : الفتاوى ٧٢/٤. ودرء تعارض العقل والنقل ١٦٢/١. والبداية والنهاية لابن كثير ١٧٣/١٢ . وشرح الطحاوية ٢٢٧) .

{٥} - الفخر الرازي(١) رحمه الله :

ذكر الشيخ رحمه الله توبته ، فقال : ((واعلم أيضا أن الفخر الرازي كان في زمانه أعظم أئمة التأويل ، رجع عن ذلك المذهب إلى مذهب السلف معترفا بأن طريق الحق هي اتباع القرآن في صفات الله)) (٢) .

ونقل الشيخ الأمين رحمه الله من كتاب الرازي "أقسام اللذات" ما يدل على رجوعه وتوبته .

فمن ذلك ما نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - من قوله : ((لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ، ولاتروي غليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ؛ اقرأ في الإثبات : "الرحمن على العرش استوى"(٣) ، "إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه"(٤) ، واقرأ في النفي : "ليس كمثله شيء"(٥) ، "ولايحيطون به علما"(٦) ، "هل تعلم له سميا"(٧) . ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي)) (٨) .

{٦} - الشهرستاني(٩) :

---

(١) فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي الطبرستاني ، ويعرف بابن الخطيب . كان من أئمة الأشاعرة ، وذكر ابن كثير ، وغيره أنه رجع إلى معتقد السلف . توفي سنة (٦٠٦ هـ) .
(انظر: سير أعلام النبلاء ٢١/٥٠٠-٥٠١. والبداية والنهاية ١٣/٦٠).

(٢) أضواء البيان ٧/٤٧٥ .
وقد ذكر رجوعه إلى معتقد السلف غير واحد من العلماء .
(انظر إضافة إلى مصادر الحاشية رقم (١) : الفتاوى ٤/٧٢-٧٣ . ودرء تعارض العقل والنقل ١/١٦٠ . ومجموعة الرسائل الكبرى ١/٩٧. والبداية والنهاية ١٣/٥٥. وشرح الطحاوية ٢٢٧).

(٣) سورة طه ، الآية {٥} .
(٤) سورة فاطر ، الآية {١٠} .
(٥) سورة الشورى ، الآية {١١} .
(٦) سورة طه ، الآية {١١٠} .
(٧) سورة مريم ، الآية {٦٥} .

(٨) انظر مصادر الحاشية رقم (٢) .

(٩) هو محمد بن عبدالكريم بن أحمد ، أبو الفتح الشهرستاني . شيخ أهل الكلام . ولد في شهرستان سنة (٤٧٩) ، وتوفي سنة (٥٤٨ هـ) .
(انظر : سير أعلام النبلاء ٢٠/٢٨٦. وشذرات الذهب ٤/١٤٩).

قال عنه الشيخ الأمين رحمه الله : ((وذكروا عن الشهرستاني أنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم ، وقد قال في ذلك :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كفّ حائر على ذقن أو قارعا سنّ نادم(١)

وأمثال هذا كثير))(٢) .

وهذا يدلّ على تحيره وتخبطه ، واضطرابه في نهاية حياته ، وقد فطن إلى ما وقع فيه من تخبط ، وتنبّه إلى صحة مذهب السلف الموافق للفطرة ، فقال كلمته : ((فعليكم بدين العجائز فهو من أسنى الجوائز))(٣) .

وما ذلك إلا لأنّ دين العجائز سالم من شوائب علم الكلام وترهاته .

وبعد أن ذكر الشيخ الأمين رحمه الله من رجعوا من أئمة أهل التأويل عن مذهبهم إلى معتقد السلف(٤) ، وجه نداء إلى المتعصبين من المتأولة يحثهم فيه على الرجوع إلى الحقّ والتزام معتقد سلف

---

(١) نهاية الإقدام ص ٣ .

(٢) أضواء البيان ٤٧٥/٧-٤٧٦ .

ومممن ذكر رجوعه من السلف : ابن تيمية في الفتاوى (٧٣/٤) ، وفي درء تعارض العقل والنقل (١٥٩/١) . وابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية (ص ٢٢٨) .

(٣) نهاية الإقدام ص ٢ .

(٤) وممن رجع إلى معتقد السلف ولم يذكره الشيخ الأمين رحمه الله الإمام أبو محمد عبدالله بن يوسف الجويني والد إمام الحرمين المتوفى سنة (٤٣٨ هـ) ، وقد ألف رسالة سماها : (إثبات الاستواء والفوقية) ينصح فيها إخوانه بالرجوع إلى معتقد السلف ، ويثبت فيها رجوعه إلى معتقد السلف . وهي تقع في (١٢) صفحة .

(انظر : مجموعة الرسائل المنيرية ١٧٤/١-١٨٧ .
وانظر أيضا : الأعلام ١٤٦/٤-١٤٧) .

هذه الأمة ؛ فقال رحمه الله : ((فيا أيها المعاصرون المتعصبون لدعوى أنّ ظواهر آيات الصفات وأحاديثها خبيث لايليق بالله لاستلزامه التشبيه بصفات الخلق ، وأنها يجب نفيها وتأويلها بمعان ما أنزل الله بها من سلطان ، ولم يقلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحد من أصحابه ، ولا من التابعين . فمن هو سلفكم في هذه الدعوى الباطلة المخالفة لإجماع السلف ؟ إن كنتم تزعمون أنّ الأشعري يقول مثل قولكم ، وأنه سلفكم في ذلك فهو بريء منكم ومن دعواكم . وهو مصرح في كتبه التي صنفها بعد الرجوع عن الاعتزال أنّ القائلين بالتأويل هم المعتزلة ، وهم خصومه وهو خصمهم ، كما أوضحنا كلامه في الإبانة والمقالات . وقد بيّنا أنّ أساطين القول بالتأويل قد اعترفوا بأنّ التأويل لا مستند له ، وأنّ الحقّ هو اتباع مذهب السلف ، كما أوضحنا ذلك عن أبي بكر الباقلاني ، وأبي المعالي الجويني ، وأبي حامد الغزالي ، وأبي عبدالله الفخر الرازي ، وغيرهم ممن ذكرنا))(١) .

وفي الختام يوصيهم بتقوى الله ، وعدم التعرض لصفاته بالتحريف أو التعطيل ، وألا يقولوا على الله بغير علم ، فيقول رحمه الله : ((وفي الختام نوصي أنفسنا وإخواننا المسلمين

---

(١) أضواء البيان ٤٧٦/٧ .

بتعزى الله تعالى ، وعدم التهجم على الله تعالى وعلى كتابه بالدعاوى الباطلة ، والتمسك بنور الوحي الصحيح في المعتقد وغيره ؛ لأنّ السلامة متحققة في اتباع الوحي ، وليست متحققة في شيء غيره :

ونهج سبيلي واضح لمن اهتدى

ولكنها الأهواء عمّت فأعمت))(١) .

وبهذا البيان الرائع الذي ختم به الشيخ الأمين رحمه الله نصيحته لأهل التأويل ، لم يبق أمام أصحاب العقول السليمة من المتأولة المعاصرين - بعد أن تبرأ كبار أئمتهم وشيوخهم من هذه العقيدة الفاسدة ، وحذروا منها ، وأعلنوا رجوعهم عنها إلى معتقد السلف - إلا أن يراجعوا مذهبهم ، ويرجعوا عنه إلى معتقد السلف ؛ إذ لاعذر لأحد منهم بعد أن أعلن أئمتهم المتبوعون رجوعهم إلى المعتقد الحق ، وماتوا عليه .

---

(١) آداب البحث والمناظرة ١٣٦/٢ . وانظر أضواء البيان ٤٧٦/٧-٤٧٧ .

الباب الثاني

جهوده في توضيح بقية مباحث الإيمان

وفيه سبعة فصول :

الفصل الأول

الإيمان بالملائكة

الفصل الثاني

الإيمان بالكتب

الفصل الثالث

الايمان بالنبوات

الفصل الرابع

الإيمان باليوم الآخر

الفصل الخامس

الإيمان بالقدر

الفصل السادس

حقيقة الإيمان

الفصل السابع

الإمامة

الفصل الأول

الإيمان بالملائكة

الفصل الأول

الإيمان بالملائكة

الملائكة ، والجن من المخلوقات المغيبة ، التي لاتراها اعين بني آدم ؛ فهم من عالم الغيب .

والملائكة عباد مكرمون خلقهم الله من نور ، يسبحون الليل والنهار لايفترون ، لايعلم عددهم إلا الله ، وكلهم الله سبحانه بوظائف واعمال مختلفة .

قال تعالى يحكي عنهم : "فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لايسامون"(١) ، وقال : "لايعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون"(٢) ، وقال : "وما يعلم جنود ربك إلا هو ، وما هي إلا ذكرى للبشر"(٣) . وقال صلى الله عليه وسلم : "خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم"(٤) .

والإيمان بالملائكة ركن من اركان الإيمان ؛ لقوله تعالى : "آمن الرسول بما انزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله

---

(١) سورة فصلت ، الآية {٣٨} .

(٢) سورة التحريم ، الآية {٦} .

(٣) سورة المدثر ، الآية {٣١} .

(٤) اخرجه مسلم ٢٢٩٤/٤ .

وملائكته .. "(١) .

ويجب الإيمان تفصيلاً بمن ورد ذكرهم في الكتاب والسنة من الملائكة بأسمائهم وأعمالهم : فأعظمهم جبريل الموكل بالوحي الذي به حياة القلوب ، ينزل به على الأنبياء . وميكائيل الموكل بالقطر والنبات . وإسرافيل الموكل بنفخ الصور .

فهؤلاء الثلاثة موكلون بما فيه حياة الإنسان .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : "اللهم ربّ جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة .. "(٢) .

ويجب الإيمان إجمالاً بمن لم يرد تعيينه باسمه المخصوص ، ولا تعيين نوعه المخصوص(٣) .

وقد أشار الأمين رحمه الله إلى بعض وظائف الملائكة ؛ فقال : ((الملائكة يرسلها الله في شئون وأمور مختلفة ، ولذا عبر عنها بالمقسمات ، ويدل لهذا قوله تعالى : "فالمدبرات أمراً"(٤) :

---

(١) سورة البقرة ، الآية {٢٨٤} .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١/٥٣٤ .

(٣) انظر : إغاثة اللهفان ١٢٧/٢ . وشرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد الصالح العثيمين - مخطوط - ص ٣٣ . والكواشف الجلية ص ٣٦ .

(٤) سورة النازعات ، الآية {٥} .

فمنهم من يرسل لتسخير المطر والريح ، ومنهم من يرسل لكتابة الأعمال ، ومنهم من يرسل لقبض الأرواح ، ومنهم من يرسل لإهلاك الأمم ؛ كما وقع لقوم صالح))(١) .

ثمّ تطرق رحمه الله إلى ذكر الملائكة الموكلين بكتابة أقوال بني آدم ، فقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد"(٢) : ((والمتلقيان هما الملكان اللذان يكتبان أعمال الإنسان . وقد دلت الآية الكريمة على أنّ مقعد أحدهما عن يمينه ، ومقعد الآخر عن شماله . . . . وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : "ما يلفظ من قول" : أي ما ينطق بنطق ، ولايتكلم بكلام "إلا لديه" : أي : إلا والحال أنّ عنده رقيبا ؛ أي ملكا مراقبا لأعماله ، حافظا لها ، شاهدا عليها ، لايفوته منها شيء . "عتيد" : أي حاضر ، ليس بغائب يكتب عليه ما يقول من خير وشرّ . وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أنّ الإنسان عليه حفظة من الملائكة يكتبون أعماله ، جاء موضحا في آيات كثيرة من كتاب الله ؛ كقوله : "وإنّ عليكم

---

(١) أضواء البيان ٦٦١/٧ . وانظر المصدر نفسه ٢٧٤/٣ .
وذكر هذا الكلام في الشريط رقم {٤} ، من تفسير سورة الأنعام ، عند تفسير قوله تعالى : "ولاأقول لكم إني ملك" . (سورة الأنعام ، الآية {٥}) .

(٢) سورة ق ، الآية {١٨} .

لحافظين * كراما كاتبين * يعلمون ما تفعلون"(١) ، وقوله تعالى : "أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون"(٢) ، وقوله تعالى : "وترى كلّ أمة جاثية كلّ أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون * هذا كتابنا ينطق عليكم بالحقّ إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون"(٣)))(٤) .

وقد أوضح رحمه الله أنّ كتابة أعمال العباد لاتتعارض مع إحاطة الله بكلّ شيء علما ، وإنما ذلك لحكم أرادها الله جلّ وعلا ; يقول رحمه الله : ((إنّ الذي خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه ، وهو أقرب إليه من حبل الوريد ، في وقت كتابة الحفظة أعماله لاحاجة له لكتب الأعمال ; لأنه عالم بها لايخفى عليه منها شيء ، وإنما أمر بكتابة الحفظة للأعمال لحكم أخرى ; كإقامة الحجة على العبد يوم القيامة ، كما أوضحه بقوله : "ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا"(٥)))(٦) .

---

(١) سورة الانفطار ، الآيتان {١٠-١١} .

(٢) سورة الزخرف ، الآية {٨٠} .

(٣) سورة الجاثية ، الآية {٢٨} .

(٤) أضواء البيان ٦٤٨/٧-٦٥٠ .

(٥) سورة الإسراء ، الآيتان {١٣-١٤} .

(٦) أضواء البيان ٦٤٨/٧ .

وتعرض رحمه الله للخلاف الحاصل في كتابة الحفظة لأقوال العباد ؛ هل تشمل المباح ، أو تقتصر على ما فيه ثواب وعقاب فقط ؛ فذكر للعلماء قولين ، ولم يرجح أحدهما على الآخر ؛ فقال : ((قال بعضهم (١) : يكتب عليه كلّ شيء ، حتى الأنين في المرض . وهذا ظاهر قوله تعالى : "ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد" (٢) ؛ لأنّ قوله "من قول" : نكرة في سياق النفي زيدت قبلها لفظة "من" ، فهي نصّ صريح في العموم . وقال بعض العلماء (٣) : لايكتب من الأعمال إلا ما فيه ثواب أوعقاب . وكلهم مجمعون على أنه لاجزاء إلا فيما فيه ثواب اوعقاب ؛ فالذين يقولون لايكتب إلا ما فيه ثواب أو عقاب ، والذين يقولون يكتب الجميع : متفقون على إسقاط ما لاثواب فيه ولاعقاب ، إلا أنّ بعضهم يقولون : لايكتب أصلا ، وبعضهم يقولون : يكتب أولا ، ثم يمحى . وزعم بعضهم أنّ محو ذلك ، وإثبات

---

(١) قاله أبو الجوزاء ، ومجاهد . (انظر الجامع لأحكام القرآن ٩/١٧) . وذكره ابن كثير (في التفسير ٢٢٤/٤) ، عن طاوس . وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : يكتب كلّ ما تكلم به من خير أو شر ، حتى إنه ليكتب قوله : أكلت ، وشربت ، وذهبت ، وجئت ، ورأيت . حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله ، فأقرّ منه ما كان فيه من خير أو شر ، وألقي سائره ، وذلك قوله تعالى : "يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب" . (تفسير ابن كثير ٢٢٤/٤) .

(٢) سورة ق ، الآية {١٨} .

(٣) قاله عكرمة . (انظر الجامع لأحكام القرآن ٩/١٧) .

ما فيه ثواب وعقاب هو معنى قوله تعالى : "يمحو الله ما يشاء ويثبت" الآية (١) . والذين قالوا : لايكتب ما لاجزاء فيه ، قالوا : إنّ في الآية نعتا محذوفا سوغ حذفه العلم به ؛ لأنّ كلّ الناس يعلمون أنّ الجائز لاثواب فيه ولاعقاب ، وتقدير النعت المحذوف : ما يلفظ من قول مستوجب للجزاء))(٢) .

الجـــــــن :

أما الجنّ : فقد خلقوا من النار ، كما قال تعالى : "والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم"(٣) .

وهم أمة مكلفة بالعبادة ؛ فمنهم المؤمن ، والكافر ، والعاصي ؛ قال تعالى : "وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون"(٤) . وقال تعالى : "أولئك الذين حقّ عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجنّ والإنس إنهم كانوا خاسرين"(٥) ، وقال تعالى : "ولمن خاف مقام ربه جنتان"(٦) .

---

(١) سورة الرعد ، الآية {٣٩} .
(٢) أضواء البيان ٦٥١/٧ .
(٣) سورة الحجر ، الآيه {٢٧} .
(٤) سورة الذاريات ، الآيه {٥٦} .
(٥) سورة الأحقاف ، الآيه {١٨} .
(٦) سورة الرحمن ، الآية {٤٦} .

وهم يأكلون ويشربون ويتناسلون ، ولهم ذرية ؛ قال تعالى : "افتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو"(١) . وهم يفنون ويموتون مثل الإنس ؛ قال صلى الله عليه وسلم : "والجنّ والإنس يموتون"(٢) .

وقد اختلف في إبليس ؛ هل خلق من جنس الملائكة ، أم من الجنّ ؟ فتطرق الشيخ الأمين رحمه الله إلى ذكر هذين القولين ، مع أدلة كلّ منهما ؛ فقال رحمه الله : "وحجة من قال أنّ أصله ليس من الملائكة أمران ؛ أحدهما : عصمة الملائكة من ارتكاب الكفر الذي ارتكبه إبليس ، كما قال تعالى عنهم : "لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون"(٣) ، وقال تعالى : "لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون"(٤) . الثاني : أنّ الله صرح في هذه الآية الكريمة بأنه من الجنّ ، والجنّ من غير الملائكة ؛ قالوا : وهو نصّ قرآني في محلّ النزاع . واحتج من قال أنه ملك في الأصل بما تكرر في الآيات القرآنية من قوله : "فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس"(٥) ، قالوا : فإخراجه بالاستثناء من لفظ الملائكة دليل على

---

(١) سورة الكهف ، الآية {٥٠} .

(٢) أخرجه البخاري ١٦٧/٨ .

(٣) سورة التحريم ، الآية {٦} .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية {٢٧} .

(٥) سورة الحجر ، الآية {٣٠} . وسورة ص ، الآية {٧٣} .

انه منهم . وقال بعضهم : والظواهر إذا كثرت صارت بمنزلة النص ، ومن المعلوم أن الأصل في الاستثناء الاتصال ، لا الانقطاع ، قالوا : ولاحجة لمن خالفنا في قوله تعالى : "كان من الجن"(١) ; لأن الجن قبيلة من الملائكة ، خلقوا من بين الملائكة من نار السموم : كما روى ابن عباس . والعرب تعرف في لغتها إطلاق الجن على الملائكة ، ومنه قول الأعشى في سليمان بن داود :

وسخر من جن الملائك تسعة　　　قياما لديه يعملون بلا أجر

قالوا : ومن إطلاق الجن على الملائكة قوله تعالى : "وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا"(٢) ، عند من يقول بأن المراد بذلك قولهم : الملائكة بنات الله . سبحانه وتعالى عن كل ما لايليق بكماله وجلاله علوا كبيرا))(٣) .

ثم ذكر رحمه الله من رجح القول الأول ، فقال : ((وممن جزم بأنه ليس من الملائكة في الأصل لظاهر هذه الآية الكريمة : الحسن البصري ، ونصره الزمخشري(٤) في تفسيره))(٥) .

---

(١) سورة الكهف ، الآية {٥٠} .

(٢) سورة الصافات ، الآية {١٥٨} .

(٣) أضواء البيان ١٢٠/٤ .

(٤) هو محمود بن عمر الزمخشري ، أبو القاسم . ولد سنة (٤٦٧) ، وتوفي سنة (٥٣٨) .

(انظر البداية والنهاية ٢٣٥/١٢ . وشذرات الذهب ١١٩/٤) .

(٥) أضواء البيان ١٢٠/٤ .

ثم ذكر أيضا من رجح القول الأخير ، فقال : ((وقال القرطبي في تفسيره سورة البقرة : إنّ كونه من الملائكة هو قول الجمهور : ابن عباس ، وابن مسعود ، وابن جريج(١) ، وابن المسيب(٢) ، وقتادة (٣) ، وغيرهم . وهو اختيار الشيخ أبي الحسن(٤) ، ورجحه الطبري ، وهو ظاهر قوله : "إلا إبليس"(٥)))(٦) .

ثم رجح رحمه الله أنّ أصله من الجنّ فقال : ((وأظهر الحجج في المسألة حجة من قال إنه غير ملك ; لأنّ قوله تعالى : "إلا

---

(١) هو الحافظ شيخ الحرم عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج الأموي المكي . أول من دون العلم بمكة . ولد سنة (٨٠ هـ) ، وتوفي سنة (١٥٠ هـ) .
(انظر : سير أعلام النبلاء ٦/٣٢٥ . والبداية والنهاية ١٠/١١٠) .

(٢) هو الإمام سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المخزومي سيد التابعين ، وأحد العلماء الأثبات ، والفقهاء الكبار ، توفي سنة (٩٤ هـ) .
(انظر : سير أعلام النبلاء ٤/٢١٧ . والبداية والنهاية ٩/١٠٥) .

(٣) هو قتادة بن دعامة بن عزيز السدوسي البصري المحدث المفسر ، كان من أوعية العلم ، وأحد كبار علماء التابعين . توفي سنة (١١٧ هـ) .
(انظر : سير أعلام النبلاء ٥/٢٦٩ . والبداية والنهاية ٩/٣٢٥) . (٤) لم أعرفه

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١/٢٠٢ .

(٦) أضواء البيان ٤/١٢٠ .

إبليس كان من الجن" فعسن" الآية (١) ، وهو اظهر شيء في الموضوع من نصوص الوحي ، والعلم عند الله تعالى)) (٢) .

وما رجحه الشيخ الأمين رحمه الله من كون إبليس من الجن" هو ما تطمئن" النفس إليه ; لتضافر الادلة عليه ، وقد قال إبليس عن نفسه : "قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين" (٣) ، وجاء في الحديث : "خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان" من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم" (٤) ; فهذا صريح في كونه من الجن" ، وهو ما رجحه أيضا شيخ الإسلام ابن تيمية ; فقد قال عن إبليس لعنه الله : ((وجعله بعض الناس من الملائكة لدخوله في الأمر بالسجود ، وبعضهم من الجن" لأن" له قبيلا وذرية ، ولكونه خلق من نار ، والملائكة خلقوا من نور . والتحقيق : انه كان منهم باعتبار صورته ، وليس منهم باعتبار اصله ، ولاباعتبار مثاله)) (٥) .

هل يدخل المؤمنون من الجن" الجنة ؟

تطرق رحمه الله إلى هذه المسألة ، وذكر لأهل العلم قولين

---

(١) سورة الكهف ، الآية {٥٠} .

(٢) اضواء البيان ١٢١/٤ . وانظر المصدر نفسه ٢٩٣/٢ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية {١٢} .

(٤) اخرجه مسلم ٢٢٩٤/٤ .

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٤٦/٤ .

فيهـا ، وردّ على من منع من دخولهم الجنة مرجحا أنّ المؤمنين من الجنّ يدخلونهـا ؛ فقـال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم "(١) : ((تمسـك جماعـة من العلمـاء ؛ منهم الإمام أبو حنيفـة رحمه الله تعالى بظاهر هذه الآية ، فقالوا : إنّ المؤمنين المطيعيـن مـن الجنّ لايدخلون الجنة . مع أنه جاء في آية أخرى ما يـدلّ عـلى أنّ مـؤمنيهم في الجنة ، وهي قوله تعالى : "ولمن خاف مقـام ربـه جنتـان"(٢) ؛ لأنـه تعـالى بيّـن شموله للجنّ والإنس بقولـه : "فبـأيّ آلاء ربكمـا تكذبـان"(٣) . ويستأنس لهذا القول بقوله تعالى : "لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولاجانّ "(٤) ؛ لأنه يشير إلى أنّ في الجنة جنـا يطمثون النسـاء كالإنس))(٥) .

ثـم قال رحمه الله : ((إنّ آية الأحقاف نصّ فيها على الغفران والإجارة من العذاب ، ولم يتعرض فيها لدخول الجنة بنفي ولا إثبات ، وآيـة الرحمن نصّ فيها على دخولهم الجنة ؛ لأنه تعالى قال فيها : "ولمن خاف مقام ربه "))(٥) .

---

(١) سورة الأحقاف ، الآية {٣١} .

(٢) سورة الرحمن ، الآية {٤٦} .

(٣) سورة الرحمن ، الآية {٤٧} .

(٤) سورة الرحمن ، الآية {٥٦} .

(٥) دفع إيهام الاضطراب ـ الملحق بأضواء البيان ١٠/٢٦٣ ـ .

وقال رحمه الله أيضا : ((وحاصل فقه هذه المسألة : أنّ الجنّ مكلفون على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بدلالة الكتاب والسنة وإجماع المسلمين ، وأنّ كافرهم في النار بإجماع المسلمين ، وهو صريح قوله تعالى : "لأملأنّ جهنم من الجنة والناس أجمعين"(١) ، وقوله تعالى : "فكبكبوا فيها هم والغاوون * وجنود إبليس أجمعون"(٢) ، وقوله تعالى : "قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجنّ والإنس في النار"(٣) ، إلى غير ذلك من الآيات . وأنّ مؤمنيهم اختلف في دخولهم الجنة ، ومنشأ الخلاف الاختلاف في فهم الآيتين المذكورتين . والظاهر دخولهم الجنة كما بيّنّا ، والعلم عند الله))(٤) .

ولاريب أنّ ما قاله الشيخ الأمين رحمه الله هو الحقّ في هذه المسألة لما نقله من النصوص الصريحة في دخول مؤمنهم الجنة . ويؤيده أيضا قوله تعالى : "ولكلّ درجات مما عملوا"(٥) ; فهو دليل على ثوابهم وعقابهم . وقال تعالى : "وأنا لما سمعنا الهدى

---

(١) سورة هود ، الآية {١١٩} .
(٢) سورة الشعراء ، الآيتان {٩٤-٩٥} .
(٣) سورة الأعراف ، الآية {٣٨} .
(٤) دفع إيهام الاضطراب ٢٦٨/١٠ . وانظر أضواء البيان ٤٠١/٧ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ .
(٥) سورة الأحقاف ، الآية {١٩} .

الفصل الثاني

الإيمان بالكتب

آمنـــا بــه ، فمــن يـؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا "(١) ؛ فالله سبحانه وتعالى يثيب على الإيمان ، ويعاقب على الكفر .

وقـد نقـل شيخ الإسلام عن أكثر أهل العلم أن" مؤمن الجن" يدخـل الجنـة ، ورجحه ، فقال بعد أن ذكر إجماع العلماء على دخول كـافرهم النـار ، وساق الآيـات الدالـة على ذلك : ((وأما مؤمنهم فـأكثر العلماء على أنهم يدخلون الجنة ، وقال طائفة : بل يصيرون ترابـا كـالدواب" . والأول أصح" ؛ وهو قول الأوزاعـي ، وابن أبـي ليلـى(٢) ، وأبي يوسف(٣) ، ومحمد (٤) . ونقل ذلك عن مالك والشافعي وأحمد ، وهو قول أصحابهم))(٥) .

---

(١) سورة الجن" ، الآية {١٣} .

(٢) هـو الإمام أبو عيسى عبدالرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي . ولد في خلافة الصديق . قتل بوقعة الجماجم سنة (٨٢ هـ) .
(انظر سير أعلام النبلاء ٢٦٢/٤) .

(٣) هـو القـاضي أبـو يوسـف يعقـوب بـن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي . أنبل تلاميذ أبي حنيفة ، توفي سنة (١٨٢ هـ) .
(انظـر : سـير أعـلام النبلاء ٥٣٥/٨ . والبداية والنهاية ١٨٦/١٠) .

(٤) هـو محـمد بـن الحسـن بن فرقد الشيباني ، صاحب أبي حنيفة ، توفي سـنة (١٨٩ هـ) .
(انظـر : سـير أعـلام النبلاء ١٣٤/٩ . والبداية والنهاية ٢١٠/١٠) .

(٥) النبوات ص ٣٩٧ . وانظر الفتاوى ٢٣٣/٤ ،، ٣٠٦/١١ .

الفصل الثاني

الإيمان بالكتب
====================

الإيمان بالكتب ذو شقين ؛ إيمان تفصيلي ، وآخر إجمالي .

فالتفصيلي أن نؤمن بكلّ الكتب المنزلة على المرسلين ، والتي سماها الله تعالى في كتابه ؛ كالقرآن ، والتوراة ، والإنجيل ، والزبور ، وصحف إبراهيم وموسى .

والإجمالي : أن نؤمن بأنّ لله سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه ، لايعرف أسماءها وعددها إلا هو ، فيها الهدى والنور والرشاد . ولايفرق بين الواحد والآخر ؛ قال تعالى : "قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون"(١) .

هذا مع الإيمان أنّ القرآن الكريم ناسخ لكلّ الكتب السابقة ، ومهيمن عليها ، وأنه خاتمة الكتب المنزلة ، وأنه محفوظ من التحريف ؛ فهو الكتاب الذي يجب على جميع الإنس والجنّ العمل به (٢) .

وقد أوضح الشيخ الأمين رحمه الله هذا الركن العظيم الذي

---

(١) سورة البقرة ، الآية {١٣٦} .
(٢) انظر شرح الطحاوية ص ٣٥٠ . ومعارج القبول ٢/٩١-٩٥ .

لايتم" الإيمان إلا به ، حيث قال رحمه الله : ((قوله تعالى : "وما أنزل إلى إبراهيم"(١) : لم يبين هنا هذا الذي أنزل إلى إبراهيم ، ولكنه بين في سورة الأعلى أنه صحف ، وأن" من جملة ما في تلك الصحف : "بل تؤثرون الحياة الدنيا ، والآخرة خير وأبقى"(٢) ، وذلك في قوله : "إن" هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى"(٣) . قوله تعالى : "وما أوتي موسى وعيسى"(١) : لم يبين هنا ما أوتيه موسى وعيسى ، ولكنه بينه في مواضع أخرى ، فذكر أن" ما أوتيه موسى هو التوراة المعبر عنها بالصحف في قوله : "صحف إبراهيم وموسى"(٣) ، وذلك كقوله : "ثم آتينا موسى الكتاب"(٤) ، وهو التوراة بالإجماع . وذكر أن" ما أوتيه عيسى هو الإنجيل ، كما في قوله : "وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل"(٥) ، وقوله تعالى : "والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم"(٦) : أمر الله النبي" صلى الله عليه وسلم والمسلمين في هذه الآية أن يؤمنوا بما أوتيه جميع النبيين ، وأن لايفرقوا بين

---

(١) سورة البقرة ، الآية {١٣٦} .
(٢) سورة الأعلى ، الآيتان {١٦-١٧} .
(٣) سورة الأعلى ، الآيتان {١٨-١٩} .
(٤) سورة الأنعام ، الآية {١٥٤} .
(٥) سورة الحديد ، الآية {٢٧} .
(٦) سورة البقرة ، الآية {١٣٦} .

احد منهم ، حيث قال : "قولوا آمنا بالله وما انزل إلينا" إلى قوله : "وما اوتي النبيون من ربهم لانفرق بين احد منهم"(١) ، ولم يذكر هنا هل فعلوا ذلك او لا ؟ ولم يذكر جزاءهم إذا فعلوه ، ولكنه بين كل ذلك في غير هذا الموضع ؛ فصرح بانهم امتثلوا الامر بقوله : "آمن الرسول بما انزل إليه من ربه والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين احد من رسله"(٢) . وذكر جزاءهم على ذلك بقوله : "والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف نؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما"(٣)))(٤) .

اما القرآن الكريم : فيقول رحمه الله عنه : ((القرآن هو مطر ارض القلوب ، إذا نزل مطر القرآن على ارض القلوب اثمرت القلوب ثمراتها الرائعة اليانعة من الإيمان بالله ، والتقوى ، والخشية ، والإنابة ، والإيثار ، وطاعة الله جلّ وعلا ، والخوف منه ، والانقياد لاوامره ، واجتناب نواهيه . . . . كما انّ مطر السحاب هو مطر الارض المثمر فيها . . . . كذلك القلب الطيب إذا نزلت عليه امطار القرآن ؛ زواجره ، ونواهيه ، ومواعظه ، وحلاله ،

---

(١) سورة البقرة ، الآية {١٣٦} .
(٢) سورة البقرة ، الآية {٢٨٥} .
(٣) سورة النساء ، الآية {١٥٢} .
(٤) اضواء البيان ١/١٤٨-١٤٩ .

وحرامه اثمر ذلك القرآن في ذلك القلب ثمرات أحسن من ثمرات الأرض الطيبة إذا نزل عليها المطر فاثمر الإيمان بالله ... وامتثال أمر الله واجتناب نواهيه ، وكلّ خصلة حسنة . . كالخشية من الله ، والتوبة عند الزلات ، والإنابة إليه ، والسخاء ، والشجاعة ، والرضى بقدر الله ، والإيثار ، وعدم الشحّ ، إلى غير ذلك من الخصال الكريمة الجميلة))(١) .

ثمّ يصف رحمه الله هذا القرآن بقوله : ((هو كتاب الله جلّ وعلا الذي هو آخر كتاب نزل من السماء ، وهو أعظم كتاب سماوي على أعظم رسول أرسله الله إلى الأرض ; فهو آخر الكتب السماوية ، دليل على آخر الرسل وخاتمهم صلى الله عليه وسلم ; جمع الله فيه علوم الكتب السابقة ، ولهذا كان القرآن مهيمنا على الكتب السابقة ... وإنما سمي هذا القرآن كتابا ; لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ ، كما قال تعالى : "بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ"(٢) . ومكتوب في صحف عند الملائكة ... "في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة"(٣) . وأيضا مكتوب عند المسلمين ، كما قال تعالى :

---

(١) الشريط رقم {٢} من تفسير سورة الأعراف ، عند تفسير قوله تعالى : "والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه" ، الآية {٥٨} .
(٢) سورة البروج ، الآيتان {٢١-٢٢} .
(٣) سورة عبس ، الآيتان {١٣-١٤} .

"رسول من الله يتلو صحفا مطهرة * فيها كتب قيمة "(١)))(٢) .

وقد أشار رحمه الله إلى أنّ القرآن وحي من الله سبحانه وتعالى ؛ فقال عند قوله تعالى : "علم القرآن"(٣) : ((أي علم نبيه صلى الله عليه وسلم القرآن ، فتلقته أمته عنه . وهذه الآية الكريمة تتضمن ردّ الله على الكفار في قولهم : إنه تعلم هذا القرآن من بشر كما تقدم ، في قوله : "ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر"(٤) ، وقوله تعالى : "فقال إن هذا إلا سحر يؤثر"(٥) ؛ أي يرويه محمد عن غيره))(٦) .

ثمّ أوضح رحمه الله أنّ القرآن الكريم مهيمن على الكتب السابقة ، فاضح لما حرفه اليهود والنصارى ، ولما كتموه من الحقّ ؛ فقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب" الآية(٧) : ((لم يبيّن هنا شيئا من ذلك الكثير الذي

---

(١) سورة البينة ، الآيتان {٢-٣} .
(٢) الشريط رقم {٢٢} من سورة الأنعام ، عند تفسير قوله تعالى : "وهذا كتاب أنزلناه مبارك" الآية {١٥٥} .
(٣) سورة الرحمن ، الآية {٢} .
(٤) سورة النحل ، الآية {١٠٣} .
(٥) سورة المدثر ، الآية {٢٤} .
(٦) أضواء البيان ٧٣٣/٧ . وانظر المصدر نفسه ٧٠٢/٧ .
(٧) سورة المائدة ، الآية {١٥} .

يبينه لهم الرسول صلى الله عليه وسلم مما كانوا يخفون من الكتاب ; يعني التوراة والإنجيل ، ويبيّن كثيرا منه في مواضع أخر . فما كانوا يخفون من أحكام التوراة : رجم الزاني المحصن ، بينه القرآن في قوله تعالى : "ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون"(١) ; يعني يدعون إلى التوراة ليحكم بينهم في حد الزاني المحصن بالرجم ، وهم معرضون عن ذلك منكرون له . ومن ذلك ما أخفوه من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابهم ، وإنكارهم أنهم يعرفون أنه هو الرسول ، كما بينه تعالى بقوله : "وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين"(٢) . ومن ذلك إنكارهم أنّ الله حرم عليهم بعض الطيبات بسبب ظلمهم ومعاصيهم ; كما قال تعالى : "فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم"(٣) ، وقوله : "وعلى الذين هادوا حرمنا كلّ ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون"(٤) ; فإنهم أنكروا هذا .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية {٢٣} .
(٢) سورة البقرة ، الآية {٨٩} .
(٣) سورة النساء ، الآية {١٦٠} .
(٤) سورة الأنعام ، الآية {١٤٦} .

وقالوا : لم يحرم علينا إلا ما كان محرما على إسرائيل ، فكذبهم القرآن في ذلك في قوله تعالى : "كلّ الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين"(١) . ومن ذلك كتم النصارى بشارة عيسى بن مريم لهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقد بينها تعالى بقوله : "وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يديّ من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد"(٢) ، إلى غير ذلك من الآيات المبينة لما أخفوه من كتبهم))(٣) .

ثمّ يطرح رحمه الله سؤالا ، ويجيب عليه ، فيقول رحمه الله :

((إن قيل : ما الفرق بين التوراة والقرآن ، فإنّ كلا منهما كلام الله أنزله على رسول من رسله صلوات الله وسلامه عليهم . والتوراة حرفت وبدلت كما بيناه آنفا ، والقرآن محفوظ من التحريف والتبديل لو حرف منه أحد حرفا واحدا فأبدله بغيره ، أو زاد فيه حرفا ، أو نقص منه آخر ، ردّ عليه آلاف الأطفال من صغار المسلمين فضلا عن كبارهم . فالجواب : أنّ الله استحفظهم التوراة واستودعهم إياها

---

(١) سورة آل عمران ، الآية {٩٣} .

(٢) سورة الصف ، الآية {٦} .

(٣) أضواء البيان ٢/٥٧-٥٨ .

فخانوا الأمانة ، ولم يحفظوها ، بل ضيعوها عمداً . والقرآن العظيم لم يكل الله حفظه إلى أحد حتى يمكنه تضييعه ، بل تولى حفظه جلّ وعلا بنفسه الكريمة المقدسة ، كما أوضحه بقوله : "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"(١) ، وقوله : "لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه" الآية (٢) ، إلى غير ذلك من الآيات))(٣) .

وأختم هذا العمل بهذه الكلمة الجامعة للشيخ الأمين رحمه الله عن القرآن الكريم ؛ حيث يقول عند تفسير قوله تعالى : "وهذا كتاب أنزلناه مبارك"(٤) : ((فهذا القرآن كله بركات وخيرات ؛ لأنّ الله قال إنه مبارك ، والمبارك كثير البركات ؛ لأنه فيه خير الدنيا والآخرة ، يعتقد الإنسان عقائده ، ويحلّ حلاله ، ويحرم حرامه ، ويتأدب بآدابه ، ويعتبر بأمثاله وقصصه ، فيكون على أكمل حال في الدنيا والآخرة ، فهو فيه البركات والخيرات لمن وفقه الله للعمل به جلّ وعلا ، ولذا بينا مراراً أنه أعظم نعمة أنزلها الله على خلقه ، ولذا علمهم أن يحمدوه على هذه النعمة والبركات في هذا القرآن العظيم : "الحمد لله الذي أنزل على عبده

---

(١) سورة الحجر ، الآية {٩} .
(٢) سورة فصلت ، الآية {٤٢} .
(٣) أضواء البيان ٢/١٠٠-١٠١ .
(٤) سورة الأنعام ، الآية {٩٢} .

الكتاب"(١) ، وبيّن إيراثه علامة الاصطفاء ، وبين أنّ ذلك فضل كبير من الله ، حيث قال في فاطر : "ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا"(٢) ؛ فبيّن أنّ إيراث هذا الكتاب لايكون إلا لمن اصطفاه الله . ثمّ قال في معرض التنويه به : "ذلك هو الفضل الكبير"(٢) ؛ أي إيراثنا الكتاب إياهم عن نبيهم هو الفضل من الله الكبير عليهم ، كما قال هنا : انه مبارك . وقوله : "مصدق الذي بين يديه"(٣) ؛ معناه أنّ القرآن العظيم مصدق للكتب السماوية التي قبله ، وتصديقه لها من جهات متعددة ، منها : انه لايخالفها ، وأنّ العلامات التي كانت على النبيّ وعن كتابه الذي ينزل عليه جاءت كلها مطابقة ، وأنّ ما تدعو إليه الكتب السماوية من التوحيد وطاعة الله ومكارم الاخلاق كذلك جاء القرآن آمرا به . وعن تصديقه للكتب السماوية انه يهيمن عليها ، ويمنعها من التحريف كلما ارادوا ان يحرفوا منعهم القرآن ، كما قال : "ومهيمنا عليه"(٤)))(٥) .

---

(١) سورة الكهف ، الآية {١} .
(٢) سورة فاطر ، الآية {٣٢} .
(٣) سورة الانعام ، الآية {٩٢} .
(٤) سورة المائدة ، الآية {٤٨} .
(٥) من الشريط رقم {٩} من سورة الانعام ، عند تفسير قوله تعالى : "وهذا كتاب انزلناه مبارك" . الآية {٩٢} .

وهكذا يرشد الشيخ الأمين رحمه الله إلى الإيمان بهذه الكتب العظيمة على وجه الإجمال ، ويبيّن أنها قد حرفت ، إلا أنّ هيمنة القرآن العظيم عليها تدلّ على مواطن التحريف ، لذا وجب الإيمان على وجه التفصيل بالقرآن الكريم الذي تولى الله جلّ وعلا حفظه بنفسه المقدسة ، فسلم مما لحق بالكتب الأخرى ، فهو الكتاب الخاتم المنزل على النبيّ الخاتم ، المحفوظ بحفظ الله له ، المهيمن على سائر الكتب السماوية السابقة .

الفصل الثالث

جهود الشيخ الأمين في توضيح النبوات

وفيه اربعة مباحث :

المبحث الأول

الإيمان بالأنبياء

المطلب الأول : دعوة الرسل واحدة .

المطلب الثاني : الرسل لايعلمون الغيب .

المطلب الثالث : عصمة الأنبياء .

المطلب الرابع : اولو العزم من الرسل .

المطلب الخامس : هل آدم رسول أم نبيّ ؟

المبحث الثاني

حقيقة الخضر

المطلب الأول : هل الخضر نبيّ أم وليّ ؟

المطلب الثاني : هل الخضر حيّ أم ميت .

المبحث الثالث

الإيمان بنبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم

المطلب الأول : عموم رسالته .

المطلب الثاني : احترامه .

المطلب الثالث : تعظيمه .

المطلب الرابع : حياته البرزخية .

المبحث الرابع

معجزات بعض الأنبياء

المطلب الأول : من معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

المطلب الثاني : من معجزات موسى عليه السلام .

المطلب الثالث : معجزة صالح عليه السلام .

الفصل الثالث

جهود الشيخ الأمين رحمه الله في توضيح النبوات

تمهيد : تعريف النبي والرسول لغة وشرعا :

اولا : تعريف النبي والرسول لغة :

النبي لغة مشتق من النبا ؛ وهو الخبر ، كما في قوله تعالى : "عم يتساءلون * عن النبا العضيم"(١) .

وقيل : إن النبي ماخوذ من النبوة ، والنباوة ؛ وهي الارتفاع ؛ لارتفاع قدره ، ولأنه شرف على سائر الخلق . فاصله غير مهموز .

وقيل : النبي : الطريق . والأنبياء طرق الهدى(٢) .

أما الرسول لغة : فهو الذي يتابع اخبار الذي بعثه ، أخذا من قولهم : جاءت الإبل رسلا ، اي متتابعة .

والرسول : اسم من ارسلت . واصل الرسل : الانبعاث على التؤدة (٣) .

---

(١) سورة النبا ، الآيتان {١-٢} .

(٢) انظر : الصحاح للجوهري ٧٤/١ . وتهذيب اللغة ٤٨٦/١٥ . والمفردات للراغب الأصفهاني ص ٤٨١-٤٨٢ . ولسان العرب ١٦٢/١ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ٣٩١/١٢ . والمفردات للراغب الأصفهاني ص ١٩٥ . ولسان العرب ٢٨٤/١١ .

ثانيا : تعريف النبيّ والرسول شرعا :

تعددت الآراء في تعريف النبيّ والرسول إلى أقوال كثيرة (١) ، وأشهرها :

أنّ الرسول من أوحي إليه بشرع ، وأمر بتبليغه . والنبيّ من أوحي إليه بشرع ، ولم يؤمر بتبليغه (٢) .

وهذا التفريق لايسلم من الاعتراض ؛ لأنّ الإنسان الذي دون النبيّ مأمور بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإبلاغ الناس أمور دينهم ، وعدم كتمان العلم . فكيف بالنبيّ الذي هو منبأ عن الله سبحانه وتعالى ؛ لاشك أنّ مسؤوليته أعظم ، وموقفه أخطر. وقد دلت النصوص على أنّ الأنبياء مأمورون بالإبلاغ ؛ فقال تعالى : "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبيّ إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته .."(٣) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : "عرضت عليّ الأمم فرأيت النبيّ ومعه الرهيط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي ليس معه أحد .."(٤) .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٥٤/١٢ . وإعلام النبوة للماوردي ص ٣٧-٣٨ .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٧ . ولوامع الأنوار البهية ٤٩/١ .

(٣) سورة الحج ، الآية {٥٢} .

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح ١٩٩/٧ . ومسلم في الصحيح ١٩٩/١ ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، واللفظ لمسلم .

لذلك لم يرتض الشيخ الأمين رحمه الله هذا التعريف ، وبين تعارضه مع النصوص ، فقال في معرض الردّ عليه موضحا القول الحقّ في هذه المسألة : ((وآية الحج هذه (١) تبين أنّ ما اشتهر على السنة أهل العلم من أنّ النبيّ هو من أوحي إليه وحي ولم يؤمر بتبليغه ، وأنّ الرسول هو النبيّ الذي أوحي إليه وأمر بتبليغ ما أوحي إليه : غير صحيح ؛ لأنّ قوله تعالى : "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبيّ " الآية (٢) يدلّ على أنّ كلا منهما مرسل ، وأنهما مع ذلك بينهما تغاير . واستظهر بعضهم أنّ النبيّ الذي هو رسول أنزل إليه كتاب وشرع مستقلّ مع المعجزة التي ثبتت بها نبوته ، وأنّ النبيّ المرسل الذي هو غير الرسول : هو من لم ينزل عليه كتاب ، وإنما أوحي إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله ؛ كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يرسلون ويؤمرون بالعمل بما في التوراة كما بينه تعالى بقوله : "يحكم بها النبيون الذين أسلموا " الآية (٣)))(٤) .

وهذا التعريف الذي أخذ به الشيخ الأمين رحمه الله أسلم من غيره من التعريفات ؛ لذلك ارتضاه غير واحد من العلماء

---

(١) يعني قوله تعالى : "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبيّ " .

(٢) سورة الحج ، الآية {٥٢} .

(٣) سورة المائدة ، الآية {٤٤} .

(٤) أضواء البيان ٧٣٥/٥ . وانظر رحلة الحج ص ١٣٦-١٣٧ .

السابقين ؛ منهم البيضاوي(١) رحمه الله الذي قال في الفرق بين النبي" و الرسول : ((الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس إليها ، والنبي" يعمه ، ومن بعثه لتقرير شرع سابق ؛ كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام . لذلك شبه النبي" صلى الله عليه وسلم علماء أمته بهم ، فالنبي" أعم" من الرسول))(٢) .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعريف قريب من هذا التعريف ؛ يقول فيه رحمه الله : ((فالنبي" هو الذي ينبئه الله ، وهو ينبئ بما أنبأ الله به ، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول ، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي" وليس برسول . . . . - إلى أن قال : - فقوله : "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبي" "(٣) دليل على أن" النبي" مرسل ، ولايسمى رسولا عند الإطلاق ؛ لأنه لم يرسل إلى قوم بما لايعرفونه ، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حق" كالعالم ، ولهذا قال

---

(١) هو ناصر الدين عبدالله بن عمر الشيرازي . ولد في مدينة البيضاء بفارس ، وتوفي سنة (٦٨٥ هـ) .
(انظر : البداية والنهاية ٣٢٧/١٣ . وشذرات الذهب ٣٩٢/٥ . والأعلام ١١٠/٤) .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٥٧/٤ .

(٣) سورة الحج ، الآية {٥٢} .

النبي صلى الله عليه وسلم : " العلماء ورثة الأنبياء "(١)))(٢) .

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ٥٧/٤ ، رقم ٣٦٤١ . وقال الألباني في مشكاة المصابيح (٧٤/١ ، رقم ٢١٢) : إسناده حسن .

(٢) النبوات ص ٢٥٥-٢٥٦ .

المبحث الأول

الإيمان بالأنبياء

المطلب الأول

دعوة الأنبياء واحدة

جميع الرسل متفقون في الدعوة إلى التوحيد الخالص، والنهي عن الشرك؛ فالغاية التي بعثوا من أجلها : إفراد الله بالعبادة، والنهي عن جميع الموبقات؛ من الكفر والفسوق والعصيان؛ فالشرائع كلها تدعو إلى هذه الغاية العظيمة، فهذه مهمة جميع الرسل من نوح عليه السلام إلى رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ فكل واحد من الأنبياء والرسل عليهم السلام يقول لقومه : "اعبدوا الله ما لكم من إله غيره"(١).

وقد اهتم الشيخ الأمين رحمه الله بتوضيح هذه المسألة الجليلة التي هي وسيلة لأعظم غاية من أجلها خلق الخلق وأوجدت الكائنات؛ فقال رحمه الله : ((كل دعوات الرسل هي مضمون "لا إله إلا الله" التي قام عليها أمر السموات والأرض، وخلقت من أجلها الجنة والنار، وبعث رسل الله عليهم الصلاة والسلام. ولهذا كان

---

(١) سورة المؤمنون، الآية {٢٣}.

كل رسول إنما يبدأ قومه بالدعاء إليها ، كما قال تعالى : "وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون"(١)))(٢) .

وأوضح الشيخ رحمه الله في موضع آخر أن من كذب رسولا فقد كذب جميع الرسل ؛ لأن دعوتهم واحدة ؛ فكلهم يدعو إلى التوحيد الخالص ؛ فقال رحمه الله : ((إن من كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع المرسلين ، ومن كذب نذيرا واحدا فقد كذب جميع النذر ؛ لأن أصل دعوة جميع الرسل واحدة ، وهي مضمون "لا إله إلا الله" كما أوضحه تعالى بقوله : "ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت"(٣) ، وقوله تعالى : "وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون"(٤) وقوله تعالى: "واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون"(٥) . وأوضح تعالى أن من كذب بعضهم فقد كذب جميعهم في قوله تعالى : "ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية {٢٥} .
(٢) معارج الصعود ص ١٣٦ .
(٣) سورة النحل ، الآية {٣٦} .
(٤) سورة الأنبياء ، الآية {٢٥} .
(٥) سورة الزخرف ، الآية {٤٥} .

بين ذلك سبيلا * أولئك هم الكافرون حقا" الآية (١) ، وأشار إلى ذلك في قوله : "لانفرق بين أحد من رسله"(٢) ، وقوله : "لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون"(٣) ، وقوله تعالى : "والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم" الآية (٤) . وقد أوضح تعالى في سورة الشعراء أنّ تكذيب رسول واحد تكذيب لجميع الرسل ، وذلك في قوله : "كذبت قوم نوح المرسلين"(٥) ، ثم بين أنّ تكذيبهم للمرسلين إنما وقع بتكذيبهم نوحا وحده حيث أفرد ذلك بقوله : "إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون * - إلى قوله - قال ربّ إنّ قومي كذبون"(٦) . وقوله تعالى "كذبت عاد المرسلين"(٧) ، ثم بين أنّ ذلك بتكذيب هود وحده ، حيث أفرده بقوله : "إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون"(٨) . ونحو ذلك في قوله تعالى في قصة صالح وقومه ، ولوط وقومه ، وشعيب وأصحاب الأيكة ، كما هو معلوم ، وهو واضح لاخفاء فيه . ويزيده

---

(١) سورة النساء ، الآيتان {١٥٠-١٥١} .
(٢) سورة البقرة ، الآية {٢٨٥} .
(٣) سورة البقرة ، الآية {١٣٦} .
(٤) سورة النساء ، الآية {١٥٢} .
(٥) سورة الشعراء ، الآية {١٠٥} .
(٦) سورة الشعراء ، الآيات {١٠٦-١١٧} .
(٧) سورة الشعراء ، الآية {١٢٣} .
(٨) سورة الشعراء ، الآية {١٢٤} .

إيضاحا قوله صلى الله عليه وسلم : "إنا معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد"(١) ؛ يعني أنهم كلهم متفقون في الأصول ، وإن اختلفت شرائعهم في بعض الفروع))(٢) .

وفي موضع آخر أشار الشيخ الأمين رحمه الله إلى أنّ نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم هو أشدّ الأنبياء احتياطا في حماية جناب التوحيد الذي هو أصل دعوة الرسل ؛ فقال رحمه الله : ((فإخلاص العبادة لله وحده هو دعوة عامة الرسل ، وأشدهم فيه احتياطا خاتمهم صلى الله عليه وسلم ، ولذا منع بعض الأمور التي كانت مباحة عندهم احتياطا في توحيد الله في عبادته جلّ وعلا : فالسجود لمخلوق في شريعته السمحة كفر بالله تعالى مع أنه كان جائزا في شرع غيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام ، كما قال تعالى عن يعقوب وأولاده في سجودهم ليوسف : "وخروا له سجدا"(٣) ، ولذلك أمر نبينا صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس : إنه ما أوحي إليه إلا توحيد الله تعالى في عبادته في قوله تعالى : "قل إنما يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون"(٤) . وقد تقرر عند

---

(١) مروي عن أبي هريرة من طرق متعدده ، وبألفاظ متقاربة : رواه البخاري في الصحيح ٤/١٤٢ . ومسلم في الصحيح ٤/١٨٣٧ .

(٢) أضواء البيان ٧/٧٢٧-٧٢٨ .

(٣) سورة يوسف ، الآية {١٠٠} .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية {١٠٨} .

والعلّات جمع علّة وهي الضرة، هم بنو رجل واحد من نسوة شتى. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٩١، وقال ابن حجر في معنى الحديث: ((إن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع وقيل: المراد أن أزمنتهم مختلفة)) فتح الباري ٦/٤٨٩)

الأصوليين والبيانيين أنّ لفظ إنما من أدوات الحصر ، فدلت الآية على حصر الموحى إليه صلى الله عليه وسلم في أصله الأعظم الذي هو لا إله إلا الله ؛ لأنها دعوة جميع الرسل ، وغيرها من شرائع الإسلام وفروعها التابعة لها . ولهذا صار مكذب رسول واحد مكذبا لجميع الرسل ؛ لأنّ دعوتهم واحدة))(١) .

وهكذا يتضح لنا اهتمام الشيخ الأمين رحمه الله ببيان هذه المسألة العظيمة ؛ حيث أقام الأدلة على أنّ الرسل بعثوا بالدعوة إلى توحيد العبادة ، وأنّ أصل دينهم واحد ، وهو مضمون شهادة أن لا إله إلا الله .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كلام في العقيدة التدمرية يؤيد ما قاله الشيخ الأمين رحمه الله ؛ فقد أوضح رحمه الله أنّ جميع الأنبياء على دين الإسلام ، وأنّ رأس الإسلام مطلقا شهادة أن لا إله إلا الله ، وبها بعث الله جميع رسله عليهم الصلاة والسلام (٢) .

---

(١) رحلة الحج ص ١٣٤ .

(٢) انظر العقيدة التدمرية ص ١٦٧ ، ١٧٤ .

المطلب الثاني

الرسل لايعلمون الغيب

علم الغيب من خصائص الألوهية ، وليس من صفات الأنبياء ; لأنهم بشر اصطفاهم الله لتبليغ أوامره ونواهيه ، ولايعلمون من المستقبل إلا ما اطلعهم الله عليه ، وأذن لهم به .

وقد تناول الشيخ الأمين رحمه الله هذا الموضوع بذكر الأدلة التي تؤكد عجز الأنبياء عن الاطلاع على أمور كانت تحصهم ، وأحوال كانوا عاجزين عن معرفة الحقيقة فيها ; فقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو"(١) : ((وهذه الآية الكريمة تدل على أن الغيب لايعلمه إلا الله ، وهو كذلك . لأن الخلق لايعلمون إلا ما علمهم خالقهم جل وعلا . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : من زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية . والله يقول : "قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله"(٢) أخرجه مسلم (٣)))(٤) .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية {٥٩} .

(٢) سورة النمل ، الآية {٦٥} .

(٣) صحيح مسلم ١٥٩/١ .

(٤) أضواء البيان ١٩٥/٢ .

ثمّ ذكر رحمه الله أنّ الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية أن يعلن للناس أنه لايعلم الغيب ، وذلك في قوله : "قل لاأقول لكم عندي خزائن الله ولاأعلم الغيب ولاأقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إليّ"(١) ، ثمّ ساق رحمه الله أمثلة ووقائع حصلت للرسل تدلّ على أنهم لايعلمون من الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه ; فذكر أولا أمثلة ووقائع حصلت لرسولنا صلى الله عليه وسلم تدلّ على أنه لايعلم الغيب ، ثمّ أتبعها بوقائع حصلت لعدد من الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام تدلّ أيضا على أنهم لايعلمون من الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه ; فقال رحمه الله :

((لما رميت عائشة رضي الله عنها بالإفك لم يعلم ; أهي بريئة أم لا ، حتى أخبره الله تعالى بقوله :"أولئك مبرءون مما يقولون"(٢). وقد ذبح إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام عجله للملائكة ، ولاعلم له بأنهم ملائكة حتى أخبروه ، وقالوا له : "إنا أرسلنا إلى قوم لوط"(٣) . ولما جاؤوا لوطا لم يعلم أيضا أنهم ملائكة ، ولذا "سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب" يخاف عليهم من أن يفعل بهم قومه فاحشتهم المعروفة ، حتى قال : "لو أنّ لي بكم قوة

---

(١) سورة الأنعام ، الآية {٥٠} .

(٢) سورة النور ، الآية {٢٦} .

(٣) سورة هود ، الآية {٧٠} .

او آوي إلى ركن شديد" ، ولم يعلم خبرهم حتى قالوا له : "إنا رسل ربك لن يصلوا إليك" الآيات(١) . ويعقوب عليه السلام ابيضت عيناه من الحزن على يوسف ، وهو في مصر لايدري خبره حتى أظهر الله خبر يوسف . وسليمان عليه السلام مع أنّ الله سخر له الشياطين والريح ، ما كان يدري عن أهل مأرب قوم بلقيس حتى جاءه الهدهد ، وقال له : "أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين" الآيات(٢) . ونوح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ما كان يدري أنّ ابنه الذي غرق ليس من أهله الموعود بنجاتهم ، حتى قال: "ربّ إنّ ابني من أهلي وإنّ وعدك الحقّ" الآية (٣) . ولم يعلم حقيقة الأمر حتى أخبره الله تعالى بقوله : "يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين"(٤) . وقد قال تعالى عن نوح في سورة هود : "ولاأقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب" الآية (٥) . والملائكة عليهم الصلاة والسلام لما قال لهم : "أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ما

---

(١) سورة هود ، الآيتان {٨٠-٨١} .

(٢) سورة النمل ، الآيات {٢٢-٢٨} .

(٣) سورة هود ، الآية {٤٥} .

(٤) سورة هود ، الآية {٤٦} .

(٥) سورة هود ، الآية {٣١} .

علمتنا "(١)))(٢) .

ثمّ عقب رحمه الله على هذه الأمثلة بقوله : ((فقد ظهر أنّ أعلم المخلوقات ؛ وهم الرسل ، والملائكة لايعلمون من الغيب إلا ما علمهم الله تعالى ، وهو تعالى يعلم رسله من غيبه ما شاء ؛ كما اشار له بقوله : "وما كان الله ليطلعكم على الغيب ، ولكنّ الله يجتبي من رسله من يشاء"(٣) ، وقوله : "عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا * إلا من ارتضى من رسول" الآية (٤)))(٥) .

وقال رحمه الله في موضع آخر : ((وقد أطلع الله جلّ وعلا نبينا صلى الله عليه وسلم على أمور كثيرة من المغيبات ، حتى إنه قام ذات يوم يخطب في قومه من بعد صلاة الفجر حتى الظهر ، ثمّ صلى الظهر وقام يخطب فيهم حتى صلى العصر ، ثمّ قام يخطب حتى صلى المغرب ، وذكر أمورا كثيرة هائلة في ذلك اليوم ، حفظها من حفظ ، ونسيها من نسي(٦) . وقد أخبر الله جلّ وعلا أنه هو المختص بعلم الغيب ، حيث نفاه عن كلّ أحد سواه ، وأثبته لنفسه ، كما قال

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان {٣١-٣٢} .

(٢) أضواء البيان ٢/١٩٥-١٩٦ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية {١٧٩} .

(٤) سورة الجنّ ، الآيتان {٢٦-٢٧} .

(٥) أضواء البيان ٢/١٩٦-١٩٧ .

(٦) انظر صحيح مسلم ٤/٢٢١٧ .

سبحانه : "قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون"(١)))(٢) .

وقد سئل رحمه الله : أيجوز اطلاق علم الغيب على أحد من الرسل الذين اطلعهم الله على بعض المغيبات كما يطلق على الذي يعلم مسائل الفقه أنه فقيه أم لايجوز ذلك ؟ .

فأجاب رحمه الله على هذا السؤال إجابة مفصلة قال فيها :

((إن" ذلك لايجوز أبدا ؛ لأن" علم الغيب صفة مختصة بالله تعالى . وقد نفاها عن كل" خلقه . وكونه يطلع بعض خلقه على بعض الغيب لايقتضي أن يوصفوا بما وصف به ، وليس هذا من تعظيم الرسل كما يزعم بعضهم ، بل إن" تعظيم الرسل في نفي علم الغيب عنهم ؛ لأنهم هم الذين أخبرونا أن" علم الغيب مختص" بالله تعالى ، وأنهم لايعلمون إلا ما علمهم به هو . وفرق بعيد بين ما ذكر من كون من يعلم بعض المسائل الفقهية يطلق عليه أنه فقيه ، وبين من أطلعه الله على بعض الغيب ؛ فإن" الأول علم مسائل الفقه بملكة راسخة فيه يستطيع بها أن يصل إلى علم المسائل باستمرار . أما الثاني فلا طريق له إلى الوصول إلى علم الغيب فيه إلا ما أخبره الله به . وهذا آخر الرسل وأفضلهم : نبينا صلى الله عليه وسلم يقول الله

---

(١) سورة النمل ، الآية {٦٥} .

(٢) معارج الصعود ص ١٠٢ .

تعالى عنه : "قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون"(١) . والله جلّ وعلا يخاطب خلقه بقوله : "ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا"(٢) : فهل فطن الذين يزعمون أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم علم كلّ المغيبات لهذه الآيات وأمثالها مما يصعب حصره ، ثمّ هو صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع في آخر حياته يقول : "لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي ولجعلتها عمرة"(٣) .

وقد سبق أنّ الله تعالى أطلعه على كثير من المغيبات ، ومما أخبر به ووقع ما جاء في صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال : "والذي نفسي بيده لتتركنّ القلاص(٤) فلا يسعى عليها"(٥). ومن أكثر الناس حفظا ورواية لما أخبر به النبيّ صلى الله عليه وسلم من المغيبات : حذيفة وأبو هريرة رضي الله عنهما))(٦) .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية {١٨٨} .
(٢) سورة الإسراء ، الآية {٨٥} .
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١٢٨/٨ . ومسلم في صحيحه ٨٧٩/٢ ، من حديث عائشة رضي الله عنها .
(٤) القلوص من النوق : الشابة . وهي من النوق بمنزلة الجارية من النساء . وجمعها قلص - بضمتين - ، وقلائص . وجمع القلص : قلاص .
(مختار الصحاح للرازي ص ٥٤٨) .
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ١٣٦/١ ، من حديث أبي هريرة ، وقد ذكره الشيخ الأمين رحمه الله بالمعنى ، وليس فيه والذي نفسي بيده .
(٦) معارج الصعود ص ١٠٣-١٠٤ . وانظر : المصدر نفسه ص ١١٢ . وأضواء البيان ٣٤٠/٢ . ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب - الملحق بأضواء البيان ٣٠٢/١٠ - .

المطلب الثالث

عصمة الأنبياء

الله سبحانه وتعالى اصطفى لرسالته وتبليغها أفضل خلقه ، وأكملهم خلقا وخلقا ، وعصمهم من الزلات والخطايا ، وبرأهم من كلّ عيب مشين ، حتى يؤدوا أمانة الوحي إلى أممهم .

والأنبياء هم قدوة البشر ، وطرق الهدى ، ومصابيح الدجى ; فهم الهداة الذين أمرنا الله بالاقتداء بهم ; قال تعالى : "وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين"(١) ، وقال تعالى : "أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده"(٢) .

وقد أوضح الشيخ الأمين رحمه الله هذه المسألة ، وأبان التفصيل فيها مبينا الإجماع على القول بعصمتهم في التبليغ ، وذاكرا الخلاف في عصمتهم من الصغائر ، ومؤكدا أنّ الصغائر إذا صدرت منهم فإنهم سرعان ما يتوبون إلى الله وينيبون إليه ، فتكون كأن لم تكن ، وينالون بذلك منزلة أعلى من منزلتهم السابقة : فقال رحمه الله : ((واعلم أنّ جميع العلماء أجمعوا على عصمة

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية {٧٣} .

(٢) سورة الأنعام ، الآية {٩٠} .

الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في كلّ ما يتعلق بالتبليغ .

واختلفوا في عصمتهم من الصغائر التي لاتعلق لها بالتبليغ اختلافا مشهورا معروفا في الأصول . ولاشك أنهم صلوات الله عليهم وسلامه إن وقع منهم بعض الشيء فإنهم يتداركونه بصدق الإنابة إلى الله حتى يبلغوا درجة أعلى من درجة من لم يقع منه ذلك ، كما قال هنا : "وعصى آدم ربه فغوى" ، ثم اتبع ذلك بقوله : "ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى"(١)))(٢) .

وقال الأمين رحمه الله في موضع آخر بعد أن ذكر أقوال العلماء في عصمة الأنبياء : ((الذي يظهر لنا أنّ الصواب في هذه المسألة أنّ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لم يقع منهم ما يزري بمراتبهم العلية ومناصبهم السامية ، ولايستوجب خطأ منهم ولانقصا فيهم صلوات الله وسلامه عليهم . ولو فرضنا أنه وقع منهم بعض الذنوب فإنهم يتداركون ما وقع منهم بالتوبة والإخلاص وصدق الإنابة إلى الله حتى ينالوا بذلك أعلى الدرجات ، فتكون بذلك درجاتهم أعلى من درجة من لم يرتكب شيئا من ذلك . ومما يوضح هذا قوله تعالى : "وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى"(١) فانظر أي أثر يبقى للعصيان والغيّ بعد توبة الله عليه واجتبائه ؛

---

(١) سورة طه ، الآيتان {١٢١-١٢٢} .

(٢) أضواء البيان ٥٢٢/٤-٥٢٣ .

أي اصطفائه إياه وهدايته له . ولاشك أنّ بعض الزلات ينال صاحبها بالتوبة منها درجة أعلى من درجته قبل ارتكاب تلك الزلة . والعلم عند الله تعالى))(١) .

وقول الشيخ الأمين رحمه الله مطابق تمام المطابقة لما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الذي قال : ((الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه ، وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة ، ولهذا وجب الإيمان بكلّ ما أوتوه ... - إلى أن قال رحمه الله : - وأما العصمة في غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فللناس فيه نزاع . . . . والقول الذي عليه جمهور الناس وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقا))(٢) .

---

(١) أضواء البيان ٥٣٨/٤ .

(٢) فتاوى شيخ الإسلام ٢٨٩/١٠-٢٩٣ . وانظر المصدر نفسه ٣١٩/٤-٣٢٠ .. ١٤٧/١٥-١٤٨ .

المطلب الرابع

أولو العزم من الرسل

أشار الشيخ الأمين رحمه الله إلى أنّ أولي العزم من الرسل خمسة ، هم المذكورون في قوله تعالى : "وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا"(١) .

ولم يرتض رحمه الله قول من قال إنهم جميع الرسل ، بل قال عند تفسير قوله تعالى : "فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل"(٢) : ((اختلف العلماء في المراد بأولي العزم من الرسل في هذه الآية الكريمة اختلافا كثيرا ، وأشهر الأقوال في ذلك أنهم خمسة ، وهم الذين قدمنا ذكرهم في الأحزاب ، والشورى ; وهم نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد عليهم الصلاة والسلام . وعلى هذا القول فالرسل الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصبر كما صبروا أربعة ، فصار هو صلى الله عليه وسلم خامسهم . واعلم أنّ القول بأنّ المراد بأولي العزم جميع الرسل عليهم

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية {٧} .

(٢) سورة الأحقاف ، الآية {٣٥} .

الصلاة والسلام ، وأن لفظة "من" في قوله : "من الرسل" بيانية (١) يظهر أنه خلاف التحقيق ، كما دل على ذلك بعض الآيات القرآنية : كقوله تعالى : "فاصبر لحكم ربك ولاتكن كصاحب الحوت" الآية (٢) ؛ فأمر الله جل وعلا نبيه في آية القلم هذه بالصبر ، ونهاه عن أن يكون مثل يونس ؛ لأنه هو صاحب الحوت . وكقوله : "ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما" (٣) ؛ فآية القلم ، وآية طه المذكورتان كلتاهما تدل على أن أولي العزم من الرسل الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يصبر كصبرهم ليسوا جميع الرسل ، والعلم عند الله تعالى)) (٤) .

وما قرره الشيخ الأمين رحمه الله هو المشهور عند العلماء . قال السفاريني(٥) رحمه الله : ((أهل العزم : أي أهل الثبات والجد من الرسل ، وهم على المشهور : إبراهيم الخليل ، وموسى الكليم ، وعيسى الروح ، ونوح النجي ، فيكونون خمسة بنبينا

---

(١) انظر : لوامع الأنوار البهية ٢٩٩/٢ ؛ فقد ذكر اختلاف العلماء في تحديد أولي العزم من الرسل ، ونقل عن ابن زيد قوله إنهم جميع الرسل .
(٢) سورة القلم ، الآية {٤٨} .
(٣) سورة طه ، الآية {١١٥} .
(٤) أضواء البيان ٤٠٨/٧ . وانظر المصدر نفسه ٥٢٣/٤ ، ٥٧٢/٦ .
(٥) تقدمت ترجمته .

محمد صلى الله عليه وسلم ، وهم المذكورون في قوله تعالى : "وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم"(١) ؛ فإنهم أصحاب الشرائع ، وقدم نبينا صلى الله عليه وسلم تعظيما له ، وتكريما لشأنه . وهؤلاء الذين اجتهدوا في تأسيس الشرائع وتقريرها ، وصبروا على تحمل المشاق من قومهم ، ومعاداة الطاغين فيها))(٢) .

(١) سورة الأحزاب ، الآية {٧} .

(٢) لوامع الأنوار البهية ٢/٢٩٩ .

المطلب الخامس

هل آدم رسول أم نبي

وردت في القرآن أدلة تشعر بأن آدم عليه السلام هو أول الرسل ؛ مثل قوله تعالى : "ولقد بعثنا في كل أمة رسولا"(١) ، وقوله تعالى : "ثم اجتباه ربه"(٢) ، وقوله تعالى : "فإما يأتينكم مني هدى"(٣) .

قال الإمام الطبري(٤) رحمه الله في تفسيره : ((لأن آدم كان هو النبي صلى الله عليه وسلم أيام حياته بعد أن أهبط إلى الأرض والرسول من الله جل ثناؤه إلى ولده ، فغير جائز أن يكون معنيا - وهو الرسول صلى الله عليه وسلم - بقوله : "فإما يأتينكم مني هدى" خطابا له ولزوجته : فإما يأتينكم مني هدى ؛ أنبياء ورسل إلا على ما وصفت من التأويل))(٥) .

وقال القرطبي(٦) رحمه الله : ((سئل رسول الله صلى الله

(١) سورة النحل ، الآية {٣٦} .
(٢) سورة طه ، الآية {١٢٢} .
(٣) سورة البقرة ، الآية {٣٨} .
(٤) تقدمت ترجمته .
(٥) جامع البيان ٢٤٧/١ .
(٦) تقدمت ترجمته .

عليه وسلم عن آدم أنبيٌّ مرسل هو ؟ فقال : "نعم نبيٌّ مكلم"(١) .
قال ابن عطية (٢) : وقد تأول بعض الناس أنّ تكليم آدم كان في الجنة ، فعلى هذا تبقى خاصية موسى))(٣) .

وفي المقابل وردت أدلة تثبت أنّ آدم عليه السلام لم يكن رسولا ؛ منها : قوله تعالى : "كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين"(٤) ، وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة :"فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض"(٥)، وقوله صلى الله عليه وسلم : "أول نبيٍّ أرسل نوح"(٦) .

وقد جمع الشيخ الأمين رحمه الله بين هذين القولين ؛ فقال رحمه الله : ((والظاهر أنه لاطريق للجمع إلا من وجهين : الأول :

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي أمامة ، ولفظه : أنّ رجلا قال : يا رسول الله أنبيٌّ كان آدم ؟ قال :"نعم ، مكلم". (الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان ٢٤/٨) .
(٢) هو العلامة أبو محمد عبدالحقّ بن أبي بكر غالب بن عبدالرحمن ابن عطية المحاربي الأندلسي . كان إماما في الفقه والتفسير واللغة العربية . ولد سنة (٤٨٠) ، وتوفي سنة (٥٤١ هـ) . (انظر : سير أعلام النبلاء ٥٨٦/١٩ . والأعلام ٢٨٢/٣ - إلا أنه ذكر أنه ولد سنة (٤٨١) ، وتوفي سنة (٥٤٢) -) .
(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٧٢/٣ .
(٤) سورة البقرة ، الآية {٢١٣} .
(٥) انظر صحيح مسلم ١٨٤/١-١٨٥ .
(٦) رواه الديلمي في مسنده ، وضعف الألباني إسناده ، وقال : "لكنّ الحديث صحيح ؛ فإنّ له شاهدا قويا عن أبي هريرة مرفوعا" . (انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٨٠/٣) .

أنّ آدم أرسل لزوجه وذريته في الجنه ، ونوح أول رسول أرس في الأرض . ويدلّ لهذا الجمع ما ثبت في الصحيحين وغيرهما .

ويقول : "ولكن ائتوا نوحا ; فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض" الحديث(١) ; فقوله : "إلى أهل الأرض" لو لم يرد به الاحتراز عن رسول بعث لغير أهل الأرض ، لكان ذلك الكلام حشوا ، بل يفهم من مفهوم مخالفته ما ذكرنا ، ويستأنس له بكلام ابن عطية (٢)))(٣) .

ثمّ ذكر رحمه الله الوجه الثاني . فقال : ((إنّ آدم أرسل إلى ذريته وهم على الفطرة لم يصدر منهم كفر فأطاعوه . ونوح هو أول رسول أرسل لقوم كافرين ينهاهم عن الإشراك بالله تعالى ، ويأمرهم بإخلاص العباده له وحده . ويدلّ لهذا الوجه قوله تعالى : "وما كان الناس إلا أمة واحده" الآية (٤) ; أي على الدين الحنيف ، أي حتى كفر قوم نوح . وقوله : "كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين" الآية (٥) ، والله أعلم))(٦) .

وهذا جمع حسن ; وفق الشيخ رحمه الله من خلاله بين أدله

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح ١٧٢/٨ . ومسلم في الصحيح ١٨٤/١ .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٧٢/٣ .

(٣) أضواء البيان ٢٨٦/١ .

(٤) سورة يونس ، الآيه {١٩} .

(٥) سورة البقره ، الآيه {٢١٣} .

(٦) أضواء البيان ٢٨٦/١ .

الفريقين ، ولم يرجح قول أحدهما على الآخر .

وللشيخ حافظ حكمي(١) رحمه الله كلام مماثل للوجه الأخير من كلام الشيخ الأمين رحمه الله ، قال فيه : ((إن" نوحا أول الرسل والنبيين بعد الاختلاف ؛ قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : "إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده "(٢) ؛ لأن" أمته أول من اختلف وغيّر وبدل ، كما قال تعالى : "كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم "(٣) ، وإلا فآدم قبله كان نبيا رسولا ، وكان الناس أمة واحدة على دينه))(٤) .

---

(١) هو العلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي . إمام وعالم سلفي . ولد سنة (١٣٤٢) بقرية السلام بالقرب من جيزان . كان آية في الذكاء وسرعة الحفظ والفهم . توفي سنة (١٣٧٧ هـ) .
(انظر : الأعلام ١٥٩/٢ . والمستدرك على معجم المؤلفين ص ١٨٣) .

(٢) سورة النساء ، الآية {١٦٣} .

(٣) سورة غافر ، الآية {٥} .

(٤) معارج القبول ٩٨/٢ .

المبحث الثاني

حقيقة الخضر

تمهيد :

الخضر هو صاحب موسى عليه السلام الذي ورد ذكره في قوله تعالى : "فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما"(١) . وورد ذكره في السنة ، في قوله صلى الله عليه وسلم : "بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل جاءه رجل فقال : هل تعلم أحدا أعلم منك ؟ قال : لا . فأوحى الله إلى موسى : بلى عبدنا الخضر .." الحديث(٢) .

وقد غلت الصوفية في قصة الخضر ، وجعلت منها مصدرا للوحي والإلهام والعقائد والتشريع : ((فقد زعموا أن الخضر حي إلى أبد الدهر ، وأنه صاحب شريعة وعلم باطني يختلف عن علوم الشريعة الظاهرية ، وأنه ولي وليس بنبي ، وأن علمه علم لدني موهوب له من الله بغير وحي الأنبياء ، وأن هذه العلوم تنزل إلى جميع الأولياء في كل وقت قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد

---

(١) سورة الكهف ، الآية {٦٥} .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٢٦/٤ ، ومسلم في صحيحه ١٨٥٢/٤ .

بعثته ، وأنّ هذه العلوم أكبر وأعظم من العلوم التي مع الأنبياء، بل وعلوم الأنبياء لاتدانيها ولاتضاهيها ؛ فكما أنّ الخضر - وهو وليّ فقط في زعمهم - كان أعلم من موسى ، فكذلك الأولياء من أمة محمد هم أعلم من محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنّ محمدا عالم بالشريعة الظاهرة فقط ، والولي عالم بالحقيقة الصوفية ، وعلماء الحقيقة أعلم من علماء الشريعة . وزعموا كذلك أنّ الخضر يلتقي بالأولياء ويعلمهم هذه الحقائق ، ويأخذ لهم العهود الصوفية ، وأنّ الحقائق الصوفية تختلف عن الحقيقة المحمدية ، ولذلك فلكلّ وليّ شريعته المستقلة ، فما يكون معصية في الشريعة ؛ كشرب الخمر والزنا واللواط قد يكون حقيقة صوفية وقربة إلى الله حسب العلم الباطني . وكذلك في أمر العقائد ومسائل الإيمان فلكلّ وليّ كشفه الخاص ، وعلمه الخاص اللدني الذي قد يختلف مع الوحي النبوي))(١) .

وقد بيّن العلماء(٢) في القديم والحديث حقيقة الخضر ،

---

(١) الفكر الصوفي ص ١٣٣ .

(٢) فمن هؤلاء ابن الجوزي الذي ألف فيه كتابا سماه "عجلة المنتظر في شرح حالة الخضر" ، والحافظ ابن حجر أفرده بكتاب سماه "الزهر النضر في نبأ الخضر" . وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ، وابن القيم في المنار المنيف في الصحيح والضعيف .

وردوا على هذه المزاعم التي يزعمها الزنادقة ، ومن تلاعب بهم الشياطين والهوى .

ومن هؤلاء العلماء : الشيخ الأمين رحمه الله الذي تحدث عن أهم الأمور التي تكتنف حياة الخضر ، من الخلاف في حياته ونبوته ؛ حيث ناقش أدلة القائلين بحياته وعدم نبوته مناقشة دقيقة بالحجج الواضحة ، والأدلة الصريحة . وردّ ما ينسج حوله من قصص خيالية وروايات موضوعة .

وكذا ردّ على من جوز العمل بالإلهام ، وعلى من قال إنّ الولي يسعه الخروج عن الوحي المحمدي كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى . وقد وصف الشيخ الأمين رحمه الله هذا المنيع بأنه زندقة .

المطلب الأول

هل الخضر نبيّ او وليّ ؟

قال الشيخ الامين رحمه الله : ((العلماء مختلفون في الخضر : هل هو نبيّ ، أو رسول ، او وليّ ؟ كما قال الراجز :

واختلفت في خضر اهل العقول قيل نبيّ او وليّ او رسول

وقيل ملك))(١) .

ثمّ رجح رحمه الله نبوته عليه السلام ، ونصر هذا القول ، واستدلّ به وفق طريقته في تفسير القرآن بالقرآن ؛ فقال رحمه الله : ((يفهم من بعض الآيات انّ هذه الرحمة المذكورة هنا رحمة نبوية ، وانّ هذا العلم اللدني علم وحي ، مع العلم بانّ في الاستدلال بها على ذلك مناقشات معروفة عند العلماء .

اعلم اولا : انّ الرحمة تكرر إطلاقها على النبوة في القرآن ، وكذلك العلم المؤتى من الله تكرر إطلاقه فيه على علم الوحي .

فمن إطلاق الرحمة على النبوة قوله تعالى في الزخرف : "وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم * اهم يقسمون رحمة ربك" الآية (٢) ؛ اي نبوته حتى يتحكموا في إنزال القرآن على رجل

---

(١) اضواء البيان ١٥٨/٤ . وانظر شرح النووي على مسلم ١٣٦/١٥ .

(٢) سورة الزخرف ، الآيتان {٣١-٣٢} .

عظيم من القريتين . وقوله تعالى في سورة الدخان : "فيها يفرق كل أمر حكيم * أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين * رحمة من ربك .." الآية (١) . وقوله تعالى في آخر القصص : "وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك .." الآية (٢) . ومن إطلاق إيتاء العلم على النبوة قوله تعالى : "وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما" (٣) ، وقوله : "وإنه لذو علم لما علمناه .." الآية (٤) ، إلى غير ذلك من الآيات)) (٥) .

ثم تابع رحمه الله ذكر أدلته في نصره هذا القول فقال : ((ومعلوم أن الرحمة وإيتاء العلم اللدني أعم من كون ذلك عن طريق النبوة وغيرها . والاستدلال بالأعم على الأخص فيه أن وجود الأعم لايستلزم وجود الأخص كما هو معروف . ومن أظهر الأدلة في أن الرحمة والعلم اللدني اللذين امتن الله بهما على عبده الخضر عن طريق النبوة والوحي قوله تعالى عنه : "وما فعلته عن أمري" (٦) :

---

(١) سورة الدخان ، الآيتان {٤-٥} .

(٢) سورة القصص ، الآية {٨٦} .

(٣) سورة النساء ، الآية {١١٣} .

(٤) سورة يوسف ، الآية {٦٨} .

(٥) أضواء البيان ١٥٨/٤ .

(٦) سورة الكهف ، الآية {٨٢} .

اي وإنمـا فعلته عن أمر الله جل" وعلا ، وأمر الله إنما يتحقق عن طريق الوحي ؛ إذ لاطريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه إلا الوحي من الله جل" وعلا ، ولاسيما قتل الأنفس البريئة في ظاهر الأمر ، وتعييب سفن الناس بخرقها ؛ لأن" العدوان على أنفس الناس وأموالهم لايصح" إلا عن طريق الوحي من الله تعالى . وقد حصر تعالى طريق الإنذار في الوحي في قوله تعالى : "قل إنما انذركم بالوحي"(١) ، وإنما صيغة حصر))(٢) .

وقد ساق رحمه الله أدلة أخرى في تحقيق نبوة الخضر ، أبرزها بقوله : ((ومما يستأنس به للقول بنبوته تواضع موسى عليه الصلاة والسلام له في قوله : "هل اتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا"(٣)، وقوله : "ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا"(٤) ، مع قول الخضر له : "وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا"(٥)))(٦) .

وبعد أن أيد رحمه الله القول بنبوة الخضر عليه السلام بالأدلة

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية {٤٥} .
(٢) أضواء البيان ١٥٨/٤-١٥٩ .
(٣) سورة الكهف ، الآية {٦٦} .
(٤) سورة الكهف ، الآية {٦٩} .
(٥) سورة الكهف ، الآية {٦٨} .
(٦) أضواء البيان ١٦٢/٤ .
وممن قال بنبوته الإمام القرطبي . (انظر الجامع لأحكام القرآن ١٢/١١-١٥) .

الواضحة ، تطرق إلى مسألة خطيرة لها مؤيدوها وتابعوها : ألا وهي مسألة كون الولي يجوز له الخروج عن الطريقة المحمدية بطريقة الإلهام ، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليهما السلام - بزعمهم - . وقد ناقش الشيخ الأمين رحمه الله هذه المسألة مناقشة علمية رصينة ، مبينا تهافت هذه المسألة وسقوط أدلتها ، وقد وصفها بأنها مؤامرة خطيرة للإنحلال من دين الإسلام ، وفتح باب الشر ، وتبرير عمل الزنادقة .

وقد بدأ الشيخ الأمين رحمه الله مناقشته لأصحاب هذا المبدأ الهدام بطرح سؤال على ألسنة أصحاب هذا القول ; فحواه أن علم الخضر كان عن طريق الإلهام ، وأجاب عليه رحمه الله بقوله : ((فالجواب : أن المقرر في الأصول أن الإلهام من الأولياء لايجوز الاستدلال به على شيء لعدم العصمة ، وعدم الدليل على الاستدلال به ، بل ولوجود الدليل على عدم الاستدلال به . وما يزعمه بعض المتصوفة من جواز العمل بالإلهام في حق الملهم دون غيره . وما يزعمه بعض الجبرية أيضا من الاحتجاج بالإلهام في حق الملهم وغيره . جاعلين الإلهام كالوحي المسموع ، مستدلين بظاهر قوله تعالى : "فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام"(١) ، وبخبر : "اتقوا فراسة

---

(١) سورة الأنعام ، الآية {١٢٥} .

المؤمن فإنه ينظر بنور الله "(١) كله باطل لايعول عليه لعدم اعتضاده بدليل ، وغير المعصوم لاثقة بخواطره ؛ لأنه لايأمن دسيسة الشيطان . وقد ضمنت الهداية في اتباع الشرع ، ولم تضمن في اتباع الخواطر والإلهامات . والإلهام في الاصطلاح : إيقاع شيء في القلب يثلج له الصدر من غير استدلال بوحي ولانظر في حجة عقلية ، يختص الله به من يشاء من خلقه . أما ما يلهمه الأنبياء مما يلقيه الله في قلوبهم فليس كإلهام غيرهم ؛ لأنهم معصومون بخلاف غيرهم .

قال في مراقي السعود في كتاب الاستدلال (٢) :

وينبذ الإلهام بالعراء   أعني به إلهام الأولياء

وقد رآه بعض من تصوفا   وعصمة النبي توجب اقتفاء

وبالجملة : فلا يخفى على من له إلمام بمعرفة دين الإسلام أنه لاطريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه ، وما يتقرب إليه به من فعل وترك إلا عن طريق الوحي . فمن ادعى أنه غني في الوصول إلى ما يرضي ربه عن الرسل ، وما جاؤوا به ولو في مسألة واحدة ، فلا شك في زندقته . والآيات والأحاديث الدالة على هذا لاتحصى ، قال تعالى : "وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا" (٣) ، ولم يقل حتى نلقي في

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٩٨/٥ ، رقم ٣١٢٧ . وقال الشيخ الألباني : ضعيف . (انظر : الأحاديث الضعيفة ٢٩٩/٤ ، رقم ١٨٢١) .

(٢) انظر شرح مراقي السعود على أصول الفقه ص ٢٨٨ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية {١٥} .

القلوب إلهاماً . وقال تعالى : "رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل"(١) . وقال : "ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك .." الآية (٢) . والآيات والأحاديث بمثل هذا كثيرة جداً ....

وبذلك تعلم أن ما يدعيه كثير من الجهلة المدعين للتصوف من أن لهم ولأشياخهم طريقاً باطنة توافق الحق عند الله . ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع ، كمخالفة ما فعله الخضر لظاهر العلم الذي عند موسى - زندقة وذريعة إلى الانحلال بالكلية من دين الإسلام بدعوى أن الحق في أمور باطنة تخالف ظاهره))(٣) .

وهكذا يتضح موقف الشيخ الأمين رحمه الله من هذه المسألة الخطيرة ؛ حيث حشد الأدلة الكثيرة الدالة على نبوة الخضر عليه السلام ، وتعقب ما أثاره المتصوفة من الضلالات والانحرافات بالهدم وبيّن بالحجة تهافت أدلتهم ، وما اسندوه من الحكايات والروايات الضعيفة والموضوعة في إثبات حجتهم المفضية إلى الزندقة والخروج من ملة الإسلام .

بارز ٥

مشاركة الشيخ الأمين رحمه الله لعلماء الأمة مشاركة فعالة .

---

(١) سورة النساء ، الآية (١٦٥) .

(٢) سورة طه ، الآية (١٣٤) .

(٣) أضواء البيان ٤/١٥١-١٦٠ .

تدل على رسوخ موقفه في الذود عن حياض العقيدة الصافية ، وهكذا كان رأي العلماء المخلصين ؛ منهم الحافظ ابن حجر(١) رحمه الله الذي قال : ((وكان بعض أكابر العلماء يقول : أول عقدة تحل من الزنادقة(٢) اعتقاد كون الخضر نبيا ؛ لأن الزنادقة يتذرعون بكونه غير نبي ، إلا أن الولي أفضل من النبي كما قال قائلهم :

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي))(٣) .

---

(١) هو الحافظ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني المصري . من كبار المحدثين ، وصاحب التصانيف الكثيرة المشهورة ، منها فتح الباري شرح صحيح البخاري . توفي سنة (٨٥٢ هـ) .
(انظر : شذرات الذهب ٢٧٠/٧) .

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ((لفظ الزنادقة لايوجد في كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، كما لايوجد في القرآن . وهو لفظ أعجمي معرب من كلام الفرس بعد ظهور الإسلام . وقد تكلم به السلف والأئمة في توبة الزنديق ونحو ذلك . والزنديق الذي تكلم الفقهاء في قبول توبته في الظاهر المراد به عندهم المنافق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر ، وإن كان مع ذلك يصلي ويصوم ويحج ويقرأ القرآن ، وسواء كان في باطنه يهوديا أو نصرانيا أو مشركا أو وثنيا ، وسواء كان معطلا للصانع وللنبوة ، أو للنبوة فقط ، أو لنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم فقط : فهذا زنديق ، وهو منافق . وما في القرآن والسنة من ذكر المنافقين يتناول مثل هذا بإجماع المسلمين)).
(نقلا عن لوامع الأنوار البهية ٣٩٤/١) .

(٣) الزهر النضر في نبأ الخضر لابن حجر ص ٢٧ .

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل ١٠ / ٢٠٤ أن البيت المذكور لابن عربي

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلمة تتعلق بمسألتنا هذه ، قال فيها رحمه الله : ((فلفظ الشرع والشريعة إذا أريد به الكتاب والسنة لم يكن لأحد من أولياء الله ولا لغيرهم أن يخرج عنه ، ومن ظنّ أنّ لأحد من أولياء الله طريقا إلى الله غير متابعة محمد صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا ، فلم يتابعه باطنا وظاهرا فهو كافر . ومن احتج في ذلك بقصة موسى مع الخضر كان غالطا من وجهين : أحدهما أنّ موسى لم يكن مبعوثا إلى الخضر ، ولا كان على الخضر اتباعه ؛ فإنّ موسى كان مبعوثا إلى بني إسرائيل ، وأما محمد صلى الله عليه وسلم فرسالته عامة لجميع الثقلين : الجنّ والإنس ، ولو أدركه من هو أفضل من الخضر كإبراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم اتباعه ، فكيف بالخضر سواء كان نبيا أو وليا . ولهذا قال الخضر لموسى : "أنا على علم من علم الله علمنيه الله لاتعلمه ، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لاأعلمه"(١) ، وليس لأحد من الثقلين الذين بلغتهم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول مثل هذا . الثاني : أنّ ما فعله الخضر لم يكن مخالفا لشريعة موسى عليه السلام ، وموسى لم يكن علم الأسباب التي تبيح ذلك ، فلما بينها له وافقه على ذلك))(٢) .

---

(١) رواه البخاري في الصحيح ١٩٨/٤ . ومسلم في الصحيح ١٨٤٧/٤ .

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ١٤١-١٤٢ .
وانظر : الفتاوى ٢٣٢/٢-٢٣٤ ، ٤٢٥/١١ .

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله : ((وأما من يتعلق بقصة موسى مع الخضر عليه السلام في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني الذي يدعيه بعض من عدم التوفيق فهو ملحد زنديق ؛ فإن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثا إلى الخضر ، ولم يكن الخضر مأمورا بمتابعته ، ولهذا قال له : أنت موسى نبي بني إسرائيل ؟ قال : نعم . ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى جميع الثقلين ، ولو كان موسى وعيسى حيّين لكانا من أتباعه ، وإذا نزل عيسى عليه السلام إلى الأرض إنما يحكم بشريعة محمد . فمن ادعى أنه مع محمد صلى الله عليه وسلم كالخضر مع موسى ، أو جوز ذلك لأحد من الأمة فليجدد إسلامه ، وليشهد شهادة الحق ؛ فإنه مفارق لدين الإسلام بالكلية ، فضلا عن أن يكون من أولياء الله ، وإنما هو من أولياء الشيطان . وهذا الموضوع مفرق بين زنادقة القوم وأهل الاستقامة))(١) .

وبهذا تتبيّن دقة فهم الشيخ الأمين رحمه الله لعقيدة السلف رحمهم الله ؛ إذ من قرأ كلماته ، وقرأ كلام السلف رحمهم الله أدرك مدى التوافق والتطابق بين منهج الشيخ رحمه الله ومنهجهم ؛ وهذا يدل على أنهم يردون موردا واحدا ، ويصدرون عن المورد نفسه .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٧٧ .

المطلب الثاني

هل الخضر حيّ أم ميّت ؟

تعرض الشيخ الأمين رحمه الله لهذه المسألة ، وأطال فيها النفس جدا ، وأكثر من الكلام فيها (١) ؛ فذكر اختلاف العلماء في وفاته ، ثم سرد أدلة من قال بأنه حيّ ، وناقش أدلتهم ، وردّ عليها ، ورجح رحمه الله وفاته بعدة براهين وحجج قوية ؛ فقال رحمه الله : ((اعلم أنّ العلماء اختلفوا في الخضر : هل هو حيّ إلى الآن ، أو هو غير حيّ ، بل ممن مات فيما مضى من الزمان ؟ فذهب كثير من أهل العلم إلى أنه حيّ ، وأنه شرب من عين تسمى عين الحياة . وممن نصر القول بحياته : القرطبي في تفسيره (٢) ، والنووي في شرح مسلم (٣) وغيره ، وابن الصلاح (٤) ، والنقاش(٥) ،

---

(١) كتب عن هذه المسألة ما لايقلّ عن ست عشرة صفحة من تفسيره .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ٢٩/١١ .

(٣) انظر شرح النووي على مسلم ١٣٥/١٥ .

(٤) هو الحافظ تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن بن موسى الكردي . من أشهر مؤلفاته كتابه في علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح . ولد سنة (٥٧٧) ، وتوفي سنة (٦٤٣ هـ) .
(انظر : سير أعلام النبلاء ١٤٠/٢٣ . والبداية والنهاية ١٧٩/١٣) .

(٥) هو الحافظ محمد بن علي بن عمر بن مهدي الأصبهاني الخليلي أبو سعيد النقاش . محدث حافظ ، توفي سنة (٤١٤ هـ) .
(انظر : سير أعلام النبلاء ٣٠٧/١٧ . وشذرات الذهب ٢٠١/٣) .

وغيرهم ؛ قال ابن عطية : واطنب النقاش في هذا المعنى ؛ يعني حياة الخضر وبقاءه إلى يوم القيامة ، وذكر في كتابه اشياء كثيرة من علي بن ابي طالب وغيره ، وكلها لاتقوم على ساق . انتهى بواسطة نقل القرطبي في تفسيره (١)))(٢) .

ثمّ ذكر الشيخ الامين رحمه الله انّ اقوى ما يستند عليه من قال بحياته ما ذكره ابن عبدالبر في التمهيد عن عليّ رضي الله عنه قال : "لما توفي النبيّ صلى الله عليه وسلم وسجي بثوب ، هتف هاتف .. إلخ "(٣) ، فذكر الحديث في تعزية الصحابة بالنبيّ صلى الله عليه وسلم ، فكانوا يرون انه الخضر عليه السلام (٤) .

وقد ردّ الشيخ رحمه الله هذا الاثر من وجهين ؛ فقال : ((الاول : انه لم يثبت ذلك بسند صحيح ؛ قال ابن كثير في تفسيره : وحكى النووي وغيره في بقاء الخضر إلى الآن ، ثمّ إلى يوم القيامة قولين ، ومال هو وابن الصلاح إلى بقائه ، وذكروا في ذلك حكايات عن السلف وغيرهم . وجاء ذكره في بعض الاحاديث ، ولايصحّ شيء من ذلك . واشهرها حديث التعزية ، وإسناده ضعيف . ا.هـ(٥) .

---

(١) انظر الجامع لاحكام القرآن ٢٩/١١ .

(٢) اضواء البيان ١٦٣/٤ .

(٣) التمهيد لابن عبدالبر ١٦٢/٢ . ولم يسنده ، ولم يذكر الخضر .

(٤) انظر اضواء البيان ١٦٣/٤ .

(٥) تفسير ابن كثير ٩٩/٣ . وانظر كلام ابو الخطاب بن دحية عن هذا الاثر ص {{٥٠٠}} من هذا البحث .

الثاني : انه على فرض ان" حديث التعزية صحيح ، لايلزم من ذلك عقلا ولاشرعا ولاعرفا ان يكون ذلك المعزي هو الخضر ، بل يجوز ان يكون غير الخضر من مؤمني الجن" ؛ لأن" الجن" هم الذين قال الله فيهم : "إنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم" (١) ، ودعوى ان" ذلك المعزي هو الخضر تحكم بلا دليل . وقولهم : كانوا يرون انه الخضر ليس حجة يجب الرجوع إليها ؛ لاحتمال ان يخطئوا في ظنهم ، ولايدل" ذلك على إجماع شرعي معصوم ، ولامتمسك لهم في دعواهم انه الخضر كما ترى)) (٢) .

ثم" رجح رحمه الله موت الخضر عليه السلام مؤيدا ذلك بعدة ادلة ؛ فقال رحمه الله : ((الذي يظهر لي رجحانه بالدليل في هذه المسالة ان" الخضر ليس بحي" ، بل توفي ، وذلك لعدة ادلة :

الاول : ظاهر عموم قوله تعالى : "وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افإن مت" فهم الخالدون" (٣) ؛ فقوله : "لبشر" نكرة في سياق النفي ؛ فهي تعم" كل" البشر ؛ فيلزم من ذلك نفي الخلد عن كل" بشر من قبله ، والخضر بشر من قبله ، فلو كان شرب من عين الحياة وصار خالدا إلى يوم القيامة لكان

---

(١) سورة الاعراف ، الآية {٢٧} .

(٢) اضواء البيان ٤/١٦٤ .

(٣) سورة الانبياء ، الآية {٣٤} .

الله قد جعل لذلك البشر الذي هو الخضر من قبله الخلد .

الثاني : قوله صلى الله عليه وسلم : "اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لاتعبد في الأرض"(١) ... أي لاتقع عبادة لك في الأرض. فاعلم أنّ ذلك النفي يشمل بعمومه وجود الخضر حيا في الأرض ؛ لأنه على تقدير وجوده حيًّا في الأرض فإنّ الله يعبد في الأرض ، ولو على فرض هلاك تلك العصابة من أهل الإسلام ؛ لأنّ الخضر ما دام حيًّا فهو يعبد الله في الأرض ....

الثالث : إخباره صلى الله عليه وسلم بأنه على رأس مائة سنة من الليلة التي تكلم فيها بالحديث لم يبق على وجه الأرض أحد ممن هو عليها تلك الليلة . فلو كان الخضر حيا في الأرض لما تأخر بعد المائة المذكورة))(٢) .

ثمّ ساق الشيخ الأمين رحمه الله عدة روايات لهذا الحديث ؛ منها ما رواه ابن عمر : "أرأيتكم ليلتكم هذه فإنّ على رأس مائة سنة منها لايبقى ممن هو على ظهرها أحد"(٣) ، ومنها ما رواه أبو سعيد الخدري : "لاتأتي مائة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم"(٤) .

ثمّ ذكر رحمه الله المرجح الرابع والأخير الدالّ على وفاة

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١٣٨٤/٣ .

(٢) أضواء البيان ١٦٤/٤-١٦٦ .

(٣) أخرجه مسلم ١٩٦٥/٤ .

(٤) أخرجه مسلم ١٩٦٧/٤ .

الخضر عليه السلام وعدم بقائه ، فقال : ((الرابع : أنّ الخضر لو كان حيا إلى زمن النبيّ صلى الله عليه وسلم لكان من أتباعه ، ولنصره وقاتل معه ؛ لأنه مبعوث إلى جميع الثقلين الإنس والجنّ ، والآيات الدالة على عموم رسالته كثيرة جدا ؛ كقوله تعالى : "قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا "(١) ، وقوله تعالى : "تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا "(٢) ، وقوله تعالى : "وما أرسلناك إلا كافة للناس"(٣) . ويوضح هذا أنه تعالى بيّن في سورة آل عمران أنه أخذ على جميع النبيين الميثاق المؤكد أنهم إن جاءهم نبينا صلى الله عليه وسلم مصدقا لما معهم أن يؤمنوا به وينصروه ، وذلك في قوله : "وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمننّ به ولتنصرنه . قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا . قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين * فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون"(٤) . وهذه الآية الكريمة على القول بأنّ المراد بالرسول فيها نبينا صلى الله عليه وسلم ؛ كما قال ابن عباس وغيره ؛ فالأمر واضح على أنها عامة ؛ فهو صلى الله عليه

---

(١) سورة الأعراف ، الآية {١٥٨} .

(٢) سورة الفرقان ، الآية {١} .

(٣) سورة سبأ ، الآية {٢٨} .

(٤) سورة آل عمران ، الآيتان {٨١-٨٢} .

وسلم يدخل في عمومها دخولا أوليا . فلو كان الخضر حيا في زمنه لجاءه ونصره وقاتل تحت رايته . ومما يوضح أنه لايدركه نبيٌّ إلا اتبعه ما رواه الإمام أحمد ، وابن أبي شيبة (١) ، والبزار (٢) من حديث جابر رضي الله عنه أنّ عمر رضي الله عنه أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه عليه ، فغضب وقال : "لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لاتسألوهم عن شيء فيخبرونكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به ، والذي نفسي بيده لو أنّ موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني" (٣) اهـ . قال ابن حجر في الفتح : ورجاله موثقون ، إلا أنّ في مجالد ضعفا (٤))) (٥) .

---

(١) هو الإمام أبو بكر عبدالله بن محمد بن القاضي أبي شيبة : إبراهيم بن عثمان العبسي . سيد الحفاظ . صنف المسند والمصنف والتفسير .
(انظر : سير أعلام النبلاء ١٢٢/١١ . والبداية والنهاية ٣٢٨/١٠) .

(٢) هو الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق البصري البزار . صاحب المسند الكبير . من كبار الحفاظ . ولد بعد سنة (٢١٠) ، ومات بالرملة سنة (٢٩٢ هـ) .
(انظر : سير أعلام النبلاء ٥٥٤/١٣ . وشذرات الذهب ٢٠٩/٢) .

(٣) مسند الإمام أحمد ٣٨٧/٣ ، مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه .

(٤) فتح الباري ٣٤٥/١٣ .

(٥) أضواء البيان ١٦٨/٤-١٦٩ .

وقد أورد الشيخ الأمين رحمه الله كلاما للقرطبي في إسقاط ونقض أدلة من قال بوفاة الخضر ، ونصر القول بحياته ، وذكر وجهة نظره وناقشها مناقشة دقيقة أجاب فيها على إشكالاته ، وردّ عليه فيها ؛ فقال رحمه الله : ((واعلم أنّ جماعة من أهل العلم ناقشوا الأدلة التي ذكرنا أنها تدلّ على وفاته ؛ فزعموا أنه لايشمله عموم : "وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد"(١) ، ولاعموم حديث : "أرأيتكم ليلتكم هذه فإنه على رأس مائة سنة لم يبق على ظهر الأرض أحد ممن هو عليها اليوم"(٢) كما تقدم))(٣) .

ثمّ ذكر رحمه الله دعوى القرطبي ومناقشته لأدلة من قال بوفاته بنصها : ((قال أبو عبدالله القرطبي في تفسيره رحمه الله : ولاحجة لمن استدلّ به ؛ يعني الحديث المذكور على بطلان قول من يقول : إنّ الخضر حيّ لعموم قوله : "ما من نفس منفوسة .."(٤) ؛ لأنّ العموم وإن كان مؤكد الاستغراق ليس نصا فيه ، بل هو قابل للتخصيص ، فكما لم يتناول عيسى عليه السلام فإنه لم يمت ولم يقتل ، بل هو حيّ بنصّ القرآن ومعناه ، ولايتناول الدجال مع أنه

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية {٣٤} .

(٢) سبق تخريجه قبل ثلاث صفحات .

(٣) أضواء البيان ١٧١/٤-١٧٢ .

(٤) سبق تخريجه قبل ثلاث صفحات .

حديث

حيّ بدليل حديث الجساسة (١) ، فكذلك لم يتناول الخضر عليه السلام ، وليس مشاهدا للناس ، ولا ممن يخالطهم حتى يخطر ببالهم حالة مخاطبة بعضهم بعضا ، فمثل هذا العموم لايتناوله . وقيل إنّ أصحاب الكهف أحياء ويحجون مع عيسى عليه السلام كما تقدم . وكذلك فتى موسى في قول ابن عباس كما ذكرنا اهـ منه (٢))) (٣) .

ثمّ أجاب رحمه الله عن هذه الإشكالات وتتبعها ، ووصفها بالسقوط ، فقال : ((كلام القرطبي هذا ظاهر السقوط كما لايخفى على من له إلمام بعلوم الشرع ، فإنه اعترف بأنّ حديث النبيّ صلى الله عليه وسلم عام في كلّ نفس منفوسة عموما مؤكدا ؛ لأنّ زيادة "من" قبل النكرة في سياق النفي تجعلها نصا صريحا في العموم لاظاهرا فيه كما هو مقرر في الأصول .... ولو فرضنا صحة ما قاله القرطبي رحمه الله تعالى من أنّ ظاهر العموم لانصّ فيه ، وقررنا أنه قابل للتخصيص كما هو الحقّ في كلّ عامّ ، فإنّ العلماء يجمعون على وجوب استصحاب عموم العامّ حتى يرد دليل مخصص صالح للتخصيص سندا ومتنا . فالدعوى المجردة عن دليل من كتاب أو سنة لايجوز أن يخصص بها نصّ من كتاب أو سنة إجماعا . وقوله : "إنّ

---

(١) أخرجه مسلم ٢٢٦١/٤ .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ٢٩/١١ .

(٣) أضواء البيان ١٧٢/٤ .

عيسى لم يتناوله عموم الحديث" فيه أن" لفظ الحديث من أصله لم يتناول عيسى ؛ لأن" النبي" صلى الله عليه وسلم قال فيه : "لم يبق على ظهر الارض ممن هو بها اليوم أحد "(١) فخصص ذلك بظهر الأرض ، فلم يتناول اللفظ من في السماء ، وعيسى قد رفعه الله من الارض كما صرح بذلك في قوله تعالى : "بل رفعه الله إليه "(٢) ، وهذا واضح كما ترى . ودعوى حياة أصحاب الكهف ، وفتى موسى ظاهرة السقوط ، ولو فرضنا حياتهم فإن" الحديث يدل" على موتهم عند المائة كما تقدم ، ولم يثبت شيء يعارضه . وقوله : "إن" الخضر ليس مشاهدا للناس ، ولاممن يخالطهم حتى يخطر ببالهم حالة مخاطبة بعضهم بعضا " ، يقال فيه : إن" الاعتراض يتوجه عليه من جهتين :

الأولى : أن" دعوى كون الخضر محجوبا عن أعين الناس كالجن" والملائكة دعوى لادليل عليها ، والاصل خلافها ؛ لأن" الاصل أن" بني آدم يرى بعضهم بعضا لاتفاقهم في الصفات النفسية ومشابهتهم فيما بينهم . الثانية : أنا لو فرضنا أنه لايراه بنو آدم ، فالله الذي أعلم النبي" بالغيب الذي هو : "هلاك كل" نفس منفوسة في تلك المائة " عالم بالخضر ، وبأنه نفس منفوسة . ولو سلمنا جدلا أنه فرد نادر لاتراه العيون ، وأن" مثله لم يقصد بالشمول في العموم ؛

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سورة النساء ، الآية {١٥٧} .

فاصح القولين عند علماء الأصول شمول العام والمطلق للفرد النادر والفرد غير المقصود ، خلافا لمن زعم أن الفرد النادر وغير المقصود لايشملهما العام ولا المطلق))(١) .

ثم ذكر رحمه الله اقوال الأصوليين تأييدا لما ذهب إليه ، ثم قال : ((وما ذكره القرطبي في خروج الدجال من تلك العمومات بدليل حديث الجساسة لادليل فيه ؛ لأن الدجال اخرجه دليل صالح للتخصيص ، وهو الحديث الذي اشار له القرطبي ، وهو حديث ثابت في الصحيح من حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها ، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول إنه حدثه به تميم الداري(٢) ، وانه اعجبه حديث تميم المذكور ؛ لانه وافق ما كان يحدث به اصحابه من خبر الدجال ...))(٣) . ثم ساق رحمه الله الحديث بطوله (٤) .

وقد عقب على ذلك بقوله : ((فهذا نص صحيح صريح في أن الدجال حي موجود في تلك الجزيرة البحرية المذكورة في حديث تميم الداري المذكور ، وانه باق ، وهو حي حتى يخرج في آخر الزمان . وهذا نص صالح للتخصيص يخرج الدجال من عموم حديث موت كل نفس في

---

(١) اضواء البيان ١٧٢/٤-١٧٣ .

(٢) هو تميم بن اوس بن خارجة بن سود بن جذيمة اللخمي الداري . صحابي قيل إنه توفي سنة (٦٠ هـ) .

(انظر : الاستيعاب ١٨٤/١ . والإصابة ١٨٣/١-١٨٤) .

(٣) اضواء البيان ١٧٥/٤-١٧٦ .

(٤) سبق تخريجه قبل صفحتين .

تلك المائة . والقاعدة المقررة في الأصول أنّ العموم يجب إبقاؤه على عمومه ; فما أخرجه نصّ مخصص خرج من العموم وبقي العامّ حجة في بقية الأفراد التي لم يدلّ على إخراجها دليل .... وهو الحقّ ومذهب الجمهور . وغالب ما في الكتاب والسنة من العمومات يخرج منها بعض الأفراد بنصّ مخصص ، ويبقى العامّ حجة في الباقي))(١) .

ثمّ ختم الشيخ رحمه الله هذا المبحث بقوله : ((وبهذا كله يتبين أنّ النصوص الدالة على موت كلّ إنسان على وجه الأرض في ظرف تلك المائة ، ونفي الخلد عن كلّ بشر قبله تتناول بظواهرها الخضر ولم يخرج منها نصّ صالح للتخصيص كما رأيت . والعلم عند الله))(٢) .

وبذلك أشبع الشيخ الأمين رحمه الله هذه المسألة بحثا وتحقيقا وأماط اللثام عن جوانبها ، وأسقط رحمه الله ما ذهب إليه القرطبي وغيره من القول بحياة الخضر عليه السلام ، وناقشه مناقشة جيدة .

ويجدر بنا أن نورد بعض أقوال الأئمة الذين حققوا وفاته عليه السلام ، ولم يتقبلوا القصص والروايات التي تشير إلى حياته وبقائه في هذه الدنيا :

---

(١) أضواء البيان ١٧٦/٤ .

(٢) المصدر نفسه ١٧٧/٤ .

فمنهم العلامة ابو الخطاب بن دحية (١) الذي قال : ((.. ولاثبت اجتماع الخضر مع احد من الانبياء إلا مع موسى كما قص الله تعالى من خبرهما . وجميع ما ورد في حياته لايصح منها شيء باتفاق اهل النقل ، وإنما يذكر ذلك من يروي الخبر ولايذكر علته ؛ إما لكونه لايعرفها ، وإما لوضوحها عند اهل الحديث . واما ما جاء عن المشايخ فهو مما يتعجب منه ، كيف يجوز لعاقل ان يلقى شخصا لايعرفه فيقول له : انا فلان ، فيصدقه . واما حديث التعزية الذي ذكره ابو عمر : فهو موضوع))(٢) .

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن الخضر وإلياس ، وهل هما معمران ؟ فاجاب : ((إنهما ليسا في الاحياء ، ولامعمران . وقد سال إبراهيم الحربي(٣) احمد بن حنبل عن تعمير الخضر وإلياس، وانهما باقيان يريان ، ويروى عنهما ، فقال الإمام احمد : من احال على غائب لم ينصف منه ، وما القى هذا إلا الشيطان ، وسئل

---

(١) هو العلامة مجد الدين ابو الخطاب عمر بن حسن بن علي بن الجلميل بن دحية بن خليفة الكلبي . توفي سنة (٦٣٣ هـ) .
(انظر : سير اعلام النبلاء ٣٨٩/٢٢. وشذرات الذهب ١٦٠/٥).

(٢) الزهر النضر في نبا الخضر ص ٤٢-٤٣ .

(٣) هو الإمام إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن إسحاق الحربي . كان إماما في العلم ، راسا في الزهد . ولد سنة (١٩٨ هـ) ، وتوفي (٢٨٥ هـ) .
(انظر : سير اعلام النبلاء ٣٥٦/١٣. وشذرات الذهب ١٩٠/٢).

البخاري عن الخِضر وإلياس : هل هما في الأحياء ؟ فقال : كيف يكون هذا ، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : "لايبقى على راس مائة سنة ممن هو على وجه الأرض أحد"(١) ، وقال أبو الفرج بن الجوزي(٢) : قوله تعالى : "وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد"(٣) ، وليس هما في الأحياء . والله أعلم))(٤) .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : ((وأقوى الأدلة على عدم بقائه عدم مجيئه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانفراده بالتعمير من بين أهل الأعصار المتقدمة بغير دليل شرعيّ))(٥) .

وبهذا يتضح لنا صحة ما ذهب إليه الشيخ الأمين رحمه الله ، ويتبيّن أنّ قوله هو القول الذي ذهب إليه أهل التحقيق من أهل العلم ، وأنّ قول من قال ببقاء الخضر حيا وخلوده قول متهافت لادليل عليه . والله أعلم .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) هو العلامة الواعظ عبدالرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد البكري البغدادي ، المعروف بابن الجوزي . ولد سنة (٥١٠ هـ) وتوفي سنة (٥٩٧ هـ) .
(انظر : الذيل على طبقات الحنابلة ٣٩٩/١ . وشذرات الذهب ٣٢٩/٤) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية {٣٤} .

(٤) الفتاوى ٣٣٧/٤ .

(٥) الزهر النضر في نبأ الخضر ص ١١٥ .

المبحث الثالث

الإيمان بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

تمهيد :

الإيمان بنبوته صلى الله عليه وسلم أصل عظيم من أصول الإيمان فلا يحصل الإيمان إلا بطاعته فيما أمر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، واحترامه ، والاعتقاد بأنه رسول الله إلى الناس كافة ، وأنه أفضل الأنبياء وخاتمهم ، وأنه خليل الرحمن ، وصاحب الشفاعة العظمى والمقام المحمود والحوض المورود ، وأن طاعته من طاعة الله ، ومحبته من محبة الله . وأنه مقدم على النفس والأهل والولد ؛ قال تعالى : "وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا "(١) ، وقال تعالى : "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله "(٢) .

يقول الشيخ الأمين رحمه الله : ((إن جميع حسنات هذه الأمة في صحيفة النبي صلى الله عليه وسلم ، فله مثل أجور جميعهم ؛ لأنه صلوات الله عليه وسلامه هو الذي سن لهم السنن الحسنة جميعها في الإسلام ، نرجو الله له الدرجة الرفيعة ، وأن يصلي ويسلم عليه

---

(١) سورة الحشر ، الآية {٧} .

(٢) سورة آل عمران ، الآية {٣١} .

اتمّ صلاة وازكى سلام))(١) .

وقد اهتمّ رحمه الله ببيان هذا الأصل العظيم في مواضع من مؤلفاته ؛ فاشار إلى عموم رسالته ، ومحبته واحترامه ، واشار إلى حياته البرزخية ، وذكر شيئا من معجزاته العظيمة .

---

(١) أضواء البيان ٢٥٦/٣ .

المطلب الأول

عمـــوم رســـالتـــه صلى الله عليه وسلم

نبينـا محـمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين ، فلا نبـي بعـده ؛ لـذلك فرسالته عالميـة للإنس والجن ، والأبيض والأسـود ، والعربي والعجمي .

وقـد أكـد الشيخ الأمين رحمه الله عموم رسالته صلى الله عليه وسلم ، وسـاق الأدلـة عـلى ذلـك مـن الكتاب الكريم ؛ فقال رحمه اللـه عنـد تفسـير قوله تعالى "وأوحي إلـي هذا القرآن لأنذركم به ومـن بلـغ"(١) : ((صـرح في هذه الآية الكريمة بأنه صلى الله عليه وسلم منذر لكل من بلغه هذا القرآن العظيم كائنا من كان . ويفهم من الآية أن الإنذار به عام لكل من بلغه ، وأن كل من بلغه ولم يـؤمن بـه فهـو في النـار ، وهو كذلك . وأما عموم إنذاره لكل من بلغـه فقـد دلت عليه آيات أخر أيضا ، كقوله : "قل يا أيها الناس إنـي رسول اللـه إليكم جميعا"(٢) ، وقولـه : "وما أرسلناك إلا كافة للنـاس"(٣) ، وقولـه : "تبـارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون

---

(١) سـورة الأنعام ، الآية {١٩} .
(٢) سورة الأعراف ، الآية {١٥٨} .
(٣) سورة سـبأ ، الآية {٢٨} .

للعالمين نذيرا"(١) . وأما دخول من لم يؤمن به النار : فقد صرح به تعالى في قوله تعالى : "ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده"(٢) . وأما من لم تبلغه دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم فله حكم أهل الفترة الذين لم يأتهم رسول . والله أعلم))(٣) .

---

(١) سورة الفرقان ، الآية {١} .

(٢) سورة هود ، الآية {١٧} .

(٣) أضواء البيان ١٨٨/٢ . وانظر : المصدر نفسه ٣٣٤/٢ ،، ١٠٤/٣ ،، ٢٦١/٦ ، ٣٣٧ . ومعارج الصعود ص ٧٤ .

المطلب الثاني

احترام الرسول صلى الله عليه وسلم

بيّن الشيخ الأمين رحمه الله انّ المسلم مطالب باحترام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتادب معه في المخاطبة بأن لايرفع الصوت فوق صوته عليه الصلاة والسلام . وبما انه صلى الله عليه وسلم قد انتقل إلى الرفيق الأعلى ، فقد نبه رحمه الله إلى انّ حرمته في الممات كحرمته في الحياة ؛ فلا ترفع الأصوات عند السلام عليه عند قبره ؛ إذ هذا من المنكرات التي ينبغي إزالتها .

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبيّ ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لاتشعرون"(١) : ((وهذه الآية الكريمة علّم الله فيها المؤمنين ان يعظموا النبيّ صلى الله عليه وسلم ويحترموه ويوقروه فنهاهم عن رفع اصواتهم فوق صوته ، وعن أن يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض ؛ اي ينادون باسمه يا محمد ، يا احمد ، كما ينادي بعضهم بعضا . وإنما امروا ان يخاطبوه خطابا يليق بمقامه ليس كخطاب بعضهم لبعض ؛ كان يقولوا : يا نبيّ الله ، او يا رسول الله ، ونحو ذلك))(٢) .

---

(١) سورة الحجرات ، الآية {٢} .

(٢) أضواء البيان ٦١٥/٧ .

ثمّ اكد رحمه الله انّ هذا الخلق من علامات كمال التقوى ، ومن تمسك به فله الأجر الجزيل من الله ; فقال : ((وقد بيّن تعالى انّ توقيره واحترامه صلى الله عليه وسلم بغضّ الصوت عنده لايكون إلا من الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ; أي أخلصها لها ، وانّ لهم بذلك عند الله المغفرة والأجر العظيم ، وذلك في قوله تعالى : "إنّ الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم"(١)))(٢) .

وانكر رحمه الله ما يحصل عند قبر النبيّ صلى الله عليه وسلم من رفع الأصوات وعدم السكينة ، مبينا انّ احترام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخفض الأصوات عند السلام عليه يكون في حياته وبعد مماته ; فقال رحمه الله : ((ومعلوم إنّ حرمة النبيّ صلى الله عليه وسلم بعد وفاته كحرمته في أيام حياته ، وبه تعلم انّ ما جرت به العادة اليوم من اجتماع الناس عند قبره صلى الله عليه وسلم وهم في صخب ولغط ، واصواتهم مرتفعة ارتفاعا مزعجا كله لايجوز ، ولايليق ، وإقرارهم عليه من المنكر(٣) . وقد شدد عمر رضي

---

(١) سورة الحجرات ، الآية {٣} .

(٢) أضواء البيان ٦١٦/٧ .

(٣) وقد أشار إلى ذلك الإمام ابن القيم رحمه الله بقوله :

أولم يقل من قبلكم للرافعي … الاصوات حول القبر بالنكران

لاترفعوا الاصوات حرمة عبده … ميتا كحرمته لدى الحيوان= =

[illegible] رفعتما اصواتكما في مسجده صلى الله عليه وسلم ، وقال : لو كنتما من اهل المدينة لاوجعتكما ضربا (١))) (٢) .

وانكر الشيخ الأمين رحمه الله ايضا على من يضع يده اليمنى على اليسرى حال السلام عليه صلى الله عليه وسلم ، فقال رحمه الله : ((فلا ينبغي للمسلّم عليه صلى الله عليه وسلم ان يضع يده اليمنى على اليسرى كهيئة المصلي ؛ لأنّ هيئة الصلاة داخلة في جملتها ، فينبغي ان تكون خالصة لله ، كما كان صلى الله عليه وسلم هو واصحابه يخلصون العبادات وهيئتها لله وحده))(٣) .

فالشيخ رحمه الله يحذر المسلمين من هذه المنكرات التي تحدث عند قبره صلى الله عليه وسلم ، ويدعوهم إلى احترامه صلى الله عليه وسلم كما كان يفعل الرعيل الأول رضوان الله عليهم ؛ إذ كانوا من اشدّ الناس موافقة له عليه السلام ، ومن أبعد الناس عن مخالفته او ابتداع ما ليس من دين الله .

= = (انظر توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ١٥٧/٢) .

(١) صحيح البخاري ، ك الصلاة ٩٣/١ .

(٢) اضواء البيان ٦١٧/٧ .

(٣) المصدر نفسه ٦٢٤/٧ .

المطلب الثالث

تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم

اهتمّ الشيخ الأمين رحمه الله ببيان خطورة الغلوّ في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيمه ، وخلع بعض صفات الألوهية أو الربوبية عليه . وقد وصف فاعل ذلك بأنه من أعداء الله ورسوله ، ومن الكاذبين في ادعائهم محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبالمقابل نهى عن الاستخفاف برسول الله والاستهزاء به وترك تعظيمه بما هو أهله . وبيّن أنّ ذلك كفر مخرج من الملة ؛ إذ كلا الطرفين ذميم .

وقد أكد الشيخ رحمه الله أنّ الواجب في حقه احترامه عليه السلام بالامتثال لأوامره ، واجتناب نواهيه ، ووصفه بما يليق به ~~كبشر~~ نه بشر اختصه الله تعالى بالرسالة ؛ فقال رحمه الله : ((اعلم أنّ عدم احترام النبيّ صلى الله عليه وسلم المشعر بالغضّ منه أو تنقصه صلى الله عليه وسلم والاستخفاف به أو الاستهزاء به ردة عن الإسلام وكفر بالله . وقد قال تعالى في الذين استهزؤا بالنبيّ صلى الله عليه وسلم وسخروا منه في غزوة تبوك لما ضلت راحلته : "ولئن سألتهم ليقولنّ إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله

كنتم تستهزئون * لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم"(١)))(٢) .

ثمّ أشار رحمه الله إلى الطرف الآخر ; وهو الغلوّ فيه صلوات الله وسلامه عليه ، فقال : ((واعلم أنّ كلّ عاقل إذا رأى رجلا متدينا في زعمه ، مدعيا حبّ النبيّ صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وهو يعظم النبيّ صلى الله عليه وسلم ويمدحه بأنه هو الذي خلق السموات والأرض ، وأنزل الماء من السماء ، وأنبت به الحدائق ذات البهجة . وأنه صلى الله عليه وسلم هو الذي جعل الأرض قرارا ، وجعل خلالها أنهارا ، وجعل لها رواسي ، وجعل بين البحرين حاجزا ..... فإنّ ذلك العاقل لايشك في أنّ ذلك المادح المعظم في زعمه من أعداء الله ورسوله ، المتعدين لحدود الله))(٣) .

وقد سئل رحمه الله : هل العالم كله مخلوق ومرزوق من بركة النبيّ صلى الله عليه وسلم ؟ فأجاب بأنّ الحكم التي خلق من أجلها العالم ورزق كلها إلهية ربانية ، لانبوية . ثمّ ساق البراهين والأدلة من القرآن الكريم ، والتي تنصّ على أنّ الله خلق الخلق لعبادته ... إلى أن قال رحمه الله في آخر الجواب : ((وعلى كلّ حال فسيدنا وسيد الخلائق كلها محمد صلى الله عليه

---

(١) سورة التوبة ، الآية {٦٥} .

(٢) أضواء البيان ٧/٦١٧-٦١٨ .

(٣) المصدر نفسه ٧/٦٢٤ . (أن ذلك شرك في الربوبية والألوهية معا)

وسلم أعطاه الله جلّ وعلا من التشريف والتعظيم والتكريم وعلوّ الشأن في العالم العلوي والسفلي مما هو ثابت في كتاب الله والسنة الصحيحة ما هو في أشدّ الغنى عن ادعاء تعظيمه بأمور لاأساس لها ، ولامستند لها البتة ، ولم يقل صلى الله عليه وسلم حرفا منها . فعلى المسلم أن يتثبت ويتحفظ ، وألا يقول على نبينا صلى الله عليه وسلم شيئا إلا بعد ثبوت صحته ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم روى عنه سبعون من أصحابه أنه قال : "من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"(١) . وعلى كلّ حال فمن المعلوم الواضح أنه لاينبغي لأحد أن يقول : إنّ فرعون ، وهامان ، وقارون ، وعاقر ناقة صالح ، وأبا جهل ، وأمية بن خلف ، ونحوهم من أئمة الكفر خلقوا من بركة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وكذلك سائر المشركين والكفار ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم خير كله ، ولاينشأ عنه إلا خير محض ، كما لايخفى))(٢) .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١٠/١ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) نقلا عن رسالة مخطوطة صغيرة الحجم ، هي عبارة عن جواب لسؤال ورد عليه من أحد أمراء بلاد شنقيط ، يسأله : هل الخلق مخلوق ومرزوق ببركة النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم ؟ . وقد توسع رحمه الله في الإجابة عن هذا السؤال ، والمخطوطة تقع في إحدى عشرة صفحة .

ثمّ ارشد رحمه الله إلى الواجب على المسلم من معرفة حقّ الله وحقّ رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن المحبة الصادقة والتعظيم المطلوب من العباد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : ((فعلينا معاشر المسلمين أن نتنبه من نومة الجهل ، وأن نعظم ربنا بامتثال أمره ، واجتناب نهيه ، وإخلاص العبادة له ، وتعظيم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم باتباعه والاقتداء به في تعظيم الله والإخلاص له ، والاقتداء به في كلّ ما جاء به . والا نخالفه صلى الله عليه وسلم ولانعصيه ، والا نفعل شيئا يشعر بعدم التعظيم والاحترام ؛ كرفع الأصوات قرب قبره صلى الله عليه وسلم . وقصدنا النصيحة والشفقة لإخواننا المسلمين ليعملوا بكتاب الله ، ويعظموا نبيه صلى الله عليه وسلم تعظيم الموافق لما جاء به صلى الله عليه وسلم ، ويتركوا ما يسميه الجهلة محبة وتعظيما ، وهو في الحقيقة احتقار وازدراء وانتهاك لحرمات الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . "ليس بامانيّكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولايجد له من دون الله وليا ولانصيرا * ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيرا"(١)))(٢) .

---

(١) سورة النساء ، الآيتان {١٢٣-١٢٤} .

(٢) أضواء البيان ٦٢٥/٧ .

وقد أوضح رحمه الله أنّ المحبة الصحيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هي التي تبعث على الاقتداء بهديه ، والاتباع لسنته ، وترك ما يخالف سبيله عليه السلام ، فقال رحمه الله : ((إنّ علامة المحبة الصادقة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم هي اتباعه صلى الله عليه وسلم . فالذي يخالف ويدعي انه يحبه فهو كاذب مفترٍ ؛ إذ لو كان محبا له لأطاعه . ومن المعلوم عند العامة أنّ المحبة تستجلب الطاعة ، ومنه قول الشاعر :

لو كان حبك صادقا لأطعته إنّ المحبّ لمن يحبّ مطيع))(١) .

فالشيخ الأمين رحمه الله يرشد إخوانه المسلمين إلى عدم الإفراط أو التفريط في تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلا يعطى صفات الألوهية ، ولاينقص قدره وحقه من الاحترام والمحبة التي من ابرز علاماتها الاتباع لشرعه وترسم خطاه ، والسير على هديه عليه الصلاة والسلام .

---

(١) أضواء البيان ٣٤٠/١ . انظر ديوان الشافعي ص ٩٢

المطلب الرابع

حياة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في البرزخ

اوضح الشيخ الامين رحمه الله ما يتعلق بحياة نبينا صلى الله عليه وسلم ، مبينا انه وسائر الانبياء احياء عند ربهم حياة برزخية هي اكمل واعلى من حياة الشهداء الذين قال الله فيهم : "ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون" (١) ، وقال عن نبيه صلى الله عليه وسلم مخبرا انه يموت كما يموت البشر : "وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افإن مت فهم الخالدون" (٢) .

فحياته صلى الله عليه وسلم في قبره حياة اكمل من حياة الشهداء ، لكنها ليست كحياته على وجه الأرض ، فهي حياة برزخية لاتزيل عنه اسم الموت ، وهي غير معلومة لنا .

قال الشيخ الامين رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "ولاتقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء" الآية (٣) : ((هذه الآية تدل بظاهرها على أن الشهداء احياء غير اموات ، وقد

---

(١) سورة آل عمران ، الآية {١٦٩} .

(٢) سورة الانبياء ، الآية {٣٤} .

(٣) سورة البقرة ، الآية {١٥٤} .

قال في آية أخرى لمن هو أفضل من كلّ الشهداء ؛ صلى الله عليه وسلم : "إنك ميت وإنهم ميتون"(١) . والجواب عن هذا : أنّ الشهداء يموتون الموتة الدنيوية ، فتورث أموالهم ، وتنكح نساؤهم بإجماع المسلمين . وهذه الموتة هي التي أخبر الله نبيه أنه يموتها صلى الله عليه وسلم . وقد ثبت في الصحيح عن صاحبه الصديق رضي الله عنه أنه قال لما توفي صلى الله عليه وسلم : "بأبي أنت وأمي ، والله لايجمع الله عليك موتتين ؛ أما الموتة التي كتب الله عليك فقد متّها . وقال : من كان يعبد محمدا فإنّ محمدا قد مات"(٢) ، واستدلّ على ذلك بالقرآن ، ورجع إليه جميع أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم . وأما الحياة التي أثبتها الله للشهداء في القرآن ، وحياته صلى الله عليه وسلم التي ثبتت في الحديث أنه يردّ بها السلام على من سلّم عليه (٣) ؛ فكلتاهما حياة برزخية ليست معقولة لأهل الدنيا ؛ أما في الشهداء فقد نصّ تعالى على ذلك بقوله : "ولكن لاتشعرون"(٤) ، وقد فسرها

---

(١) سورة الزمر ، الآية {٣٠} .

(٢) انظر صحيح البخاري ١٩٤/٤ .

(٣) انظر سنن أبي داود ٥٣٤/٢ . وقال النووي (في رياض الصالحين ص ٥٣٠-٥٣١) : "بإسناد صحيح" ، وقال الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح (٢٩١/١) : "وإسناده حسن" .

(٤) سورة البقرة ، الآية {١٥٤} .

النبيّ صلى الله عليه وسلم بأنهم تجعل أرواحهم في حوامل طيور خضر ترتع في الجنة ، وتأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش ، فهم يتنعمون بذلك(١) وأما ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من أنه لايسلم عليه أحد إلا ردّ الله عليه روحه حتى يردّ عليه السلام ، وأنّ الله وكل ملائكة يبلغون سلام أمته (٢) ؛ فإنّ تلك الحياة أيضا لايعقل حقيقتها أهل الدنيا ؛ لأنها ثابتة له صلى الله عليه وسلم ، مع أنّ روحه الكريمة في أعلى عليين مع الرفيق الأعلى فوق أرواح الشهداء ، فتعلق هذه الروح الطاهرة التي هي في أعلى عليين بهذا البدن الشريف الذي لاتأكله الأرض يعلم الله حقيقتها ولايعلمها الخلق ، كما قال في جنس ذلك : "ولكن لاتشعرون" (٣))) (٤) .

ثمّ فنّد بالأدلة والبراهين القوية ما قد يتوهم من أنّ حياته صلى الله عليه وسلم في قبره كحياته في الدنيا ، فقال رحمه الله : ((ولو كانت كالحياة التي يعرفها أهل الدنيا لما قال الصديق رضي الله عنه إنه صلى الله عليه وسلم مات ، ولما جاز

---

(١) انظر صحيح مسلم ١٥٠٣/٣ .

(٢) أخرجه الدارمي في سننه ٤٠٩/٢ . وقال الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح (٢٩١/١) : "وإسناده صحيح . وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي" .

(٣) سورة البقرة ، الآية {١٥٤} .

(٤) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب - الملحق بأضواء البيان ٢٩/١٠-٣٠ - .

دفنه ولانصب خليفة غيره ، ولاقتل عثمان ، ولااختلف أصحابه ، ولاجرى على عائشة ما جرى ، ولسألوه عن الأحكام التي اختلفوا فيها بعده ؛ كالعول ، وميراث الجد والإخوة ، ونحو ذلك . وإذا صرح القرآن بأن الشهداء أحياء في قوله تعالى : "بل أحياء" ، وصرح بأن هذه الحياة لايعرف حقيقتها أهل الدنيا بقوله : "ولكن لاتشعرون" ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أثبت حياته في القبر بحيث يسمع السلام ويرده ، وأصحابه الذين دفنوه صلى الله عليه وسلم لاتشعر حواسهم بتلك الحياة : عرفنا أنها حياة لايعقلها أهل الدنيا أيضا . ومما يقرب هذا للذهن حياة النائم ; فإنه يخالف الحي في جميع التصرفات ، مع أنه يدرك الرؤيا ويعقل المعاني . والله أعلم))(١) .

ثم استشهد رحمه الله بكلام ابن القيم ، فقال : ((قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في كتاب الروح ما نصه : ومعلوم بالضرورة أن جسده صلى الله عليه وسلم في الأرض طري مطرى ، وقد سأله الصحابة : "كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت" ؟ فقال : "إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء"(٢) . ولو لم يكن جسده

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب - الملحق بأضواء البيان ٣١-٣٠/١٠ - .

(٢) أخرجه ابن ماجه ٣٤٥/١ . وأبو داود ٦٣٥/١ ، وليس فيه : "أن تأكل". وقال النووي في رياض الصالحين (ص ٥٣٠): بإسناد صحيح.

في ضريحه لما اجاب بهذا الجواب . وقد صحّ عنه انه خرج بين ابي بكر وعمر ، وقال : "هكذا نبعث"(١) ، هذا مع القطع بانّ روحه الكريمة في الرفيق الاعلى في اعلى عليين مع ارواح الأنبياء . وقد صحّ عنه انه راى موسى يصلي في قبره ليلة الإسراء ، ورآه في السماء السادسة او السابعة (٢) ؛ فالروح كانت هناك ولها اتصال بالبدن في القبر وإشراف عليه وتعلق به بحيث يصلي في قبره ، ويردّ سلام من يسلم عليه ، وهي في الرفيق الاعلى ، ولاتنافي بين الامرين ؛ فإنّ شان الارواح غير شان الابدان))(٣) .

ثمّ عقب رحمه الله بقوله : ((وهو يدلّ على انّ الحياة المذكورة غير معلومة الحقيقة لأهل الدنيا ، قال تعالى : "بل احياء ولكن لاتشعرون"(٤) . والعلم عند الله))(٥) .

---

(١) اخرجه الإمام احمد بعدة اسانيد (في فضائل الصحابة ١/١٠٥ ، ١٦٤ ، ٢٠٢ ، ٣٩٥) بلفظ : دخل النبيّ صلى الله عليه وسلم المسجد ، وابو بكر عن يمينه ، وعمر عن يساره ، وقال : "هكذا نبعث" .

ومدار الاسانيد على سعيد بن مسلمة الاموي ، وهو ضعيف. (انظر تهذيب التهذيب ٤/٨٣-٨٤) .

(٢) انظر صحيح مسلم ١/١٥٠ ، ٤/١٨٤٥ .

(٣) الروح ص ٦٤ .

(٤) سورة البقرة ، الآية {١٥٤} .

(٥) دفع إيهام الاضطراب ١٠/٣١ .

المبحث الرابع

معجزات الأنبياء

تمهيد :

المعجزة كما عرفها الإمام السفاريني رحمه الله هي : ((ما خرق العادة من قول او فعل ، إذا وافق دعوى الرسالة وقارنها وطابقها على جهة التحدي ابتداء ، بحيث لايقدر احد عليها ولا على مثلها و لا على ما يقاربها))(١) .

فالله سبحانه وتعالى أيّد انبياءه بالآيات الدالة على صدقهم فيما جاؤوا به من عند ربهم .

يقول الشيخ الأمين رحمه الله : ((ما ارسل الله من رسول إلا مصحوبا بالمعجزات التي تصدقه وتؤيده . وقد بيّن ذلك الصادق المصدوق بقوله صلى الله عليه وسلم : "ما من الأنبياء من نبيّ إلا اعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي اوتيت وحيا اوحى الله إليّ ، فارجوا ان اكون اكثرهم تابعا"(٢) ; وهو صريح انه ما ارسل الله رسولا إلا ايده بما يدلّ على صدقه ، كما قال تعالى : "تلك القرى نقصّ عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم

---

(١) لوامع الأنوار البهية ٢٩٠/٢ .

(٢) اخرجه البخاري في الصحيح ٩٧/٦ . ومسلم في الصحيح ١٣٤/١ .

بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل"(١) ، وقال تعالى: "لقد ارسلنا رسلنا بالبينات"(٢) . والآيات في ذلك كثيرة جدا))(٣) .

وقال رحمه الله في موضع آخر : ((إنّ من آياته التي يريها بعض خلقه : معجزات رسله ؛ لأنّ المعجزات آيات ؛ اي دلالات ، وعلامات على صدق الرسل ، كما قال تعالى في فرعون : "ولقد اريناه آياتنا كلها فكذب وابى"(٤) . وبيّن في موضع آخر أنّ من آياته التي يريها خلقه : عقوبته المكذبين رسله ؛ كما قال تعالى في قصة إهلاكه قوم لوط : "ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون"(٥) ، وقال في عقوبته فرعون وقومه بالطوفان والجراد والقمل إلخ : "فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات" الآية (٦)))(٧) .

وسوف أذكر بعض معجزات الأنبياء عليهم السلام ، التي تطرق إلى ذكرها الشيخ الامين رحمه الله بادئا بمعجزات نبينا عليه السلام .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية {١٠١} .

(٢) سورة الحديد ، الآية {٢٥} .

(٣) معارج الصعود ص ١٤١-١٤٢ .

(٤) سورة طه ، الآية {٥٦} .

(٥) سورة العنكبوت ، الآية {٣٥} .

(٦) سورة الاعراف ، الآية {١٣٣} .

(٧) اضواء البيان ٧٥/٧ .

المطلب الأول

من معجزات رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم

أولا : القرآن الكريم :

هو معجزة رسولنا صلى الله عليه وسلم الباقية الخالدة التي لاتنقضي عجائبه ; قال تعالى : "لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد"(١) .

وقد أشار الشيخ الأمين رحمه الله إلى أن الله جل وعلا تحدى العرب أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، أو بعشر سور مثله ، أو بسورة مثله ; فقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين"(٢) : ((صرح تعالى في هذه الآية الكريمة أن هذا القرآن لايكون مفترى من دون الله مكذوبا به عليه . وأنه لاشك في أنه من رب العالمين جل وعلا ، وأشار إلى أن تصديقه للكتب السماوية المنزلة قبله ، وتفصيله للعقائد والحلال والحرام ونحو ذلك ، مما لاشك أنه من الله جل وعلا : دليل على أنه غير مفترى ، وأنه لاريب في كونه من رب

---

(١) سورة فصلت ، الآية {٤٢} .

(٢) سورة يونس ، الآية {٣٧} .

العالمين . وبيّن هذا في مواضع أخر كقوله : "لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كلّ شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون"(١) ، وقوله : "وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون"(٢) ، وقوله : "وبالحقّ أنزلناه وبالحقّ نزل"(٣) ، والآيات في مثل ذلك كثيرة .

ثمّ إنه تعالى لما صرح هنا بأنّ هذا القرآن ما كان أن يفترى على الله أقام البرهان القاطع على أنه من الله ؛ فتحدى جميع الخلق بسورة واحدة مثله ، ولاشك أنه لو كان من جنس كلام الخلق لقدر الخلق على الإتيان بمثله ، فلما عجزوا عن ذلك كلهم حصل اليقين والعلم الضروري أنه من الله جلّ وعلا . قال جلّ وعلا في هذه السورة : "أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين"(٤) ، وتحداهم أيضا في سورة البقرة بسورة واحدة من مثله ، بقوله : "وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله" الآية (٥) ، وتحداهم في هود بعشر سور مثله ، بقوله : "أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور

---

(١) سورة يوسف ، الآية {١١١} .

(٢) سورة الشعراء ، الآيتان {٢١٠-٢١١} .

(٣) سورة الإسراء ، الآية {١٠٥} .

(٤) سورة يونس ، الآية {٣٨} .

(٥) سورة البقرة ، الآية {٢٣} .

مثلــه مفتريــات" الآيــة (١) ، وتحــداهم فــي الطــور به كله بقوله : "فليــأتوا بحــديث مثلــه إن كانوا صادقين"(٢) ، وصرح في سورة بني إسـرائيل بعجـز جـميع الخـلائق عـن الإتيان بمثله بقوله : "قل لئن اجـتمعت الإنس والجن" على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولـو كـان بعضهم لبعض ظهيرا"(٣) كما قدمنا ، وبيّـن أنهم لايأتون بمثله أيضا بقوله : "فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا" الآية (٤)))(٥) .

وقـال رحمـه اللـه أيضـا : ((وبيّـن جل" وعلا هنا أن" الإعجاز القـرآني دليـل قطعي وبرهان يقيني على صدق الوحي وصحة الرسالة : "فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله"(٦)))(٧) .

وقـال رحمـه اللـه عند تفسير قوله تعالى : "فأتوا بعشر سور مثلـه"(٨) : ((أي فـي الفصاحـة ، والبلاغة ، وصدق الأخبار ، وعدل الاحكـام ; فـإن" هـذه الأمـور مـع ما يذكر الله من بدائع صنعه من إعجـاز القـرآن إذ لايتجرأ أحد أن يقول أنا خلقت السموات والأرض ،

---

(١) سورة هود ، الآية {١٣} .
(٢) سورة الطور ، الآية {٣٤} .
(٣) سورة الإسـراء ، الآية {٨٨} .
(٤) سورة البقرة ، الآية {٢٤} .
(٥) أضواء البيان ٢/٤٨٣-٤٨٤ . وانظر المصدر نفسه ٢/٢٠٣ .
(٦) سورة هود ، الآية {١٤} .
(٧) معارج الصعود ص ٦٦ .
(٨) سورة هود ، الآية {١٣} .

ونصبت الجبال إلا رمي بالجنون والسفه بخلاف ربّ السموات والأرض جلّ وعلا))(١) .

وقال رحمه الله أيضا عند تفسير قوله تعالى : "تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك"(٢) : ((الإشارة إلى ما مضى من قصص نوح من دعوته قومه إلى عبادة الله ، وعنادهم له ، ومحاورته معهم في شأن أتباعه من المؤمنين ، وصنعه السفينة ، واستهزائهم به . وما جعل الله له من العلامة على إهلاكهم ، وأمره له بحمل المؤمنين ومن كلّ الحيوانات زوجين في السفينة . وما كان من أمره مع ابنه ، وعتاب الله له في ذلك ، ورجوعه وتوبته إلى الله ، ثم ما تبع ذلك من الخاتمة له ولقومه المؤمنين بالسلامة ، والهلاك للكافرين ; أي تلك القصص التي أخبرناك بها من الأمور التي هي غائبة عن الناس ، وفي هذا أعظم معجزة للرسول صلى الله عليه وسلم ; حيث إنه أميّ لايقرأ ولايكتب ، وإذا به يخبر عن غرائب التاريخ التي مضى عليها آلاف السنين بضبط واتقان ، فليست إلا بوحي من الله جلّ وعلا))(٣) .

فيا له من معجزة خالدة على مرّ الأيام والدهور ، لاتنقضي عجائبه ، ولايملّ مع التكرار .

---

(١) معارج الصعود ص ٦٦ .

(٢) سورة هود ، الآية {٤٩} .

(٣) معارج الصعود ص ١٣٠ .

ثانيا : الإسراء والمعراج :

الإسراء والمعراج من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم : أسرى به الله سبحانه وتعالى ليلا من مكة المكرمة إلى بيت المقدس، ثم عرج به إلى السماء ، ووصل إلى سدرة المنتهى .

قال تعالى : "سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا"(١) .

وقد اختلف في كيفية الإسراء ؛ هل هو بالروح ، أم بالروح والجسد معا ؟ وهل كان ذلك يقظة أم مناما(٢) ؟ .

وقد أشار الشيخ الأمين رحمه الله إلى هذا الاختلاف ، ورجح أنه بجسده وروحه ، يقظة لامناما . وقد ذكر عدة مرجحات ، فقال رحمه الله : ((ظاهر القرآن يدل" على أنه بروحه وجسده صلى الله عليه وسلم ، يقظة لامناما ؛ لأنه قال : "بعبده" . والعبد عبارة عن مجموع الروح والجسد ، ولأنه قال : "سبحان" . والتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام . فلو كان مناما لم يكن له كبير شأن حتى يتعجب منه . ويؤيده قوله تعالى : "ما زاغ البصر وما طغى"(٣) ؛ لأن" البصر من آلات الذات لا الروح . وقوله هنا : "لنريه من

---

(١) سورة الإسراء ، الآية {١} .

(٢) راجع فتح الباري ٢٣٧/٧ . وشرح الطحاوية ص ٢٤٥ .

(٣) سورة النجم ، الآية {١٧} .

آياتنا"(١) . ومن أوضح الأدلة القرآنية على ذلك : قوله جلّ وعلا : "وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن"(٢) ; فإنه رؤيا عين يقظة ، لارؤيا منام ، كما صحّ عن ابن عباس وغيره . ومن الأدلة الواضحة على ذلك : أنها لو كانت رؤيا منام لما كانت فتنة ولاسببا لتكذيب قريش ; لأنّ رؤيا المنام ليست محلّ إنكار ; لأنّ المنام قد يرى فيه ما لايصحّ ، فالذي جعله الله فتنة هو ما رآه بعينه من الغرائب والعجائب ، فزعم المشركون أنّ من ادعى رؤية ذلك بعينه فهو كاذب لامحالة ، فصار فتنة لهم . وكون الشجرة الملعونة التي هي شجرة الزقوم على التحقيق فتنة لهم أنّ الله لما أنزل قوله : "إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم"(٣) . قالوا : ظهر كذبه لأنّ الشجر لاينبت بالأرض اليابسة ، فكيف ينبت في أصل النار ..... وركوبه صلى الله عليه وسلم على البراق يدلّ على أنّ الإسراء بجسمه ; لأنّ الروح ليس من شأنه الركوب على الدوابّ كما هو معروف . وعلى كلّ حال : فقد تواترت الأحاديث الصحيحة عنه أنه أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وأنه عرج به من المسجد الأقصى حتى جاوز السموات السبع . وقد دلت

---

(١) سورة الإسراء ، الآية {١} .

(٢) سورة الإسراء ، الآية {٦٠} .

(٣) سورة الصافات ، الآية {٦٤} .

الأحاديث المذكورة على أنّ الإسراء والمعراج كليهما بجسمه وروحه يقظة لا مناما (١) ، كما دلت على ذلك أيضا الآيات التي ذكرنا . وعلى ذلك من يعتدّ به من أهل السنة والجماعة (٢) ، فلا عبرة بمن أنكر ذلك من الملحدين)) (٣) .

ثمّ أجاب رحمه الله على حديث شريك ، عن أنس رضي الله عنه ، والذي فيه أنّ الإسراء كان مناما ، فقال رحمه الله : ((وما ثبت في الصحيحين من طريق شريك ، عن أنس رضي الله عنه أنّ الإسراء المذكور وقع مناما (٤) لاينافي ما ذكرنا مما عليه أهل السنة والجماعة ، ودلت عليه نصوص الكتاب والسنة لإمكان أن يكون رأى الإسراء المذكور نوما ، ثمّ جاءت تلك الرؤيا كفلق الصبح ، فأسرى به يقظة تصديقا لتلك الرؤيا المنامية ; كما رأى في النوم أنهم دخلوا المسجد الحرام ، فجاءت تلك الرؤيا كفلق الصبح ، فدخلوا المسجد الحرام في عمرة القضاء عام سبع يقظة لامناما تصديقا لتلك

---

(١) انظر صحيح البخاري ٩١/١ .. ٧٧/٨ . وصحيح مسلم ١٤٥/١ وما بعدها .

(٢) انظر : عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي ص ٨٠ . ولمعة الاعتقاد ص ٢٤ . وكلام الطحاوي في شرح الطحاوية ص ٢٤٥ . والشريعة للآجري ص ٤٩٠ . وشرح النووي على صحيح مسلم ٢٠٩/٢ .

(٣) أضواء البيان ٣٩١/٣-٣٩٣ .

(٤) حديث شريك أخرجه البخاري في صحيحه ٢٠٣/٨ . ومسلم في صحيحه ١٤٨/١ .

الرؤيا ، كما قال تعالى : "لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق" لتدخلن" المسجد الحرام إن شاء الله آمنين .." الآية (١) . ويؤيد ذلك حديث عائشة الصحيح : "فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح"(٢) ، مع ان" جماعة من أهل العلم قالوا : إن" شريك بن عبدالله بن ابي نمر ساء حفظه في تلك الرواية المذكورة عن انس ، وزاد فيها ونقص ، وقدم واخر . ورواها عن انس غيره من الحفاظ على الصواب ، فلم يذكروا المنام الذي ذكره شريك المذكور(٣) . وانظر رواياتهم باسانيدها ومتونها في تفسير ابن كثير(٤) رحمه الله تعالى ; فقد جمع طرق حديث الإسراء جمعا حسنا باتقان))(٥) .

ثالثا : إخباره عن ترك الإبل ، وتعطيلها آخر الزمان :

ذكر الشيخ الأمين رحمه الله حديث ابي هريرة انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "والله لينزلن" ابن مريم حكما

---

(١) سورة الفتح ، الآية {٢٧} .

(٢) اخرجه البخاري في صحيحه ٣/١ .

(٣) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ٢٠٩/٢-٢١٠ . وزاد المعاد لابن القيم ٤٢/٣ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ٢/٣-٢٢ .

(٥) أضواء البيان ٣٩٣/٣-٣٩٤ .

عادلا ، فليكسرن الصليب ، وليقتلن الخنزير ، وليضعن الجزية . ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها ، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد ، وليدعون إلى المال ، فلا يقبله احد "(١) .

ثم قال رحمه الله معلقا على هذا الحديث : ((ومحل الشاهد من هذا الحديث الصحيح : قوله صلى الله عليه وسلم : "ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها" ; فإنه قسم من النبي صلى الله عليه وسلم أنه ستترك الإبل فلا يسعى عليها . وهذا مشاهد الآن للاستغناء عن ركوبها بالمراكب المذكورة . وفي الحديث معجزة عظمى تدل على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم . وإن كانت معجزاته صلوات الله عليه وسلامه اكثر من ان تحصر))(٢) .

وكما قال الشيخ الأمين رحمه الله فإن معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم اكثر من ان تحصر ، لكن لما لم يذكر الشيخ الأمين رحمه الله سوى هذه المعجزات اقتصرت على ما ذكره رحمه الله .

---

(١) اخرجه مسلم في صحيحه ١/١٣٦ .

(٢) اضواء البيان ٣/٢١٩ . وقال الشيخ رحمه الله قبل ذلك في ص ١٨ عند قوله تعالى (ويخلق ما لا تعلمون) (وقد شوهد ذلك في إنعام الله على عباده بمركوبات لم تكن معلومة وقت نزول الآية كالطائرات والقطارات والسيارات ،

المطلب الثاني

من معجزات موسى عليه السلام

قال الشيخ الأمين رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات" الآية (١) : ((قال بعض أهل العلم : هذه الآيات التسع هي العصا ، واليد ، والسنون ، والبحر ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم آيات مفصلات(٢) . وقد بيّن جلّ وعلا هذه الآيات في مواضع أخر ؛ كقوله : "فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين * ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين"(٣) ، وقوله : "ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات" الآية (٤) ، وقوله : "فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كلّ فرق كالطود العظيم"(٥) ، وقوله : "فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات"(٦) ، إلى غير ذلك من الآيات المبينة لما ذكرنا .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية {١٠١} .
(٢) ذكره القرطبي عن ابن عباس ، والضحاك ، إلا أنه قال : "اللسان" بدل "السنون" .
(٣) سورة الشعراء ، الآيتان {٣٢-٣٣} .
(٤) سورة الأعراف ، الآية {١٣٠} .
(٥) سورة الشعراء ، الآية {٦٣} .
(٦) سورة الأعراف ، الآية {١٣٣} .

وجعل بعضهم الجبل بدل السنين(١) ، وعليه فقد بيّن ذلك بقوله تعالى : "وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة "(٢) ، ونحوها من الآيات))(٣) .

---

(١) ذكره القرطبي عن مالك . (انظر الجامع لأحكام القرآن ٢١٧/١٠) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية {١٧١} .

(٣) أضواء البيان ٦٣٢/٣ . وانظر معارج الصعود ص ٢٣٥ .

المطلب الثالث

من معجزات صالح عليه السلام

قال الشيخ الأمين رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية "(١) : ((الكلام يدل على أنهم اقترحوا عليه أن يأتيهم بمعجزة ، وبالأخص الناقة ; فقالوا : أخرج لنا ناقة عظيمة عشراء من الجبل أو الصخرة تدل على صدق دعواك الرسالة . فصلى ركعتين ودعا الله ، فاضطربت الصخرة ، حتى خرجت منها الناقة العشراء الجوفاء العظيمة ، فكانت المواشي تشرد منها فتشرب جميع المياه ، ويسقيهم كلهم من لبنها ، واليوم الآخر تترك المياه فتستقي مواشيهم ; كما قال تعالى : "قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم "(٢) ، وقال تعالى : "ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر "(٣) ، وقال تعالى : "ومنعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا "(٤)))(٥) .

---

(١) سورة هود ، الآية {٦٤} .

(٢) سورة الشعراء ، الآية {١٥٥} .

(٣) سورة القمر ، الآية {٢٨} .

(٤) سورة الإسراء ، الآية {٥٩} .

(٥) معارج الصعود ص ١٦٢ .

وقال رحمه الله في موضع آخر : ((فأخرج الله الناقة من تلك الصخرة معجزة لصالح ، وفتنة لهم ؛ أي ابتلاء واختبارا ، وذلك أنّ تلك الناقة معجزة عاينوها ، وأنّ الله حذرهم على لسان نبيه صالح من أن يمسوها بسوء ، وأنهم إن تعرضوا لها بأذى أخذهم الله بعذابه))(١) .

وقد ذكر الأمين رحمه الله أنها معجزة لكونها خرجت من الصخرة لا لكونها تشرب كلّ الماء ، أو لكثرة لبنها .

وذكر رحمه الله أيضا أنّ قوما يزعمون أنّ فصيل الناقة هو الدابة التي تخرج آخر الزمان ، ثمّ بيّن عدم صحة ذلك ، فقال : ((وكلّ ذلك قصص لامعول عليها . ولاثبوت لها ، والله أعلم بقصة الفصيل ؛ لأنّ القرآن لم يبيّن ما كان مصيره ، ولم يبيّنه . ولم يثبت خبره بوحي صحيح ، وإنما هي روايات يحكيها المورخون والمفسرون))(٢) .

---

(١) أضواء البيان ٧/٧٢١ .

(٢) ذكره رحمه الله في الشريط رقم {٣} ، من تفسير سورة الأعراف ، عند تفسير قوله تعالى : "هذه ناقة الله لكم آية " (الأعراف ، الآية ٧٣) .

الفصل الرابع

جهود الشيخ الأمين في توضيح اليوم الآخر

وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول

بعض أشراط الساعة

المطلب الأول : نزول عيسى .

المطلب الثاني : ياجوج وماجوج .

المطلب الثالث : بعض العلامات الصغرى .

المبحث الثاني

القبر

المطلب الأول : عذاب القبر .

المطلب الثاني : سماع الموتى .

المبحث الثالث

البعث

المطلب الأول : براهين البعث .

المطلب الثاني : الحشر .

المبحث الرابع

الميزان

المبحث الخامس

الصراط

المبحث السادس

الجنة

المطلب الأول : نعيمها وبقاؤها .

المطلب الثاني : رؤية المؤمنين ربهم في الجنة .

المطلب الثالث : هل رأى رسول الله ربه ليلة المعراج .

المبحث السابع

النار

المطلب الأول : عذابها .

المطلب الثاني : الرد على من قال بفنائها .

الفصل الرابع

جهود الشيخ الأمين رحمه الله في توضيح عقيدة السلف

في اليوم الآخر

تمهيد :

الإيمان باليوم الآخر أصل من أصول الإيمان الذي لايتمّ إيمان العبد إلا به ، فمن أنكره فقد كفر ; قال تعالى : "ليس البرّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكنّ البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين"(١) ، وقال تعالى : "ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالا بعيدا"(٢) .

وقد عده رسول الله صلى الله عليه وسلم من أركان الإيمان في حديث جبريل المشهور ، فقال : "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره"(٣) .

ومن مقدمات اليوم الآخر ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يكون قبل الموت من أشراط الساعة وأماراتها ، وما

---

(١) سورة البقرة ، الآية {١٧٧} .

(٢) سورة النساء ، الآية {١٣٦} .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٣٧/١ .

يكون بعد الموت من فتنة القبر ونعيمه وعذابه ، والنفخ في الصور ، والبعث ، والنشور ، والحشر ، والحوض ، والميزان ، والصراط ، والجنة ، والنار ، ورؤية الله سبحانه وتعالى في الجنة ، وغير ذلك من أحوال الآخرة التي أخبرنا الله ورسوله عنها ، والتي ينبغي على العبد تصديقها ، والعمل بما يجلب مرضاة الله ، ويجنب سخطه ؛ قال تعالى : "اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولاتعثوا في الأرض مفسدين"(١) ، وقال تعالى : "إنما توعدون لصادق * وإن الدين لواقع"(٢) .

وقد اهتم الشيخ الأمين رحمه الله بهذا الركن العظيم ، فأشار في ثنايا مؤلفاته إلى كثير من أحوال اليوم الآخر ، وفصّل في بعضها ، وأجمل في البعض الآخر . ومما فصّل فيه رحمه الله من هذه الأحوال : سماع الموتى ، والبعث ، والصراط ، وأبدية النار ، والرد على من قال بفنائها ، وبرؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة .

وسوف أرتب ما ذكره الشيخ رحمه الله عن اليوم الآخر كما يمر بها العبد في رحلته إلى دار القرار .

وقد وصف رحمه الله رحلة الإنسان من بدء خلقه إلى استقراره في

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية {٣٦} .

(٢) سورة الذاريات ، الآيتان {٥-٦} .

إحدى الدارين في الآخرة ، موضحا سبب تسميتها بالدار الآخرة ؛ فقال رحمه الله : ((وإنما قيل لتلك الدار : الدار الآخرة ؛ لأنها هي آخر المنازل ، فلا انتقال عنها البتة إلى دار أخرى . والإنسان قبل الوصول إليها ينتقل من محلّ إلى محلّ ؛ فأول ابتدائه من التراب ، ثمّ انتقل من أصل التراب إلى أصل النطفة ، ثمّ إلى العلقة ، ثمّ إلى المضغة ، ثمّ إلى العظام ، ثمّ كسا الله العظام لحما ، وأنشأها خلقا آخر ، وأخرجه للعالم في هذه الدار ، ثمّ ينتقل إلى القبر ، ثمّ إلى الحشر ، ثمّ يتفرقون "يومئذ يصدر الناس أشتاتا"(١) ، فسالك ذات اليمين إلى الجنة ، وسالك ذات الشمال إلى النار ، "ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون * فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون * وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون"(٢) ، فإذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، فعند ذلك تلقى عصا التسيار ، ويذبح الموت ، ويقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت . ويبقى ذلك دائما لا انقطاع له ولاتحول عنه إلى محلّ آخر . فهذا معنى وصفها بالآخرة ؛ كما أوضحه جلّ وعلا بقوله : "ولقد خلقنا الإنسان من سلالة

---

(١) سورة الزلزلة ، الآية {٦} .

(٢) سورة الروم ، الآيات {١٤-١٦} .

من طين * ثم" جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم" خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم" انشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * ثم" إنكم بعد ذلك لميتون * ثم" إنكم يوم القيامة تبعثون"(١)))(٢) .

(١) سورة المؤمنون ، الآيات {١٢-١٦} .

(٢) أضواء البيان ٣/٢٦٣-٢٦٤ . وانظر المصدر نفسه ٥/٤٢ . ومعارج الصعود ص ١٥٢ .

وهذا المعنى موجود بصوت الشيخ رحمه الله في الشريط رقم {٩} من تفسير سورة الأنعام ، عند تفسير قوله تعالى : "والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به" (سورة الأنعام ، الآية ٩٢) .

المبحث الأول

بعض اشراط الساعة

تمهيد :

الساعة من الغيب الذي استاثر الله تعالى بعلمه ، ولم يطلع عليه لا ملكا مقربا ، ولانبيا مرسلا ؛ قال تعالى : "يسالونك عن الساعة ايان مرساها قل إنما علمها عند ربي لايجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والارض لاتاتيكم إلا بغتة "(١) .

ومن الاحاديث الدالة على ذلك حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بشهر : "تسالونني عن الساعة ، وإنما علمها عند الله ، واقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة تاتي عليها مائة سنة "(٢) . وكذا حديث جبريل المشهور حين قال للنبيّ صلى الله عليه وسلم : فاخبرني عن الساعة ؟ فقال : "ما المسؤول عنها باعلم من السائل "(٣) .

فكل هذه النصوص تدلّ على أنّ الساعة لايعلمها إلا الله وحده .

---

(١) سورة الاعراف ، الآية {١٨٧} .

(٢) اخرجه مسلم في الصحيح ١٩٦٦/٤ .

(٣) اخرجه مسلم في الصحيح ٣٧/١ .

وهـذا ما أوضحه الشيخ الأمين رحمه الله بقوله عند تفسير قوله تعالى :"قل إنما علمها عند ربي لايجليها لوقتها إلا هو" الآية (١) : ((هـذه الآيـة الكريمـة تدل" على أن" وقت قيام الساعة لايعلمها إلا اللـه جل" وعلا ، وقـد جـاءت آيات أخر تدل" على ذلك أيضا كقوله تعالى : "يسألونك عن الساعة أيان مرسـاها * فيم أنت من ذكراها * إلـى ربـك منتهاها "(٢) ، وقوله : "وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هـو "(٣) . وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنها الخمس المذكـورة فـي قولـه تعـالى : "إن" اللـه عنـده علـم الساعة " الآية (٤)))(٥) .

وإذا كـان الله سبحانه وتعالى قد أخفى السـاعة عن الخلق فقد جـعل لهـا علامات تدل" على قرب وقوعها ، وردت في كتاب الله وسـنة رسـول الله صلى الله عليه وسـلم .

وقـد قسـم العلمـاء هـذه العلامات إلى علامات صغرى ، وعلامات كبرى ، وهي كثيرة جـدا .

وقد أشـار الشيخ رحمه الله إلى بعض هذه العـلامـات :

---

(١) سورة الأعراف ، الآية {١٨٧} .
(٢) سورة النـازعات ، الآيات {٤٢-٤٤} .
(٣) سورة الأنـعام ، الآية {٥٩} .
(٤) سورة لقمان ، الآية {٣٤} .
(٥) أضواء البيان ٣٣٩/٣ . وانظر المصدر نفسـه ٦٠٤/٦ .

المطلب الأول

نزول عيسى عليه السلام

من أشراط الساعة الكبرى : نزول عيسى عليه السلام من السماء حكما عدلا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الدجال والخنزير ، ويضع الجزية ، ويحكم بشريعة الإسلام . ويظهر يأجوج ومأجوج فيدعو عليهم فيموتوا ببركة دعائه (١) .

ثمّ يمكث في الأرض سبع سنين (٢) ، فينتشر الأمن في الأرض ، وتظهر الارض بركاتها ; قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "والذي نفسي بيده ليوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لايقبله احد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها" (٣) .

وقد تحدث الشيخ الأمين رحمه الله عن نزول عيسى عليه السلام ، وأنه من علامات الساعة ; فقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "وإنه لعلم للساعة فلا تمترنّ بها" (٤) : ((التحقيق أنّ الضمير في

---

(١) انظر : النهاية لابن كثير ١٩٤/١ . وشرح الطحاوية ص ٥٦٥ .

(٢) راجع صحيح مسلم ٢٢٥٨/٤-٢٢٥٩ .

(٣) صحيح البخاري ١٤٣/٤ .

(٤) سورة الزخرف ، الآية {٦١} .

قوله "وإنه" راجع إلى عيسى ، لا إلى القرآن ، ولا إلى النبي" صلى الله عليه وسلم . ومعنى قوله : "العلم للساعة" على القول الحق الصحيح الذي يشهد له القرآن العظيم والسنة المتواترة هو أن نزول عيسى في آخر الزمان حياً علم للساعة ؛ أي علامة لقرب مجيئها ؛ لأنه من أشراطها الدالة على قربها))(١) .

وقد تطرق الأمين رحمه الله عند ذكره لنزول عيسى عليه السلام إلى شبهة يعتقدها من لاتحقيق عندهم بزعمهم أن عيسى قد توفي(٢) مثل اعتقاد ضلال اليهود والنصارى ، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى : "إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي" "(٣) ، وبقوله تعالى : "فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم"(٤) .

وقد رد رحمه الله هذا الفهم ، وبين أنه لا دلالة في الآيتين على أن عيسى عليه السلام قد توفي .

وقد استعان الشيخ الأمين رحمه الله في رد مفهومهم بعلوم اللغة أثناء تفسيره لهاتين الآيتين ، وذكر اختلاف أهل الأصول في

---

(١) أضواء البيان ٢٦٣/٧ .

(٢) انظر كلام الشيخ محمد عبده في تفسير المنار ٣١٦/٣-٣١٧ ، والشيخ محمود شلتوت في الفتاوى ص ٥٩-٨٢ ؛ حيث أنكرا رفع عيسى ببدنه ، ونزوله في آخر الزمان ، وقالا عن الأحاديث : إنها أحاديث آحاد .

(٣) سورة آل عمران ، الآية {٥٥} .

(٤) سورة المائدة ، الآية {١١٧} .

الحقيقة اللغوية والحقيقة العرفية . وقد أطال رحمه الله في تقرير ذلك .

وخلاصة كلامه رحمه الله أنه جعل لقوله تعالى : "إني متوفيك" أربعة توجيهات للمراد بالوفاة ، كلها تنفي مزاعم من قال بوفاته عليه السلام ، وقد بيّن هذه التوجيهات بقوله : ((الأول : أنّ قوله تعالى : "متوفيك" لايدلّ على تعيين الوقت ، ولايدلّ على كونه قد مضى . وهو متوفيه قطعا يوما ما ، ولكن لادليل على أنّ ذلك اليوم قد مضى . وأما عطفه : "ورافعك إليّ" على قوله "متوفيك" فلا دليل فيه ؛ لإطباق جمهور أهل اللسان العربي على أنّ الواو لاتقتضي الترتيب ولا الجمع ، وإنما تقتضي مطلق التشريك))(١) .

ثمّ ذكر رحمه الله التوجيه الثاني والثالث ، فقال : ((إنّ معنى "متوفيك" أي مُنيمك ، ورافعك إليّ ؛ أي في تلك النومة . وقد جاء في القرآن إطلاق الوفاة على النوم في قوله تعالى : "وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار"(٢) ، وقوله : "الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها"(٣) ، وعزا ابن كثير هذا القول للأكثرين ، واستدلّ بالآيتين المذكورتين(٤) .

---

(١) دفع إيهام الاضطراب - الملحق بالأضواء ٥١/١٠ - .

(٢) سورة الأنعام ، الآية {٦٠} .

(٣) سورة الزمر ، الآية {٤٢} .

(٤) تفسير ابن كثير ٣٦٦/١ .

الوجه الثالث : أنّ متوفيك ، اسم فاعل توفاه ، إذا قبضه وحازه إليه ، ومنه قولهم : توفى فلان دينه ؛ إذا قبضه إليه . فيكون معنى "متوفيك" على هذا : قابضك منهم إليّ حياً . وهذا القول هو اختيار ابن جرير(١) . وأما الجمع بأنه توفاه ساعات أو أياماً ، ثمّ أحياه ، فالظاهر أنه من الإسرائيليات . وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن تصديقها وتكذيبها))(٢) .

ثمّ قال رحمه الله : ((وأما الوجه الرابع من الأوجه المذكورة سابقاً : أنّ الذين زعموا أنّ عيسى قد مات قالوا : إنه لاسبب لذلك الموت ، إلا أنّ اليهود قتلوه وصلبوه . فإذا تحقق نفي هذا السبب وقطعهم أنه لم يمت بسبب غيره تحققنا أنه لم يمت أصلا . وذلك السبب الذي زعموه منفيّ يقيناً بلا شك ؛ لأنّ الله جلّ وعلا قال : "وما قتلوه وما صلبوه"(٣) ، وقال تعالى : "وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه"(٤) . وضمير رفعه ظاهر في رفع الجسم والروح معاً كما لايخفى))(٥) .

أما الآية الثانية ؛ وهي قوله تعالى : "فلما توفيتني" : فقد

---

(١) تفسير الطبري ٢٩١/٣ .

(٢) دفع إيهام الاضطراب - الملحق بالأضواء ٥١/١٠-٥٢ - .

(٣) سورة النساء ، الآية {١٥٧} .

(٤) سورة النساء ، الآيتان {١٥٧-١٥٨} .

(٥) أضواء البيان ٢٧٣/٧ .

نفى الشيخ الأمين رحمه الله دلالتها على موت عيسى عليه السلام من وجهين ، فقال رحمه الله : ((الأول منهما : أنّ عيسى يقول ذلك يوم القيامة ، ولاشك انه يموت قبل يوم القيامة ; فإخباره يوم القيامة بموته لايدلّ على انه الآن قد مات كما لايخفى .

والثاني منهما : أنّ ظاهر الآية انه توفي رفع وقبض للروح والجسد ، لاتوفي الموت . وإيضاح ذلك : أنّ مقابلته لذلك التوفي بالديمومة فيهم في قوله : "وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني" الآية (١) تدلّ على ذلك ; لأنه لو كان توفي موت لقال : ما دمت حيا ، فلما توفيتني ; لأنّ الذي يقابل بالموت هو الحياة ; كما في قوله : "وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا" (٢) . اما التوفي المقابل بالديمومة فيهم فالظاهر انه توفي انتقال عنهم إلى موضع آخر . وغاية ما في ذلك هو حمل اللفظ على حقيقته اللغوية مع قرينة صارفة عن قصد العرفية . وهذا لاإشكال فيه))(٣) .

وفي الختام يقول رحمه الله : ((والحاصل أنّ القرآن

---

(١) سورة المائدة ، الآية {١١٧} .

(٢) سورة مريم ، الآية {٣١} .

(٣) أضواء البيان ٢٧١/٧-٢٧٢ . وانظر المصدر نفسه ٣٤٢/١ ، ٢٦٣/٧-٢٧٥ . ودفع إيهام الاضطراب - الملحق بالأضواء ٥٠/١٠-٥٢ .

العظيم على التفسير الصحيح ، والسنة المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم كلاهما دال على أن عيسى حي ، وأنه سينزل في آخر الزمان ، وأن نزوله من علامات الساعة ، وأن معتمد الذين زعموا أنهم قتلوه ، ومن تبعهم هو : إلقاء شبهه على غيره ، واعتقادهم الكاذب أن ذلك المقتول الذي هو شبه بعيسى هو عيسى)) (١) .

فالشيخ رحمه الله يأبى المسلك الذي يصادم التفسير الصحيح والسنة المتواترة .

وما ذهب إليه الشيخ رحمه الله هو مذهب أساطين أئمة المفسرين ؛ كالطبري(٢) ، والقرطبي(٣) ، وابن تيمية (٤) ، وابن كثير (٥) .

---

(١) أضواء البيان ٢٧٣/٧ .
(٢) انظر تفسير الطبري ٢٩١/٣ .
(٣) انظر تفسير القرطبي ٦٥/٤ .
(٤) انظر فتاوى شيخ الإسلام ٣٢٢/٤-٣٢٣ .
(٥) انظر تفسير ابن كثير ٣٦٦/١-٣٦٧ .

المطلب الثاني

خروج ياجوج وماجوج

خروج ياجوج وماجوج من علامات الساعة الكبرى .

وقد دلّ على خروجهم الكتاب والسنة ؛ فمن الكتاب قوله تعالى : "حتى إذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كلّ حدب ينسلون"(١) ، وقوله تعالى : "ثمّ اتبع سببا * حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لايكادون يفقهون قولا * قالوا يا ذا القرنين إنّ ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا"(٢) .

وأما من السنة فما روته زينب بنت جحش رضي الله عنها : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول : "لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شرّ قد اقترب ، فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه" ، وحلق باصبعيه ؛ الإبهام والتي تليها . قالت زينب بنت جحش : فقلت : يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون ؟ قال : "نعم إذا كثر الخبث"(٣) .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية {٩٦} .

(٢) سورة الكهف ، الآيات {٩٢-٩٤} .

(٣) صحيح البخاري ١٠٩/٤ . وصحيح مسلم ٢٢٠٧/٤ .

ومنها حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال : اطّلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر ، فقال : ما تذاكرون ؟ قالوا : نذكر الساعة . قال : "إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات" ، فذكر الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى عليه السلام ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاث خسوف ; خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم (١) .

وقد سلك الشيخ الأمين رحمه الله مسلك السلف في الإيمان بهذه العلامة التي تكون في آخر الزمان دليلا على قرب قيام الساعة ; فقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا "(٢) : ((إن هذه الآية الكريمة ، وآية الأنبياء قد دلتا في الجملة على أن السد الذي بناه ذو القرنين دون يأجوج ومأجوج إنما يجعله الله دكا عند مجيء الوقت الموعود بذلك فيه ، وقد دلتا على أنه بقرب يوم القيامة ; لأنه قال هنا : "فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا * وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في

---

(١) صحيح مسلم ٤/٢٢٢٥-٢٢٢٦ .

(٢) سورة الكهف ، الآية {٩٨} .

الصور .."(١)))(٢) .

ثم تعرض رحمه الله إلى زعم بعض المعاصرين أن يأجوج ومأجوج هم روسية ، وأن السد فتح منذ زمن طويل(٣) ، فرد هذا القول وفنده لمصادمته للنصوص الصريحة ، وحكى شبهتهم وبين تفاهتها ؛ فقال رحمه الله : ((فإذا قيل : إنما تدل الآيات المذكورة في الكهف والأنبياء على مطلق اقتراب يوم القيامة ؛ من دك السد واقترابه من يوم القيامة لاينافي كونه قد وقع بالفعل كما قال تعالى : "اقترب للناس حسابهم" الآية (٤) ، وقال : "اقتربت

---

(١) سورة الكهف ، الآيتان {٩٨-٩٩} .

(٢) أضواء البيان ١٨١/٤ .

(٣) لم أجد من ذكر أنهم روسية ، إلا أن الشيخ سيد قطب رحمه الله يرى (في كتابه ظلال القرآن ٢٢٩٤/٤) من باب الترجيح لا من باب اليقين أن يأجوج ومأجوج هم التتار الذين دمروا الخلافة العباسية وأفسدوا في الأرض .

وللشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله رسالة مطبوعة ضمن كتاب الصين جمع /الشيخ عبدالعزيز المسند ص ٧٧ ، أثبت فيها أن يأجوج ومأجوج هم دول الكفر الموجودة الآن من الروس وغيرهم من أمم الكفر . لكنه رحمه الله يرى في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن ٢٦٣/٥) أنهم أمة تخرج في آخر الزمان ، وأن السد باق إلى الآن .

وقد أثبت د/عبدالرزاق العباد في رسالته الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في العقيدة (ص ٥٥) أن التفسير آخر مؤلفات الشيخ السعدي ، فلعله رجع عن قوله هذا .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية {١} .

الساعة وانشق القمر"(١) ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : "ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه - وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها -"الحديث(٢) ..... فقد دل القرآن والسنة الصحيحة على أن اقتراب ما ذكر لايستلزم اقترانه به ، بل يصح اقترابه مع مهلة . وإذا فلا ينافي دك السد الماضي المزعوم الاقتراب من يوم القيامة ، فلا يكون في الآيات المذكورة دليل على انه لم يدك السد إلى الآن))(٣) .

وقد اجاب رحمه الله على هذه الشبهة فقال : ((فالجواب ما قدمنا ان هذا البيان بهذه الآيات ليس وافيا بتمام الإيضاح إلا بضميمة السنة له ، ولذلك ذكرنا اننا نتمم مثله من السنة لأنها مبينة للقرآن))(٤) .

ثم ساق رحمه الله حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه الطويل ، المرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه : "فبينما هو كذلك إذ اوحى الله إلى عيسى ان قد اخرجت عبادا لي لايدان لاحد بقتالهم ، فحرز عبادي إلى الطور . ويبعث الله ياجوج

---

(١) سورة القمر ، الآية {١} .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) أضواء البيان ١٨٢/٤-١٨٣ .

(٤) المصدر نفسه ١٨٣/٤ .

وماجوج ، وهم من كل ّ حدب ينسلون ، فيمرّ اوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ، ويمرّ آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء . ويحصر نبيّ الله عيسى واصحابه حتى يكون راس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم . فيرغب نبيّ الله عيسى واصحابه ، فيرسل الله عليهم النغف(١) في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة . ثمّ يهبط نبيّ الله عيسى واصحابه إلى الارض فلا يجدون في الارض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم ، فيرغب نبيّ الله عيسى واصحابه إلى الله ، فيرسل الله طيرا كاعناق البخت(٢) فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثمّ يرسل الله مطرا لايكنّ منه بيت مدر(٣) ولا وبر(٤) ، فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة(٥) ، ثمّ

---

(١) النغف عند العرب : ديدان تولد في اجواف الحيوان من الناس وغيرهم . وفي انوف الإبل والغنم . (انظر تهذيب اللغة ١٤٦/٨).

(٢) البخت : معرب ، وهو الإبل الخراسانية تنتج بين الإبل العربية والفالج . (انظر تهذيب اللغة ٣١٢/٧) .

(٣) المدر : قطع الطين اليابس . ومنه سميت القرية المبنية بالطين واللبن : المدرة . (انظر تهذيب اللغة ٢٢١/١٤-٢٢٢) .

(٤) الوبر : الوبر صوف الإبل والارنب وما اشبهها .
(انظر تهذيب التهذيب ٢٦٤/١٥) .

(٥) الزلف : وجه المرآة . ويقال : البركة تطفح مثل الزلف ، وقيل : المصفة ، وقيل : الروضة .
(انظر تهذيب اللغة ٢١٢/١٣) .

يقال للأرض : انبتي ثمرتك ، وردي بركتك ..."(١)))(٢) .

ثمّ عقّب رحمه الله على هذا الحديث بقوله : ((وهذا الحديث الصحيح قد رأيت فيه تصريح النبيّ صلى الله عليه وسلم بأنّ الله يوحي إلى عيسى بن مريم خروج يأجوج ومأجوج بعد قتله الدجال . فمن يدعي أنهم روسية ، وأنّ السدّ قد اندكّ منذ زمان فهو مخالف لما أخبر به النبيّ صلى الله عليه وسلم مخالفة صريحة لا وجه لها . ولاشك أنّ كلّ خبر ناقض خبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فهو باطل ؛ لأنّ نقيض الخبر الصادق كاذب ضرورة كما هو معلوم . ولم يثبت في كتاب الله ولاسنة نبيه صلى الله عليه وسلم شيء يعارض هذا الحديث الذي رأيت صحة سنده ، ووضوح دلالته على المقصود))(٣) .

ثمّ ذكر الشيخ الأمين رحمه الله شبهة عقلية توصلوا بها إلى نفي وجود يأجوج ومأجوج وراء السد إلى الآن ، وهي زعمهم أنه لو كانوا وراء السدّ لأن لاطلع عليهم الناس ؛ لتطور وسائل المواصلات ، لكن لما لم يطلع عليهم أحد فليسوا وراء السدّ . وبذلك نفوا وجودهم .

---

(١) أخرجه مسلم ٢٢٥٣/٤-٢٢٥٤ .

(٢) أضواء البيان ١٨٣/٤ .

(٣) المصدر نفسه ١٨٥/٤ .

وقد نقض الشيخ الأمين رحمه الله هذه الشبهة العقلية ، وردّ عليها ، فقال : ((فقولكم : لو كانوا موجودين وراء السدّ إلى الآن لاطلع عليهم الناس : غير صحيح ؛ لإمكان أن يكونوا موجودين والله يخفي مكانهم على عامة الناس حتى يأتي الوقت المحدد لإخراجهم على الناس . ومما يؤيد إمكان هذا ما ذكره الله تعالى في سورة المائدة من أنه جعل بني إسرائيل يتيهون في الأرض أربعين سنة ، وذلك في قوله : "قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض" الآية (١) ؛ وهم في فراسخ قليلة من الأرض يمشون ليلهم ونهارهم ، ولم يطلع عليهم الناس حتى انتهى أمد التيه ؛ لأنهم لو اجتمعوا بالناس لبينوا لهم الطريق . وعلى كلّ حال فربك فعّال لما يريد ، وأخبار رسوله صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه صادقة))(٢) .

فالشيخ رحمه الله لايرضى هذا القول الذي يمسّ العقيدة ويصادمها ، والذي ينبني على أدلة باطلة وتوهمات فاسدة ، بل يقف رحمه الله أمامه فيكشف عواره ، ويرده بالحجج القوية والبراهين الناصعة ليحصل الاطمئنان إلى المعتقد الصحيح ، وليزهق الباطل وينتصر الحقّ .

---

(١) سورة المائدة ، الآية {٢٦} .

(٢) أضواء البيان ٤/١٨٦ .

وما ذكره الشيخ الأمين رحمه الله في ياجوج وماجوج ، ووضحه باسلوبه القويّ المقنع ، وفند اقوال اصحاب التاويلات الفاسدة في هذا الباب ؛ كلّ ذلك من الأدلة على اقتفائه اثر سلف هذه الأمة رحمهم الله الذين وضحوا هذا المعتقد ايما إيضاح ، وردوا على المخالفين لهذه العقيدة المبنية على الكتاب والسنة .

فهذا ابن قدامة رحمه الله يقول : ((ويجب الإيمان بكلّ ما اخبر به النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وصحّ به النقل عنه فيما شاهدناه او غاب عنا ؛ نعلم انه حقّ وصدق . وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه ولم نطلع على حقيقة معناه ؛ مثل حديث الإسراء والمعراج ، .... ومن ذلك اشراط الساعة ؛ مثل خروج الدجال ، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام فيقتله ، وخروج ياجوج وماجوج ، وخروج الدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، واشباه ذلك مما صحّ به النقل))(١) .

وقال شارح الطحاوية : ((واحاديث الدجال ، وعيسى بن مريم عليه السلام ينزل من السماء ويقتله ، ويخرج ياجوج وماجوج في ايامه بعد قتله الدجال فيهلكهم الله اجمعين في ليلة واحدة ببركة دعائه عليهم ، يضيق هذا المختصر عن بسطها))(٢) .

---

(١) لمعة الاعتقاد ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) شرح الطحاوية ص ٥٦٥ .

المطلب الثالث

بعض العلامات الصغرى

ذكر الشيخ الأمين رحمه الله بعض العلامات الدالة على قرب الساعة بطريقة الاستنباط من نصوص الوحي ، مما يدلّ على سعة علمه وفهمه للنصوص وقوة ملكته .

ومن العلامات التي ذكرها الشيخ رحمه الله : قيام دولة لليهود في آخر الزمان ؛ فقد سئل رحمه الله : هل في الكتاب والسنة ما يدلّ على قيام دولة لليهود في آخر الزمان ؟ فاجاب رحمه الله : ((إنه ثبت في الصحيح عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ما يدلّ بالعلامة المعروفة عند الأصوليين بدلالة الإشارة على وجود دولة لهم في آخر الزمان . اما النصّ الذي دلّ على ذلك بدلالة الإشارة : فقوله صلى الله عليه وسلم : "لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي : يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله" رواه البخاري بهذا اللفظ(١) ، ومسلم(٢) عن ابي هريرة رضي الله عنه ..... فهذا نصّ صحيح من النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه لابد من قتال المسلمين واليهود حتى تكون عاقبة النصر والظفر

---

(١) صحيح البخاري ٢٣٢/٣ .

(٢) صحيح مسلم ٢٢٣٩/٤ .

للمؤمنين . والمقاتلة بحسب الوضع اللغوي تقتضي وجود القتال من طائفتين مقتتلتين ؛ لأنّ المفاعلة تقتضي الطرفين وضعا ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : "تقاتلوا اليهود" على وجود جنس مقاتل من اليهود . وذلك إنما يكون من طائفة متحدة الكلمة تحت طاعة أمير يقاتل بهم ، وذلك هو معنى دلالة الحديث على وجود دولة في آخر الزمان ؛ لأنهم لو كانوا دائما عليهم مضمون قوله تعالى : "وقطعناهم في الأرض أمما"(١) ، وكانوا متفرقين غير مجتمعين أبدا تحت أمير على كلمة واحدة : ما صحّ قتالهم مع المسلمين الذي نصّ عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح))(٢) .

من العلامات الصغرى :

وفي مقابل ذلك : سمعت الشيخ رحمه الله يؤكد أنّ الإسلام سيظهر في آخر الزمان كما أظهره الله في أوله ، فقال رحمه الله : ((الدين فيما مضى ظهر على جميع الأديان ، وعلى الدول الكبار المعروفة ؛ كالدولة الكسروية ، والدولة القيصرية ، ولم يبق منهم إلا من يعطي الجزية عن يد وهو صاغر ، أو مسلم . وانتشر في أقطار الدنيا في شرقها وغربها ، وظهر على كلّ

---

(١) سورة الأعراف ، الآية {١٦٨} .

(٢) رحلة الحج إلى بيت الله الحرام ص ٢٣٨-٢٣٩ .

الاديان ، وسياتي ذلك في آخر الزمان ايضا ، كما جاء في احاديث صحيحة كثيرة انه لايبقى في آخر الزمان احد إلا كان مسلما ، ولم يكن في المعمورة غير دين الإسلام ؛ هذا معنى قوله : "ليظهره على الدين كله"(١) ، ولو كره المشركون إظهاره))(٢) .

ولعلّ مما يستشهد به في هذه المسالة قوله تعالى : "وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم"(٣) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : "إنّ الله زوى لي الأرض فرايت مشارقها ومغاربها ، وإنّ امتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها .."(٤) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : "إنه سيفتح لكم مشارق الأرض ومغاربها .."(٥) .

والشيخ رحمه الله لم يفصّل في ذلك الانتصار الكبير ؛ متى يتحقق ؟ وعلى يد من يكون ؟ .

وقد ذكر ابن جرير الطبري رحمه الله عن بعض العلماء أنّ ذلك

---

(١) سورة التوبة ، الآية {٣٣} .

(٢) الشريط رقم {٥} من تفسير سورة التوبة ، عند تفسير قوله تعالى : "ليظهره على الدين كله" الآية {٣٣} .

(٣) سورة النور ، الآية {٥٥} .

(٤) اخرجه مسلم في صحيحه ٢٢١٥/٤ .

(٥) اخرجه الإمام احمد في مسنده ٣٦٦/٥ .

عند خروج عيسى حين تصير الملل كلها واحدة (١) .

ويرى بعض المفسرين المعاصرين ان" ذلك قبل عيسى ، وان" الإسلام ستكون له الغلبة قبل قيام الساعة (٢) . والله أعلم .

---

(١) جامع البيان ١٠/١١٦ .

(٢) تفسير المنار ١٠/٣٩٢ .

المبحث الثاني

القبر

تمهيد :

من عقيدة أهل السنة والجماعة : الإيمان بعذاب القبر ونعيمه ، وانه إما حفرة من حفر النار ، أو روضة من رياض الجنة . دلّ على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : "إنّ القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج فما بعده أشدّ منه "(١) .

قال تعالى : "وحاق بآل فرعون سوء العذاب * النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب"(٢) ، وقال جلّ وعلا : "ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون"(٣) ، وقال : "يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضلّ الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء"(٤) .

---

(١) رواه الترمذي في سننه ٥٥٣/٤ ، وقال : "حديث حسن غريب" . وحسنه الألباني (انظر صحيح الجامع ٣٤٧/١ ، رقم ١٦٨٤) .

(٢) سورة غافر ، الآيتان {٤٥-٤٦} .

(٣) سورة السجدة ، الآية {٢١} .

(٤) سورة إبراهيم ، الآية {٢٧} .

ومن الأحاديث الدالة على عذاب القبر : حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : "إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ، إنه ليسمع قرع نعالهم . قال : يأتيه ملكان فيقعدانه ، فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ قال : فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبدالله ورسوله . قال : فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة " . قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : "فيراهما جميعا "(١) .

وقد تعرض الشيخ الأمين رحمه الله لعدة مسائل في هذا الباب ، ولبيان هذه المسائل قسمت هذا المبحث إلى مطالب .

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح ١٠٢/٢ ، ومسلم في الصحيح ٢٢٠٠/٤-٢٢٠١ ، واللفظ له .

المطلب الأول

عذاب القبر

ذكر الشيخ الأمين رحمه الله أن" عذاب القبر حق" لامرية فيه ؛ فقال عند تفسير قوله تعالى : "وإن" للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن" اكثرهم لايعلمون"(١) : ((الظاهر ان" قوله : "عذابا دون ذلك" هو ما عذبوا به في دار الدنيا من القتل وغيره ؛ كما دل" على ذلك قوله : "ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر" الآية (٢) ، وقوله تعالى : "قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم"(٣) ، إلى غير ذلك من الآيات . ولا مانع من دخول عذاب القبر في ذلك ؛ لأنه قد يدخل في ظاهر الآية . وما قيل في معنى الآية غير هذا لا يتجه عندي ، والعلم عند الله تعالى))(٤) .

هل يعذب الميت ببكاء أهله عليه ؟

تناول الشيخ الأمين رحمه الله مسألة تعذيب الميت ببكاء أهله عليه ؛ كما ثبت في الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم : "إن"

---

(١) سورة الطور ، الآية {٤٧} .

(٢) سورة السجدة ، الآية {٢١} .

(٣) سورة التوبة ، الآية {١٤} .

(٤) أضواء البيان ٦٩٥/٧. وانظر المصدر نفسه ٥٤٨/٤، ٥٥١، ٩٠/٧ .

الميت ليعذب ببكاء اهله عليه"(١) ، وفي رواية : "الميت يعذب في قبره بما نيح عليه"(٢) .

وبين رحمه الله عدم معارضته لقوله تعالى : "ولاتزر وازرة وزر اخرى"(٣) ؛ إذ قد يظن من لايعلم ان تعذيب الميت ببكاء الحي عليه من مؤاخذة العبد بذنب غيره ، وليس الأمر كذلك .

وقد اجاب عن هذه المسالة بجوابين ؛ فقال رحمه الله : ((الاول : ان يكون الميت اوصى بالنوح عليه ؛ كما قال طرفة بن العبد في معلقته :

إذا مت فانعيني بما انا اهله   وشقي علي الجيب يا ابنة معبد

لانه إذا كان اوصى بان يناح عليه ، فتعذيبه بسبب إيصائه بالمنكر ، وذلك من فعله لا فعل غيره . الثاني : ان يهمل نهيهم عن النوح عليه قبل موته ، مع انه يعلم انهم سينوحون عليه ؛ لأن إهماله نهيهم تفريط منه ومخالفة لقوله تعالى : "قوا انفسكم واهليكم نارا"(٤) . فتعذيبه إذا بسبب تفريطه وتركه ما امر الله به من قوله : "قوا انفسكم" الآية ، وهذا ظاهر كما ترى))(٥) .

---

(١) صحيح البخاري ٨٠/٢ .

(٢) صحيح البخاري ٨٢/٢ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية {١٥} .

(٤) سورة التحريم ، الآية {٦} .

(٥) اضواء البيان ٤٧٠/٣-٤٧١ . وللقرطبي كلام حول هذا المعنى . (انظر الجامع لاحكام القرآن ١٥١/١٠) .

قال عبدالله بن المبارك : ((إذا كان ينهاهم في حياته ففعلوا شيئا من ذلك بعد وفاته لم يكن عليه شيء . والعذاب عندهم يعني العقاب)) (١) .

هذا عن كلام الشيخ الأمين رحمه الله عن عذاب القبر ، أما نعيم القبر : فلم أجد له رحمه الله كلاما في ذلك ؛ إذ من دأبه رحمه الله أنه يفسر القرآن بالقرآن ، ولم تأت مناسبة يتحدث فيها عن نعيم القبر .

ويكفي في إثبات عذاب القبر ونعيمه : قوله صلى الله عليه وسلم : "إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ؛ إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلى القيامة "(٢) .

---

(١) انظر أحكام الجنائز للألباني ص ٢٩ ؛ فقد ذكر قولين في المراد بالتعذيب ؛ الأول بمعنى التألم والحزن ، والثاني بمعنى العقاب ؛ وهو القول الراجح ، وعليه جمهور العلماء .
(٢) أخرجه البخاري في الصحيح ١٠٣/٢ . ومسلم في الصحيح ٢١٩٩/٤ .

المطلب الثاني

سماع الموتى

سماع الموتى من المسائل الخلافية بين العلماء :

فمنهم من يرى أن الأصل أن الموتى لايسمعون ؛ ويستثنون ما ورد فيه النص ؛ مثل حديث خفق نعال المشيعين بعد الدفن ، وسماع أهل القليب يوم بدر لنداء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخطابه لهم ؛ فهو سماع مخصوص ببعض الأحوال .

وقال أصحاب هذا القول : إن هذه قضايا جزئية لاتشكل قاعدة كلية يعارض بها الأصل المذكور(١) .

ومن العلماء من يرى أن الموتى يسمعون كلام من كلمهم ، وأنهم يسمعون سلام الأحياء وخطابهم . ويرون أن هذا السماع غير مخصوص بوقت معين ، ولا بإنسان بعينه (٢) .

وقد استدل الفريق الأول بقوله تعالى : "وما أنت بمسمع من في القبور"(٣) ، وبقوله : "إنك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء

---

(١) انظر مقدمة تحقيق كتاب آيات بينات ص ٤٠-٤١ للشيخ الألباني .

(٢) انظر : المصدر نفسه ص ٣٧ . وتفسير القرطبي ١٣/١٥٤ - وهو الراجح عنده - . وأهوال القبور لابن رجب ص ٧٦-٧٧ . وأضواء البيان ٦/٤٢١-٤٣٩ .

(٣) سورة فاطر ، الآية {٢٢} .

إذا ولوا مدبرين"(١) .

واستدلّ المجيزون بحديث أهل القليب ، وحديث قرع النعال ، وقالوا : إنه غير مخصوص بأحد ، ولا بوقت ; إذ لادليل على التخصيص. وأجابوا عن الآيتين : أنّ المراد بالموتى هنا : الأشقياء الذين لايسمعون الحقّ سماع هدى وقبول(٢) .

وقد استطرد الشيخ الأمين رحمه الله في بيان هذه المسألة ، والخلاف الذي وقع فيها ، ورجح سماع الأموات لكلام الأحياء وخطابهم ، و استدلّ على ذلك بحديث القليب ، وحديث خفق النعال ، وقال إنه غير مخصوص بوقت ، ولا بإنسان . ومما قاله رحمه الله : ((اعلم أنّ الذي يقتضي الدليل رجحانه هو أنّ الموتى في قبورهم يسمعون كلام من كلمهم ، وأنّ قول عائشة رضي الله عنها ، ومن تبعها : أنهم لايسمعون ; استدلالا بقوله تعالى : "إنك لاتسمع الموتى"(١) ، وما جاء بمعناها من الآيات : غلط منها رضي الله عنها ، وممن تبعها . وإيضاح كون الدليل يقتضي رجحان ذلك مبنيّ على مقدمتين ; الأولى منهما : أنّ سماع الموتى ثبت عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في أحاديث متعددة ثبوتا لامطعن فيه ، ولم يذكر صلى الله عليه وسلم أنّ ذلك خاصّ بإنسان ولا بوقت .

---

(١) سورة النمل ، الآية {٨٠} .

(٢) انظر أضواء البيان ٦/٤١٦-٤٢١ .

والمقدمة الثانية : هي أنّ ((النصوص الصحيحة عنه صلى الله عليه وسلم في سماع الموتى لم يثبت في الكتاب ولا في السنة شيء يخالفها ، وتأويل عائشة رضي الله عنها بعض الآيات على معنى يخالف الأحاديث المذكورة : لا يجب الرجوع إليه ; لأنّ غيره في معنى الآيات أولى بالصواب منه ، فلا تردّ النصوص الصحيحة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بتأويل بعض الصحابة بعض الآيات))(١) .

وساق الشيخ رحمه الله أدلة للمقدمة الأولى ; منها حديث أهل القليب الذي رواه أبو طلحة رضي الله عنه ، وفيه : " ... حتى قام على شفة الركي ، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : يا فلان ابن فلان ، ويا فلان بن فلان أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ قال : فقال عمر : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم" ، قال قتادة : أحياهم الله له حتى أسمعهم قوله توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وندامة (٢) .

وقد عقّب الشيخ الأمين رحمه الله على هذا الحديث بقوله :

---

(١) أضواء البيان ٤٢١/٦ .

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح ٨/٥-٩ .

((فهذا الحديث الصحيح اقسم فيه النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّ الأحياء الحاضرين ليسوا باسمع لما يقول صلى الله عليه وسلم من الموتى بعد ثلاث . وهو نصّ صحيح صريح في سماع الموتى ، ولم يذكر صلى الله عليه وسلم في ذلك تخصيصا . وكلام قتادة الذي ذكره عنه البخاري اجتهاد منه فيما يظهر))(١) .

وقد ذكر الأمين رحمه الله ايضا حديث القليب من رواية عمر بن الخطاب(٢) ، وابنه عبدالله (٣) ، وانس(٤) ، ثمّ ختمها بقوله : ((فيها التصريح من النبيّ صلى الله عليه وسلم بانّ الأحياء الحاضرين ليسوا باسمع من أولئك الموتى لما يقوله صلى الله عليه وسلم . وقد اقسم صلى الله عليه وسلم على ذلك ولم يذكر تخصيصا))(٥) .

واستدلّ الشيخ الأمين ايضا بما رواه البخاري عن انس رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال :إنّ العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب اصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم ، اتاه ملكان فاقعداه ، فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل : محمد صلى

---

(١) اضواء البيان ٤٢٢/٦ .
(٢) انظر صحيح مسلم ٢٢٠٢/٤ .
(٣) انظر صحيح البخاري ١٠١/٢ ، ٩/٥ .
(٤) انظر صحيح مسلم ٢٢٠٣/٤ .
(٥) اضواء البيان ٤٢٢/٦ .

الله عليه وسلم ؟ فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله . فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً في الجنة " الحديث(١) .

وعقب عليه الشيخ رحمه الله بقوله : ((وقد رأيت في هذا الحديث الصحيح تصريح النبيّ صلى الله عليه وسلم بأنّ الميت في قبره يسمع قرع نعال من دفنوه إذا رجعوا . وهو نصّ صحيح صريح في سماع الموتى ، ولم يذكر صلى الله عليه وسلم فيه تخصيصاً))(٢) .

وذكر حديث أنس هذا من طريق مسلم (٣) .

ومن الأحاديث التي استدلّ بها رحمه الله على سماع المقبورين حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم كلما كان ليلتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من آخر الليل إلى البقيع ، فيقول :"السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وأتاكم ما توعدون غداً مؤجلون ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون . اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد"(٤) .

ثمّ ذكر الشيخ رحمه الله لهذا الحديث شواهد أخرى ، وعقّب عليها بقوله : ((وخطابه صلى الله عليه وسلم لأهل القبور بقوله :

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح ١٠٢/٢ . بألفاظ متقاربة

(٢) أضواء البيان ٤٢٢/٦ .

(٣) انظر صحيح مسلم ٢٢٠٠/٤-٢٢٠١ .

(٤) انظر صحيح مسلم ٦٦٩/٢ .

"السلام عليكم" ، وقوله : "إنا إن شاء الله بكم" ، ونحو ذلك يدلّ دلالة واضحة على انهم يسمعون سلامه ؛ لانهم لو كانوا لايسمعون سلامه وكلامه لكان خطابه لهم من جنس خطاب المعدوم . ولاشك انّ ذلك ليس من شان العقلاء ، فمن البعيد جدا صدوره منه صلى الله عليه وسلم)) (١) .

وقد ختم الشيخ رحمه الله هذا المبحث بقوله : ((إنّ الذي يرجحه الدليل انّ الموتى يسمعون سلام الاحياء وخطابهم ، سواء قلنا إنّ الله يردّ عليهم أرواحهم حتى يسمعوا الخطاب ويردوا الجواب ، او قلنا إنّ الارواح ايضا تسمع وتردّ بعد فناء الاجسام)) (٢) .

وهذه المسالة - كما مرّ - خلافية ، ولكلّ ادلته . وللشيخ الامين رحمه الله سلف فيما ذهب إليه ؛ فكثير من العلماء قالوا بسماع الموتى ؛ بل لقد قال ابن عبدالبرّ : "إنّ الاكثرين على ذلك" ، وهو اختيار ابن جرير الطبري(٣) ، والقرطبي(٤) ، وابن كثير(٥) ، وابن

---

(١) اضواء البيان ٤٢٦/٦ .

(٢) المصدر نفسه ٤٣٨/٦-٤٣٩ .

(٣) انظر روح المعاني ٥٥/٢١ .

(٤) الجامع لاحكام القرآن ١٥٤/١٣ .

(٥) تفسير القرآن العظيم ٤٣٨/٣ .

القيم(١) ، وابن رجب(٢) رحمهم الله .

ومن العلماء من خص السماع بما ورد السمع بسماعه ، وهو اختيار الشوكاني(٣) ، والآلوسي(٤) ، والألباني(٥) .

---

(١) الروح ص ١٠ ، ٢٠ ، ٢١ . وزاد المعاد ٣ / ٦٨٥

(٢) أهوال القبور ص ٧٦-٨١ .

وابن رجب : هو الحافظ عبدالرحمن بن الحسن بن محمد بن أبي البركات مسعود البغدادي ثم الدمشقي . محدث حافظ فقيه . ولد في بغداد سنة (٧٠٦) ، وتوفي بدمشق سنة (٧٩٥ هـ) .

(انظر : شذرات الذهب ٣٣٩/٦ . ومعجم المؤلفين ١١٨/٥) .

(٣) فتح القدير ١٥١/٤ .

والشوكاني : هو العلامة محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليماني الصنعاني . ولد عام (١١٧٣ هـ) بهجرة شوكان باليمن ، ونشأ في صنعاء ، وتوفي فيها عام (١٢٥٠ هـ) . وكان عالما بالتفسير والحديث والفقه .

(انظر الأعلام ٢٩٨/٦) .

(٤) روح المعاني ٥٨/٢١ .

والآلوسي : هو شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي . ولد في بغداد سنة (١٢١٧ هـ) ، وتوفي سنة (١٢٧٠ هـ) .

(انظر : التفسير والمفسرون ٣٥٢/١ . والأعلام ١٧٦/٧) .

(٥) مقدمة تحقيق الآيات البينات ص ٤٠ .

والألباني : هو أبو عبدالرحمن محمد بن ناصر الدين بن نوح الألباني . من كبار المحدثين في هذا العصر . ولد في مدينة أشقودرة في ألبانيا سنة (١٣٣٣ هـ) . ثم انتقلت عائلته إلى بلاد الشام ، ولايزال على قيد الحياة .

(انظر علماؤنا ص ٤٠-٤٣) .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كلام وسط بين القولين : وهو أنّ الميت يسمع سماعا لايعيده ؛ فقد قال رحمه الله : ((فإنّ قوله : "إنك لاتسمع الموتى"(١) إنما أراد به السماع المعتاد الذي ينفع صاحبه ؛ فإنّ هذا مثل ضرب للكفار ، والكفار تسمع الصوت ، لكن لاتسمع سماع قبول بفقه واتباع ، كما قال تعالى : "ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لايسمع إلا دعاء ونداء"(٢) ، فهكذا الموتى الذين ضرب لهم المثل لايجب أن ينفى عنهم جميع السماع المعتاد أنواع السماع كما لم ينف ذلك عن الكفار ، بل قد انتفى عنهم السماع المعتاد الذي ينتفعون به ، وأما سماع آخر فلا ينفى عنهم))(٣) .

والعجيب أنّ الشيخ الأمين رحمه الله نقل كلام شيخ الإسلام هذا ضمن أدلته على سماع الموتى ، ثمّ بنى عليه حكما فقهيا ، وهو ترجيحه جواز تلقين الميت(٤) مع أنّ كلام ابن تيمية رحمه الله يقول بأنّ الميت يسمع سماعا لايعيده . وقد سئل شيخ الإسلام رحمه الله عن تلقين الميت في قبره بعد الفراغ من دفنه : هل صحّ فيه حديث عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، أو عن صحابته .. ؟ فأجاب رحمه الله : ((هذا التلقين المذكور قد نقل عن طائفة من الصحابة أنهم أمروا به ؛ كأبي أمامة الباهلي . وغيره . وروي فيه حديث عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، لكنه مما لايحكم بصحته ، ولم يكن كثير من الصحابة يفعل ذلك ..))(٥) .

وعلى كلّ : فما رجحه الشيخ الأمين – رحمه الله – من جواز تلقين الميت محلّ نظر ؛ لأنّ التلقين بعد الموت من الأشياء التي لم يرد فيها دليل من كتاب أو سنة صحيحة .

---

(١) سورة النمل ، الآية {٨٠} .

(٢) سورة البقرة ، الآية {١٧١} .

(٣) الفتاوى ٤/٢٩٨ .

(٤) أضواء البيان ٦/٤٣٥-٤٣٧ .

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٤/٢٩٦ .

المبحث الثالث

البعث

تمهيد :

البعث لغة : يقال بعثه وابتعثه بمعنى ارسله فانبعث .

وقولهم : كنت في بعث فلان : اي في جيشه الذي بعث معه .

والبعوث : الجيوش . وبعثته الناقة : اثرتها . وبعثه من منامه : اي اهبته . وبعث الموتى : نشرهم ليوم البعث(١) .

قال الشيخ الأمين رحمه الله : ((والبعث : التحريك من سكون : فيشمل بعث النائم والميت وغير ذلك))(٢) .

والبعث اصطلاحا : أن يبعث الله تعالى الموتى من القبور بأن يجمع اجزاءهم الأصلية ، ويعيد الأرواح إليها(٣) ; لقوله تعالى : "قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم"(٤).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "وأن"

---

(١) الصحاح للجوهري ٢٧٣/١ . وانظر المفردات للراغب الأصفهاني ص ٥١ .

(٢) أضواء البيان ٢٣/٤ .

(٣) لوامع الأنوار البهية ١٥٧/٢ .

(٤) سورة يس ، الآية {٧٩} .

الله يبعث من في القبور"(١) : ((أي يعيدهم بعد ما صاروا في قبورهم رمما ، ويوجدهم بعد العدم))(٢) .

فالإيمان فبالبعث أصل سعادة الفرد والمجتمع ؛ فإنّ الإنسان إذا آمن بأنّ الله تعالى سيبعث الخلق بعد موتهم فيحاسبهم ، ويجازيهم على أعمالهم ؛ فمن أحسن جوزي بالإحسان ، ومن أساء عذب بالنيران ، وإذا آمن أنّ الله سيقتصّ من الظالم للمظلوم ، حتى من الحيوان ؛ فإنّ دابر الشرّ ينقطع ، ويسود الخير في المجتمع ، وتعمّ الفضيلة والطمأنينة الكلّ .

لذلك أجمعت عليه الشرائع السماوية ، وأنذر به الرسل أممهم(٣) ؛ قال تعالى : "كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير"(٤) .

---

(١) سورة الحج ، الآية {٧} .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤٠٨/٣ .

(٣) انظر : فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٦٦/٤ ، ٩/٣٠-٣٣ . ولوامع الأنوار البهية ١٥٨/٢ .

(٤) سورة الملك ، الآيتان {٨-٩} .

المطلب الأول

براهين البعث

ذكر الله سبحانه وتعالى البراهين على هذا الحدث العظيم بأدلة معنوية وحسية ليرسخ هذا المعتقد في القلوب ، فيبعث على العمل والاستمساك بالعروة الوثقى .

وقد تحدث الشيخ الأمين رحمه الله عن هذه البراهين في ثنايا تفسيره ، فاستنبطها من الآيات الكريمة الدالة على وقوع البعث لامحالة ؛ لأنها قول الخالق العظيم الذي لاأحد أصدق منه قيلا ؛ فهي لاتقبل التوقف أو التردد .

ويحسن التنبيه هنا على أنّ بعض براهين البعث قد استشهد بها الشيخ الأمين رحمه الله على توحيد الألوهية ، وقد أشار إلى ذلك عند براهين التوحيد ، وذكر أنه أعادها لأهميتها (١) .

ولاشكّ أنّ هذا ليس بتكرار ؛ إذ أنه تناول كلّ قضية من جانب يختلف من الجانب الذي تناول به القضية الأخرى .

وقد ذكر رحمه الله ستة براهين على البعث ، وذكر عند كلّ برهان ما يعضده من الآيات على طريقته رحمه الله في تفسير القرآن بالقرآن .

---

(١) انظر أضواء البيان ٣٣٤/٧ .

البرهان الأول : خلق الناس

استدل الشيخ الأمين رحمه الله على أن من خلق الناس من العدم قادر على إعادتهم بعد فنائهم ؛ حيث قال رحمه الله : ((خلق الناس أولا المشار إليه بقوله : "اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم "(١) ؛ لأن الإيجاد الأول أعظم برهان على الإيجاد الثاني . وقد أوضح ذلك في آيات كثيرة كقوله : "وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده " الآية (٢) ، وقوله : "كما بدأنا أول خلق نعيده "(٣) ، وكقوله : "فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة "(٤) ، وقوله : "قل يحييها الذي أنشأها أول مرة "(٥) ، وقوله : "أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس" الآية (٦) ، وكقوله : "يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب"(٧) ، وكقوله : "ولقد علمتم النشأة الأولى"(٨) . ولذا ذكر تعالى أن من أنكر

---

(١) سورة البقرة ، الآية {٢١} .

(٢) سورة الروم ، الآية {٢٧} .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية {١٠٤} .

(٤) سورة الإسراء ، الآية {٥١} .

(٥) سورة يس ، الآية {٧٩} .

(٦) سورة ق ، الآية {١٥} .

(٧) سورة الحج ، الآية {٥} .

(٨) سورة الواقعة ، الآية {٦٢} .

البعث فقد نسي الإيجاد الأول ؛ كما في قوله : "وضرب لنا مثلا ونسي خلقه" الآية (١) ، وقوله : "ويقول الإنسان أئذا ما مت" لسوف أخرج حيا * أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا "(٢) . ثم" رتب على ذلك نتيجة الدليل بقوله : "فوربك لنحشرنهم" الآية (٣) .... إلى غير ذلك من الآيات))(٤) .

وقال رحمه الله أيضا : ((من خلقهم أولا من طين ، وأصله التراب المبلول ، لايشك عاقل في قدرته على خلقهم مرة أخرى بعد أن صاروا ترابا ؛ لأن" الإعادة لايعقل أن تكون أصعب من البدء))(٥) .

---

(١) سورة يس ، الآية {٧٨} .
(٢) سورة مريم ، الآية {٦٦-٦٧} .
(٣) سورة مريم ، الآية {٦٨} .
(٤) أضواء البيان ١/١١٥-١١٦ .
(٥) أضواء البيان ٦/٦٧٩ . وانظر المصدر نفسه ٣/٢٢٣ ،، ٥/٢٦-٢٧ ،، ٧/٣٣٥-٣٣٦ ، ٧٨٤-٧٨٦ .

البرهان الثاني : خلق المخلوقات التي أكبرها السموات والأرض

بيّن الشيخ الأمين رحمه الله أنّ من قدر على إيجاد هذه المخلوقات العظيمة فهو قادر على بعث الخلق يوم القيامة ؛ فقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى :"فاستفتهم أهم أشدّ خلقاً أم من خلقنا"(١) : ((وجواب الاستفتاء المذكور الذي لاجواب له غيره هو أن يقال : من خلقت يا ربنا من الملائكة ومردة الجنّ والسموات والأرض والمشارق والمغارب والكواكب أشدّ خلقاً منا ؛ لأنها مخلوقات عظام أكبر وأعظم منا ، فيتضح بذلك البرهان القاطع على قدرته جلّ وعلا على البعث بعد الموت ؛ لأنّ من المعلوم بالضرورة أنّ من خلق الأعظم الأكبر كالسموات والأرض وما ذكر معهما قادر على أن يخلق الأصغر الأقل كما قال تعالى : "لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس"(٢) ؛ أي ومن قدر على خلق الأكبر فلا شك أنه قادر على أن يخلق الأصغر ؛ كخلق الإنسان خلقاً جديداً بعد الموت))(٣) .

ثمّ سرد رحمه الله الآيات الدالة على هذا البرهان ، فقال :

((وقال تعالى : "أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن

---

(١) سورة الصافات ، الآية {١١} .

(٢) سورة غافر ، الآية {٥٧} .

(٣) أضواء البيان ٦/٦٧٨ .

يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم"(١) ، وقال تعالى : "أولم يروا أن" الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن" بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل" شيء قدير"(٢) ، وقال تعالى : "أولم يروا أن" الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم"(٣) ، وقال تعالى في النازعات موضحا الاستفتاء المذكور في آية الصافات هذه : "أأنتم أشد" خلقا أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها * متاعا لكم ولأنعامكم"(٤))(٥) .

---

(١) سورة يس ، الآية {٨١} .

(٢) سورة الأحقاف ، الآية {٣٣} .

(٣) سورة الإسراء ، الآية {٩٩} .

(٤) سورة النازعات ، الآيات {٢٧-٣٣} .

(٥) أضواء البيان ٦٧٨/٦ . وانظر المصدر نفسه ١١٦/١ ، ٣ /٢٢٣ ، ٣٣٤/٧ .

البرهان الثالث : إحياء الأرض بعد موتها

قال الشيخ الأمين رحمه الله : ((من احيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الناس بعد موتهم ؛ لأنّ الجميع احياء بعد موت . فمن الآيات الدالة على ذلك : قوله تعالى : "ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت إنّ الذي احياها لمحيي الموتى إنه على كلّ شيء قدير"(١) ، وقوله تعالى : "وترى الارض هامدة فإذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كلّ زوج بهيج * ذلك بانّ الله هو الحقّ وانه يحيي الموتى وانه على كلّ شيء قدير * وانّ الساعة آتية لاريب فيها وانّ الله يبعث من في القبور"(٢) ، وقوله تعالى : "فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها إنّ ذلك لمحيي الموتى وهو على كلّ شيء قدير"(٣) ، وقوله تعالى : "وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كلّ الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون"(٤) . فقوله : "كذلك نخرج الموتى" ؛ اي نبعثهم من قبورهم احياء كما

---

(١) سورة فصلت ، الآية {٣٩} .

(٢) سورة الحج ، الآيات {٥-٧} .

(٣) سورة الروم ، الآية {٥٠} .

(٤) سورة الاعراف ، الآية {٥٧} .

اخرجنا تلك الثمرات بعد عدمها ، واحيينا بإخراجها ذلك البلد الميت . وقوله تعالى : " يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحيّ ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون "(١) ; يعني تخرجون من قبوركم احياء بعد الموت . وقوله تعالى : "واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج"(٢) ، إلى غير ذلك من الآيات))(٣) .

وعلق رحمه الله على هذه البراهين بعد ذكرها بقوله :

((فهذه البراهين الثلاثة يكثر جدا الاستدلال بها على البعث في كتاب الله))(٤) .

---

(١) سورة الروم ، الآية {١٩} .
(٢) سورة ق ، الآية {١١} .
(٣) اضواء البيان ٣٣٦/٧ . وانظر المصدر نفسه ١١٦/١ ،، ٢٢٣/٣ ،، ٣٦٧/٦ ،، ٦٤٦/٧ ، ٧٨٩-٧٩١ .
(٤) اضواء البيان ٢٢٤/٣ .

البرهان الرابع : إحياء بعض الأموات في الدنيا

دليل على إحياء جميع الخلق يوم القيامة

ذكر الشيخ الأمين رحمه الله هذا البرهان ، وساق له خمسة أدلة من كتاب الله تعالى ؛ أربعة منها فيها ذكر أناس عاشوا بعد الموت ؛ فقال رحمه الله : ((هناك برهان رابع يكثر الاستدلال به على البعث .... وهو إحياء الله بعض الموتى في دار الدنيا كما تقدمت الإشارة إليه في سورة البقرة ؛ لأنّ من أحيا نفسا واحدة بعد موتها قادر على إحياء جميع النفوس ؛ "ما خلقكم ولابعثكم إلا كنفس واحدة"(١) . وقد ذكر جلّ وعلا هذا البرهان في سورة البقرة في خمسة مواضع : الأول : قوله : "ثمّ بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون"(٢) . الثاني : قوله : "فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون"(٣) . الثالث : قوله جلّ وعلا : "فقال لهم الله موتوا ثمّ أحياهم"(٤) . الرابع : قوله : "فأماته الله مائة عام ثمّ بعثه قال كم لبثت قال لبثت

---

(١) سورة لقمان ، الآية {٢٨} .
(٢) سورة البقرة ، الآية {٥٦} .
(٣) سورة البقرة ، الآية {٧٣} .
(٤) سورة البقرة ، الآية {٢٤٣} .

يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثمّ نكسوها لحما فلما تبيّن له قال أعلم أنّ الله على كلّ شيء قدير"(١) . الخامس : قوله تعالى : "قال فخذ أربعة من الطير فصرهنّ إليك ثمّ اجعل على كلّ جبل منهنّ جزءا ثمّ ادعهنّ يأتينك سعيا واعلم أنّ الله عزيز حكيم"(٢)))(٣) .

---

(١) سورة البقرة ، الآية {٢٥٩} .

(٢) سورة البقرة ، الآية {٢٦٠} .

(٣) أضواء البيان ٢٢٤/٣ . وانظر المصدر نفسه ١٤١/١ .

البرهان الخامس : إخراج النار من الشجر الأخضر

قال تعالى : "افرأيتم النار التي تورون * أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون"(١) .

قال الشيخ الأمين رحمه الله عند تفسير هذه الآيات :

((والجواب الذي لاجواب غيره : أنت يا ربنا هو الذي أنشأت شجرتها ، ونحن لاقدرة لنا بذلك . فيقال : كيف تنكرون البعث وأنتم تعلمون أن من أنشأ شجرة النار وأخرجها منها قادر على كل شيء .

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون خلق النار من أدلة البعث جاء موضحا في (يس) في قوله تعالى : "قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم * الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون"(٢) ؛ فقوله في آخر (يس) : "توقدون" ؛ هو معنى قوله في الواقعة : "تورون" ، وقوله في آية (يس) : "الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا" بعد قوله : "يحييها الذي أنشأها أول مرة" دليل واضح على أن خلق النار من أدلة البعث))(٣) .

---

(١) سورة الواقعة ، الآيتان {٧١-٧٢} .

(٢) سورة يس ، الآيتان {٧٩-٨٠} .

(٣) أضواء البيان ٧/٧٩٥ .

البرهان السادس : إيلاج الليل بالنهار والنهار بالليل

قال الشيخ الأمين رحمه الله : ((استدل على قدرته على الخلق والبعث ، فقال : "ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير * ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير"(١)))(٢) .

وهذه البراهين التي استدل بها الشيخ الأمين رحمه الله على النشأة الثانية أدلة واضحة وصريحة من كتاب الله سبحانه وتعالى .

وقد استدل بها غيره من العلماء ؛ أمثال الإمام ابن القيم رحمه الله ؛ حيث أورد أكثرها في كتابه إعلام الموقعين(٣) . وكذلك الإمام ابن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية ؛ ذكر خمسة منها(٤) .

---

(١) سورة لقمان ، الآيتان {٢٩-٣٠} .

(٢) أضواء البيان ٧٣٩/٥ .

(٣) إعلام الموقعين ١٤٠/١-١٤٣ .

(٤) شرح الطحاوية ص ٤٦٠-٤٦٢ .

المطلب الثاني

الحشر

الحشر : هو جمع الناس حفاة ، عراة ، غرلا ، بهما ، على صعيد واحد للحساب والجزاء يوم القيامة (١) .

وقد دلّ الكتاب والسنة على الحشر ؛ فقال تعالى : "ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا" (٢) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تحشرون حفاة عراة غرلا" ، قالت : عائشة : فقلت : يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض ؟ فقال : "الامر أشدّ من أن يهمّهم ذاك" (٣) .

ولقد أوضح الشيخ الأمين رحمه الله الحشر ، وكيفيته ، وأنواعه ؛ فقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير" (٤) : ((أي تشقق الأرض عنهم في حال كونهم مسرعين إلى الداعي ؛ وهو الملك الذي ينفخ في الصور ، ويدعو الناس إلى الحساب والجزاء . وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أنّ الناس يوم البعث يخرجون من قبورهم مسرعين إلى

---

(١) انظر : لمعة الاعتقاد ص ٢٦ . وأضواء البيان ١١٢/٤ .

(٢) سورة الكهف ، الآية {٤٧} .

(٣) صحيح البخاري ١٩٥/٧ .

(٤) سورة ق ، الآية {٤٤} .

المحشر قاصدين نحو الداعي جاء في آيات أخر من كتاب الله ؛ كقوله تعالى : "يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون"(١) ، وقوله تعالى : "ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون"(٢)))(٣) .

وقال أيضا رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة"(٤) : ((إي والله لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ؛ أي حفاة عراة غرلا ؛ أي غير مختونين . كلّ واحد منكم فرد لا مال معه ، ولا ولد ، و لا خدم ، و لا حشم))(٥) .

وقد أوضح الشيخ رحمه الله أنّ الحشر عامّ لجميع المخلوقات ؛ حيث قال : ((إنّ هذا الحشر المذكور شامل للعقلاء وغيرهم من أجناس المخلوقات ، وهو قوله تعالى : "وما من دابة في الأرض ولاطائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثمّ إلى ربهم يحشرون"(٦)))(٧) .

---

(١) سورة المعارج ، الآية {٤٣} .
(٢) سورة يس ، الآية {٥١} .
(٣) أضواء البيان ٦٥٥/٧-٦٥٦ .
(٤) سورة الكهف ، الآية {٤٨} .
(٥) أضواء البيان ١١٤/٤ . وانظر المصدر نفسه ٥١٦/٤ .
(٦) سورة الأنعام ، الآية {٣٨} .
(٧) أضواء البيان ١١٢/٤ . وانظر المصدر نفسه ٤٣٩/٦ .

اقسام المحشورين ، وكيفية حشرهم :

{١} - حشر المتقين :

قال الشيخ الأمين رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا "(١) : ((ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنّ المتقين الذين كانوا يتقونه في دار الدنيا بامتثال أمره واجتناب نهيه يحشرون إليه يوم القيامة في حال كونهم وفدا ... والوفد من يأتي إلى الملك مثلا في أمر له شأن))(٢) .

ثمّ بيّن رحمه الله كيفية حشرهم ، فقال : ((وجمهور المفسرين على أنّ معنى قوله : "وفدا" ; أي ركبانا . وبعض العلماء يقول : هم ركبان على نجائب من نور من مراكب الدار الآخرة . وبعضهم يقول : يحشرون ركبانا على صور من أعمالهم الصالحة في الدنيا في غاية الحسن وطيب الرائحة ... - إلى أن قال : - وركوبهم المذكور إنما يكون من المحشر إلى الجنة . أما من القبر فالظاهر أنهم يحشرون مشاة بدليل حديث ابن عباس الدالّ على أنهم يحشرون حفاة عراة غرلا . هذا هو الظاهر ، وجزم به القرطبي ، والعلم عند الله))(٣) .

---

(١) سورة مريم ، الآية {٨٥} .
(٢) أضواء البيان ٤/٣٩٠-٣٩١ .
(٣) أضواء البيان ٤/٣٩١-٣٩٢ .

{٢} - حشر الكافرين وشياطينهم :

قال الشيخ الأمين رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا"(١) : ((اقسم جل وعلا بنفسه الكريمة انه يحشرهم ; اي الكافرين المنكرين للبعث ، وغيرهم من الناس ، ويحشر معهم الشياطين الذين كانوا يضلونهم في الدنيا ، وانه يحضرهم حول جهنم جثيا . وهذان الأمران اللذان ذكرهما في هذه الآية الكريمة اشار إليهما في غير هذا الموضع . اما حشره لهم ولشياطينهم : فقد اشار إليه في قوله : "احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم"(٢)))(٣) .

وقال رحمه الله ايضا : ((فقوله تعالى : "احشروا الذين ظلموا وازواجهم" ; اي اجمعوا الظالمين واشباههم ونظراءهم فاهدوهم إلى النار ليدخلها جميعهم . وبذلك نعلم ان قول من قال : المراد بازواجهم : نساؤهم اللاتي على دينهم : خلاف الصواب . وقوله :

---

(١) سورة مريم ، الآية {٦٨} .
(٢) سورة الصافات ، الآية {٢٣} .
(٣) اضواء البيان ٤/٣٤٥ .

"وما كانوا يعبدون من دون الله" ؛ أي احشروا مع الكفار الشركاء التي كانوا يعبدونها من دون الله ليدخل العابدون والمعبودات جميعا النار))(١) .

---

(١) أضواء البيان ٦/٦٨١-٦٨٢ . وانظر : المصدر نفسه ٦/٤٣٩-٤٤٠ . ودفع إيهام الاضطراب - الملحق بأضواء البيان ١٠/٢٢٧-٢٢٨ - .

المبحث الرابع

الميزان

الميزان لغة : اسم للآلة التي توزن بها الأشياء .

والوزن : معرفة قدر الشيء ؛ يقال : وزنته وزنا ، وزنة . والمتعارف في الوزن عند العامة : ما يقدر بالقسط والقبان(١) .

والميزان شرعا : هو ما ينصبه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد ؛ ليجازيهم على أعمالهم . وهو ميزان حسي له كفتان ولسان .

وقد دلّ عليه الكتاب والسنة ؛ قال تعالى : "ونضع الموازين القسط ليوم القيامة"(٢) . وقال صلى الله عليه وسلم : "كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ؛ سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم"(٣) . وقال صلى الله عليه وسلم عن ساقي عبدالله بن مسعود : "إنهما لفي الميزان أثقل من جبل أحد"(٤) .

---

(١) المفردات ص ٥٢٢ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية {٤٧} .

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٧٢/٤ .

(٤) رواه أحمد في المسند ٤٢٠/١-٤٢١ . وقال الألباني في تعليقه على شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٧٤) : "بسند حسن" .

وقد اوضح الشيخ الأمين رحمه الله حقيقة الميزان ، وسرد الأدلة على وجوده ، وانه حقّ ثابت . وقد رجح في الأخير انها موازين عدة لا واحد .

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين"(١) : ((ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنه يضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فتوزن أعمالهم وزنا في غاية العدالة والإنصاف ، فلا يظلم الله احدا شيئا ، وانّ عمله من الخير او الشرّ وإن كان في غاية القلة والدقة كمثقال حبة من خردل ، فإنّ الله ياتي به ؛ لأنه لايخفى عليه شيء ، وكفى به جلّ وعلا حاسبا لإحاطة علمه بكلّ شيء . وبيّن في غير هذا الموضع انّ الموازين عند ذلك الوزن منها ما يخفّ ، ومنها ما يثقل ، وانّ من خفت موازينه هلك ، ومن ثقلت موازينه نجا))(٢) .

ثمّ سرد رحمه الله الآيات الدالة على ذلك من القرآن الكريم كعادته في تفسير القرآن بالقرآن ، ورجح رحمه الله تعدد الموازين ؛ فقال : ((وقوله في هذه الآية : "ونضع الموازين" جمع ميزان . وظاهر القرآن تعدد الموازين لكلّ شخص ؛ لقوله : "فمن

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية {٤٧} .

(٢) أضواء البيان ٤/٥٨٣-٥٨٤ .

ثقلت موازينه"(١) ، وقوله : "ومن خفت موازينه"(٢) ؛ فظاهر القرآن يدلّ على أنّ للعامل الواحد موازين يوزن بكلّ واحد منها صنف من أعماله(٣) ؛ كما قال الشاعر :

ملك تقوم الحادثات لعدله . فلكلّ حادثة لها ميزان

والقاعدة المقررة في الأصول : أنّ ظاهر القرآن لايجوز العدول عنه إلا بدليل يجب الرجوع إليه . وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة : الأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد ، وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة(٤)))(٥) .

وأثبت رحمه الله أنّ العامل يوزن ، واستدلّ بحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم : "إنه ليأتي الرجل

---

(١) سورة الأعراف ، الآية {٨} .
(٢) سورة الأعراف ، الآية {٩} .
(٣) ذكر ذلك الرازي في تفسيره (٢٩/١٤) ، وقال : الأظهر إثبات الموازين يوم القيامة ، لاميزان واحد . وقال : فلا يبعد أن تكون لأفعال القلوب ميزان ، وللجوارح ميزان ، ولما يتعلق بالقول ميزان .
وذكره القرطبي (انظر الجامع لأحكام القرآن ١١/١٩٤) ، ولم يرجحه .
(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ١٨٠/٣ .
وهو ما رجحه الحافظ ابن حجر رحمه الله (انظر فتح الباري ٥٤٧/١٣) .
(٥) أضواء البيان ٥٨٣/٤-٥٨٤ .

العظيم السمين يوم القيامة لايزن عند الله جناح بعوضة " . وقال اقرؤوا : "فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا"(١)(٢) . ثمّ قال رحمه الله : ((وفيه دلالة على وزن الأشخاص))(٣) .

ويحسن بنا أن نختم هذا المبحث بأقوال السلف في حقيقة الميزان ، وأنه يجب الإيمان به كما هي عقيدة أهل السنة والجماعة :

قال أبو إسحاق الزجاج(٤) رحمه الله : ((أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان ، وأنّ أعمال العباد توزن يوم القيامة ، وأنّ الميزان له لسان ، وكفتان ، ويميل بالأعمال))(٥) .

وقال ابن أبي العزّ الحنفي رحمه الله : ((... فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال ، وثبت أنّ الميزان له كفتان ،

---

(١) سورة الكهف ، الآية [١٠٥] .

(٢) رواه البخاري في الصحيح ٢٣٦/٥ . ومسلم في الصحيح ٢١٤٧/٤ .

(٣) أضواء البيان ١٩٥/٤ .

(٤) هو إبراهيم بن محمد بن سري بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج . كان فاضلا ، دينا ، حسن الاعتقاد ، عالما بالنحو واللغة . توفي سنة (٣١١ هـ) .
(انظر : البداية والنهاية ١٥٩/١٣ . ومعجم المؤلفين ٣٣/١) .

(٥) فتح الباري ٥٤٨/١٣ .

والله تعالى اعلم بما وراء ذلك من الكيفيات ، فعلينا الإيمان بالغيب كما اخبرنا الصادق صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولانقصان))(١) .

---

(١) شرح الطحاوية ص ٤٧٥ .

المبحث الخامس

الصراط

الصراط لغة : قال الشيخ الأمين رحمه الله : ((الصراط في لغة العرب : الطريق الواسع والمستقيم الذي لااعوجاج فيه ، ومنه قول جرير :

أمير المؤمنين على صراط إذ اعوج الموارد مستقيم))(١) .

وأما شرعا : فهو جسر منصوب على متن جهنم ، يمرّ عليه الناس إلى الجنة ، فمنهم من يمرّ كالطرف ، ومنهم كالريح ، ومنهم من يمرّ كشدّ الرجل ؛ يرمل رملا ، فيمرون على قدر أعمالهم ، حتى يمرّ الذي نوره على إبهام قدمه ، ومنهم من يخطف فيلقى في النار ؛ فمن مرّ على الصراط دخل الجنة (٢) .

وقد ورد في ذكر الصراط أحاديث ، منها : قوله صلى الله عليه وسلم : "... ويضرب الصراط بين ظهري جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها . ولايتكلم يومئذ إلا الرسل . ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم . وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان ، هل رأيتم

---

(١) أضواء البيان ٢٠٣/٧ . وانظر : لسان العرب ٣١٣/٧ . والمفردات للراغب الأصفهاني ص ٢٨٠ .

(٢) انظر شرح الطحاوية ص ٤٦٩-٤٧٠ . وفتاوى شيخ الإسلام ١٤٦/٣-١٤٧ .

السعدان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . قال : فإنها مثل شوك السعدان ، غير أنه لايعلم ما قدر عظمها إلا الله عزّ وجلّ ، تخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم الموبق بقي بعمله ، أوالموثق بعمله ، ومنهم المخردل أو المجازى أو نحوه "(١) .

والمرور على الصراط هو المذكور في قوله تعالى : "وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا "(٢) .

وقد اختلف العلماء في المراد بالورود في قوله تعالى : "وإن منكم إلا واردها" إلى أقوال كثيرة ، ذكر الشيخ الأمين رحمه الله أربعة منها ؛ فقال : ((الأول : أنّ المراد بالورود : الدخول . ولكنّ الله يصرف أذاها عن عباده المتقين عند ذلك الدخول . الثاني : أنّ المراد بورود النار المذكور : الجواز على الصراط ؛ لأنه جسر منصوب على متن جهنم . الثالث : أنّ الورود المذكور : هو الإشراف عليها والقرب منها . الرابع : أنّ حظّ المؤمنين من ذلك هو حرّ الحمى في دار الدنيا))(٣) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٧٩/٨ . وانظر صحيح مسلم ١٦٣/١ .
(٢) سورة مريم ، الآية {٧١} .
(٣) أضواء البيان ٣٤٨/٤ . وانظر : روح المعاني ١٢١/١٦-١٢٢ . وقد ذكر هذه الأقوال : القرطبي ، وزادها قولا خامسا : أنّ الورود النظر إليها في القبر ؛ فينجي منها الفائز ، ويصلاها من قدر عليه دخولها . (الجامع لأحكام القرآن ٩٢/١١) . وذكر ابن رجب الأقوال الأربعة السابقة ، إلا أنه ذكر بدل = =

ثمّ استدلّ للقول الأول : ((أنّ ورود النار جاء في القرآن في آيات متعددة ، والمراد في كلّ واحد منها : الدخول . فاستدلّ بذلك ابن عباس على أنّ الورود في الآية التي فيها النزاع هو الدخول ; لدلالة الآيات الأخرى على ذلك ; كقوله تعالى : "يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود"(١) ; قال : فهذا ورود دخول . وكقوله : "لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكلّ فيها خالدون"(٢) ; فهو ورود دخول أيضا . وكقوله : "ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا"(٣) ، وقوله تعالى : "إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون"(٤) . وبهذا استدلّ ابن عباس على نافع بن الأزرق(٥) في أنّ الورود : الدخول))(٦) .

= الإشراف عليها والقرب منها : أنّ الورود خاصّ بالمحضرين حول جهنم . (انظر التخويف من النار ص ٢٠٠) .

(١) سورة هود ، الآية {٩٨} .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية {٩٩} .

(٣) سورة مريم ، الآية {٨٦} .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية {٩٨} .

(٥) هو نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري الوائلي الحروري . رأس الأزارقة . وإليه نسبتهم . كان أمير قومه وفقيههم . من أهل البصرة . قتل في الأهواز يوم دولاب سنة (٦٥ هـ) .
(انظر : الأعلام ٣٥١/٧-٣٥٢) .

(٦) أضواء البيان ٣٤٩/٤ .

ثمّ قال رحمه الله : ((واحتج من قال بأنّ الورود : الإشراف والمقاربة بقوله تعالى : "ولما ورد ماء مدين" الآية (١) ، قال : فهذا ورود مقاربة وإشراف عليه . وكذا قوله تعالى : "فأرسلوا واردهم" الآية (٢) . ونظيره من كلام العرب : قول زهير بن ابي سلمى في معلقته :

فلما وردن الماء زرقا جمامه   وضعن عصيّ الحاضر المتخيم (٣)

قالوا : والعرب تقول : وردت ~~الخالفة~~ القافلة البلد ، وإن لم تدخله ، ولكن قربت منه . واحتجّ من قال بأنّ الورود في الآية التي نحن بصددها : ليس نفس الدخول بقوله تعالى : "إنّ الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون * لايسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون"(٤) ; قالوا : إبعادهم عنها المذكور في هذه الآية يدلّ على عدم دخولهم فيها ، فالورود غير الدخول . واحتجّ من قال بأنّ ورود النار في الآية بالنسبة للمؤمنين : حرّ الحمى في دار الدنيا بحديث : "الحمى من فيح جهنم فابردوها

---

(١) سورة القصص ، الآية {٢٣} .

(٢) سورة يوسف ، الآية {١٩} .

(٣) انظر شرح المعلقات العشر ص ٥٨ .

(٤) سورة الأنبياء ، الآيتان {١٠١-١٠٢} .

بالماء"(١) ، وهو حديث متفق عليه من حديث عائشة وأسماء ابنتي أبي بكر ، وابن عمر ، ورافع بن خديج رضي الله عنهم . ورواه البخاري أيضا مرفوعا عن ابن عباس))(٢) .

ثم نصر رحمه الله القول الأول ; القائل بأن الورود بمعنى الدخول ، واستدل على ذلك بأربعة أدلة ; فقال : ((الأول : ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما من أن جميع ما في القرآن من ورود النار ; معناه دخولها ، غير محل النزاع ، فدل ذلك على أن محل النزاع كذلك ، وخير ما يفسر به القرآن القرآن .

الدليل الثاني : هو أن في نفس الآية قرينة دالة على ذلك ; وهي أنه تعالى لما خاطب جميع الناس بأنهم سيردون النار برهم وفاجرهم بقوله : "وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا"(٣) ، بين مصيرهم ومآلهم بعد ذلك الورود المذكور بقوله : "ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها"(٤) ; أي نترك الظالمين فيها

---

(١) أخرجه البخاري ٨٩/٤-٩٠ ، ومسلم ١٧٣١/٤-١٧٣٢ : من حديث ابن عباس ، وعائشة ، وابن عمر . والبخاري ٨٩/٤-٩٠ ، ومسلم ١٧٣٣/٤ : من حديث رافع بن خديج بلفظ : "الحمى من فور جهنم فابردوها عنكم بالماء" . ومسلم ١٧٣٣/٤ : من حديث أسماء .

(٢) أضواء البيان ٣٤٩/٤-٣٥٠ .

(٣) سورة مريم ، الآية {٧١} .

(٤) سورة مريم ، الآية {٧٢} .

دليل على أنّ ورودهم لها : دخولهم فيها ، إذ لو لم يدخلوها لم يقل : "ونذر الظالمين فيها" ، بل يقول : وندخل الظالمين . وهذا واضح كما ترى . وكذلك قوله : "ثمّ ننجي الذين اتقوا" دليل على أنهم وقعوا فيما من شأنه أنه هلكة ، ولذا عطف على قوله : "وإن منكم إلا واردها" قوله : "ثمّ ننجي الذين اتقوا"))(١) .

أما الدليل الثالث : فقد استدلّ رحمه الله بحديث جابر ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "لايبقى برّ ولافاجر إلا دخلها ، فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم ، حتى إنّ للنار ضجيجا من بردهم ، ثمّ ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا"(٢) .

ثمّ قال رحمه الله : ((إنّ حديث جابر المذكور يعتضد بظاهر القرآن وبالآيات الأخرى التي استدلّ بها ابن عباس))(٣) .

---

(١) أضواء البيان ٣٥٠/٤ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٢٩/٣ باختلاف يسير . وقال الشيخ الأمين عن إسناده : "لايقل عن درجة الحسن" (انظر أضواء البيان ٣٥١/٤) .

قال الشيخ الألباني : (عن أبي سمية ، عنه . وأبو سمية مجهول كما قال الذهبي . وقد صححه هو والحاكم ، وفيه نظر ليس هذا موضع بيانه) . (كلمة الإخلاص لابن رجب ص ٤١ ، بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني) .

(٣) أضواء البيان ٣٥٢/٤ .

أما الدليل الرابع : فقد استدل رحمه الله بآثار جاءت عن علماء السلف رضي الله عنهم ، كلهم يقولون : إنه ورود دخول(١) ، وختم كلامه رحمه الله بالرد على أدلة من منع الدخول ؛ فقال رحمه الله : ((وأجاب من قال بأن الورود في الآية : الدخول عن قوله تعالى : "أولئك عنها مبعدون"(٢) ؛ بأنهم مبعدون عن عذابها وألمها ، فلا ينافي ذلك ورودهم إياها من غير شعورهم بألم ولا حر منها .... وأجابوا عن الاستدلال بحديث "الحمى من فيح جهنم" بالقول بموجبه ؛ قالوا : الحديث حق صحيح ، ولكنه لادليل فيه لمحل النزاع ؛ لأن السياق صريح في أن الكلام في النار في الآخرة ، وليس في حرارة منها في الدنيا ؛ لأن أول الكلام قوله تعالى : "فوربك لنحشرنهم والشياطين * ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا - إلى أن قال - وإن منكم إلا واردها"(٣) ؛ فدل على أن كل ذلك في الآخرة لا في الدنيا كما ترى))(٤) .

---

(١) انظر أضواء البيان ٣٥٢/٤ . وتفسير القرآن العظيم ١٣٢/٣-١٣٣. وهذه الآثار عن خالد بن معدان ، وعبدالله بن رواحة رضي الله عنه ، وأبي ميسرة ، وعبدالله بن المبارك ، عن الحسن البصري: كلهم يقولون : إنه ورود دخول .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية {١٠١} .

(٣) سورة مريم ، الآيات {٦٨-٧٢} .

(٤) أضواء البيان ٣٥٢/٤ . وانظر هذا المبحث في دفع إيهام الاضطراب - الملحق بأضواء البيان ١٩٢/١٠-١٩٣ - .

وتفسير الورود اختلف فيه الصحابة ، ومن بعدهم من العلماء (١) .

والشيخ الأمين رحمه الله حين يرجح أن الورود بمعنى الدخول لم يأت بشيء مبتدع ، بل قاله غيره من علماء التفسير ؛ أمثال القرطبي(٢) رحمه الله ، وغيره . بل قد قال الآلوسي : ((ذهب إلى ذلك جمع كثير من سلف المفسرين وأهل السنة))(٣) .

وبالمقابل رجح بعض العلماء أن الورود : هو المرور على الصراط ؛ ومن هؤلاء ابن أبي العز الحنفي رحمه الله الذي قال : ((اختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى : "وإن منكم إلا واردها"(٤) ما هو ؟ والأظهر الأقوى أنه المرور على الصراط))(٥) .

وكذلك الحافظ ابن رجب رحمه الله الذي قال : ((ومما يستدل به على أن الورود ليس هو الدخول : ما خرجه مسلم من حديث جابر قال : أخبرتني أم بشر أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر التخويف من النار لابن رجب ص ١٩٣ . وأضواء البيان ٣٥٢/٤ .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ٩٣/١١ .

(٣) انظر روح المعاني ١٢١/١٦ .

(٤) سورة مريم ، الآية {٧١} .

(٥) شرح الطحاوية ص ٤٧١ .

يقول عند حفصة : "لايدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها" . قالت : بلى يا رسول الله . فانتهرها . فقالت حفصة : "وإن منكم إلا واردها"(١) . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "قد قال الله عز وجل : ‹ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا›(٢)"(٣)))(٤) .

وكذلك الإمام الشوكاني(٥) رحمه الله قال : ((وقد توقف كثير من العلماء عن تحقيق هذا الورود وحمله على ظاهره ; لقوله تعالى : "إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون"(٦) .... ولايخفى أن القول بأن الورود هو المرور على الصراط ، أو الورود على جهنم وهي خامدة : فيه جمع بين الأدلة من الكتاب والسنة ، فينبغي حمل هذه الآية على ذلك))(٧) .

---

(١) سورة مريم ، الآية {٧١} .

(٢) سورة مريم ، الآية {٧٢} .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ١٩٤٢/٤ .

(٤) التخويف من النار ص ١٩٤ .

(٥) تقدمت ترجمته .

(٦) سورة الأنبياء ، الآية {١٠١} .

(٧) فتح القدير ٣٤٤/٣ .

وقـال شـيخ الإسلام ابـن تيميـة رحمـه اللـه : ((وأما الورود المذكـور فـي قوله تعالى : "وإن منكم إلا واردها"(١) : فقد فسـره النبـي صلى اللـه عليه وسلم في الحديث الصحيح ؛ رواه مسلم في صحيحه عن جابر : بأنـه المـرور علـى الصـراط(٢) . والصراط هو الجسـر ، فلا بدّ من المرور عليـه لكلّ من يدخل الجنة ؛ من كان صغيرا في الدنيا ، ومن لم يكن))(٣) .

---

(١) سورة مريم ، الآية {٧١} .

(٢) أخرجه مسلم ١٩٤٢/٤ . وقد تقدم قبل صفحة .

(٣) الفتاوى ٢٧٩/٤ .

المبحث السادس

الجنة

الجنة لغة : عرفها الشيخ رحمه الله بقوله : ((والجنة في لغة العرب : البستان . ومنه قول زهير بن أبي سلمى :

كأنّ عيني في غربي مقتلة   من النواضح تسقي جنة سحقا

فقوله : جنة سحقا ; يعني بستانا طويل النخل .

وفي اصطلاح الشرع : هي دار الكرامة التي أعدّ الله لأوليائه يوم القيامة))(١) . ((وفيها نهر يطرد ، وغرفة عالية ، وشجرة مثمرة ، وزوجة حسناء . بل فيها ما تشتهي الأنفس ، وتلذّ الأعين ; مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولاخطر على قلب بشر))(٢) ;

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يقول الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لاعين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولاخطر على قلب بشر"(٣) .

---

(١) أضواء البيان ١٦١/٧ .

(٢) معارج الصعود ص ٨٤ . وانظر المصدر نفسه ص ٢٦٢ .

(٣) صحيح مسلم ٢١٧٤/٤ .

المطلب الأول

نعيم الجنة

اشار الشيخ الامين رحمه الله إلى نعيم الجنة ، وصوره . وذكر ان هذا النعيم باق لايفنى ولاينفد . وذكر كثيرا من الآيات التي تتحدث عن اوصاف هذا النعيم المقيم ؛ فقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون كذلك يجزي الله المتقين"(١) : ((ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة انّ المتقين يدخلون يوم القيامة جنات عدن . والعدن في لغة العرب : الإقامة ؛ فمعنى جنات عدن : جنات إقامة في النعيم لايرحلون ولايتحولون . وبيّن في آيات كثيرة انهم مقيمون في الجنة على الدوام ، كما اشار له هنا بلفظ عدن ؛ كقوله : "لايبغون عنها حولا"(٢) ، وقوله : "الذي احلنا دار المقامة من فضله" الآية (٣) ، والمقامة : الإقامة))(٤) .

ثمّ قال رحمه الله : ((وقوله في هذه الآية الكريمة : "تجري

---

(١) سورة النحل ، الآية {٣١} .

(٢) سورة الكهف ، الآية {١٠٨} .

(٣) سورة فاطر ، الآية {٣٥} .

(٤) اضواء البيان ٣/٢٦٥ .

من تحتها الأنهار"(١) : بيّن أنواع تلك الأنهار في قوله : "فيها أنهار من ماء غير آسن - إلى قوله - من عسل مصفى"(٢) . وقوله هنا "لهم فيها ما يشاؤون"(٣) وضحه في مواضع أخر ؛ كقوله : "لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد"(٤) ، وقوله : "وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون"(٥) ، وقوله : "لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك وعدا مسؤولا"(٦) . وقوله : "لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين"(٧) . وقوله : "ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم"(٨) . إلى غير ذلك من الآيات . وقوله في هذه الآية : "كذلك يجزي الله المتقين"(٩) ؛ يدل على أن تقوى الله هو السبب الذي به تنال الجنة . وقد أوضح تعالى هذا المعنى في مواضع أخر كقوله : "تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا"(١٠) .

---

(١) سورة النحل ، الآية {٣١} .
(٢) سورة محمد ، الآية {١٥} .
(٣) سورة النحل ، الآية {٣١} .
(٤) سورة ق ، الآية {٣٥} .
(٥) سورة الزخرف ، الآية {٧١} .
(٦) سورة الفرقان ، الآيه {١٦} .
(٧) سورة الزمر ، الآية {٣٤} .
(٨) سورة فصلت ، الآيتان {٣١-٣٢} .
(٩) سورة النحل ، الآية {٣١} .
(١٠) سورة مريم ، الآية {٦٣} .

وقولـه : "وسـارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعـدت للمتقيـن"(١) ، وقوله : "إنّ المتقين في جنات وعيون"(٢) ، وقولـه : "إنّ المتقيـن فـي جنـات ونعيـم"(٣) ، إلـى غير ذلك من الآيات))(٤) .

وتحـدث الشـيخ رحمـه الله عن خلود الجنة وخلود أهلها ، وذلك عنـد تفسـير قوله تعالى : "ماكثين فيه أبدا"(٥) ، فقال : ((أي خـالدين فيـه بـلا انقطـاع . وقـد بيـّن هذا المعنى في مواضع أخر كثـيرة ، كقولـه : "وأمـا الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامـت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ"(٦) ؛ أي غير مقطـوع ، وقوله : "إنّ هذا لرزقنا ما له من نفـاد"(٧) ؛ أي ما له انقطـاع وانتهـاء ، وقولـه : "مـا عنـدكم ينفـد ومـا عنـد اللـه بـاق"(٨) ، وقولـه : "الآخـرة خـير وأبقـى"(٩) ، إلـى غير ذلك من

---

(١) سورة آل عمران ، الآية {١٣٣} .
(٢) سورة الحجر ، الآية {٤٥} .
(٣) سورة الطور ، الآية {١٧} .
(٤) أضواء البيان ٣/٢٦٥-٢٦٦ .
(٥) سورة الكهف ، الآية {٣} .
(٦) سورة هود ، الآية {١٠٨} .
(٧) سورة ص ، الآية {٥٤} .
(٨) سورة النحل ، الآية {٩٦} .
(٩) سورة الأعلى ، الآية {١٧} .

الآيـات))(١) .

وتحـدث الشـيخ رحمه الله عن نعيم الجنة وملذاتها ، وذلك عند تفسـير قولـه تعـالى : "وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيهـا خـالدون"(٢) ؛ فقال : ((وما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن الجنـة فيهـا كـل مشـتهى ، وكل مسـتلذ : جاء مبسوطا موضحة أنواعه في آيات كثيرة من كتاب الله ، وجاء أيضا إجمالا شاملا لكل شيء من النعيم . أما إجمال ذلك : ففي قوله تعالى : "فلا تعلم نفس ما أخفي لهـم من قرة أعين جزاء بمـا كـانوا يعملـون"(٣) . وأمـا بسـط ذلك وتفصيله : فقد بيّـن القرآن أن من ذلك النعيم المذكـور فـي الآيـة : المشـارب ، والمآكل ، والمناكح ، والفرش ، والسرر ، والأواني ، وأنواع الحلي ، والملابس ، والخدم ، إلى غير ذلك . وسـنذكر بعض الآيـات الدالـة علـى كـل شـيء مـن ذلـك : أمـا المـآكـل : فقـد قـال تعـالى : "لكم فيها فاكهة كثيرة منها تـأكلون"(٤) ، وقـال : "ولحم طير مما يشتهون"(٥) ، وقال تعالى :

---

(١) أضواء البيان ١٠/٤ .
(٢) سورة الزخرف ، الآية {٧١} .
(٣) سـورة السـجدة ، الآية {١٧} .
(٤) سورة الزخرف ، الآية {٧٣} .
(٥) سورة الواقعـة . الآية {٢١} .

"وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولاممنوعة"(١) ، وقال تعالى : "كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها" الآية (٢) ، إلى غير ذلك من الآيات .

اما المشارب : فقد قال تعالى : "إن الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا * عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا"(٣) ، وقال تعالى : "ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا * عينا فيها تسمى سلسبيلا" الآية (٤) ، وقوله تعالى : "يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق وكاس من معين * لايصدعون عنها ولاينزفون"(٥) ، وقال تعالى : "يطاف عليهم بكاس من معين * بيضاء لذة للشاربين * لافيها غول ولاهم عنها ينزفون"(٦) ، وقال تعالى : "فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات"(٧) ، وقال تعالى : "كلوا واشربوا هنيئا بما

---

(١) سورة الواقعة ، الآيتان {٣٢-٣٣} .
(٢) سورة البقرة ، الآية {٢٥} .
(٣) سورة الإنسان ، الآيتان {٥-٦} .
(٤) سورة الإنسان ، الآيتان {١٧-١٨} .
(٥) سورة الواقعة ، الآيات {١٧-١٩} .
(٦) سورة الصافات ، الآيات {٤٥-٤٧} .
(٧) سورة محمد ، الآية {١٥} .

اسلفتم في الأيام الخالية"(١) ، إلى غير ذلك من الآيات ....

وأما ما يتكئون عليه من الفرش والسرر ونحو ذلك : ففي آيات كثيرة ; كقوله تعالى : "متكئين على فرش بطائنها من استبرق"(٢) ، وقوله تعالى : "هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون"(٣) ، وقوله تعالى : "على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين"(٤) ; والسرر الموضونة هي المنسوجة بقضبان الذهب . وقوله تعالى : "إخوانا على سرر متقابلين"(٥) ، وقوله تعالى : "فيها سرر مرفوعة"(٦) ، وقوله تعالى : "متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان"(٧) ، إلى غير ذلك من الآيات .

وأما خدمهم : فقد قال تعالى في ذلك : "يطوف عليهم ولدان مخلدون" الآية (٨) ، وقال تعالى في سورة الإنسان في صفة هؤلاء الغلمان : "إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا"(٩) .

---

(١) سورة الحاقة ، الآية {٢٤} .
(٢) سورة الرحمن ، الآية {٥٤} .
(٣) سورة يس ، الآية {٥٦} .
(٤) سورة الواقعة ، الآيتان {١٥-١٦} .
(٥) سورة الحجر ، الآية {٤٧} .
(٦) سورة الغاشية ، الآية {١٣} .
(٧) سورة الرحمن ، الآية {٧٦} .
(٨) سورة الواقعة ، الآية {١٧} .
(٩) سورة الإنسان ، الآية {١٩} .

وذكر نعيم الجنة بأبلغ صيغة في قوله تعالى : "وإذا رأيت ثمّ رأيت نعيما وملكا كبيرا"(١) . والآيات الدالة على أنواع نعيم الجنة ، وحسنها ، وكمالها ؛ كالظلال ، والعيون ، والأنهار ، وغير ذلك كثيرة جدا . ولنكتف منها بما ذكرنا))(٢) .

وهكذا يصف الشيخ الأمين رحمه الله الجنة ، ونعيمها ، وملذاتها بأبلغ وصف ، وفق منهجه في بيان القرآن بالقرآن ؛ فيوضح ما أعدّ الله لأوليائه في دار كرامته ، وما يتفضّل به جلّ وعلا عليهم من الخلود في النعيم المقيم .

---

(١) سورة الإنسان ، الآية {٢٠} .

(٢) أضواء البيان ٧/٢٨٣-٢٨٤ .

المطلب الثاني

رؤية المؤمنين ربهم في الجنة

أعظم نعيم الجنة وملذاتها رؤية المؤمنين وجه ربهم الكريم الذي ليس كمثله شيء .

والمؤمنون يرون ربهم في الجنة من فوقهم رؤية بصرية كما جاءت النصوص من القرآن والسنة النبوية :

فمن القرآن : قوله تعالى : "وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة"(١) ، وقوله : "كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون"(٢) ، وقوله جلّ شأنه : "على الأرائك ينظرون"(٣) .

ومن السنة : قوله صلى الله عليه وسلم : "إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون في رؤيته . فإن استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ، وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا"(٤) ، وقال صلى الله عليه وسلم : "إنكم سترون ربكم عيانا"(٥) .

---

(١) سورة القيامة ، الآيتان {٢٢-٢٣} .

(٢) سورة المطففين ، الآية {١٥} .

(٣) سورة المطففين ، الآية {٢٣} .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه - واللفظ له - ١٧٩/٨ . ومسلم في الصحيح ٤٣٩/١ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ١٧٩/٨ .

وقد أوضح الشيخ الأمين رحمه الله هذه المسألة العظيمة من خلال تفسيره للآيات الدالة على رؤية الربّ سبحانه وتعالى ؛ فذكر حقيقة الرؤية ، وأدلتها ، ومعتقد أهل السنة في إثباتها في الآخرة ومنعها في الدنيا ، وذكر في المقابل أدلة المعطلة النافين لرؤية الله سبحانه وتعالى ، وبيّن خطأ استدلالهم ، وردّ عليهم .

ومما قاله رحمه الله : ((وقد ثبت عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال في قوله تعالى : "للذين أحسنوا الحسنى وزيادة "(١) ؛ الحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله الكريم (٢) ، وذلك هو أحد القولين في قوله تعالى : "ولدينا مزيد "(٣) . وقد

---

(١) سورة يونس ، الآية {٢٦} .

(٢) قال البيهقي رحمه الله : هذا تفسير استفاض واشتهر فيما بين الصحابة والتابعين ، ومثله لايقال إلا بالتوقيف (انظر لوامع الأنوار البهية ٢/٢٤٢) .

وقد أخرج مسلم عن صهيب رضي الله عنه ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : "إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحبّ إليهم من النظر إلى ربهم عزّ وجلّ . ثمّ تلا هذه الآية : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)" . (صحيح مسلم ١/١٦٣) .

(٣) سورة ق ، الآية {٣٥} .

وانظر في تفسير هذه الآية : الردّ على الجهمية للدارمي ص ٦٢ .

تواترت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بابصارهم . وتحقيق المسألة : أن رؤية الله جل وعلا بالابصار جائزة عقلا في الدنيا والآخرة . ومن أعظم الادلة على جوازها عقلا في دار الدنيا : قول موسى : "رب أرني انظر إليك"(١) ؛ لأن موسى لايخفى عليه الجائز والمستحيل في حق الله تعالى . واما شرعا : فهي جائزة وواقعة في الآخرة ؛ كما دلت عليه الآيات المذكورة ، وتواترت به الاحاديث الصحاح . واما في الدنيا : فممنوعة شرعا كما تدل عليه آية "الاعراف"(٢) هذه ، وحديث : "إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا"(٣)))(٤) .

اما من منع رؤية الله : فهم المعتزله والجهمية ومن تبعهم من الخوارج والإمامية . وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنه(٥) .

وقد استدلوا على ما ذهبوا إليه بادلة من القرآن الكريم : منها

---

(١) سورة الأعراف ، الآية {١٤٣} .

(٢) قوله تعالى : "قال لن تراني" . (الأعراف ، ١٤٣) .

(٣) لم اجده بهذا اللفظ . وهو في سنن الترمذي (٥٠٨/٤) بلفظ : "إنه لن يرى احد منكم ربه حتى يموت" . وقال : "حديث حسن صحيح" . رقم ٤ /٢٥٤٥

(٤) أضواء البيان ٣٣٢/٢ . وانظر المصدر نفسه ٢٦٢/٣ ، ٤٠١ ،، ١٩٩/٤ ،، ٦٥٤/٧ . ودفع إيهام الاضطراب – الملحق بأضواء البيان ١٢٢/١٠ ، ٣١٢ – . وآداب البحث والمناظرة ٥١/٢ . وتفسير سورة النور ص ١٤١ ، ١٥٧ – جمع د/عبدالله قادري – .

(٥) انظر : شرح الطحاوية ص ٢٠٤ .

قوله تعالى : "لاتدركه الأبصار"(١) ، وقوله تعالى : "لن تراني"(٢) ، وقوله تعالى : "وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة"(٣) ، وغيرها من الأدلة .

وقد استعرض الشيخ الأمين رحمه الله هذه الأدلة ، وبين أنها لاتعارض معتقد السلف في إثبات رؤية الله بالأبصار يوم القيامة ، ودفع التوهم الذي التبس على هؤلاء المعطلة ؛ فقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "لاتدركه الأبصار" الآية(٤) : ((هذه الآية الكريمة توهم أن" الله تعالى لايرى بالأبصار . وقد جاءت آيات أخر تدل" على أنه يرى بالأبصار ؛ كقوله تعالى : "وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة"(٥) ، وكقوله : "للذين أحسنوا الحسنى وزيادة"(٦) ؛ فالحسنى : الجنة . والزيادة : النظر إلى وجه الله الكريم . وكذلك قوله : "لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد"(٧) على أحد القولين . وكقوله تعالى في الكفار : "كلا إنهم

---

(١) سورة الأنعام ، الآية {١٠٣} .

(٢) سورة الأعراف ، الآية {١٤٣} .

(٣) سورة البقرة ، الآية {٥٥} .

(٤) سورة الأنعام ، الآية {١٠٣} .

(٥) سورة القيامة ، الآيتان {٢٢-٢٣} .

(٦) سورة يونس ، الآية {٢٦} .

(٧) سورة ق ، الآية {٣٥} . ١

عن ربهم يومئذ لمحجوبون"(١) ; يفهم من دليل خطابه أنّ المؤمنين ليسوا محجوبين عن ربهم . والجواب من ثلاثة أوجه : الأول : أنّ المعنى : "لاتدركه الأبصار" : أي في الدنيا ، فلا ينافي الرؤية في الآخرة . الثاني : أنه عام مخصوص برؤية المؤمنين له في الآخرة ، وهذا قريب من المعنى الأول . الثالث : وهو الحقّ : أنّ المنفيّ في هذه الآية الإدراك المشعر بالإحاطة بالكنه . أما مطلق الرؤية فلا تدلّ الآية على نفيه ، بل هو ثابت بهذه الآيات القرآنيه والأحاديث الصحيحة واتفاق أهل السنة والجماعه على ذلك . وحاصل هذا الجواب : أنّ الإدراك أخصّ من مطلق الرؤية ; لأنّ الإدراك المراد به الإحاطة ، والعرب تقول : رأيت الشيء وما أدركته . فمعنى لاتدركه الأبصار : لاتحيط به ، كما أنه تعالى يعلمه الخلق ، ولايحيطون به علما . وقد اتفق العقلاء على أنّ نفي الأخصّ لايستلزم نفي الأعمّ ; فانتفاء الإدراك لايلزم منه انتفاء مطلق الرؤية ، مع أنّ الله تعالى لايدرك كنهه على الحقيقة أحد من الخلق ; والدليل على هذا الوجه : ما أخرجه الشيخان من حديث أبي موسى مرفوعا : "حجابه النور ، أو النار ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"(٢) . فالحديث صريح في

---

(١) سورة المطففين ، الآية {١٥} .

(٢) أخرجه مسلم ١/١٦١-١٦٢ .

عدم الرؤية في الدنيا ، ويفهم منه عدم إمكان الإحاطة مطلقا))(١) .

وقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "قال ربّ أرني أنظر إليك قال لن تراني" الآية (٢) : ((استدلّ المعتزلة النافون لرؤية الله بالأبصار يوم القيامة بهذه الآية على مذهبهم الباطل . وقد جاءت آيات تدلّ على أنّ نفي الرؤية المذكور إنما هو في الدنيا ، وأما في الآخرة : فإنّ المؤمنين يرونه جلّ وعلا بأبصارهم ، كما صرح به تعالى في قوله : "وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة "(٣) ، وقوله في الكفار : "كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون"(٤) ؛ فإنه يفهم من مفهوم مخالفته أنّ المؤمنين ليسوا محجوبين عنه جلّ وعلا))(٥) .

وقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون"(٦) : ((واستدلال المعتزلة بهذه الآية وأمثالها على أنّ

---

(١) دفع إيهام الاضطراب - الملحق بأضواء البيان ١٠/١٢٠-١٢١ - .
(٢) سورة الأعراف ، الآية {١٤٣} .
(٣) سورة القيامة ، الآيتان {٢٢-٢٣} .
(٤) سورة المطففين ، الآية {١٥} .
(٥) أضواء البيان ٢/٣٣٢ .
(٦) سورة البقرة ، الآية {٥٥} .

رؤية الله مستحيلة استدلال باطل ، ومذهبهم والعياذ بالله من اكبر الضلال واعظم الباطل . وقول الزمخشري في كلامه على هذه الآية : إنّ الله لايرى : قول باطل ، وكلام فاسد . والحقّ الذي لاشك فيه انّ المؤمنين يرون الله بابصارهم يوم القيامة ; كما تواترت به الاحاديث عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ، ودلت عليه الآيات القرآنية منطوقا ومفهوما))(١) .

وبهذا العرض الشيّق من الشيخ رحمه الله لادلة السلف رحمهم الله في إثبات رؤية الباري جلّ وعلا في الآخرة ، وبهذا الردّ القويّ على ادلة المنكرين وشبههم : يتضح للمنصف انّ الحقّ في جانب السلف الذين تمسكوا بالنصوص فلم يوولوها بعقولهم .

واذكر ها هنا اقوالا لبعض السلف رحمهم الله في إثبات رؤية الربّ جلّ وعلا يوم القيامه ، وانها حقّ لا مريه فيه :

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : ((قد دلّ القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وائمة الإسلام واهل الحديث ; عصابة الإسلام ونزل الإيمان وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم على انّ الله يرى يوم القيامه بالابصار عيانا كما يرى القمر ليله البدر صحوا ، وكما ترى الشمس في الظهيرة))(٢) .

---

(١) اضواء البيان ٣٠٤/٦-٣٠٥ . وانظر المصدر نفسه ٢٠٦/٢ .

(٢) حادي الارواح ص ٢١١ .

وقال العلامة ابن ابي العز" الحنفي رحمه الله : ((وقد روى احاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابيا . ومن احاط بها معرفة يقطع بان" الرسول صلى الله عليه وسلم قالها))(١) .

وبذكر هذين المثالين من قولي هذين الإمامين الجليلين يتضح مذهب السلف رحمهم الله في هذه المسالة ؛ من إثبات الرؤية البصرية كما جاءت النصوص من الكتاب والسنة المتواترة ، وذلك اعظم ما يعطاه المؤمن في الجنة من النعيم ، نسال الله بمنته وفضله ان يرزقنا ذلك إنه جواد كريم .

---

(١) شرح الطحاوية ص ٢١٠ .

المطلب الثالث

هل راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربّه ليلة المعراج ؟

ذكر الشيخ الامين رحمه الله أنّ الصحابة اختلفوا في هذه المسألة ؛ فقال : ((اختلف العلماء : هل راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء بعين راسه أو لا ؟ فقال ابن عباس وغيره : رآه بعين راسه . وقالت عائشة وغيرها : لم يره . وهو خلاف مشهور بين اهل العلم معروف))(١) .

وقد جمع الشيخ رحمه الله بين هذه الأقوال ، مرجحا عدم روية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه سبحانه وتعالى ، واعتمد في هذا الجمع والترجيح على نصّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه المسأله ؛ فقال رحمه الله : ((التحقيق الذي دلت عليه نصوص الشرع انه صلى الله عليه وسلم لم يره بعين راسه . وما جاء عن بعض السلف من انه رآه : فالمراد به الرؤية بالقلب ؛ كما في صحيح مسلم(٢) : انه رآه بفؤاده مرتين لابعين الراس(٢) . ومن اوضح الادلة على ذلك : أنّ ابا ذر رضي الله عنه ، وهو هو في صدق اللهجة سأل النبيّ صلى الله عليه وسلم عن هذه المسألة بعينها ،

---

(١) اضواء البيان ٣٩٩/٣ .

(٢) اخرجه مسلم في الصحيح ١٥٨/١ .

فافتاه بما مقتضاه انه لم يره))(١) .

ثمّ ذكر حديث ابي ذر رضي الله عنه قال : سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل رايت ربك ؟ قال : "نور انى اراه"(٢) . وذكر رواية اخرى لهذا الحديث عن عبدالله بن شقيق قال : قلت لابي ذر : لو رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسالته . فقال : عن اي شيء كنت تساله ؟ قال : كنت اساله : هل رايت ربك ؟ قال ابو ذر : قد سالت ، فقال : "رايت نورا"(٣) .

ثمّ ختم هذه المسالة بقوله : ((والتحقيق الذي لاشك فيه هو انّ معنى الحديث هو ما ذكر من كونه لايتمكن احد من رؤيته لقوة النور الذي هو حجابه . ومن اصرح الادلة على ذلك ايضا : حديث ابي موسى المتفق عليه : "حجابه النور او النار ، لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"(٤) ، وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم : "نور انى اراه"(٢) ؛ اي كيف اراه وحجابه نور ، ومن صفته انه لو كشفه لاحرق ما انتهى إليه بصره من

---

(١) اضواء البيان ٣٩٩/٣ .

(٢) اخرجه مسلم في الصحيح ١٦١/١ .

(٣) صحيح مسلم ١٦١/١ .

(٤) اخرجه مسلم في الصحيح ١٦١/١-١٦٢ .

خلقه)) (١) .

وبهذا الجمع بين الروايات ينتفي التعارض ، وتتم الموافقة بين الادلة ، ويتضح ان" رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير ربه جل" وعلا بعيني راسه ، بل كانت الرؤية قلبية .

وقد قال بهذا الجمع عدد غفير من ائمة السلف رحمهم الله : منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الذي قال : ((واما الروية فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس انه قال : "رأى محمد ربه بفؤاده مرتين" (٢) ، وعائشة انكرت الرويه ؛ فمن الناس من جمع بينهما ، فقال : عائشة انكرت رؤية العين ، وابن عباس أثبت رويه الفؤاد . والالفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة ومقيده بالفؤاد ؛ تارة يقول : راى محمد ربه ، وتارة يقول : رآه محمد . ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بانه رآه بعينه . وكذلك الإمام احمد تارة يطلق الرؤية ، وتاره يقول : رآه بفؤاده . ولم يقل احد انه سمع احمد يقول رآه بعينه ، لكن طائفة من اصحابه سمعوا بعض كلامه المطلق ففهموا منه رؤية العين ، كما سمع بعض الناس مطلق كلام ابن عباس ففهم منه رؤية العين . وليس في الادلة ما يقتضي انه

---

(١) اضواء البيان ٣/٤٠٠ .

(٢) اخرجه مسلم ١/١٥٨ .

رآه بعينه ، ولاثبت ذلك عن أحد من الصحابة ولافي الكتاب والسنة ما يدل" على ذلك ، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل" ؛ كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ فقال : "نور أنى أراه "(١)))(٢) .

---

(١) أخرجه مسلم ١٦١/١ .

(٢) الفتاوى ٥٠٩/٦-٥١٠ .

المبحث السابع

النار

المطلب الأول

النار ، وعذابها

النار دار العذاب ، أعدها الله للكافرين والعصاة . فيها أشد العذاب ، وصنوف العقوبات . وخزنتها ملائكة غلاظ شداد . والكفار مخلدون فيها ، طعامهم الزقوم ، وشرابهم الحميم .

قال تعالى يحذر منها عباده المؤمنين : "يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا * وقودها الناس والحجارة * عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون"(١) . وقال تعالى : "إنّ جهنم كانت مرصادا * للطاغين مآبا * لابثين فيها أحقابا * لايذوقون فيها بردا ولاشرابا * إلا حميما وغساقا * جزاء وفاقا"(٢) . وقال تعالى : "وإنّ جهنم لموعدهم أجمعين * لها سبعة أبواب لكلّ باب منهم جزء مقسوم"(٣) .

---

(١) سورة التحريم ، الآية {٦} .

(٢) سورة النبأ ، الآيات {٢١-٢٦} .

(٣) سورة الحجر ، الآيتان {٤٣-٤٤} .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءا من حرّ جهنم" . قالوا : والله إن كانت لكافية يا رسول الله . قال : "فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا ، كلها مثل حرها" (١) .

وقال عليه الصلاة والسلام : "يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران ، وأذنان تسمعان ، ولسان ينطق ، يقول : إني وكلت بثلاثة ؛ بكلّ جبار عنيد ، وبكلّ من دعا مع الله إلها آخر ، وبالمصورين" (٢) .

وقد تحدث الشيخ الأمين رحمه الله عن صفة النار ؛ عدد أبوابها ، وأنّ لها بصرا ولسانا وإرادة ، وأنها أشدّ من نار الدنيا بسبعين ضعفا .

ومما قاله رحمه الله في وصف شدتها : ((ونار الآخرة لو شددت نار الدنيا إلى منتهاها لكانت نار الآخرة أشدّ منها بسبعين ضعفا . وهي مسودة مظلمة يحطم بعضها بعضا)) (٣) .

وقال في وصف شرابها عند تفسير قوله تعالى : "والذين كفروا

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح ٩٠/٤ . ومسلم في الصحيح ٢١٨٤/٤ - واللفظ له - .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٧٠١/٤ ، وقال : حديث حسن غريب صحيح . وقد صححه الألباني (انظر صحيح الجامع ١٣٣٨/٢) .

(٣) معارج الصعود ص ٢٥٢ .

لهم شراب من حميم "(١) : ((ذكر في هذه الآية الكريمة أن" الذين كفروا يعذبون يوم القيامة بشرب الحميم ، وبالعذاب الأليم ، والحميم : الماء الحار . وذكر أوصاف هذا الحميم في آيات أخر : كقوله : "يطوفون بينها وبين حميم آن"(٢) ، وقوله : "وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم"(٣) ، وقوله : "يصب" من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود"(٤) ، وقوله : "وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه" الآية (٥) ، وقوله : "فشاربون عليه من الحميم * فشاربون شرب الهيم"(٦) . وذكر في موضع آخر أن" الماء الذي يسقون صديد - أعاذنا الله وإخواننا المسلمين من ذلك بفضله ورحمته - ، وذلك في قوله تعالى : "من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد * يتجرعه ولايكاد يسيغه" الآية (٧) . وذكر في موضع آخر أنهم يسقون مع الحميم الغساق ؛ كقوله : "هذا فليذوقوه حميم وغساق * وآخر من شكله أزواج"(٨) ، وقوله :

---

(١) سورة يونس ، الآية {٤} .

(٢) سورة الرحمن ، الآية {٤٤} .

(٣) سورة محمد ، الآية {١٥} .

(٤) سورة الحج ، الآيتان {١٩-٢٠} .

(٥) سورة الكهف ، الآيه {٢٩} .

(٦) سورة الواقعة ، الآيتان {٥٤-٥٥} .

(٧) سورة إبراهيم ، الآيتان {١٦-١٧} .

(٨) سورة ص ، الآيتان {٥٧-٥٨} .

"لايذوقون فيها بردا ولاشرابا * إلا حميما وغساقا "(١) ؛ والغساق : صديد أهل النار - أعاذنا الله والمسلمين منها - ، وأصله : غسقت العين : سال دمعها . وقيل : هو لغة البارد المنتن . والحميم الآني : الماء البالغ غاية الحرارة . والمهل : دُرْدِي(٢) الزيت أو المذاب من النحاس والرصاص ونحو ذلك . والآيات المبينة لأنواع عذاب أهل النار كثيرة جداً))(٣) .

وأما عدد أبواب جهنم ؛ فقد ذكره الشيخ رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "فادخلوا أبواب جهنم" الآية (٤) ، فقال : ((لم يبيّن هنا عدد أبوابها ، ولكنه بيّن ذلك في سورة الحجر في قوله جلّ وعلا : "لها سبعة أبواب لكلّ باب منهم جزء مقسوم "(٥) أرجو الله أن يعيذنا وإخواننا المسلمين منها ومن جميع أبوابها إنه رحيم كريم))(٦) .

ثمّ ذكر رحمه الله أنّ النار تتكلم وتبصر ؛ فقال رحمه الله : ((اعلم أنّ التحقيق أنّ النار تبصر الكفار يوم القيامة ؛

---

(١) سورة النبأ ، الآيتان {٢٤-٢٥} .

(٢) دردي الزيت وغيره : ما يبقى في أسفله . وأصله : ما يركد في أسفل كلّ مائع ؛ كالأشربة والأدهان . (لسان العرب ١٦٦/٣) .

(٣) أضواء البيان ٤٧٧/٢ .

(٤) سورة النحل ، الآية {٢٩} .

(٥) سورة الحجر ، الآية {٤٤} .

(٦) أضواء البيان ٢٦٢/٣ .

كما صرح الله بذلك في قوله هنا : "إذا رأتهم من مكان بعيد"(١) ؛ ورؤيتها إياهم من مكان بعيد تدل على حدة بصرها كما لايخفى . كما أن النار تتكلم كما صرح الله به في قوله : "يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد"(٢) ، والأحاديث الدالة على ذلك كثيرة ؛ كحديث محاجة النار مع الجنة (٣) ، وكحديث اشتكائها إلى ربها فأذن لها في نفسين(٤) ، ونحو ذلك . ويكفي في ذلك أن الله جل وعلا صرح في هذه الآية انها تراهم ، وأن لها تغيظا على الكفار ، وانها تقول هل من مزيد))(٥) .

وقال رحمه الله في موضع آخر عند تفسير قوله تعالى : "إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور * تكاد تميز من الغيظ"(٦) : ((إثبات أن للنار حسا وإدراكا وإرادة ، والقرآن أثبت للنار انها تغتاظ ، وتبصر ، وتتكلم ، وتطلب المزيد ؛ كما قال هنا : "تكاد تميز من الغيظ"(٧) ، وقال : "إذا رأتهم من مكان بعيد

---

(١) سورة الفرقان ، الآية {١٢} .

(٢) سورة ق ، الآية {٣٠} .

(٣) لعله يعني حديث : "احتجت النار والجنة ، فقالت هذه : يدخلني الجبارون والمتكبرون ..." . أخرجه مسلم في صحيحه ٢١٨٦/٤ .

(٤) انظر صحيح البخاري ٨٩/٤ .

(٥) أضواء البيان ٢٨٨/٦-٢٨٩ .

(٦) سورة الملك ، الآيتان {٧-٨} .

(٧) سورة الملك ، الآية {٨} .

سمعوا لها تغيظا وزفيرا"(١) ، وقال : "يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد"(٢)))(٣) .

وقد ردّ الشيخ الأمين رحمه الله على من تأول تلك النصوص وصرفها عن حقيقتها ؛ فقال رحمه الله : ((واعلم انّ ما يزعمه كثير من المفسرين وغيرهم من المنتسبين للعلم من انّ النار لاتبصر ، ولاتتكلم ، ولاتغتاظ ، وانّ ذلك كله من قبيل المجاز ، او انّ الذي يفعل ذلك خزنتها : كله باطل ، ولامعول عليه ؛ لمخالفته نصوص الوحي الصحيحة بلا مستند . والحقّ هو ما ذكرنا . وقد اجمع من يعتد به من اهل العلم على انّ النصوص من الكتاب والسنة لايجوز صرفها عن ظاهرها إلا بدليل يجب الرجوع إليه كما هو معلوم في محله . وقال القرطبي في تفسيره هذه الآية الكريمة : إنّ القول بانّ النار تراهم هو الاصحّ(٤)))(٥) .

وقد ذكر الشيخ الأمين رحمه الله انّ اهل النار هم اكثر الخلق ؛ فقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "ولكنّ اكثر

---

(١) سورة الفرقان ، الآية {١٢} .

(٢) سورة ق ، الآية {٣٠} .

(٣) تتمة الشيخ عطية سالم لأضواء البيان ٣٩٥/٨ .

(٤) انظر الجامع لاحكام القرآن ٧/١٣ .

(٥) أضواء البيان ٢٨٩/٦ . وانظر المصدر نفسه ٦٥٣/٧ .

الناس لايؤمنون"(١) : ((هذه الآية تدل على أن أكثر الناس ليسوا بمؤمنين ; فأهل النار هم الأكثر ; كما بيّن ذلك في آيات كثيرة وأحاديث ; كما قال تعالى : "وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين"(٢) ، وقال تعالى : "ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين"(٣) . وقد بينت الأحاديث الصحيحة أن نصيب النار تسعة وتسعون وتسعمائة من الألف ، وأن نصيب الجنة واحد من الألف"(٤)))(٥) .

ثم بيّن الشيخ الأمين رحمه الله أن أهل النار يدخلونها جماعة جماعة ; كما دل على ذلك قوله تعالى : "كلما دخلت أمة لعنت أختها"(٦)(٧) .

ويتضح من وصف الشيخ الأمين رحمه الله للنار - أعاذنا الله منها بكرمه - شدة تتبعه للأثر ، ودقة فهمه له ، وتوضيح الوصف بالأدلة من القرآن الكريم ، كما هو دأبه رحمه الله في تفسير القرآن بالقرآن .

---

(١) سورة هود ، الآية {١٧} .
(٢) سورة يوسف ، الآية {١٠٣} .
(٣) سورة الصافات ، الآية {٧١} .
(٤) انظر : صحيح البخاري ١٩٥/٧-١٩٦ . وصحيح مسلم ٢٠١/١ .
(٥) معارج الصعود ص ٧٥ .
(٦) سورة الأعراف ، الآية {٣٨} .
(٧) انظر تتمة الشيخ عطية سالم لأضواء البيان ٣٩٥/٨ .

المطلب الثاني

بقاء النار ، والرد على من قال بفنائها

دلّ الكتاب والسنة على ابدية النار ، وبقاء ما فيها ممن يستحق البقاء تحت انواع العذاب . اما الموحدون فلا بدّ من خروجهم منها برحمة ارحم الراحمين .

والآيات والاحاديث الدالة على ذلك كثيرة ؛ منها قول الله تعالى : "إنّ الله لعن الكافرين واعدّ لهم سعيرا * خالدين فيها ابدا لايجدون وليا ولانصيرا"(١) ، وقال تعالى : "يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم"(٢) ، وقال تعالى : "لايقضى عليهم فيموتوا ولايخفف عنهم من عذابها"(٣) .

ومن الاحاديث حديث الشفاعة الطويل ، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم : "... ثمّ اعود الرابعة فاقول ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ، ووجب عليه الخلود"(٤) . وقال صلى الله عليه وسلم : "يدخل الله اهل الجنة الجنة ، ويدخل اهل النار النار ، ثمّ يقوم مؤذن بينهم ، فيقول : يا اهل الجنة لاموت ، ويا اهل

---

(١) سورة الاحزاب ، الآيتان {٦٤-٦٥} .

(٢) سورة المائدة ، الآية {٣٧} .

(٣) سورة فاطر ، الآية {٣٦} .

(٤) اخرجه البخاري في صحيحه ١٤٧/٥ .

النار لاموت ، كل" خالد فيما هو فيه"(١) . وعن أبي سعيد ، عن النبي" صلى الله عليه وسلم قال : "أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولايحيون . ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم - أو قال بخطاياهم - فأماتهم الله إماتة ، حتى إذا كانوا فحما أذن في الشفاعة ..."(٢) .

وقد أوضح الشيخ الأمين رحمه الله هذه المسألة ، ودرسها من جوانب عدة في معرض تفسيره لبعض الآيات المتعلقة بالموضوع : فقد أشار في مواضع إلى بقاء أهل النار وعدم موتهم ، وذكر الأدلة على ذلك . وأكد في مواضع أخرى عدم خروج الكفار من النار ، بل خلودهم الأبدي فيها . وأفاض رحمه الله في أماكن متفرقة في تقرير عدم فناء النار ، ورد" على من قال بذلك .

ومن كلامه يرحمه الله في عدم موت أهل النار ، ما قاله عند تفسير قوله تعالى : "ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون"(٣) : ((وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : "قال إنكم ماكثون" دليل على أنهم لايجابون إلى الموت ، بل يمكثون في النار معذبين إلى غير نهاية . وقد دل" القرآن العظيم على أنهم لايموتون

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٢١٨٩/٤ .
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١٧٢/١ .
(٣) سورة الزخرف ، الآية {٧٧} .

فيها فيستريحوا بالموت ، ولاتفنى هي منهم ، ولايخفف منهم عذابها ، ولايخرجون منها . اما كونهم لايموتون فيها : فالذي دل" عليه قوله هنا : "قال إنكم ماكثون"(١) قد دلت عليه آيات من كتاب الله ؛ كقوله تعالى : "إنه من يات ربه مجرما فإن" له جهنم لايموت فيها ولايحيى"(٢) ، وقوله تعالى : "ويتجنبها الأشقى * الذي يصلى النار الكبرى * ثم لايموت فيها ولايحيى"(٣) ، وقوله تعالى : "والذين كفروا لهم نار جهنم لايقضى عليهم فيموتوا" الآية (٤) ، وقوله تعالى : "ويأتيه الموت من كل" مكان وما هو بميت" الآية (٥)))(٦) .

وقال رحمه الله في موضع آخر : ((وقال تعالى في عدم موتهم في النار : "لايقضى عليهم فيموتوا"(٧) ، وقال تعالى : "ويأتيه الموت من كل" مكان وما هو بميت"(٨) ، وقال تعالى : "كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب"(٩) ، وقال تعالى : "إنه من

---

(١) سورة الزخرف ، الآية {٧٧} .
(٢) سورة طه ، الآية {٧٤} .
(٣) سورة الأعلى ، الآيات {١١-١٣} .
(٤) سورة فاطر ، الآية {٣٦} .
(٥) سورة إبراهيم ، الآية {١٧} .
(٦) أضواء البيان ٧/٢٨٥-٢٨٦ .
(٧) سورة فاطر ، الآية {٣٦} .
(٨) سورة إبراهيم ، الآية {١٧} .
(٩) سورة النساء ، الآية {٥٦} .

يات ربه مجرما فإن" له جهنم لايموت فيها ولايحيى"(١) ، وقال تعالى : "ويتجنبها الأشقى * الذي يصلى النار الكبرى * ثم" لايموت فيها ولايحيى"(٢) ، ولما قالوا : "ليقض علينا ربك"(٣) أجابهم بقوله : "إنكم ماكثون"(٣)))(٤) .

ثم" ذكر الشيخ الأمين رحمه الله الأدلة على عدم خروج أهل النار ؛ فقال : ((وأما كونهم لايخرجون منها : فقد جاء موضحا في آيات من كتاب الله ؛ كقوله تعالى في البقرة : "كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار"(٥) ، وقوله تعالى في المائده : "يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم"(٦) ، وقوله تعالى في الحج : "كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم" أعيدوا فيها" الآية (٧) ، وقوله تعالى في السجدة : "كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها"(٨) ، وقوله

---

(١) سورة طه ، الآية {٧٤} .
(٢) سورة الأعلى ، الآيات {١١-١٣} .
(٣) سوره الزخرف ، الآيه {٧٧} .
(٤) أضواء البيان ٩٣/٧ .
(٥) سورة البقرة ، الآية {١٦٧} .
(٦) سورة المائدة ، الآية {٣٧} .
(٧) سورة الحج ، الآية {٢٢} .
(٨) سورة السجدة ، الآية {٢٠} .

تعالى في الجاثية : "فاليوم لايخرجون منها ولاهم يستعتبون"(١) ، إلى غير ذلك من الآيات))(٢) .

أما كلامه رحمه الله عن بقاء النار ، وعدم فنائها : فقد أطال النفس فيه جدا ، وناقش من قال بفنائها بالأدلة السمعية والمنطقية ، وتعقب أدلتهم وأسقطها ، وأوضح معنى الآيات التي توهم فناء النار ، مبينا أن لادلالة فيها على ذلك .

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله"(٣) : ((هذه الآية الكريمة يفهم منها كون عذاب أهل النار غير باق بقاء لانقطاع له أبدا . ونظيرها قوله تعالى : "فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق * خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك"(٤) ، وقوله تعالى : "لابثين فيها أحقابا"(٥) . وقد جاءت آيات تدل على أن عذابهم لانقطاع له ؛ كقوله : "خالدين فيها أبدا"(٦)))(٧) .

---

(١) سورة الجاثية ، الآية {٣٥} .

(٢) أضواء البيان ٢٨٦/٧ .

(٣) سورة الأنعام ، الآية {١٢٨} .

(٤) سورة هود ، الآيتان {١٠٦-١٠٧} .

(٥) سورة النبأ ، الآية {٢٣} .

(٦) سورة النساء ، الآية {١٦٩} .

(٧) دفع إيهام الاضطراب - الملحق بأضواء البيان ١٢٢/١٠ - .

ثمّ ذكر الشيخ رحمه الله الجواب عن هذا الإشكال ، دافعا التعارض ، ونافيا التوهم ، ومبيّنا أنّ هذه الآيات يمكن أن تحمل على أحد ثلاثة أوجه ؛ فقال مبينا هذه الأوجه : ((أحدها : أنّ قوله تعالى : "إلا ما شاء الله"(١) ؛ معناه : إلا من شاء الله عدم خلوده فيها من أهل الكبائر من الموحدين . وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أنّ بعض أهل النار يخرجون منها ، وهم أهل الكبائر من الموحدين ، ونقل ابن جرير هذا القول عن قتادة (٢) ، والضحاك(٣) ، وأبي سنان(٤) ، وخالد بن معدان(٥) ، واختاره ابن جرير . وغاية ما في هذا القول : إطلاق "ما" ، وإرادة "من" ، ونظيره في القرآن : "فانكحوا ما طاب لكم من النساء"(٦) .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية {١٢٨} .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي ، أبو محمد ؛ صاحب التفسير . تابعي جليل . توفي سنة (١٠٢ هـ) .
(انظر : سير أعلام النبلاء ٥٩٨/٤ . والبداية والنهاية ٢٣١/٩) .

(٤) هو ضرار بن مرة الكوفي الشيباني . إمام ثقة فاضل . توفي سنة (١٣٢ هـ) . (تهذيب التهذيب ٤٥٧/٤) .

(٥) هو الإمام أبو عبدالله خالد بن معدان بن أبي كرب الكلاعي الحمصي . تابعي جليل ، شيخ أهل الشام . توفي سنة (١٠٣ هـ) .
(انظر : سير أعلام النبلاء ٥٣٦/٤ . والبداية والنهاية ٢٣٩/٩) .

(٦) سورة النساء ، الآية {٣} .

الثاني : أنّ المدة التي استثناها الله هي المدة التي بين بعثهم من قبورهم واستقرارهم في مصيرهم. قاله ابن جرير أيضا .

الوجه الثالث : أنّ قوله : "إلا ما شاء الله"(١) فيه إجمال ، وقد جاءت الآيات والأحاديث الصحيحة مصرحة بأنهم خالدون فيها أبدا ، وظاهرها أنه خلود لانقطاع له . والظهور من المرجحات ، فالظاهر مقدم على المجمل كما تقرر في الأصول))(٢) .

وفي موضع آخر قال في الجمع بين هذه الآيات : ((والجواب الحق أنّ أهل النار الكفرة خالدون فيها خلودا لا انقطاع له البتة . والاستثناء بالمشيئة كما صرح به في أهل النار صرح به كذلك في أهل الجنة ، مع أنه لايقول أحد ممن يقول بانقطاع النار بانقطاع الجنة ؛ كما قال تعالى هنا في سورة هود : "خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ"(٣) ؛ وهذه المشيئة مجملة ، لم نعرف ما أخرجته . والأدلة المنفصلة وضحت أنّ المشيئة انتفت الخلود الأبدي ؛ كما قال تعالى في أهل الجنة : "إنّ هذا لرزقنا ما له من نفاد"(٤) ، وقال تعالى : "ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا

---

(١) سورة الأنعام ، الآية {١٢٨} .

(٢) دفع إيهام الاضطراب ـ الملحق بالأضواء ١٠/١٢٣ ـ .

(٣) سورة هود ، الآية {١٠٨} .

(٤) سورة ص ، الآية {٥٤} .

يعملون"(١) ، وقال تعالى : "إنّ المجرمين في عذاب جهنم خالدون * لايفتر عنهم وهم فيه مبلسون"(٢) ، وقال تعالى : "والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إنّ عذابها كان غراما"(٣) ، وقال تعالى : "خالدين فيها لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون"(٤) ، وقال تعالى : "مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا"(٥) ، والقص بعد كلما يتكرر بتكررها ؛ فمن ادعى سبره للنار نهائية تفنى بها ليس بعده سعير ، يردّ عليه بهذه الآية . ولو قيل للعبد : كلما جاء احد اكرمه لزمه ذلك ، ولاحق له ان يتعذر بانه لم يفهم التكرار))(٦) .

اما قوله تعالى : "لابثين فيها احقابا"(٧) : فليست دالة على فناء النار كما زعم من قال بفنائها ، وقد ذكر الشيخ الأمين انها لاتدلّ على ذلك من عدة اوجه ، أظهر هذه الأوجه عنده بيّنه في

---

(١) سورة النحل ، الآية {٩٦} .
(٢) سورة الزخرف ، الآيتان {٧٤-٧٥} .
(٣) سورة الفرقان ، الآية {٦٥} .
(٤) سورة البقرة ، الآيه {١٦٢} .
(٥) سورة الإسراء ، الآيه {٩٧} .
(٦) معارج الصعود ص ٢٥٥ . هذا ولم يشر الشيخ رحمه الله إلى الوجهين السابقين ، مما يدلّ على أنّ الوجه الثالث هو الراجح عنده ، فاقتصر على ذكره .
(٧) سورة النبأ ، الآيه {٢٣} .

قوله : (("لابثين فيها أحقابا" : متعلق بما بعده ؛ أي لابثين فيها أحقابا في حال كونهم لايذوقون فيها بردا ولاشرابا إلا حميما وغساقا ، فإذا انقضت تلك الأحقاب عذبوا بأنواع أخر من أنواع العذاب غير الحميم والغساق . ويدل لهذا تصريحه تعالى بأنهم يعذبون بأنواع أخر من أنواع العذاب غير الحميم والغساق في قوله : "هذا فليذوقوه حميم وغساق * وآخر من شكله أزواج"(١)))(٢) .

أما مناقشته رحمه الله لمن قال بفناء النار : فقد أورد عليهم رحمه الله بالتقسيم والسبر خمس حالات تكون عليها النار ، ويكون عليها أهلها ، ثم أجاب عن أربع حالات منها بما يدل على بطلانها مؤيدا إجابته بآيات قرآنية ؛ فقال رحمه الله : ((إن المقام لايخلو من إحدى خمس حالات بالتقسيم الصحيح ، وغيرها راجع إليها : الأولى : أن يقال بفناء النار ، وأن استراحتهم من العذاب بسبب فنائها . الثانية : أن يقال إنهم ماتوا وهي باقية . الثالثة : أن يقال إنهم أخرجوا منها وهي باقية . الرابعة : أن يقال إنهم باقون فيها إلا أن العذاب يخف

---

(١) سورة ص ، الآيتان {٥٧-٥٨} .

(٢) دفع إيهام الاضطراب - الملحق بأضواء البيان ٣٠٧/١٠ - .
وانظر معارج الصعود ص ٢٥٦ ؛ فقد ذكر فيه الشيخ الأمين رحمه الله هذا الوجه فقط

عليهم ، وذهاب العذاب رأساً واستحالته بذه فاكتفينا به لدلالة نفيه على نفيهما . وكل هذه الأقسام الأربعة يدل القرآن على بطلانه))(١).

وقد أجاب رحمه الله على الحالة الأولى بقوله : ((أما فناؤها : فقد نص تعالى على عدمه بقوله : "كلما خبت زدناهم سعيراً"(٢) . وقد قال تعالى : "إلا ما شاء ربك"(٣) في خلود أهل الجنة وخلود أهل النار ، وبين عدم الانقطاع في خلود أهل الجنة بقوله : "عطاء غير مجذوذ"(٤) ، وبقوله : "إن هذا لرزقنا ما له من نفاد"(٥) ، وقوله : "ما عندكم ينفد وما عند الله باق"(٦) . وبين عدم الانقطاع في خلود أهل النار بقوله : "كلما خبت زدناهم سعيراً"(٢) . فمن يقول إن للنار خبوة ليس بعدها زيادة سعير رد عليه بهذه الآية الكريمة . ومعلوم أن "كلما" تقتضي التكرار بتكرر الفعل الذي بعدها ، ونظيرها قوله تعالى : "كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها" الآية (٧)))(٨) .

---

(١) دفع إيهام الاضطراب - الملحق بالأضواء ١٢٤/١٠ - .

(٢) سورة الإسراء ، الآية {٩٧} .

(٣) سورة هود ، من الآيتين {١٠٧ ، ١٠٨} .

(٤) سورة هود ، الآية {١٠٨} .

(٥) سورة ص ، الآية {٥٤} .

(٦) سورة النحل ، الآية {٩٦} .

(٧) سورة النساء ، الآية {٥٦} .

(٨) دفع إيهام الاضطراب ١٢٥/١٠ .

وامـا الحالـة الثانيـة فقـد بيّـن الشيخ رحمه اللـه بطلانـها بقولـه : ((واما موتهم : فقد نص تعالى على عدمه بقوله : "لايقضى عليهم فيموتوا"(١) ، وقوله : "لايموت فيها ولايحيى"(٢) ، وقوله : "ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت"(٣) . وقد بيّن صلى اللـه عليـه وسلم في الحديث الصحيح ان الموت يجاء به يوم القيامة في صورة كبش املح ، فيذبح . وإذا ذبح الموت حصل اليقين بانه لاموت ؛ كما قال صلى الله عليه وسلم : "ويقال : يا اهل الجنة خلود فلا موت ، ويا اهل النار خلود فلا موت"(٤)))(٥) .

ومن الحالة الثالثة اجاب رحمه الله بقوله : ((واما إخراجهم منها : فنص تعالى على عدمه بقوله : "وما هم بخارجين من النار"(٦)،وبقوله "كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها"(٧)، وبقوله : "وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم"(٨)))(٩) .

---

(١) سورة فاطر ، الآية {٣٦} .
(٢) سورة طه ، الآية {٧٤} .
(٣) سورة إبراهيم ، الآية {١٧} .
(٤) صحيح البخاري ٣١٦/٤ . وصحيح مسلم ٢١٨٨/٤ .
(٥) دفع إيهام الاضطراب ١٢٥/١٠ .
(٦) سورة البقرة ، الآية {١٦٧} .
(٧) سورة السجدة ، الآية {٢٠} .
(٨) سورة المائدة ، الآية {٣٧} .
(٩) دفع إيهام الاضطراب ١٢٥/١٠ .

وأما الحالة الرابعة ، فقد أجاب عنها رحمه الله بقوله :

((وأما تحقيق العذاب عنهم : فنص تعالى على عدمه بقوله : "ولايخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور"(١) ، وقوله : "فلن نزيدكم إلا عذابا"(٢) ، وقوله : "لايفتر عنهم وهم فيه مبلسون"(٣) ، وقوله : "إن عذابها كان غراما"(٤) ، وقوله : "فسوف يكون لزاما"(٥) ، وقوله تعالى : "لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون"(٦) ، وقوله : "ولهم عذاب مقيم"(٧) . ولايخفى أن قوله : "ولايخفف عنهم من عذابها"(٨) ، وقوله : "لايفتر عنهم"(٩) : كلاهما فعل في سياق النفي ؛ فحرف النفي ينفي المصدر الكامن في الفعل ، فهو في معنى : لاتخفيف للعذاب عنهم ، ولاتفتير له . والقول بفنائها يلزمه تخفيف العذاب وتفتيره المنفيان في هذه الآيات ، بل يلزمه ذهابهما رأسا ، كما أنه يلزمه نفي ملازمة العذاب المنصوص

---

(١) سورة فاطر ، الآية (٣٦) .
(٢) سورة النبأ ، الآية (٣٠) .
(٣) سورة الزخرف ، الآية (٧٥) .
(٤) سورة الفرقان ، الآية (٦٥) .
(٥) سورة الفرقان ، الآية (٧٧) .
(٦) سورة آل عمران ، الآية (٨٨) .
(٧) سورة المائدة ، الآية (٣٧) .
(٨) سورة فاطر ، الآية (٣٦) .
(٩) سورة الزخرف ، الآية (٧٥) .

عليها بقوله : "فسوف يكون لزاما "(١) ، وقوله : "إنّ عذابها كان غراما "(٢) . وإقامته المنصوص عليها بقوله : "ولهم عذاب مقيم "(٣) . فظاهر هذه الآيات عدم فناء النار المصرح به في قوله : "كلما خبت زدناهم سعيرا "(٤)))(٥) .

ثمّ ختم هذه الردود بقوله : ((فإذا تبيّن بهذه النصوص بطلان جميع هذه الأقسام ، تعيّن القسم الخامس الذي هو خلودهم فيها أبدا بلا انقطاع ولاتخفيف بالتقسيم والسبر الصحيح))(٦) .

ثمّ أورد الشيخ الأمين رحمه الله ما احتج به من قال بفناء النار ، فقال : ((وما احتج به بعض العلماء(٧) من أنه لو فرض أنّ

---

(١) سورة الفرقان ، الآية {٧٧} .

(٢) سورة الفرقان ، الآية {٦٥} .

(٣) سورة المائدة ، الآية {٣٧} .

(٤) سورة الإسراء ، الآية {٩٧} .

(٥) دفع إيهام الاضطراب – الملحق بأضواء البيان ١٠/١٢٥-١٢٦ – .

(٦) المصدر نفسه ١٠/١٢٧ .

(٧) ذكر الشيخ الأمين رحمه الله أنّ ممن قال بذلك الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه حادي الأرواح (انظر معارج الصعود ص ٢٥٥) . وقد نبّه د/عبدالله قادري ؛ تلميذ الشيخ الأمين على أنّ ابن القيم رحمه الله لم يجزم بفناء النار ، وإنما ساق أدلة القائلين بذلك موضحا أوجه استدلالهم . ومن عادته رحمه الله أنه إذا ذكر اختلاف العلماء بيّن أدلتهم ووجهها حتى كأنه هو صاحب القول ، وإن كان في الواقع لم يجزم به ، أو كان على خلافه . ثم ذكر د/ عبدالله القادري دليلين على عدم =

الله أخبر بعدم فنائها أنّ ذلك لايمنع فناءها ; لأنه وعيد ، وإخلاف الوعيد من الحسن لا من القبيح . وأنّ الله تعالى ذكر أنه لايخلف وعده ، ولم يذكر أنه لايخلف وعيده . وأنّ الشاعر قال :

وإني إذا أوعدته أو وعدته   لمخلف إيعادي ومنجز موعدي))(١) .

وقد ردّ رحمه الله على هذه الشبه بقوله : ((فالظاهر عدم صحته لأمرين : الأول : أنه يلزم جواز ألا يدخل النار كافر ; لأنّ

= = قول ابن القيم بفناء النار : الأول : قوله بعد ذكر الآراء في فناء النار وبقائها : (فإن قيل : فإلى أين انتهى قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشأن التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة ؟ قيل : إلى قوله تعالى : "إنّ ربك فعّال لما يريد"، وإلى هنا انتهى قدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ; حيث ذكر دخول أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء ، وقال : ثمّ يفعل الله بعد ذلك ما يشاء . بس وإلى هنا انتهت أقدام الخلائق) . الأمر الثاني : أنه رحمه الله صرح في كتاب الوابل الصيب أنّ النار كالجنة لاتفنى . وأنّ النار التي تفنى التي يعذب الله فيها عصاة المؤمنين الذين لايخلدون في النار . وبهذا يعلم أنّ ابن القيم قطع بعدم فناء النار ، وأنّ كلامه الذي فيه احتمال ; في كتاب حادي الأرواح يجب أن يفسر بكلامه الصحيح المبيَّن في كتاب الوابل الصيب . ولاشك أنّ فضيلة شيخنا المفسر لو اطلع على هذا النصّ من الوابل الصيب لأخذ به في مذهب ابن القيم ; لأنه صاحب أضواء البيان الذي يفسر القرآن بالقرآن . وكلام الناس يفسر بعضه بعضا . انتهى باختصار من تعليق د/الغادري على معارج الصعود ص ٢٥٧ .

(١) دفع إيهام الاضطراب ١٠/١٢٦ . وانظر معارج الصعود ص ٢٥٥ .

الخبر بذلك وعيد ، وإخلافه على هذا القول لابأس به . الثاني : انه تعالى صرح بحق وعيده على من كذب رسله ، حيث قال : "كل كذب الرسل فحق وعيد"(١) . وقد تقرر في مسلك النص من مسالك العلة ان الفاء من حروف التعليل ؛ كقولهم : سها فسجد ؛ أي سجد لعلة سهوه . وسرق فقطعت يده ؛ أي لعلة سرقته . فقوله : "كل كذب الرسل فحق وعيد"(١) ؛ أي وجب وقوع الوعيد عليهم لعلة تكذيب الرسل . ونظيرها قوله تعالى : "إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب"(٢) . ومن الادلة الصريحة في ذلك : تصريحه تعالى بان قوله لايبدل فيما اوعد به اهل النار ؛ حيث قال : "لاتختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد * ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد"(٣) . ويستانس لذلك بظاهر قوله : "واخشوا يوما لايجزي والد عن ولده - إلى قوله - إن وعد الله حق"(٤) ، وقوله : "إن عذاب ربك لواقع"(٥) . فالظاهر ان الوعيد الذي يجوز إخلافه وعيد عصاة المؤمنين ؛ لان الله بين ذلك بقوله : "ويغفر ما دون ذلك

---

(١) سورة ق ، الآية {١٤} .
(٢) سورة ص ، الآية {١٤} .
(٣) سورة ق ، الآيتان {٢٨-٢٩} .
(٤) سورة لقمان ، الآية {٣٣} .
(٥) سورة الطور ، الآية {٧} .

لمن يشاء"(١)))(٢) .

وفي آخر هذا المبحث أجاب رحمه الله عن شبهة للملاحدة ؛ وهي قولهم : ((لاشك أنّ ربكم في غاية الإنصاف والعدل ، ولكن يشكل عليه الجواب على هذا السؤال ، وهو : كيف يكون عصيان الكافر في مدة قليلة جدا ، وعذابه يستمر إلى ما لانهاية ، مع أنّ مقتضى العدل أن يعذب بقدر ما عصى ؟ فأين الإنصاف وأين العدل ؟ !))(٣) ؛ فقال رحمه الله . ((والجواب أنّ سبب هذا الاستمرار هو ملازمة الخبث لذلك الكافر دائما ، وعدم مفارقته له في أيّ حال من الأحوال ؛ فهو مصر عليه لايزول ، وباستمرار السبب الذي هو الخبث استمر المسبب الذي هو العذاب . والدليل على استمرار خبثه : قوله تعالى : "ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نردّ ولانكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون"(٤) ؛ فبديمومة السبب الذي هو الكفر دام المسبب الذي هو العذاب))(٥) .

---

(١) سورة النساء ، الآية {١١٦} .

(٢) دفع إيهام الاضطراب ١٢٧/١٠ . وانظر معارج الصعود ص ٢٥٦ .

(٣) معارج الصعود ص ٢٥٨ .

(٤) سورة الأنعام ، الآيتان {٢٧-٢٨} .

(٥) معارج الصعود ص ٢٥٨ .

وقال الشيخ الأمين رحمه الله في موضع آخر : ((ولاغرابة في ذلك ؛ لأن خبثهم الطبيعي دائم لايزول ، فكان جزاؤهم دائما لايزول . والدليل على أن خبثهم لايزول : قوله تعالى : "ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم" الآية (١) . فقوله : "خيرا" نكرة في سياق الشرط ؛ فهي تعم ، فلو كان فيهم خير ما في وقت لعلمه الله ... وعذاب الكفار للإهانة والانتقام ، لا للتطهير والتمحيص ، كما أشار له تعالى بقوله : "ولايزكيهم" (٢) ، وبقوله : "ولهم عذاب مهين" (٣) . والعلم عند الله تعالى)) (٤) .

والقول بعدم فناء النار - الذي نصره الشيخ الأمين رحمه الله ودلل له ، ورد على الشبه التي أوردها المخالفون ، وناقشهم مناقشة جادة مبطلا بذلك مذهبهم - هذا القول هو معتقد أهل السنة والجماعة . أما ما نسب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه العلامة ابن القيم رحمهما الله من القول بفناء النار فلا يصح ؛ إذ لايوجد في مؤلفات شيخ الإسلام رحمه الله - على كثرتها - ما يدل على أنه قال بهذا القول ، بل نجده دائما يؤكد على عدم فناء النار ؛ من ذلك قوله : ((وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل

---

(١) سورة الأنفال ، الآية {٢٣} .

(٢) سورة البقرة ، الآية {١٧٤} .

(٣) سورة آل عمران ، الآية {١٧٨} .

(٤) دفع إيهام الاضطراب ١٠/١٢٧-١٢٨ .

السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية ; كالجنة والنار والعرش ، وغير ذلك . ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين ; كجهم بن صفوان ، ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم . وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسلف الأمة وأئمتها)) (١) .

وأما ابن القيم رحمه الله : فقد حقق موقفه د/علي بن علي جابر اليماني ; حيث قال : ((إن للعلامة ابن القيم في هذه المسألة ثلاثة مواقف : الأول : الميل (٢) إلى القول بفناء النار : كونه ذكر ذلك بكثرة الوجوه البالغة خمسة وعشرين وجها بأدلتها المثيرة للعقول كما سبق بيانه عن الحادي ، ومختصر الصواعق ، وشفاء العليل . الثاني : التوقف ; كما هو صريح كلامه في هذه المراجع المذكورة . الثالث : القول بأبدية النار تلميحا

---

(١) الفتاوى ٣٠٧/١٨ .

وقد كتب د/علي بن علي جابر اليماني رسالة في الذب عن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، ورد ما اشتهر على ألسنة بعض الناس من نسبة القول بفناء النار إليهما . وقد أورد عن شيخ الإسلام ابن تيمية خمسة عشر نصا من كلام ابن تيمية نفسه من كتبه المعتمدة ، يؤكد في هذه النصوص كلها على عدم فناء النار .

(انظر كشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار ص ٦٠-٦٩) .

(٢) كون الإمام ابن القيم رحمه الله يذكر هذه حججا على سبيل المناظرة لا يدل على الميل بل المشهور عنه التوقف أو الجزم بعدم فنائها

وتصريحـــا ... - إلى ان قال : - وهذا هو الاخير من كلام ابن القيم رحمـه الله كما يبدو لي . والله اعلم))(١) ، ثم" ايـد ذلك بنصوص من كلام العلامة ابن القيم رحمه الله(١) .

---

(١) انظر كشـف الاسـتار لإبطال ادعاء فناء النار المنسوب لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية ص ٧٨-٨٢ .

وانظر كلام ابـن القيـم فـي عـدم فنـاء النـار والقول بابديتهـا فـي كتبـه : الـوابل الصيـب ص ٣٤ . وزاد المعـاد ٦٨/١ . وطريق الهجرتين ص ٢٥٤-٢٥٥ .

الفصل الخامس

جهود الشيخ الأمين في توضيح الإيمان بالقدر

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول

مراتب القدر

المبحث الثاني

الفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية

المبحث الثالث

الهداية

المبحث الرابع

أفعال العباد بين الإفراط والتفريط

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : وسطية أهل السنة والجماعة في أفعال العباد .

المطلب الثاني : موقف الشيخ الأمين من الجبرية .

المطلب الثالث : موقفه من القدرية النفاة .

الفصل الخامس

جهود الشيخ الامين في توضيح الإيمان بالقدر

القدر لغة : القضاء والحكم ومبلغ الشيء . والتقدير : التروية والتفكر في تسوية الامر(١) .

وشرعا : ما سبق به العلم ، وجرى به القلم مما هو كائن إلى الابد . وانه عز وجل" قدر مقادير الخلائق وما يكون من الاشياء قبل ان تكون في الازل ، وعلم سبحانه انها ستقع في اوقات معلومة عنده تعالى ، وعلى صفات مخصوصة ، فهي تقع على حسب ما قدرها (٢) .

والإيمان بالقدر : احد اركان الإيمان الستة التي لايتم" الإيمان إلا بها ، كما جاءت في حديث جبريل عليه السلام لما سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان ، فاجابه : "الإيمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره"(٣) .

---

(١) انظر القاموس المحيط ٥٩١/٢ .

(٢) لوامع الانوار البهية ٣٤٨/١ .

(٣) اخرجه مسلم في صحيحه ٣٧/١ .

وقد دلّ على وجوب الإيمان بالقدر أدلة كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية :

فمن الآيات القرآنية : قوله تعالى : "إنا كلّ شيء خلقناه بقدر"(١) ، وقوله سبحانه : "وكان أمر الله قدرا مقدورا"(٢) ، وقوله جلّ وعلا : "وكلّ شيء عنده بمقدار"(٣) ، وقوله تعالى : "ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إنّ ذلك على الله يسير"(٤) .

ومن الأحاديث النبوية : حديث جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لايؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره حتى يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأنّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه"(٥) . وحديث عليّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لايؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله بعثني بالحقّ ، ويؤمن بالموت ، وبالبعث بعد الموت ، ويؤمن

---

(١) سورة القمر ، الآية (٤٩) .
(٢) سورة الأحزاب ، الآية (٣٨) .
(٣) سورة الرعد ، الآية (٨) .
(٤) سورة الحديد ، الآية (٢٢) .
(٥) أخرجه الترمذي في سننه ٤/٤٥١ ، وقال : "هذا حديث غريب لانعرفه إلا من حديث عبدالله بن ميمون ، وعبدالله بن ميمون منكر الحديث". والحديث صححه الألباني. (انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥/٥٦٦) .

بالقدر"(١) . وحديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كل شيء بقدر ، حتى العجز والكيس"(٢) .

وقد عرض الشيخ الأمين رحمه الله عقيدة القدر في ثنايا تفسيره عند كلامه على بعض الآيات المتعلقة بهذا الباب ؛ فذكر بعض مراتب القدر ، وتكلم عن أفعال العباد ، والفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية ، وأقسام الهداية .

وتصدى رحمه الله لشبه القدرية النفاة ، والجبرية ، ففندها وأبطل احتجاجهم بها ، وأقام الحجة عليهم مستدلا بالآيات القرآنية ، والبراهين العقلية .

ولبيان ذلك كله قسمت هذا الفصل إلى مباحث :

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٤٥٢/٤ . وقال الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح (٣٧/١) : "وسنده صحيح . وصححه الحاكم على شرطهما ، ووافقه الذهبي " .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٠٤٥/٤ .

المبحث الأول

بيانه لمراتب القدر

مراتب القضاء والقدر عند أهل السنة والجماعة أربع ، لايتمّ إيمان العبد بالقدر إلا بإيمانه بهنّ :

المرتبة الأولى : العلم : وهي أن يؤمن الإنسان بأنّ الله بكلّ شيء عليم ; يعلم ما كان ، وما يكون قبل أن يكون ، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون .

المرتبة الثانية : الكتابة : وهي الإيمان بأنّ الله كتب عنده في اللوح المحفوظ مقادير كلّ شيء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة .

المرتبة الثالثة : المشيئة : وهي الإيمان بأنه ما وجد من موجود إلا بمشيئة الله تعالى ، وما عدم من معدوم إلا بمشيئته تعالى .

المرتبة الرابعة : الخلق : وهي الإيمان بأنّ الله تعالى خالق كلّ شيء ; فما من موجود في السموات والأرض إلا الله خالقه ، حتى الموت خلقه الله وإن كان هو عدم الحياة (١) .

---

(١) انظر شفاء العليل للإمام ابن القيم ص ٢٩ . والقضاء والقدر للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ٢١-٢٤ .

وقد دلّ القرآن الكريم على هذه المراتب :

قال تعالى : "ألم تعلم أنّ الله يعلم ما في السماء والأرض إنّ ذلك في كتاب"(١) ، وقال تعالى : "لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ربّ العالمين"(٢) ، وقال تعالى : "الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا"(٣) .

وقد تناول الشيخ الأمين رحمه الله بعض هذه المراتب أثناء تفسيره للآيات المتعلقة بالقدر ؛ فقد أشار رحمه الله إلى مرتبة العلم عند تفسيره لقوله تعالى : "كما بدأكم تعودون * فريقا هدى وفريقا حقّ عليهم الضلالة"(٤) ، فقال : ((أنّ معنى "كما بدأكم تعودون" ؛ أي كما سبق لكم في علم الله من سعادة أو شقاوة ، فإنكم تصيرون إليه ، فمن سبق له العلم بأنه سعيد صار إلى السعادة ، ومن سبق له العلم بأنه شقيّ صار إلى الشقاوة))(٥) .

وقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون"(٦) : ((هذه الآية الكريمة تدلّ على

---

(١) سورة الحج ، الآية {٧٠} .
(٢) سورة التكوير ، الآيتان {٢٨-٢٩} .
(٣) سورة الملك ، الآية {٢} .
(٤) سورة الأعراف ، الآيتان {٢٩-٣٠} .
(٥) أضواء البيان ٢/٢٩٧ .
(٦) سورة الأنعام ، الآية {٢٨} .

أنّ الله جلّ وعلا الذي أحاط علمه بكلّ موجود ومعدوم يعلم المعدوم الذي سبق في الأزل أنه لايكون لو وجد كيف يكون ؛ لأنه يعلم أنّ ردّ الكفار يوم القيامة إلى الدنيا مرة أخرى لايكون ، ويعلم هذا الردّ الذي لايكون لو وقع كيف يكون))(١) .

وقال رحمه الله عند قوله تعالى : "وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه"(٢) :

((معنى قوله تعالى : "إلا لنعلم" ؛ أي علما يترتب عليه الثواب والعقاب ، فلا ينافي كونه عالما به قبل وقوعه . وقد أشار تعالى إلى أنه لايستفيد بالاختبار علما جديدا ؛ لأنه عالم بما سيكون ، حيث قال تعالى : "وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور"(٣) ؛ فقوله : "والله عليم بذات الصدور" بعد قوله : "ليبتلي" دليل على أنه لايفيده الاختبار علما لم يكن يعلمه سبحانه وتعالى عن ذلك ، بل هو تعالى عالم بكلّ ما سيفعله خلقه ، وعالم بكلّ شيء قبل وقوعه ، كما لاخلاف فيه بين المسلمين "لايعزب عنه مثقال ذرة"(٤) الآية))(٥) .

---

(١) أضواء البيان ١٨٨/٢ .

(٢) سورة البقرة ، الآية {١٤٣} .

(٣) سورة آل عمران ، الآية {١٥٤} .

(٤) سورة سبأ ، الآية {٣} .

(٥) دفع إيهام الاضطراب ٢٨/١٠ . وانظر : أضواء البيان ٣٠٣/٢ ، = =

اما مرتبة الكتابة : فقد تحدث عنها الشيخ الأمين رحمه الله عند قوله تعالى : "ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم إلا في كتاب من قبل ان نبراها إنّ ذلك على الله يسير"(١) ، فقال : ((ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة انّ كلّ ما اصاب من المصائب في الارض ؛ كالقحط والجدب والجوائح في الزراعة والثمار ، وفي الانفس ؛ من الامراض والموت كله مكتوب في كتاب قبل خلق الناس وقبل وجود المصائب))(٢) .

وقال رحمه الله ايضا : ((الشقي من كتب عليه الشقاء ازلا عند الله تعالى ؛ فإنه جلّ وعلا قدر مقادير الخلق قبل أن يوجدوا ، وصرّف مشيئاتهم واعمالهم إلى ما كتب . ولما سال بعض اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم عن العمل ؛ اهو خطة مدبرة قد فرغ منها ، ام هو انف ؟ قال صلى الله عليه وسلم : "لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير" . قيل له : ففيم يعمل العاملون ؟ قال : "كلّ ميسّر لما خلق له"(٣)))(٤) .

= ٤٩١ ،، ٨٠/٤ ،، ٢٠٧/٦ ، ٢٧٧ ،، ٥٩١/٧ ، ٥٩٢ . ومعارج الصعود ص ٦٧ .

(١) سورة الحديد ، الآية {٢٢} .

(٢) اضواء البيان ٨١٤/٧ .

(٣) صحيح مسلم ٢٠٤٠/٤-٢٠٤١ .

(٤) معارج الصعود ص ٢٥١ .

وقال رحمه الله أيضا : ((فهو سبحانه قد كتب على كل واحد من الناس ما هو واقع به من شقاء أو سعادة ، وخير أو شر قبل أن يخلقهم بخمسين ألف سنة (١)))(٢) .

أما مرتبة المشيئة : فقد تحدث عنها الشيخ الأمين رحمه الله عند قوله تعالى : "ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا"(٣) ، فقال : ((وقوله في هذه الآية الكريمة : "من أغفلنا قلبه" يدل على أن ما يعرض للعبد من غفلة ومعصية إنما هو بمشيئة الله تعالى ؛ إذ لايقع شيء البتة كائنا ما كان إلا بمشيئته الكونية القدرية جل وعلا "وما تشاءون إلا أن يشاء الله .." الآية (٤) ، "ولو شاء الله ما أشركوا"(٥) ، "ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها"(٦) ، "ولو شاء الله لجمعهم على الهدى"(٧) ، "ختم الله على قلوبهم .." الآية (٨) ، "وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم

---

(١) راجع صحيح مسلم ٢٠٤٤-٢٠٤٢/٤ .

(٢) معارج الصعود ص ٣٠٢ ، وانظر أضواء البيان ٢٦٨/٣ .

(٣) سورة الكهف ، الآية (٢٨) .

(٤) سورة الإنسان ، الآية (٣٠) .

(٥) سورة الأنعام ، الآية (١٠٧) .

(٦) سورة السجدة ، الآية (١٣) .

(٧) سورة الأنعام ، الآية (٣٥) .

(٨) سورة البقرة ، الآية (٧) .

وقرا"(١) ، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنّ كلّ شيء من خير وشرّ لايقع إلا بمشيئة خالق السموات والأرض))(٢) .

وقال الشيخ الامين رحمه الله ايضا عند تفسير قوله تعالى : "ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا" الآية (٣) : ((صرح تعالى في هذه الآية الكريمة انه لو شاء إيمان جميع اهل الارض لآمنوا كلهم جميعا . وهو دليل واضح على أنّ كفرهم واقع بمشيئته الكونية القدرية . وبيّن ذلك ايضا في آيات كثيرة ؛ كقوله تعالى : "ولو شاء الله ما اشركوا" الآية (٤) ، وقوله : "ولو شئنا لآتينا كلّ نفس هداها"(٥) ، وقوله : "ولو شاء الله لجمعهم على الهدى"(٦) ، إلى غير ذلك من الآيات))(٧) .

اما مرتبة الخلق : فقد تحدث عنها الشيخ الأمين رحمه الله عند تفسير قول الله تعالى : "ولذلك خلقهم"(٨) ؛ فقال : ((أي خلقهم لان يختلفوا إلى مؤمن وكافر ، وبرّ وفاجر ، وشقيّ وسعيد ؛ ليعرف

---

(١) سورة الأنعام ، الآية {٢٥} .
(٢) اضواء البيان ٤/٩٠ .
(٣) سورة يونس ، الآية {٩٩} .
(٤) سورة الأنعام ، الآية {١٠٧} .
(٥) سورة السجدة ، الآية {١٣} .
(٦) سورة الأنعام ، الآية {٣٥} .
(٧) اضواء البيان ٢/٤٩٢ . وانظر المصدر نفسه ٣/٢٢١ .
(٨) سورة هود ، الآية {١١٩} .

كلاً إلى ما كتب له في الأزل ، وتظهر فيهم آثار صفات الله تعالى وأسمائه من رحمة ورضا ، وثواب للمطيعين ، وقهر وجبروت وشدة عذاب للعاصين))(١) .

وقال أيضاً : (("ولذلك خلقهم" : أي أراد ذلك منهم قدراً عند وجودهم ، فوجدوا كما أراد الله ؛ قال تعالى : "إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون"(٢)))(٣) .

---

(١) معارج الصعود ص ٣٠٢ .

(٢) سورة يس ، الآية {٨٢} .

(٣) معارج الصعود ص ٣٠٣ . وانظر دفع إيهام الاضطراب ١٠/١٥٨ .

المبحث الثاني

الفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية

منشأ الضلال في القدر هو من التسوية بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية ; كما فعل الجبرية والقدرية :

فالقدرية قالوا : إنّ المعاصي والذنوب ليست محبوبة لله ، ولامرضية ، فليست مقدرة ولامقضية ، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه .

والجبرية قالوا : الكون كله بقضاء الله وقدره فيكون محبوبا مرضيا (١) .

واهل السنة والجماعة ابصروا الحقيقة كلها ، فآمنوا بالحقّ الذي عند كلّ واحد من الفريقين ، ونفوا الباطل الذي تلبس به كلّ واحد منهما ; فهم يقولون : إنّ الله وإن كان يريد المعاصي قدرا فهو لايحبها ولايرضاها ولايأمر بها ، بل يبغضها وينهى عنها (٢) .

وقد اوضح الشيخ الأمين رحمه الله الفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية ، فقال رحمه الله : ((وتحقيق النسبة بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية الدينية انه بالنسبة إلى وجود المراد

---

(١) انظر شرح الطحاوية ص ٢٧٩ . ومدارج السالكين ١/٢٥١-٢٥٢ .

(٢) انظر القضاء والقدر للدكتور عمر الأشقر ص ١٠٣ .

وعدم وجوده ؛ فالإرادة الكونية أعمّ مطلقا ؛ لأنّ كلّ مراد شرعا يتحقق وجوده في الخارج إذا أريد كونا وقدرا ؛ كإيمان أبي بكر ، وليس يوجد ما لم يرد كونا وقدرا ولو أريد شرعا ؛ كإيمان أبي لهب . فكلّ مراد شرعي حصل فبالإرادة الكونية ، وليس كلّ مراد كوني حصل مرادا في الشرع . وأما بالنسبة إلى تعلق الإرادتين بعبادة الإنس والجنّ لله تعالى : فالإرادة الشرعية أعمّ مطلقا ، والإرادة الكونية أخصّ مطلقا ؛ لأنّ كلّ فرد من أفراد الجنّ والإنس أراد الله منه العبادة شرعا ، ولم يردها من كلهم كونا وقدرا : فتعمّ الإرادة الشرعية عبادة جميع الثقلين ، وتختصّ الإرادة الكونية بعبادة السعداء منهم كما قدمنا من أنّ الدعوة عامة والتوفيق خاصّ ؛ كما بينه تعالى بقوله : "والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم"(١) ؛ فصرح بأنه يدعو الكلّ ويهدي من شاء منهم . وليست النسبة بين الإرادة الشرعية والقدرية العموم والخصوص من وجه ، بل هي العموم والخصوص المطلق كما بيّنّا ، إلا أنّ إحداهما أعمّ مطلقا من الأخرى باعتبار ، والثانية أعمّ مطلقا باعتبار آخر كما بيّنّا ، والعلم عند الله تعالى))(٢) .

---

(١) سورة يونس ، الآية {١٥} .

(٢) دفع إيهام الاضطراب ١٠/١٦٠-١٦١ .

وقال الشيخ رحمه الله في موضع آخر : ((إنّ الإرادة نوعان : كونية قدرية ؛ وهي مشيئة الله وقوع الشيء أو عدم وقوعه . وإرادة شرعية دينية ؛ بحيث يطلب المراد باعتبار الشرع ؛ بحيث لو أدى الإنسان ما أريد منه شرعا أثيب ، وإن لم يؤد ذلك استحق العقاب والنكال والعذاب . والإرادة الشرعية لاتستلزم الإرادة الكونية القدرية ؛ لأنّ النفوذ وعدمه يتعلق بالإرادة القدرية ، ولايتعلق ذلك بالإرادة الشرعية . فالشيء الذي يراد إرادة شرعية مطلوب شرعا ، لكن قد يريده الله كونا ، وقد لايريده كونا وقدرا فلا يقع))(١) .

وهذا التفريق بين الإرادة الكونية والشرعية هو معتقد أهل السنة والجماعة كما تقدم القول في ذلك . وممن ذكر هذا الفرق من علماء السلف : شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث يقول : ((الإرادة في كتاب الله على نوعين ؛ أحدهما : الإرادة الكونية : وهي الإرادة المستلزمة لوقوع المراد التي يقال فيها ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن ... وأما النوع الثاني : فهو الإرادة الدينية الشرعية : وهي محبة المراد ورضاه ومحبة أهله والرضا عنهم وجزاؤهم بالحسن ... فهذه الإرادة لاتستلزم وقوع المراد إلا

---

(١) معارج الصعود ص ٣٠٢ . وانظر دفع إيهام الاضطراب ١٠/١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٥٩ . وأضواء البيان ٧/٢٢٢ .

أن يتسق به النوع الأول من الإرادة . ولهذا كانت الأقسام أربعة :

أحدها : ما تعلقت به الإرادتان ؛ وهو ما وقع في الوجود من الأعمال الصالحة ؛ فإنّ الله أراده إرادة تدين وشرع ، فأمر به وأحبه ورضيه وأراده إرادة كون فوقع ، ولولا ذلك لما كان . الثاني : ما تعلقت به الإرادة الدينية فقط : وهو ما أمر الله به من الأعمال الصالحة ، فعصى ذلك الأمرَ الكفارُ والفجار ؛ فتلك كلها إرادة دين ، وهو محبها ويرضاها لو وقعت ولو لم تقع . الثالث : ما تعلقت به الإرادة الكونية فقط : وهو ما قدره وشاءه من الحوادث التي لم يأمر بها ؛ كالمباحات والمعاصي فإنه لم يأمر بها ولم يرضها ولم يحبها ؛ إذ هو لايأمر بالفحشاء ، ولايرضى لعباده الكفر ، ولولا مشيئته وقدرته وخلقه لها لما كانت ولما وجدت ؛ فإنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . والرابع : ما لم تتعلق به هذه الإرادة ولاهذه ؛ فهذا ما لم يكن من أنواع المباحات والمعاصي))(١) .

وقال الإمام ابن أبي العزّ الحنفي رحمه الله مفرقا بين الإرادة الكونية ، والإرادة الشرعية : ((إنّ الله تعالى يريد

---

(١) مجموع الفتاوى ١٨٧/٨-١٨٩ . وانظر أيضا : المصدر نفسه ٤٤٠/٨ . ولوامع الأنوار البهية ٣٣٨/١ .

الكفر من الكافر ويشاؤه ، ولايرضاه ولايحبه ; فيشاؤه كونا ، ولايرضاه دينا))(١) .

وبهذا يتضح مذهب السلف في هذه المسألة التي كانت منشا الضلال والتخبط في باب القدر ; بسبب عدم تفريق المخالفين بين الإرادتين . وهدى الله اهل السنة والجماعة بسبب تمسكهم بالأصلين العظيمين إلى التمييز بين الإرادتين ، فوافقوا بمعتقدهم ما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) شرح الطحاوية ص ٢٧٧ .

المبحث الثالث

الهداية

الهداية نوعان : هداية دلالة على الحق وإرشاد ؛ وهي لجميع الخلق ، وهي التي يقدر عليها الرسل وأتباعهم ، قال الله تعالى : "ولكل قوم هاد"(١) . وهداية توفيق وتثبيت من الله منة منه وفضلا لعباده المتقين ؛ وهي التي لايقدر عليها إلا الله ، قال تعالى : "إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء"(٢)(٣) .

وقد أوضح الشيخ الأمين رحمه الله نوعي الهداية ، فقال رحمه الله : ((إن الهدى يستعمل في القرآن استعمالين ؛ أحدهما عام ، والثاني خاص . أما الهدى العام فمعناه إبانة طريق الحق وإيضاح المحجة سواء سلكها المبين له أم لا . ومنه بهذا المعنى قوله تعالى : "وأما ثمود فهديناهم"(٤) ؛ أي بينا لهم طريق الحق على لسان نبينا صالح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، مع أنهم لم يسلكوها ، بدليل قوله عز وجل "فاستحبوا العمى على الهدى"(٤).

---

(١) سورة الرعد ، الآية {٧} .

(٢) سورة القصص ، الآية {٥٦} .

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن ١/١١٢-١١٣ .

(٤) سورة فصلت ، الآية {١٧} .

ومنه أيضا قوله تعالى : "إنا هديناه السبيل"(١) أي بيّنّا له طريق الخير والشر ، بدليل قوله : "إما شاكرا وإما كفورا"(١) . وأما الهدى الخاص : فهو تفضل الله بالتوفيق على العبد . ومنه بهذا المعنى قوله تعالى : "فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام"(٢)))(٣) .

وقال الشيخ الأمين أيضا : ((إن الهدى المثبت له صلى الله عليه وسلم هو الهدى العام الذي هو البيان والدلالة والإرشاد . وقد فعل ذلك صلى الله عليه وسلم فبيّن المحجة البيضاء حتى تركها ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك . والهدى المنفي عنه في آية "إنك لاتهدي من أحببت"(٤) هو الهدى الخاص الذي هو التفضل بالتوفيق ؛ لأن ذلك بيد الله وحده ، وليس بيده صلى الله عليه وسلم ؛ كما قال : "ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم" الآية(٥)))(٦) .

---

(١) سورة الإنسان ، الآية {٣} .

(٢) سورة الأنعام ، الآية {١٢٥} .

(٣) دفع إيهام الاضطراب ١٠/٨ .

(٤) سورة القصص ، الآية {٥٦} .

(٥) سورة المائدة ، الآية {٤١} .

(٦) أضواء البيان ١٢٦/٧-١٢٧ . وانظر المصدر نفسه ٢٦٨/٣ .. ١٤٧/٤ .. ٤٥٦/٦ .

ثم" وضح الشيخ الأمين رحمه الله ان" التوفيق الخاص" هو ملك لله يمن" به على من يشاء من عباده ؛ فقال عند تفسير قوله تعالى : "قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين"(١) : ((فملكه تعالى وحده للتوفيق والهداية هو الحجة البالغة على خلقه ؛ يعني فمن هديناه وتفضلنا عليه بالتوفيق فهو فضل منا ورحمة . ومن لم نفعل له ذلك فهو عدل منا وحكمة ؛ لأنه لم يكن له ذلك دينا علينا ولاواجبا مستحقا يستحقه علينا ، بل إن اعطينا ذلك ففضل ، وإن لم نعطه فعدل))(٢) .

وتقسيم الشيخ الأمين رحمه الله للهداية لهذين النوعين ليس بدعا ، بل قد سبقه إليه ائمة السلف رحمهم الله ؛ منهم الإمام ابن القيم رحمه الله الذي قال في توضيح نوعي الهداية : ((قوله : "اهدنا الصراط المستقيم" يتضمن طلب الهداية ممن هو قادر عليها ، وهي بيده إن شاء اعطاها عبده ، وإن شاء منعه إياها . والهداية معرفة الحق" والعمل به ، فمن لم يجعله الله تعالى عالما بالحق" عاملا به لم يكن له سبيل إلى الاهتداء ؛ فهو سبحانه المتفرد بالهداية الموجبة للاهتداء التي لايتخلف عنها ؛ وهي جعل العبد مريدا للهدى محبا له مؤثرا له عاملا به ، فهذه الهداية ليست إلى

---

(١) سورة الأنعام ، الآية {١٤٩} .

(٢) اضواء البيان ٧/٢٢٣ .

ملك مقرب ولانبي مرسل ، وهي التي قال سبحانه فيها : "إنك لاتهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء"(١) ، مع قوله تعالى : "وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم"(٢) ؛ فهذه هداية الدعوة والتعليم والإرشاد ، وهي التي هدى بها ثمود فاستحبوا العمى عليها ، وهي التي قال تعالى فيها : "وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون"(٣) ؛ فهداهم هدى البيان الذي تقوم به حجته عليهم ، ومنعهم الهداية الموجبة للاهتداء التي لايضل من هداه بها ، فذاك عدله فيهم ، وهذا حكمته ؛ فاعطاهم ما تقوم به الحجة عليهم ، ومنعهم ما ليسوا له باهل ولايليق بهم))(٤) .

وقال رحمه الله ايضا يتكلم عن القسم الثاني من اقسام الهداية ؛ الا وهو تفضل الله على العبد بتوفيقه رحمة منه وفضلا جل وعلا : ((التوفيق هو ان لايكلك الله إلى نفسك ، وان الخذلان هو ان يخلي بينك وبين نفسك ؛ فالعبيد

---

(١) سورة القصص ، الآية {٥٦} .

(٢) سورة الشورى ، الآية {٥٢} .

(٣) سورة التوبة ، الآية {١١٥} .

(٤) شفاء العليل ص ٥٣ . وانظر : المصدر نفسه ص ٦٥ . وبدائع الفوائد ٣٥/٢ . ولوامع الانوار البهية ٣٣٤/١ . وشرح العقيدة الطحاوية ص ٥٠٠ .

متقلبون بين توفيقه وخذلانه ، بل العبد في الساعة الواحدة ينال نصيبه من هذا وهذا ... فإن وفقه فبفضله ورحمته ، وإن خذله فبعدله وحكمته . وهو المحمود على هذا وهذا له اتم حمد واكمله ، ولم يمنع العبد شيئا هو له ، وإنما منعه ما هو مجرد فضله وعطائه ، وهو اعلم حيث يضعه واين يجعله))(١) .

(١) مدارج السالكين ٤١٣/١ . وانظر شرح الطحاوية ص ٥٠٠ .

المبحث الرابع

افعال العباد بين الإفراط والتفريط

المطلب الأول

وسطية اهل السنة والجماعة في افعال العباد

ذكر الشيخ الأمين رحمه الله انّ هذه المسالة قد ضلّ فيها القدرية والجبرية ، وهدى الله فيها اهل السنة والجماعة إلى القول الحقّ بإذنه ؛ فقال رحمه الله : ((اما القدرية فضلوا بالتفريط ؛ حيث زعموا انّ العبد يخلق عمل نفسه استقلالا من غير تاثير لقدرة الله فيه . واما الجبرية فضلوا بالإفراط ؛ حيث زعموا انّ العبد لاعمل له اصلا حتى يؤاخذ به . واما اهل السنة والجماعة فلم يفرطوا ولم يفرطوا ؛ فاثبتوا للعبد افعالا اختيارية - ومن الضروري عند جميع العقلاء انّ الحركة الارتعاشية ليست كالحركة الاختيارية - ، واثبتوا انّ الله خالق كلّ شيء ؛ فهو خالق العبد وخالق قدرته وإرادته . وتاثير قدرة العبد لايكون إلا بمشيئة الله تعالى ؛ فالعبد وجميع افعاله بمشيئة الله تعالى ، مع انّ العبد يفعل اختيارا بالقدرة والإرادة اللتين

خلقهما الله فيه فعلا اختياريا يثاب عليه ويعاقب))(١) .

وقد بسط الشيخ الأمين رحمه الله عقيدة أهل السنة والجماعة في القدر ، وبيّن وسطيتهم بين الغالين والمفرطين ، وقررها أحسن تقرير ؛ فأتى بخلاصة معتقد السلف في القدر ؛ فقال رحمه الله : ((إنّ الله تبارك وتعالى قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق الخلق ، وعلم أنّ قوما صائرون إلى الشقاء ، وقوما صائرون إلى السعادة ؛ فريق في الجنة وفريق في السعير . وأقام الحجة على الجميع ببعث الرسل وتأييدهم بالمعجزات التي لاتترك في الحقّ لبسا ، فقامت عليهم حجة الله في أرضه بذلك . ثمّ إنه تعالى وفق من شاء توفيقه ، ولم يوفق من سبق لهم في علمه الشقاء الأزلي ، وخلق لكلّ واحد منهم قدرة وإرادة يقدر بها على تحصيل الخير والشرّ ، وصرف قدرهم وإرادتهم بقدرته وإرادته إلى ما سبق لهم في علمه من أعمال الخير المستوجبة للسعادة وأعمال الشر المستوجبة للشقاء . فأتوا كلّ ما أتوا ، وفعلوا كلّ ما فعلوا طائعين مختارين غير مجبورين ولامقهورين : "وما تشاؤون إلا أن يشاء الله"(٢) ، "قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم

---

(١) دفع إيهام الاضطراب ١٠/٣٣٠ . وانظر معارج الصعود ص ٢٩٧-٢٩٨ .

(٢) سورة الإنسان ، الآية {٣٠} .

اجمعين"(١)))(٢) .

وبهذه الخلاصة الجامعة ابرز الشيخ الأمين رحمه الله عقيدة السلف في القدر موضحا وسطية أهل السنة والجماعة بين الغالين والجافين .

وقد سبقه إلى بيان هذه الوسطية علماء أجلاء من أهل السنة والجماعة ؛ منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الذي قال : ((اعلم أن" العبد فاعل على الحقيقة ، وله مشيئة ثابتة ، وله إرادة جازمة ، وقوة صالحة . وقد نطق القرآن باثبات مشيئة العباد في غير ما آية ؛ كقوله : "لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤون إلا ان يشاء الله رب" العالمين"(٣) ، ونطق بإثبات فعله في عامة آيات القرآن : "يعملون" ، "يفعلون" ، "يؤمنون" ، "يكفرون" ، "يتفكرون" ، "يحافظون" ، "يتقون" . وكما انا فارقنا مجوس الأمة بإثبات انه تعالى خالق ، فارقنا الجبرية بإثبات أن" العبد كاسب فاعل صانع عامل . والجبر المعقول الذي انكره سلف الأمة وعلماء السنة هو ان يكون الفعل صادرا على الشيء من غير إرادة ولامشيئة ولااختيار ؛ مثل حركة الأشجار بهبوب الرياح))(٤) .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية {١٤٩} .

(٢) اضواء البيان ٧/٢٢٣-٢٢٤ .

(٣) سورة التكوير ، الآية {٢٨} .

(٤) مجموع الفتاوى ٨/٣٩٣-٣٩٤ .

وقال رحمه الله ايضا : ((الاعمال والاقوال والطاعات والمعاصي هي من العبد ; بمعنى انها قائمة به ، وحاصلة بمشيئته وقدرته ، وهو المتصف بها والمتحرك بها الذي يعود حكمها عليه . وهي من الله بمعنى انه خلقها قائمة بالعبد وجعلها عملا له وكسبا ; كما يخلق المسببات باسبابها ; فهي من الله مخلوقة له ، ومن العبد صفة قائمة به واقعة بقدرته وكسبه ; كما إذا قلنا هذه الثمرة من الشجرة ، وهذا الزرع من الأرض ; بمعنى انه حدث منها ، ومن الله بمعنى انه خلقه منها : لم يكن بينهما تناقض))(١) .

---

(١) نقلا عن لوامع الانوار البهية ٣١٣/١ .

المطلب الثاني

موقف الشيخ الأمين من الجبرية

أوضح الشيخ الأمين رحمه الله معتقد الجبرية ، وبيّن أنهم وقعوا في التفريط حيث زعموا أنّ العبد لافعل له ، بل هو مجبور من قبل الله لامشيئة له في حركة ولاسكون(١) .

وقد ردّ رحمه الله على هذه الفرقة الضالة في مواطن عديدة من تفسيره ، واورد شبههم التي يتعلقون بها ، فاسقطها واقام عليهم الحجة بالآيات القرآنية والبراهين العقلية ؛ فقال رحمه الله في معرض الردّ عليهم : ((وادعاء أنّ العبد مجبور لا إرادة له ضروريّ السقوط عند عامة العقلاء . ومن أعظم الضروريات الدالة عليه أنّ كلّ عاقل يعلم أنّ بين الحركة الاختيارية والحركة الاضطرارية كحركة المرتعش فرقا ضروريا لاينكره عاقل . وانك لو ضربت من يدعي أنّ الخلق مجبورون وفقأت عينه مثلا ، وقتلت ولده واعتذرت له بالجبر فقلت له : انا مجبور ولا إرادة لي في هذا السوء الذي فعلته بك ، بل هو فعل الله وانا لادخل لي فيه ؛ فإنه لايقبل منك هذه الدعوى بلا شك ، بل يبالغ في إرادة الإنتقام منك قائلا : إنّ

---

(١) انظر معارج الصعود ص ٢٩٨ . ولعلها (الأفراط وليست التفريط)

هذا بإرادتك ومشيئتك)) (١) .

وهكذا يصور لنا الشيخ الأمين رحمه الله تفاهة هذا المعتقد ، ويبين أنه لايقوم على أساس صحيح ، بل ولاينظر إلى حقيقة القدر إلا من عين واحدة .

وقد تطرق رحمه الله إلى ذكر بعض شبه الجبرية التي أقاموا عليها مذهبهم ، فأوردها رحمه الله بصيغة مناظرة بين جبريّ وسنيّ ؛ فقال رحمه الله : ((لو فرضنا أنّ جبريا ناظر سنيا ، فقال الجبري : حجتي لربي أن أقول : إني لست مستقلا بعمل ، وإني لابدّ أن تنفذ فيّ مشيئته وإرادته على وفق العلم الأزلي ، فأنا مجبور . فكيف يعاقبني على أمر لاقدرة لي أن أحيد عنه ؟ فإنّ السنيّ يقول له : كلّ الأسباب التي أعطاها للمهتدين أعطاها لك ؛ جعل لك سمعا تسمع به ، وبصرا تبصر به ، وعقلا تعقل به ، وأرسل لك رسولا ، وجعل لك اختيارا وقدرة ، ولم يبق بعد ذلك إلا التوفيق ، وهو ملكه المحض ، إن أعطاه ففضل ، وإن منعه فعدل ؛ كما أشار له تعالى بقوله : "قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين" (٢) ؛ يعني أنّ ملكه للتوفيق حجة بالغة على الخلق ؛ فمن أعطيه ففضل ، ومن منعه فعدل)) (٣) .

---

(١) أضواء البيان ٢٢٤/٧ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية {١٤٩} .

(٣) دفع إيهام الاضطراب ٣٣١/١٠ .

وهـذه الشبهة التي أوردها الشيخ الأمين رحمه الله وردّ عليها قد ردّ عليهـا غـير واحـد من السـلف رحمهم الله بنحو ردّ الشيخ الأمين رحمـه الله ؛ منهم العلامة ابن القيم رحمه الله الذي قال يـردّ عـلى هـذه الشـبهة الجبرية : ((فما احتج بالقدر على إبطال الأمـر والنهـي إلا مـن هو من أجهل الناس وأظلمهم وأتبعهم لهواه . وتأمل قوله تعالى بعد حكايته عن أعدائه واحتجاجهم بمشيئته وقدره عـلى إبطـال مـا أمـرهم به رسوله ، وأنه لولا محبته ورضاه به لما شاءه منهم : "قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين"(١) ؛ فـأخبر سـبحانه أنّ الحجة له عليهم برسله وكتبه وبيان ما ينفعهم ويضـرهم وتمكنـه مـن الإيمـان بمعرفـة أوامـره ونواهيه ، وأعطاهم الأسـماع والأبصـار والعقـول ، فثبـتت حجتـه البالغـة عليهـم بذلك واضمحلت حجتهم الباطلة عليه بمشيئته وقضائه))(٢) .

وأورد الشـيخ الأمـيـن رحمـه الله أيضـا للجبرية شـبهة أخرى يبنـون عليهـا معتقـدهم الفاسـد ، وردّ عليهـا ، وفنّدها . وقد ذكرهـا رحمـه الله مرارا لأهميتها ؛ فقال رحمه الله ذاكرا الشبهة

---

(١) سورة الأنعام ، الآية {١٤٩} .

(٢) شفاء العليل ص ١٧ .

وانظـر رفـع الشـبهة والغـرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر للعلامة مرعي الكرمي ص ٣٠ .

ورادا عليها : ((فإن قيل : إذا كانوا لايستطيعون السمع ، ولايبصرون ولايفقهون ؛ لأنّ الله جعل الأكنّة المانعة من الفهم على قلوبهم ، والوقر الذي هو الثقل المانع من السمع في آذانهم : فهم مجبورون . فما وجه تعذيبهم على شيء لايستطيعون العدول عنه والانصراف إلى غيره ؟ فالجواب : انّ الله جلّ وعلا بيّن في آيات كثيرة من كتابه العظيم انّ تلك الموانع التي يجعلها على قلوبهم وسمعهم وابصارهم ؛ كالختم والطبع والغشاوة والاكنة ونحو ذلك إنما جعلها عليهم جزاء وفاقا لما بادروا إليه من الكفر وتكذيب الرسل باختيارهم ؛ فازاغ الله قلوبهم بالطبع والاكنة ونحو ذلك جزاء على كفرهم ؛ فمن الآيات الدالة على ذلك : قوله تعالى : "بل طبع الله عليها بكفرهم"(١) ؛ اي بسبب كفرهم ، وهو نصّ قرآني صريح في انّ كفرهم السابق هو سبب الطبع على قلوبهم . وقوله : "فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم"(٢) ، وهو دليل ايضا واضح على انّ سبب إزاغة الله قلوبهم هو زيغهم السابق . وقوله : "ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم"(٣) ، وفي قوله تعالى : "في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ..." الآية(٤) ، وقوله : "ونقلب

---

(١) سورة النساء ، الآية {١٥٥} .

(٢) سورة الصف ، الآية {٥} .

(٣) سورة المنافقون ، الآية {٣} .

(٤) سورة البقرة ، الآية {١٠} .

أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون"(١) ، وقوله تعالى : "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون"(٢) ، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنّ الطبع على القلوب ومنعها من فهم ما ينفع : عقاب من الله على الكفر السابق على ذلك . وهذا الذي ذكرنا هو وجه ردّ ~~الشبعة~~ شبهة الجبرية التي يتمسكون بها في هذه الآيات المذكورة وأمثالها في القرآن العظيم))(٣) .

وقد ردّ على هذه الشبهة أيضا عدد من أئمة السلف ؛ منهم العلامة ابن القيم رحمه الله الذي قال مبينا سبب الختم والطبع والران على القلوب : ((ولكنه عقوبة على كفرهم وإعراضهم السابق ؛ فإنه سبحانه يعاقب على الضلال المقدور بإضلال بعده ، ويثيب على الهدى بهدى بعده ، كما يعاقب على السيئة بسيئة مثلها ، ويثيب على الحسنة بحسنة مثلها ...... - إلى أن قال : - فإنه إذا دعى عبده إلى معرفته ومحبته وذكره وشكره فأبى العبد إلا إعراضا وكفرا قضى عليه بأن أغفل قلبه عن ذكره ، وصده عن الإيمان به ،

---

(١) سورة الأنعام ، الآية {١١٠} .

(٢) سورة المطففين ، الآية {١٤} .

(٣) أضواء البيان ١٤٥-١٤٤/٤ . وانظر : المصدر نفسه ٦٥٣/٦ ، ١١٠-١٠٩/٧ . ودفع إيهام الاضطراب ١٠-٩/١٠ . ومعارج الصعود ص ٧٩ .

وحال بين قلبه وبين قبول الهدى ؛ وذلك عدل منه فيه ، وتكون عقوبته بالختم والطبع والصدّ عن الإيمان كعقوبته له بذلك في الآخرة مع دخول النار ..... وكذلك عمّاهم عن الهدى في الآخرة عقوبة لهم على عماهم في الدنيا ، ولكنّ أسباب هذه الجرائم في الدنيا كانت مقدورة لهم واقعة باختيارهم وإرادتهم وفعلهم ، فإذا وقعت عقوبات لم تكن مقدورة ، بل قضاء جار عليهم ماض عدل فيهم))(١) .

وقد أجاب أيضا عن هذه الشبهة الإمام ابن أبي العزّ الحنفي رحمه الله الذي قال : ((والجواب الصحيح عنه أن يقال : إنّ ما يبتلى به العبد من الذنوب الوجودية وإن كانت خلقا لله تعالى ، فهي عقوبة له على ذنوب قبلها ؛ فالذنب يكسب الذنب ، ومن عقاب السيئة السيئة بعدها ؛ فالذنوب كالأمراض التي يورث بعضها بعضا))(٢) .

---

(١) شفاء العليل ص ٨٦ .

(٢) شرح الطحاوية ص ٤٩٧ .

وقد ردّ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على هذه الشبهة بنحو ردود هؤلاء السلف رحمهم الله .
(انظر الفتاوى ١٤/٣٣١) .

المطلب الثالث

موقف الشيخ الأمين رحمه الله من القدرية النفاة

بيّن الشيخ الأمين رحمه الله معتقد القدرية في أفعال العباد موضحا أنهم وقعوا في الإفراط في هذا الباب بإنكارهم القدر وجعلهم العبد مستقلا بكلّ ما يفعل ، ليس لمشيئة الله دخل في ذلك(١) ؛ فقال رحمه الله في معرض الردّ عليهم : ((ومن أعظم الأدلة القطعية الدالة على بطلان مذهب القدرية ، وأنّ العبد لايستقلّ بأفعاله دون قدرة الله ومشيئته : أنه لايمكن أحدا أن ينكر علم الله بكلّ شيء قبل وقوعه ، والآيات والأحاديث الدالة على هذا لاينكرها إلا مكابر . وسبق علم الله بما يقع من العبد قبل وقوعه برهان قاطع على بطلان تلك الدعوى . وإيضاح ذلك : أنك لو قلت للقدري : إذا كان علم الله في سابق أزله تعلق بأنك تقع منك السرقة أو الزنا في محلّ كذا في وقت كذا ، وأردت أنت بإرادتك المستقلة في زعمك دون إرادة الله ألا تفعل تلك السرقة أو الزنا الذي سبق بعلم الله وقوعه ، فهل يمكنك أن تستقلّ بذلك ؟ وتصيّر علم الله جهلا بحيث لايقع ما سبق في علمه وقوعه في وقته المحدد له ؟ . والجواب بلا شك هو : أنّ ذلك لايمكن بحال ؛ كما قال

---

(١) انظر معارج الصعود ص ٢٩٧ .

تعالى : "وما تشاؤون إلا أن يشاء الله"(١) ، وقال الله تعالى : "قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين"(٢) . ولا إشكال البتة في أنّ الله يخلق للعبد قدرة وإرادة يقدر بها على الفعل والترك ، ثمّ يصرف الله بقدرته وإرادته قدرة العبد وإرادته إلى ما سبق به علمه فيأتيه العبد طائعا مختارا غير مقهور ولامجبور ، وغير مستقلّ به دون قدرة الله وإرادته ; كما قال تعالى : "وما تشاؤون إلا أن يشاء الله"(١)))(٣) .

وهذا المعتقد الذي قرره الشيخ الأمين رحمه الله هو عين ما قرره قبله أئمة السلف رحمهم الله ; مثل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الذي قال : ((إنّ أئمة أهل السنة يقولون : إنّ الله خالق أفعال العباد ، كما أنّ الله خالق كلّ شيء ، وأنه تعالى خالق الأشياء بالأسباب ، وأنه تعالى خلق للعبد قدرة بها يكون فعله ، وأنّ العبد فاعل لفعله حقيقة))(٤) .

ومنهم العلامة ابن القيم رحمه الله الذي قال في معرض حديثه عن عقيدة السلف في القدر : ((فإنهم يثبتون قدرة الله على جميع الموجودات ; من الأعيان والأفعال ، ومشيئته العامة ، وينزهونه أن

---

(١) سورة الإنسان ، الآية {٣٠} .

(٢) سورة الأنعام ، الآية {١٤٩} .

(٣) أضواء البيان ٧/٢٢٤-٢٢٥ .

(٤) نقلا عن لوامع الأنوار البهية ١/٣١٣ .

يكون في ملكه ما لايقدر عليه ، ولا هو واقع تحت مشيئته ، ويثبتون القدر السابق ، وأنّ العباد يعملون على ما قدره الله وقضاه وفرغ منه ، وانه لايشاؤون إلا ان يشاء الله ، ولايفعلون إلا من بعد مشيئته ، وانه ما شاء كان وما لم يشا لم يكن))(١) .

ثمّ اخذ رحمه الله يوضح معتقد اهل السنة في افعال العباد ، فقال : ((فحركاتهم واعتقاداتهم افعال لهم حقيقة ، وهي مفعولة لله سبحانه ، مخلوقة له حقيقة ، والذي قام بالربّ عزّ وجلّ علمه وقدرته ومشيئته وتكوينه . والذي قام بهم هو فعلهم وكسبهم وحركاتهم وسكناتهم ؛ فهم المسلمون المصلون القائمون القاعدون حقيقة ، وهو سبحانه هو المقدر على ذلك القادر عليه الذي شاءه منهم وخلقه لهم ، ومشيئتهم وفعلهم بعد مشيئته ؛ فما يشاؤون إلا ان يشاء الله ، وما يفعلون إلا ان يشاء الله))(١) .

وامـا عـن مذهب القدرية النفاة في هذا الباب :
فقد تعرض له الشيخ الأمين رحمه الله في مواضع عديدة من تفسيره ، فردّ عليه ، وبيّن بطلانه وتفاهته ، واسقط الادلة التي قام عليها ، وبيّن تهافتها :

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "من يهدي الله فهو

---

(١) شفاء العليل ص ٥٢ .

المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا "(١) : ((ويؤخذ من هذه الآيات وامثالها في القرآن الكريم بطلان مذهب القدرية : أن العبد مستقل بعمله من خير او شر ، وان ذلك ليس بمشيئة الله بل بمشيئة العبد ، سبحانه جل وعلا عن ان يقع في ملكه شيء بدون مشيئته ، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا))(٢) .

وقال رحمه الله ايضا عند تفسير قوله تعالى : "ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله ... - إلى قوله : - وكانوا قوما بورا "(٣) : ((واعلم ان ما ذكره الزمخشري في هذه الآية واطنب فيه من ان الله لايضل احدا : مذهب المعتزلة ; وهو مذهب باطل ، في غاية الوضوح من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فاياك ان تغتر به))(٤) .

واورد الشيخ رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى : "قل إن كان للرحمن ولد فانا اول العابدين"(٥) قول الزمخشري الذي اساء الادب مع كلام الله ، وضرب لهذه الآية مثلا بقوله : ((ونظيره أن يقول العدلي للمجبر : إن كان الله تعالى خالقا للكفر في القلوب

---

(١) سورة الكهف ، الآية {١٧} .

(٢) اضواء البيان ٤٠/٤ .

(٣) سورة الفرقان ، الآيتان {١٧-١٨} .

(٤) اضواء البيان ٣٠٠/٦ .

(٥) سورة الزخرف ، الآية {٨١} .

ومعذبا عليه عذابا سرمدا ، فانا اول من يقول هو شيطان وليس بإله))(١) .

وقد ردّ الشيخ الامين رحمه الله على هذا القول الشنيع وبيّن فساد معتقده ، فقال : ((فانظر قول هذا الغالّ في ضربه المثل في معنى هذه الآية الكريمة بقول الغالّ الذي يسميه العدلي : إن كان الله خالقا للكفر في القلوب .. إلخ . فخلق الله للكفر في القلوب وتعذيبه الكفار على كفرهم مستحيل عنده كاستحالة نسبة الولد لله . وهذا المستحيل في زعمه الباطل إنما علق عليه افظع انواع المستحيل ؛ وهو زعمه الخبيث انّ الله إن كان خالقا للكفر في القلوب ومعذبا عليه فهو شيطان ، لاإله إلا الله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا . فانظر رحمك الله فظاعة جهل هذا الإنسان بالله ، وشدة تناقضه في المعنى العربي للآية ؛ لانه جعل قوله : إن كان الله خالقا للكفر ومعذبا عليه بمعنى "إن كان للرحمن ولد"(٢) ؛ في انّ الشرط فيهما مستحيل . وجعل قوله في الله انه شيطان - لاإله إلا الله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا - كقول النبيّ صلى الله عليه وسلم : "انا اول العابدين" . فاللازم لكلامه ان يقول : لو كان خالقا للكفر فانا

---

(١) اضواء البيان ٣٠٢/٧ .

(٢) سورة الزخرف ، الآية {٨١} .

اول العابدين . وقد اعرضت عن الإطالة في بيان بطلان كلامه وشدة ضلاله وتناقضه : لشناعته ووضوح بطلانه ؛ فهي عبارات مزخرفة ، وشقشقة لاطائل تحتها ، وهي تحمل في طياتها الكفر والجهل بالمعنى العربي للآية ، والتناقض الواضح .... ولايخفى تصريح القرآن بأن الله خالق كل شيء ؛ كما قال تعالى : "الله خالق كل شيء " الآية (١) ، وقال تعالى : "وخلق كل شيء فقدره تقديرا "(٢) ، وقال : "هل من خالق غير الله "(٣) ، وقال تعالى : "إنا كل شيء خلقناه بقدر"(٤) . فالإيمان بالقدر خيره وشره الذي هو من عقائد المسلمين جعله الزمخشري يقتضي ان الله شيطان ، سبحان الله وتعالى عما يقوله الزمخشري علوا كبيرا ، وجزى الزمخشري بما هو اهله))(٥) .

---

(١) سورة الزمر ، الآية {٦٢} .

(٢) سورة الفرقان ، الآية {٢} .

(٣) سورة فاطر ، الآية {٣} .

(٤) سورة القمر ، الآية {٤٩} .

(٥) اضواء البيان ٣٠٣/٧-٣٠٤ . وانظر المصدر نفسه ٥٩٧/٣ ، ٩٠/٤ ، ٢٧٥ .

إشكال ، وتوضيح

في آخر هذا المبحث أورد إشكالا طرحه الشيخ الأمين رحمه الله بطريقة سؤال وجواب ، ولأهميته أسوقه كما أورده :

قال رحمه الله عند تفسير قول الله تعالى : "ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولايزالون مختلفين"(١) : ((وهنا يرد إشكال يسأل عنه طالب العلم ؛ وهو : ما المانع من جعل الناس أمة واحدة ؛ إما مهتدين على دين واحد ، وإما كفارا كلهم ؟ وما الحكمة في جعلهم مختلفين ؟ . والجواب : أن" رب" السموات والأرض غني" غنى مطلقا بذاته ، خلق الخلق لتظهر فيهم أسرار أسمائه وصفاته ، وعلامات ملكه وسلطنته وقهره . ومن صفاته تعالى ما يدل" على الرحمة والرأفة والشفقة ، ومنها ما يدل" على العزة والقهر والجبروت والغلبة ؛ فلو جعل الناس كلهم مهتدين لما ظهر للخلق كمال الإنصاف والعدل ، ولما ظهر للناس شدة قهره وجبروته . ولو جعلهم كلهم كفارا لما ظهر للناس آثار رحمته ورأفته وعطفه وجوده وإحسانه . ولهذا هدى الله تعالى قوما وطبعهم على الطيب من الأعمال ، وصرف نياتهم إلى ما سبق به الأزل لهم من الخير ؛ لتظهر فيهم آثار أسمائه الدالة على الرحمة وغيرها من صفات الإحسان

---

(١) سورة هود ، الآية {١١٨} .

والجود والكرم . وخلق آخرين وطبعهم على الخبث ، وصرف نياتهم إلى ما كتب لهم في الأزل وفي سابق علمه من الشقاء ؛ لتظهر فيهم آثار قدرته ، وشدة بطشه ، وكمال عدله وإنصافه))(١) .

ولابن أبي العز الحنفي رحمه الله كلام قريب من هذا الكلام بيّن فيه الإمام ابن أبي العز رحمه الله بعض الحكم من خلق الخير والشر والمتضادات ؛ فقال : ((ومنها ظهور آثار أسمائه القهرية ؛ مثل القهار ، والمنتقم ، والعدل ، والضار ، والشديد العقاب ، والسريع الحساب ، وذي البطش الشديد ، والخافض ، والمذل . فإن هذه الأسماء والأفعال كمال لابد من وجود متعلقها . ولو كان الجن والإنس على طبيعة الملائكة لم يظهر أثر هذه الأسماء . ومنها ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه ومغفرته وستره وتجاوزه عن حقه ، وعتقه لمن شاء من عبيده . فلولا خلق ما يكرهه من الأسباب المفضية إلى ظهور آثار هذه الأسماء لتعطلت هذه الحكم والفوائد . وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا بقوله : "لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم"(٢) . ومنها ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة ؛ فإنه

---

(١) معارج الصعود ص ٢٩٤-٢٩٥ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٢١٠٦/٤ .

الحكيم الخبير الذي يضع الأشياء مواضعها ... فهو أعلم حيث يجعل رسالاته ، وأعلم بمن يصلح لقبولها ويشكره على انتهائها إليه .. وأعلم بمن لايصلح لذلك ...))(١) .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٨١-٢٨٢ .
وانظر : مدارج السالكين ٤٠٨/١-٤٠٩ . وشفاء العليل ص ٢٠٢-٢٠٣ . ولوامع الأنوار البهية ٣٤٠/١ .

الفصل السادس

حقيقة الإيمان

وفيه مباحث :

المبحث الأول

تعريف الإيمان

المبحث الثاني

الفرق بين الإسلام والإيمان

المبحث الثالث

زيادة الإيمان ونقصانه

المبحث الرابع

مراتب المؤمنين

المبحث الخامس

الكبائر

المبحث السادس

حكم أهل الفترة

الفصل السادس

حقيقة الإيمان

تمهيد :

المؤمن يعيش في هذه الدنيا مطمئنّ البال ، مرتاح الضمير ؛ لأنه ينعم بنعمة الإيمان التي امتنّ الله بها عليه ، وامتنّ بها على من يشاء من عباده . أما الذي لم يهتد إلى وحي الله سبحانه وتعالى : فهو يعيش حالة قلق عميق الأثر في نفسه ؛ لأنه جاهل لمعنى وجوده في هذه الدار ؛ فهو لايدري لماذا خلق ، ومن اجل ماذا يعيش . فسعادة الإنسان في الدارين مبنيّة على قوة إيمانه بالله تعالى وقربه منه ؛ فمن اطاع الله ، واستمسك بالعروة الوثقى ، واعرض عن وساوس الشيطان فقد فاز فوزا عظيما . فبالإيمان يستحقّ العبد دخول الجنة ، وبالإيمان وحده ينجو الإنسان من عذاب الله في الدارين .

قال تعالى : "والعصر * إنّ الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحقّ وتواصوا بالصبر"(١) .

---

(١) سورة العصر ، الآيات {١-٣} .

فالإيمان هو الفاصل بين اهل السعادة واهل الشقاوة في الدنيا والآخرة ؛

ففي الدنيا : وعد الله المؤمنين بالنصر ، والتمكين ، والولاية ، والدفاع عنهم ، والهداية ، والاستخلاف ، وعدم تسليط الكافرين عليهم ، والرزق الطيب ، والعزة ، والحياة الطيبة .

وفي الآخرة : تحدث الله تعالى عن حالهم فيها ؛ فقال : "إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا * خالدين فيها لايبغون عنها حولا "(١) .

وقد اخبر الله تعالى في مواضع كثيرة من كتابه الكريم عن جزاء المؤمنين ، وما اعده لهم في الآخرة من الطيبات مما لاعين رات ، ولااذن سمعت ، ولاخطر على قلب بشر .

---

(١) سورة الكهف ، الآيتان {١٠٧-١٠٨} .

المبحث الأول

تعريف الإيمان

الإيمان لغة :

قال أهل اللغة (١) : بأنّ معنى الإيمان في اللغة : التصديق .

وقد ردّ هذا المعنى اللغوي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبيّنا فساده من ستة عشر وجها . وحقّق أنّ معنى الإيمان في اللغة : الإقرار (٢) .

أما الشيخ الأمين رحمه الله فالظاهر من كلامه في معنى الإيمان لغة أنه التصديق : يقول رحمه الله : ((أما الإيمان اللغوي : فهو يشمل كلّ تصديق ; فتصديق الكافر بأنّ الله هو الخالق الرازق يصدق عليه اسم الإيمان لغة مع كفره بالله ، ولايصدق عليه اسم الإيمان شرعا . وإذا حققت ذلك علمت أنّ الإيمان اللغوي يجامع الشرك ، فلا إشكال في تقييده به . وكذلك الإسلام الموجود دون الإيمان في قوله تعالى : "قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما

---

(١) انظر : الصحاح ٥/٢٠٧١ . ولسان العرب ١٣/٢١ . والمفردات ص ٢٦ .

(٢) انظر الفتاوى ٧/٢٩٢-٢٩٣ ، ٥٢٩-٥٣١ .

يدخل الإيمان في قلوبكم"(١) ؛ فهو الإسلام اللغوي ؛ لأنّ الإسلام الشرعيّ لايوجد ممن لم يدخل الإيمان في قلبه . والعلم عند الله تعالى))(٢) .

فالشيخ رحمه الله يرى أنّ الإيمان لغة : التصديق . ولا أثر للخلاف الحاصل في المعنى اللغويّ ؛ إذ العبرة بالمعنى الشرعيّ الذي تعبدنا الله به .

الإيمان شرعا :

من أصول أهل السنة والجماعة : أنّ الإيمان قول باللسان ، واعتقاد بالجنان ، وعمل بالأركان . يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية (٣) .

وقد بيّن الشيخ الأمين رحمه الله هذا الأصل العظيم بقوله : ((إنّ الحقّ الذي لاشك فيه الذي هو مذهب أهل السنة والجماعة أنّ الإيمان شامل للقول والعمل مع الاعتقاد . وذلك ثابت في

---

(١) سورة الحجرات ، الآية {١٤} .
(٢) أضواء البيان ٧٥/٣ .
(٣) انظر : الشرح والإبانة على أصول الديانة ص ١٧٦-١٧٧ . والدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم ص ٣٢٦ . وشرح السنة للبغوي ٢٨/١-٣١ . والعقيدة الواسطية ص ١٧٨ . وشرح العقيدة الطحاوية ص ٣٨٣ .

أحاديث صحيحة كثيرة ؛ منها حديث وفد عبدالقيس(١) المشهور ، ومنها حديث : "من قام رمضان إيمانا واحتسابا " الحديث(٢) ؛ فسمى فيه قيام رمضان إيمانا ، وحديث : "الإيمان بضع وسبعون شعبة "(٣) ، وفي بعض رواياته : "بضع وستون شعبة ؛ أعلاها شهادة أن لاإله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق"(٣) . والأحاديث بمثل ذلك كثيرة ، ويكفي في ذلك ما أورده البيهقي(٤) في شعب الإيمان))(٥) .

وقال رحمه الله أيضا في موضع آخر : ((إنّ مسمى الإيمان الشرعيّ الصحيح ، والإسلام الشرعيّ الصحيح : هو استسلام القلب

---

(١) قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس : "أتدرون ما الإيمان بالله وحده" ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : "شهادة أن لاإله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وأن تعطوا من المغنم الخمس" ؛ ففسر الإيمان بالأعمال .

أخرجه البخاري في صحيحه ١٩/١ . ومسلم في صحيحه ٤٦/١ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٤/١ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٦٣/١ ، إلا أنّ فيه : "أفضلها" بدل "أعلاها" .

(٤) هو الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقي . الحافظ الكبير . كتب الحديث وحفظه في صباه . ولد سنة (٣٨٤) ، وتوفي سنة (٤٥٨ هـ) .

(انظر سير أعلام النبلاء ١٦٣/١٨ . وشذرات الذهب ٣٠٤/٣) .

(٥) أضواء البيان ٢٠١/٧ .

بالاعتقاد ، واللسان بالإقرار ، والجوارح بالعمل))(١) .

فالشيخ رحمه الله يؤكد انه لايحصل الإيمان الشرعي إلا بالقول والاعتقاد والعمل ، لايكفي واحد من هذه الامور ، بل لابدّ من الإتيان بها جميعا . وهذا ما اتفق عليه السلف رضوان الله عليهم :

قال الإمام الشافعي رحمه الله : ((وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ، وممن ادركناهم يقولون : إنّ الإيمان قول وعمل ونيّة ، لايجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر))(٢) .

وقال الإمام ابن عبد البرّ رحمه الله : ((اجمع اهل الفقه والحديث على انّ الإيمان قول وعمل . ولاعمل إلا بنيّة . والإيمان عندهم يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية . والطاعات كلها عندهم تسمى إيمانا))(٣) .

وهذه الاقوال تشعرنا باتباع الشيخ الأمين رحمه الله لمنهج السلف رحمهم الله في تقرير العقيدة ؛ فهو متبع لطريقة السلف غير مبتدع ، وبما قالوا به يقول ، وإلى ما ذهبوا إليه يذهب .

كما اكد الشيخ الأمين رحمه الله انه عند إطلاق مسمى الإيمان تدخل الأعمال فيه ، اما إذا قرن الإيمان بالعمل ؛ فالمراد به اصل

---

(١) اضواء البيان ٦٣٦/٧ . وانظر المصدر نفسه ٤٤٠/٦ ، ٢٧٩/٧ .

(٢) الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٩٦ .

(٣) التمهيد ٢٣٨/٩ .

الإيمان الذي في القلب :

يقول الشيخ رحمه الله : ((الإيمان إذا ذكر مفردا : شمل الاعمال . وإذا ذكر معه العمل : انصرف إلى الإيمان الاكبر الذي هو الإيمان القلبي . والقلب هو موضع الإيمان ، والجوارح تبع له ؛ كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : "الا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهي القلب"(١)))(٢) .

ثمّ ذكر الشيخ الامين رحمه الله انّ للعمل الصالح ثلاثة شروط لابدّ من توفرها حتى يسمى إيمانا ؛ فقال رحمه الله : ((لايكون العمل صالحا إلا إذا اجتمعت فيه ثلاثة امور : الاول : ان يكون مطابقا للشرع ؛ لانه لايقبل عمل غير مطابق لما شرع الله تعالى ؛ كما قال جلّ وعلا : "ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله "(٣) . الثاني : ان يكون العمل مخلصا لله تعالى : بان قصد به صاحبه وجه الله ، ونقّاه من شوائب إرادة المخلوقين ؛ كما قال تعالى : "وما امروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين"(٤) . الثالث : ان يكون العمل مبنيا على اساس العقيدة الصحيحة ؛ لانها

---

(١) اخرجه البخاري في صحيحه ١/١٩ .

(٢) تفسير سورة النور ص ١٩٤ . جمع د/ عبدالله قادري .

(٣) سورة الشورى ، الآية {٢١} .

(٤) سورة البينة ، الآية {٥} .

للعمل كالأساس للبناء ، ولذلك قال تعالى هنا : "إن" الذين آمنوا وعملوا الصالحات"(١) ; فقدم الإيمان الذي هو العقيدة الصالحة على العمل))(٢) .

وبهذه الشروط الثلاثة التي ذكرها الشيخ الأمين رحمه الله يستحق" أن يسمى العمل إيمانا ; لأنه تحقق فيه تجريد العبادة لله وحده سبحانه وتعالى ، وتجريد المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة الكهف ، الآية {١٠٧} .
(٢) معارج الصعود ص ٨٣ . وانظر تفسير سورة النور ص ١٩٤ ، جمع د/ عبدالله قادري . والمعين والزاد ص ٦٧ . وأضواء البيان ٣/٣٥٢-٣٥٣ .
وقد أشار لهذه الشروط شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في العبودية ص ١٧٠ .

المبحث الثاني

الفرق بين الإسلام والإيمان

الإسلام والإيمان كما هو مقرر في قواعد اهل السنة والجماعة : إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا (١) ; اي إذا اجتمعا باللفظ افترقا بالمعنى ; فيشمل الإسلام الأعمال الظاهرة ، والإيمان الأعمال الباطنة . وإذا افترقا باللفظ اجتمعا بالمعنى ; فيشمل كلّ واحد منهما الأعمال الظاهرة والباطنة .

وقد صرح بهذا المعنى الشيخ الأمين رحمه الله ، وذكر امثلة لورود الإيمان متضمنا للإسلام ، شاملا للأعمال الظاهرة والباطنة . وبيّن رحمه الله انّ الإيمان يطلق احيانا على الأعمال القلبية فقط ; فيكون مغايرا لمعنى الإسلام :

يقول رحمه الله في بيان ذلك كله عند تفسير قوله تعالى : "الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين" (٢) : ((ظاهره المغايرة بين الإيمان والإسلام . وقد دلّ بعض الآيات على اتحادهما ; كقوله تعالى : "فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير

---

(١) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ١٤٨/١ . وجامع العلوم والحكم ص ٢٦ .
(٢) سورة الزخرف ، الآية {٦٩} .

بيت من المسلمين"(١) . ولامنافاة في ذلك ؛ فإن" الإيمان يطلق تارة على جميع ما يطلق عليه الإسلام من الاعتقاد والعمل ؛ كما ثبت في الصحيح من حديث وفد عبدالقيس(٢) . والأحاديث بمثل ذلك كثيرة ، ومن أصرحها في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : "الإيمان بضع وسبعون - وفي بعض الروايات الثابتة في الصحيح - وستون شعبة أعلاها شهادة أن لاإله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق"(٣) ؛ فقد سمى صلى الله عليه وسلم "إماطة الأذى عن الطريق" إيمانا . وقد أطال البيهقي رحمه الله في شعب الإيمان في ذكر الأعمال التي جاء الكتاب والسنة بتسميتها إيمانا . فالإيمان الشرعي التام" ، والإسلام الشرعي التام" معناهما واحد . وقد يطلق الإيمان إطلاقا آخر على خصوص ركنه الأكبر الذي هو الإيمان بالقلب ؛ كما في حديث جبريل الثابت في الصحيح(٤) . والقلب مضغة في الجسد إذا صلحت صلح الجسد كله ؛ فغيره تابع له . وعلى هذا تحمل المغايرة في الجملة بين الإيمان والإسلام . فالإيمان على هذا الإطلاق اعتقاد ، والإسلام شامل للعمل . واعلم أن" مغايرته تعالى بين الإيمان والإسلام في قوله تعالى : "قالت

---

(١) سورة الذاريات ، الآيتان {٣٥-٣٦} .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) سبق تخريجه .

الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم"(١) ؛ قال بعض العلماء : المراد بالإيمان هنا : معناه الشرعي ، والمراد بالإسلام : معناه اللغوي ؛ لأن إذعان الجوارح وانقيادها دون إيمان القلب : إسلام لغة لا شرعا .
وقال بعض العلماء : المراد بكل منهما معناه الشرعي ، ولكن نفي الإيمان في قوله : "ولما يدخل الإيمان" يراد به عند من قال هذا : نفي كمال الإيمان ، لا نفي أصله . ولكن ظاهر الآية لا يساعد على هذا ؛ لأن قوله : "ولما يدخل" فعل في سياق النفي ، وهو صيغة عموم على التحقيق وإن لم يؤكد بمصدر ، ووجهه واضح جدا كما قدمنا مرارا))(٢) .

وما ذكره الشيخ الأمين رحمه الله هو قول المحققين من أهل العلم كما نقله الإمام النووي(٣) عن أبي عمرو بن الصلاح رحمه الله ، وغيره .

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ((لكن التحقيق ابتداء هو ما بينه صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الإسلام

---

(١) سورة الحجرات ، الآية {١٤} .
(٢) أضواء البيان ٢٧٨/٧-٢٧٩ . وانظر المصدر نفسه ٦٣٦/٧-٦٣٩ .
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٤٨/١ .

والإيمان ؟ ففسر الإسلام بالأعمال الظاهرة ، والإيمان بالإيمان بالأصول الخمسة . فليس لنا إذا جمعنا بين الإسلام والإيمان أن نجيب بغير ما أجاب به النبي صلى الله عليه وسلم . وأما إذا أفرد اسم الإيمان فإنه يتضمن الإسلام ، وإذا أفرد الإسلام فقد يكون مع الإسلام مؤمنا بلا نزاع . وهذا هو الواجب)) (١) .

---

(١) الفتاوى ٢٥٩/٧-٢٦٠ .

المبحث الثالث

زيادة الإيمان ونقصانه

أهل السنة والجماعة يقولون : الإيمان قول وعمل ؛ يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية (١) .

والخلاف في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه فرع عن الخلاف في تحديد معنى الإيمان الشرعي ؛ فمن قال من المبتدعة : إنّ الإيمان هو التصديق ، ولم يدخل العمل ، قال بعدم الزيادة والنقصان . ومن قال بقول أهل السنة والجماعة أنّ الإيمان قول واعتقاد وعمل ، قال بأنه يزيد وينقص .

وقد أوضح الشيخ الأمين رحمه الله هذه المسألة ، وبيّن أنّ الإيمان يزيد وينقص ؛ يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية . واستشهد على ذلك بآيات من القرآن الكريم ؛ فقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : "نحن نقصّ عليك نبأهم بالحقّ إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى"(٢) : ((ويفهم من هذه الآية الكريمة أنّ

---

(١) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٩٦٠/٥ . والشريعة للآجري ص ١١٧-١١٨ ؛ فقد نسبوها إلى الإمام مالك ، وسفيان بن عيينة ، والأوزاعي .

(٢) سورة الكهف ، الآية {١٣} .

من آمن بربه وأطاعه زاده ربه هدى ؛ لأنّ الطاعة سبب للمزيد من الهدى والإيمان . وهذا المفهوم من هذه الآية الكريمة جاء مبينا في مواضع أخر ؛ كقوله تعالى : "والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم "(١) ، وقوله : "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا " الآية (٢) ، وقوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا " الآية (٣) ، وقوله : "فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون"(٤) ، وقوله تعالى : "هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم" الآية (٥) ، وقوله تعالى : "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به " الآية (٦) ، إلى غير ذلك من الآيات . وهذه الآيات المذكورة نصوص صريحة في أنّ الإيمان يزيد ، مفهوم منها أنه ينقص أيضا ، كما استدلّ بها البخاري رحمه الله على ذلك . وهي تدلّ دلالة صريحة لاشك فيها . فلا وجه معها للاختلاف في زيادة الإيمان ونقصه كما

---

(١) سورة محمد ، الآية {١٧} .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية {٦٩} .

(٣) سورة الأنفال ، الآية {٢٩} .

(٤) سورة التوبة ، الآية {١٢٤} .

(٥) سورة الفتح ، الآية {٤} .

(٦) سورة الحديد ، الآية {٢٨} .

ترى . والعلم عند الله تعالى))(١) .

وقال رحمه الله في موضع آخر بعد ما ذكر الآيات المتقدمة : ((وتدلّ هذه الآيات بدلالة الالتزام على انه ينقص ايضا ؛ لانّ كلّ ما يزيد ينقص . وجاء مصرحا به في احاديث الشفاعة الصحيحة ؛ كقوله : "يخرج من النار من قال لاإله إلا الله ، وفي قلبه مثقال حبة من إيمان"(٢) ، ونحو ذلك))(٣) .

وقال رحمه الله ايضا : ((والحقّ الذي لاشك فيه انّ الإيمان يزيد وينقص كما عليه اهل السنة والجماعة . وقد دلّ عليه الوحي من الكتاب والسنة ، كما تقدم))(٤) .

فالشيخ الأمين رحمه الله على عقيدة السلف في هذه القضية وغيرها ؛ فهو يقول : إنّ الإيمان يزيد وينقص . واما المبتدعة ومن حاد عن الطريق المستقيم فإنهم انكروا زيادة الإيمان ونقصانه . وقولهم لامستند له صحيح ، ولاتؤيده الأدلة .

---

(١) اضواء البيان ٢٨/٤-٢٩ .

(٢) اخرجه البخاري في صحيحه (١٦/١) بالفاظ متقاربة ، ومسلم في صحيحه ١٨٢/١ . وكذا الإمام احمد في مسنده (١٧/٣) ، والترمذي في السنن (٧١١/٤ ، ٧١٤) بالفاظ متقاربة ايضا .

(٣) اضواء البيان ٣٤٦/٢ .

(٤) اضواء البيان ٦٠٤/٧ . وانظر المصدر نفسه ٣٦٢/٤ ، ، ٥٧٤/٦ . ومعارج الصعود ص ٢٤٨ .

المبحث الرابع

مراتب المؤمنين

هذه المسألة مترتبة على التي سبقتها ؛ وهي زيادة الإيمان ونقصانه . فالذي حقق شعب الإيمان كلها أعلى مرتبة من الذي اقتصر على بعض الشعب .

والمؤمنون الكمّل عندهم من تفاصيل علوم الإيمان ، ومعارفه وأعماله ما لايقاس بعلوم كثير من المؤمنين وأعمالهم وأخلاقهم ؛ ولهذا فالمؤمنون على ثلاث مراتب(١) .

وقد ذكر الشيخ الأمين رحمه الله مراتبهم مستشهدا بقوله تعالى : "ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير * جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير * وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إنّ ربنا لغفور شكور * الذي أحلنا دار المقامة من فضله لايمسنا فيها نصب ولايمسنا فيها لغوب"(٢) ؛ فقال رحمه الله : ((فقد بيّن تعالى في هذه الآية الكريمة أنّ إيراث هذه الأمة

---

(١) انظر التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للشيخ السعدي ص ٣٦ .

(٢) سورة فاطر ، الآيات {٣٢-٣٥} .

لهذا الكتاب دليل على أنّ الله اصطفاها في قوله : "ثم" أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا" ، وبيّن انهم ثلاثة اقسام : الأول : الظالم لنفسه : وهو الذي يطيع الله ، ولكنه يعصيه أيضا ، فهو الذي قال الله فيه : "خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم"(١) . والثاني : المقتصد : وهو الذي يطيع الله ولايعصيه ، ولكنه لايتقرب بالنوافل من الطاعات . والثالث : السابق بالخيرات : وهو الذي يأتي بالواجبات ، ويجتنب المحرمات ، ويتقرب إلى الله بالطاعات والقربات التي هي غير واجبة . وهذا على أصح الأقوال في تفسير الظالم لنفسه والمقتصد والسابق))(٢) .

وقال رحمه الله في موضع آخر : ((وأظهر الأقوال في المقتصد ، والسابق ، والظالم أنّ المقتصد : هو من امتثل الأمر ، واجتنب النهي ، ولم يزد على ذلك . وأنّ السابق بالخيرات : هو من فعل ذلك ، وزاد بالتقرب إلى الله بالنوافل ، والتورع عن بعض الجائزات خوفا من أن يكون سببا لغيره . وأنّ الظالم هو المذكور في قوله : "خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب

---

(١) سورة التوبة ، الآية {١٠٢} .

(٢) أضواء البيان ٦/١٦٤-١٦٥ .

عليهم" الآية (١) . والعلم عند الله تعالى))(٢) .

وقال رحمه الله في موضع آخر أيضا : ((ووعدنا على لسانه صلى الله عليه وسلم وعدا يزيل الطمع من الغرق ، وهو ما صحّ عنه أنّ مؤمننا في الجنة وإن زنى وإن سرق ، وجعلنا ثلاث طوائف في كتابه المنير ؛ قال : "فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير"(٣) . ووعد جميع الطوائف الثلاث بدخول الجنات والتحلية بالأساور ولبس الحرير ؛ قال : "جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير"(٤) ؛ فأتى في قوله "يدخلونها" بواو الجمع الشاملة للظالم لنفسه ، وقدمه لئلا يقنط ، وأخّر السابق بالخيرات لئلا يعجب بعمله فيحبط ، وخاطب المسرفين منا خطابا تجعل لذته الأصمّ سميعا ، قال : "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذنوب جميعا"(٥) ؛ فأعجب لأمة يخاطب الله مسرفيها هذا الخطاب في الآيات البينات

---

(١) سورة التوبة ، الآية {١٠٢} .

(٢) أضواء البيان ١١٦/٢ .

(٣) سورة فاطر ، الآية {٣٢} .

(٤) سورة فاطر ، الآية {٣٣} .

(٥) سورة الزمر ، الآية {٥٣} .

المحكمات من الكتاب))(١) .

فالشيخ الأمين رحمه الله قال بان" المؤمنين على ثلاث مراتب ، كل" مرتبة تخالف سابقتها في الفضل ؛ فهم متفاوتون حسب اجتهادهم في الاعمال ، وطريقة ادائهم لها . وليسوا كما قالت المرجئة على درجة واحدة من الإيمان .

وقد قال بهذا التقسيم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، ومما قاله : ((فقد قسم سبحانه الامة التي اورثها الكتاب واصطفاها ثلاثة اصناف : ظالم لنفسه ، ومقتصد ، وسابق بالخيرات . وهؤلاء الثلاثة ينطبقون على الطبقات الثلاث المذكورة في حديث جبريل "الإسلام" ، و "الإيمان" ، و "الإحسان" ... ومعلوم ان" الظالم لنفسه إن اريد به من اجتنب الكبائر ، والتائب من جميع الذنوب ؛ فذلك مقتصد او سابق ؛ فإنه ليس احد من بني آدم يخلو عن ذنب ، لكن من تاب كان مقتصدا ، او سابقا . كذلك من اجتنب الكبائر كفرت عنه السيئات ؛ كما قال تعالى : "إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم"(٢) . فلا بد" ان يكون هناك ظالم لنفسه موعود بالجنة ولو بعد عذاب يطهر من الخطايا))(٣) .

---

(١) رحلة الحج ص ٣٩-٤٠ .

(٢) سورة النساء ، الآية {٣١} .

(٣) مجموع الفتاوى ٤٨٥/٧ .

فالناس متفاوتون في درجات إيمانهم ، وقربهم من بارئهم بحسب ما أدوا من واجبات وطاعات ، واجتنبوا من محرمات . فلا ريب أنّ التفاوت الذي ذكره الشيخ الأمين رحمه الله مستدلا عليه بالقرآن الكريم حقيقة واقعة لامراء فيها .

نسأل الله جلّ وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا من أعلاهم درجة ؛ من السابقين بالخيرات الذين هم أمثل الطوائف الثلاث إنه جواد كريم .

المبحث الخامس

الكبائر

دلت النصوص من الكتاب والسنة على أن الذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر .

أما الكتاب : فمنها قوله تعالى : "الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم"(١) ، وقوله تعالى : "إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما"(٢) ، وقوله تعالى : "الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون"(٣) .

ومن السنة : حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إن اجتنبت الكبائر" ، وفي رواية : "ما لم تغش الكبائر"(٤) .

وأوضح الشيخ الأمين رحمه الله انقسام الذنوب إلى صغائر وكبائر ، وبيّن معنى الكبائر ، وهل تنحصر بعدد معين ، وأكد أن

---

(١) سورة النجم ، الآية {٣٢} .

(٢) سورة النساء ، الآية {٣١} .

(٣) سورة الشورى ، الآية {٣٧} .

(٤) رواه مسلم في صحيحه ٢٠٩/١ .

اجتناب الكبائر مكفر للصغائر ؛ فقال رحمه الله عند قوله تعالى : "ما لهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولاكبيرة إلا أحصاها"(١) : ((وقد صرح تعالى بأن المنهيات منها كبائر ، ويفهم من ذلك أن منها صغائر . وبين أن اجتناب الكبائر يكفر الله به الصغائر ؛ وذلك في قوله : "إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم"(٢) . ويروى عن الفضيل بن عياض في هذه الآية أنه قال : "ضجوا من الصغائر قبل الكبائر"))(٣) .

وهذا التقسيم واضح الدلالة من الكتاب والسنة والإجماع ؛ قال الإمام ابن القيم رحمه الله : ((فقد دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين بعدهم على أن الذنوب كبائر وصغائر))(٤) .

أما عن تعريف الكبيرة : فقد ذكر الشيخ الأمين رحمه الله اختلاف العلماء فيه على أقوال متعددة ؛ فقال : ((واعلم أن أهل العلم اختلفوا في حد الكبيرة ؛ فقال بعضهم(٥) : هي كل ذنب استوجب حدا من حدود الله . وقال

---

(١) سورة الكهف ، الآية {٤٩} .

(٢) سورة النساء ، الآية {٣١} .

(٣) أضواء البيان ١١٨/٤ .

(٤) الجواب الكافي لابن القيم ص ١٣٤ .

(٥) روى ابن جرير عن الضحاك قوله : "الكبائر كل موجب أوجب الله لأهلها النار ، وكل عمل يقام به الحد فهو في النار" .
(جامع البيان للطبري ٤٢/٥) .

بعضهم(١) : هي كلّ ذنب جاء الوعيد عليه بنار أو لعنة أو غضب أو عذاب . واختار بعض المتأخرين(٢) حدّ الكبيرة بأنها هي كلّ ذنب دلّ على عدم اكتراث صاحبه بالدين . وعن ابن عباس أنّ الكبائر أقرب إلى السبعين منها إلى السبع . وعنه أيضا : أنها أقرب إلى سبعمائة منها إلى سبع(٣)))(٤) .

ثمّ ذكر الشيخ الأمين رحمه الله القولَ الراجح في حدّ الكبيرة ؛ فقال : ((والأظهر عندي في ضابط الكبيرة أنها كلّ ذنب اقترن بما يدلّ على أنه أعظم من مطلق المعصية ؛ سواء كان ذلك الوعيد عليه بنار ، أو غضب ، أو لعنة ، أو عذاب ، أو كان وجوب الحدّ فيه ، أو غير ذلك مما يدلّ على تغليظ التحريم وتوكيده))(٥) .

وقد ردّ رحمه الله على من قال إنّ المعاصي لاتنقسم إلى

---

(١) مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما . (انظر تفسير الطبري ٤١/٥) .

(٢) قال الغزالي في ضابط الكبيرة : "إنّ كلّ معصية يقدم المرء عليها من غير استشعار خوف ، ولا إحساس بندم ، بل يرتكبها متهاونا بها مستجرئا عليها فهي كبيرة .
(انظر تنبيه الغافلين ص ١٣٣) .

(٣) تفسير ابن جرير الطبري ٤١/٥ . وانظر : مدارج السالكين ٣٢/١.

(٤) أضواء البيان ١٩٩/٧ . وانظر : المصدر نفسه ١١٨/٤ .

(٥) أضواء البيان ١٩٩/٧-٢٠٠ .

كبائر وصغائر ، بل كلها كبائر ، وأكد أنّ الذنوب منها ما هو كبير ، ومنها ما هو صغير ; كما دلّ عليه التنزيل ; فقال رحمه الله : ((مع أنّ بعض أهل العلم (١) قال : إنّ كلّ ذنب كبيرة . وقوله تعالى : "إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه" الآية ، وقوله : "إلا اللمم" : يدلّ على عدم المساواة ، وأنّ بعض المعاصي كبائر وبعضها صغائر . والمعروف عند أهل العلم : أنه لاصغيرة مع الإصرار ، ولاكبيرة مع الاستغفار . والعلم عند الله تعالى)) (٢) .

ثمّ رجح رحمه الله أنّ الكبائر ليس لها حدّ معين ، وأنه لايمكن حصرها ; فقال رحمه الله : ((التحقيق أنها لاتنحصر في سبع ، وأنّ ما دلّ عليه من الأحاديث على أنها سبع (٣) لايقتضي انحصارها في ذلك العدد ; لأنه إنما دلّ على نفي غير السبع بالمفهوم ، وهو مفهوم لقب ، والحقّ عدم اعتباره . ولو قلنا إنه مفهوم عدد لكان غير متعبد أيضا ; لأنّ زيادة الكبائر على السبع مدلول عليها بالمنطوق . وقد جاء منها في الصحيح عدد أكثر من سبع ، والمنطوق

---

(١) ممن أنكر أن يكون هناك صغائر وكبائر : أبو إسحاق الإسفراييني. وحكى القاضي عياض رحمه الله هذا المذهب عن بعض المحققين .
(انظر : مدارج السالكين ٣١٠/١ . وشرح النووي على صحيح مسلم ٢/٨٤-٨٥) .

(٢) أضواء البيان ٢٠٠/٧ .

(٣) إشارة إلى حديث : "اجتنبوا السبع الموبقات" . رواه البخاري في صحيحه ١٩٥/٣ .

مقدم على المفهوم ، مع أنّ مفهوم العدد ليس من أقوى المفاهيم))(١) .

ثمّ ذكر رحمه الله أمثلة للكبيرة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : ((واعلم أنّ كبائر الإثم ليست محدودة في عدد معين . وقد جاء تعيين بعضها ؛ كالسبع الموبقات ؛ أي المهلكات لعظمها . وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة أنها : "الإشراك بالله ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق" ، والسحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات"(٢) . وقد جاءت روايات كثيرة (٣) عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في تعيين بعض الكبائر ؛ كعقوق الوالدين ، واستحلال حرمة بيت الله الحرام ، والرجوع إلى البادية بعد الهجرة ، وشرب الخمر ، واليمين الغموس ،

---

(١) أضواء البيان ١٩٩/٧ .
وانظر تحرير هذه المسألة ، وبيان اختلاف العلماء في تعريف الكبيرة ، وهل تحدد بعدد معين في المصادر التالية : تفسير الطبري ٤١/٥-٤٢ . وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٦٥٠/١١ . وشرح النووي على صحيح مسلم ٨٥/٢ . وفتح الباري شرح صحيح البخاري ٤١٢/١٠ . وشرح العقيدة الطحاوية ص ٤١٤ . وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا ٤٦/٥ .

(٢) صحيح البخاري ١٩٥/٣ .

(٣) انظر تفسير الطبري ٣٨/٥ .

والسرقة ، ومنع فضل الماء ، ومنع فضل الكلأ ، وشهادة الزور . وفي بعض الروايات الثابتة في الصحيح عن ابن مسعود : "إنّ أكبر الكبائر : الإشراك بالله الذي خلق الخلق ، ثمّ قتل الرجل ولده خشية أن يطعم معه ، ثمّ زناه بحليلة جاره"(١) ، وفي بعضها أيضا : "إنّ من الكبائر تسبّب الرجل في سبّ والديه"(٢) ، وفي بعضها أيضا : أنّ "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"(٣) ؛ وذلك يدلّ على أنهما من الكبائر . وفي بعض الروايات : أنّ "من الكبائر الوقوع في عرض المسلم ، والسبّتين بالسبّة"(٤) . وفي بعض الروايات أنّ منها جمع الصلاتين من غير عذر"(٥) ، وفي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٠٧/٨ . ومسلم في صحيحه ٩٠/١ ، مع اختلاف يسير .

(٢) انظر صحيح مسلم ٩٢/١ ، ولفظ الحديث فيه : "من الكبائر شتم الرجل والديه ..." الحديث .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٨١/١ .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ١٩٣/٥ ، مع اختلاف يسير .

(٥) أخرج الترمذي في سننه (٣٥٦/١-٣٥٧) ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :"من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابا من أبواب الكبائر" . وقد ضعفه الترمذي من أجل حنش ؛ أحد رواة الحديث عن عكرمة ، وقال :"والعمل على هذا عند أهل العلم أن لايجمع بين الصلاتين إلا في السفر أو بعرفة".
واخرج ابن أبي حاتم عن عمر : "من الكبائر جمع بين الصلاتين ، والفرار من الزحف ، والنهبة" . وقال الحافظ ابن كثير (في التفسير ٤٨٤/٢) : "وهذا إسناد صحيح" .

بعضها : أن منها "اليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله"(١) ؛ ويدل عليهما قوله تعالى : "إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون"(٢) ، وقوله : "فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون"(٣) . وفي بعضها أن منها "سوء الظن بالله"(٤) ؛ ويدل له قوله تعالى : "ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا"(٥) . وفي بعضها أن منها "الإضرار بالوصية"(٦) . وفي بعضها أن منها

---

(١) روى ابن جرير بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : "أكبر الكبائر الإشراك بالله ، واليأس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله ، والأمن من مكر الله" . (تفسير ابن جرير ٤٠/٥) . وقال الحافظ ابن كثير (في التفسير ٤٨٤/٢) : "وهو صحيح إليه بلا شك" .

(٢) سورة يوسف ، الآية {٨٧} .

(٣) سورة الأعراف ، الآية {٩٩} .

(٤) أخرج ابن مردويه عن ابن عمر أنه قال : "أكبر الكبائر سوء الظن بالله عز وجل" . قال الحافظ ابن كثير (في تفسيره ٤٨٤/٢) : "حديث غريب جدا" .

(٥) سورة الفتح ، الآية {٦} .

(٦) "الإضرار في الوصية من الكبائر" ؛ قال ابن أبي حاتم : "هو صحيح عن ابن عباس من قوله" . (انظر تفسير ابن كثير ٤٨٥/٢) .
أما إثم الحيف في الوصية فهو في حديث أبي هريرة المرفوع الذي أخرجه ابن ماجه في سننه (٩٠٢/٢) ، وأبو داود في سننه (٣٨٩/٣) .

الغلول(١) ؛ ويدل له قوله تعالى : "ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة "(٢) ؛ وقدمنا معنى الغلول في سورة الانفال ، وذكرنا حكم الغال . وفي بعضها : ان من اهل الكبائر الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا ؛ ويدل له قوله تعالى : "اولئك لاخلاق لهم في الآخرة ولايكلمهم الله ولاينظر إليهم يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب اليم "(٣) . ولم نذكر اسانيد هذه الروايات ونصوص متونها خوف الإطالة . واسانيد بعضها لاتخلو من نظر ، لكنها لايكاد يخلو شيء منها عن بعض الشواهد الصحيحة من كتاب الله او سنة رسوله صلى الله عليه وسلم))(٤) .

ثم ذكر الشيخ الأمين رحمه الله ان الكبيرة لاتحبط العمل الصالح ؛ فقال عند قوله تعالى : "ولاياتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله "(٥) : ((في هذه الآية الكريمة دليل على ان كبائر الذنوب لاتحبط العمل الصالح ؛ لان هجرة مسطح بن اثاثة من عمله الصالح ،

---

(١) انظر صحيح مسلم ١٤٦١/٣ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية {١٦١} .

(٣) سورة آل عمران ، الآية {٧٧} .

(٤) اضواء البيان ١٩٧/٧-١٩٩ .

وقد ذكرها باسانيدها الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤٨٣/٢-٤٨٤ .

(٥) سورة النور ، الآية {٢٢} .

وقذفه لعائشة من الكبائر ، ولم يبطل هجرته ؛ لأنّ الله قال فيه بعد قذفه : "والمهاجرين في سبيل الله" ؛ فدلّ ذلك على أنّ هجرته في سبيل الله لم يحبطها قذفه لعائشة رضي الله عنها))(١) .

ثمّ نقل رحمه الله قولَ القرطبي مستشهدا به على صحة ما قاله : قال القرطبي : ((في هذه الآية دليل على أنّ القذف وإن كان كبيرا لايحبط الأعمال ؛ لأنّ الله تعالى وصف مسطحا - بعد قوله - بالهجرة والإيمان . وكذلك سائر الكبائر . ولايحبط الأعمال غير الشرك ؛ قال تعالى : "لئن أشركت ليحبطنّ عملك"(٢)))(٣) .

ثمّ تعقّب الشيخُ الأمين القرطبيَ بقوله : ((وما ذكر من أنّ الآية وصفت مسطح بالإيمان لم يظهر من الآية ، وإن كان معلوما))(٤) .

<u>أما اجتناب الكبائر : فهو مكفر للصغائر ؛</u> كما ذكر الشيخ الأمين رحمه الله عند قوله تعالى : "الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم"(٥) ؛ فقال : ((وأظهر الأقوال في قوله : "إلا اللمم" : أنّ المراد باللمم صغائر الذنوب . ومن أوضح الآيات

---

(١) أضواء البيان ١٦٢/٦-١٦٣ .

(٢) سورة الزمر ، الآية {٦٥} .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٣٨/١٢ .

(٤) أضواء البيان ١٦٣/٦ .

(٥) سورة النجم ، الآية {٣٢} .

القرآنية في ذلك قوله تعالى : "إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه" الآية (١) ؛ فدلت على أن اجتناب الكبائر سبب لغفران الصغائر ، وخير ما يفسر به القرآن القرآن . ويدل لهذا حديث ابن عباس الثابت في الصحيح قال : ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا ، أدرك ذلك لامحالة ؛ فزنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، والنفس تمنى وتشتهي ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه"(٢)))(٣) .

أما حكم صاحب الكبيرة : فلم أجد الشيخ الأمين رحمه الله تكلم عليه كلاما صريحا ، وإنما أشار في مواضع من تفسيره إلى أن أهل الكبائر لايخلدون في النار يوم القيامة ؛ من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : "كل كذب الرسل فحق وعيد"(٤) من أن الوعيد للكفار لايتخلف ، أما العصاة فلا يمتنع إخلافه(٥) ، وذكر رحمه الله عذاب الكفار ، فقال : ((وليس فيه تطهير ولاتمحيص لهم ، بخلاف عصاة المسلمين فإنهم وإن عذبوا

---

(١) سورة النساء ، الآية {٣١} .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٠٤٦/٤ .

(٣) أضواء البيان ١٩٦/٧ .

(٤) سورة ق ، الآية {١٤} .

(٥) انظر أضواء البيان ٦٤٦/٧ .

فسيصيرون إلى الجنة بعد ذلك العذاب . فليس المقصود بعذابهم مجرد الإهانة ، بل ليؤولوا بعده إلى الرحمة ودار الكرامة))(١) .

وقال عند قوله تعالى : "قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله "(٢) : ((معناه إلا من شاء الله عدم خلوده فيها من أهل الكبائر من الموحدين))(٣) .

وهذه النصوص تؤكد أن" عقيدة الشيخ الأمين رحمه الله في صاحب الكبيرة أنه تحت المشيئة ؛ إن شاء الله عذبه ، وإن شاء غفر له وعفا عنه .

وهذا ما أكده لي الشيخ عطية سالم - وهو من تلاميذ الشيخ الأمين الذين لازموه طيلة حياته - ؛ فقد سألته عن حكم الشيخ رحمه الله على صاحب الكبيرة ؟ فقال : إنه كان يتحدث في مجالسه أن" صاحب الكبيرة تحت المشيئة .

وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة ؛ فهم لايكفرون من ترك بعض الواجبات ، أو فعل بعض المحرمات التي هي دون الشرك والكفر كما يفعله أهل الوعيد ، ولايعطونه الإيمان الكامل كما يفعله أهل الوعد من المرجئة . بل صاحب الكبيرة عندهم مؤمن بإيمانه ، فاسق

---

(١) أضواء البيان ٣٤٤/٧ .
(٢) سورة الأنعام ، الآية {١٢٨} .
(٣) دفع إيهام الاضطراب ص ١٢٢ .

بمعصيته ، ناقص الإيمان ، لاينفون عنه مطلق الإيمان ، ولايثبتون له الإيمان الكامل ، وهو باق عندهم في عداد المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم .

ومن فعل المعاصي نزل إلى مرتبة الظالم لنفسه - كما مرّ أثناء الكلام على مراتب المؤمنين - .

قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (١) رحمه الله : ((إنّ المعاصي والذنوب لاتزيل إيمانا ، ولاتوجب كفرا . ولكنها إنما تنفي من الإيمان حقيقته وإخلاصه الذي نعت الله به أهله واشترطه عليهم في مواضع من كتابه)) (٢) .

وبهذا يتبيّن لنا أنّ الشيخ الأمين رحمه الله يقول بما قال به السلف رحمهم الله في حكم العصاة ، وأنهم لايخرجون بمعصيتهم عن حظيرة المؤمنين ، بل هم مؤمنون ناقصوا الإيمان ، وهم تحت المشيئة إن شاء الله عذبهم بعدله ، وإن شاء عفا عنهم بمنه وكرمه سبحانه وتعالى .

---

(١) هو الإمام الحافظ أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبدالله البغدادي . أحد أئمة اللغة والفقه والحديث . ولد سنة (١٥٧) وتوفي بمكة سنة (٢٢٤ هـ) .

(انظر : سير أعلام النبلاء ٤٩٠/١٠ . والبداية والنهاية ٣٠٤/١٠) .

(٢) كتاب الإيمان لأبي عبيد ص ٨٩ . تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني .

المبحث السادس

حكم أهل الفترة

بحث الشيخ الأمين رحمه الله هذه المسألة عند قوله تعالى : "وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا "(١) ; فذكر فيها قولين لأهل العلم مع أدلتهم من الكتاب والسنة . ثمّ ناقش هذين القولين ، وجمع بين الأدلة التي ظاهرها التعارض ، ورجح رحمه الله ما يقتضي الدليل رجحانه .

أما القول الأول في هذه المسألة فهو : ((إنّ كلّ من مات على الكفر فهو في النار ، ولو لم يأته نذير . واستدلوا بظواهر آيات من كتاب الله ، وبأحاديث عن النبيّ صلى الله عليه وسلم .

فمن الآيات : قوله تعالى : "ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما "(٢) ، وقوله : "إنّ الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين "(٣) ، وقوله : "إنّ الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من

---

(١) سورة الإسراء ، الآية {١٥} .

(٢) سورة النساء ، الآية {١٨} .

(٣) سورة البقرة ، الآية {١٦١} .

ناصرين"(١) ، وقوله : "إنّ الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء"(٢) ، وقوله : "ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق"(٣) ، وقوله : "إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة" الآية (٤)، وقوله : "قالوا إنّ الله حرمهما على الكافرين"(٥) ، إلى غير ذلك من الآيات . وظاهر جميع هذه الآيات العموم ؛ لأنها لم تخصص كافرا دون كافر ، بل ظاهرها شمول جميع الكفار))(٦) .

ومن الأحاديث التي ذكرها الشيخ الأمين رحمه الله مدللا بها للقول الأول : ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس أنّ رجلا قال : يا رسول الله أين أبي ؟ قال : "في النار" . فلما مضى دعاه فقال : "إنّ أبي وأباك في النار"(٧) .

ولمسلم أيضا عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية {٩١} .
(٢) سورة النساء ، الآية {٤٨} .
(٣) سورة الحج ، الآية {٣١} .
(٤) سورة المائدة ، الآية {٧٢} .
(٥) سورة الأعراف ، الآية {٥٠} .
(٦) أضواء البيان ٤٧٤/٣ .
(٧) صحيح مسلم ١٩١/١ .

واستأذنته ان ازور قبرها فاذن لي"(١) . إلى غير ذلك من الاحاديث الدالة على عدم عذر المشركين .

والقول الثاني : قالت جماعة من اهل العلم : إنّ اهل الفترة معذورون بانهم لم ياتهم نذير ، ولو ماتوا على الكفر . واستدلوا بقوله تعالى : "رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل"(٢) ; فصرح في هذه الآية الكريمة بانه لابدّ ان يقطع حجة كلّ احد بإرسال الرسل مبشرين من اطاعهم بالجنة ، ومنذرين من عصاهم بالنار . وقوله تعالى : "ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى"(٣) ، وقال تعالى : "ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين"(٤) ، وقوله جلّ وعلا : "ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون"(٥) ، وقوله : "يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن

---

(١) صحيح مسلم ٢/٦٧١ .
(٢) سورة النساء ، الآية {١٦٥} .
(٣) سورة طه ، الآية {١٣٤} .
(٤) سورة القصص ، الآية {٤٧} .
(٥) سورة الانعام ، الآية {١٣١} .

تقولوا ما جاءنا من بشير ولانذير فقد جاءكم بشير ونذير" الآية (١)، وقوله : "وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون * ان تقولوا إنما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين * او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة " الآية (٢) ، وقوله تعالى : "كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء" الآية (٣) . وقد عرض الشيخ الأمين رحمه الله مناقشة كلّ طرف للآخر ، وما يحتج به احدهما على الآخر ، واطال في إيراد ذلك(٤) .

ثمّ ذكر ما ترجح لديه في هذه المسالة فقال : ((والذي يظهر رجحانه بالدليل هو الجمع بين الادلة ؛ لأنّ الجمع واجب إذا امكن بلا خلاف . ووجه الجمع بين هذه الادلة هو عذرهم بالفترة ، وامتحانهم يوم القيامة بالأمر باقتحام نار ؛ فمن اقتحمها دخل الجنة ؛ وهو الذي كان يصدق الرسل لو جاءته في الدنيا . ومن امتنع عذب بالنار ؛ وهو الذي كان يكذب الرسل لو جاءته في

---

(١) سورة المائدة ، الآية {١٩} .

(٢) سورة الأنعام ، الآيات {١٥٥-١٥٧} .

(٣) سورة الملك ، الآية {٩} .

(٤) انظر أضواء البيان ٣/٤٧١-٤٨٤ . ودفع إيهام الاضطراب ١٠/١٧٨-١٨٦ .

الدنيا ؛ لأنّ الله يعلم ما كانوا عاملين لو جاءتهم الرسل . وبهذا الجمع تتفق الأدلة : فيكون أهل الفترة معذورين ، وقوم منهم من أهل النار بعد الامتحان ، وقوم منهم من أهل الجنة بعده أيضا . ويحمل كلّ واحد من القولين على بعض منهم علم الله مصيرهم وأعلم به نبيه صلى الله عليه وسلم فيزول التعارض))(١) .

ثمّ ذكر رحمه الله أنه رجح هذا القول لأمرين :

((الأول : أنّ هذا ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وثبوته عنه نصّ في محلّ النزاع ، فلا وجه للنزاع البتة مع ذلك . قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية التي نحن بصددها بعد أن ساق الأحاديث الكثيرة الدالة على عذرهم بالفترة وامتحانهم يوم القيامة ، رادا على ابن عبدالبر تضعيف أحاديث عذرهم ، وامتحانهم ؛ بأنّ الآخرة دار جزاء لا عمل ، وأنّ التكليف بدخول النار تكليف بما لايطاق ، وهو لايمكن ، ما نصه : والجواب عما قال أنّ أحاديث هذا الباب منها ما هو صحيح كما قد نصّ على ذلك كثير من أئمة العلماء . ومنها ما هو حسن . ومنها ما هو ضعيف يتقوى بالصحيح والحسن . وإذا كانت أحاديث الباب الواحد

---

(١) دفع إيهام الاضطراب ١٠/١٨٤-١٨٥ .

متصلة متعاضدة على هذا النمط افادت الحجة عند الناظر فيها)) (١) .

اما المرجح الثاني : فقال رحمه الله : ((إنّ الجمع بين الادلة واجب متى ما امكن بلا خلاف ; لانّ إعمال الدليلين اولى من إلغاء احدهما ، ولا وجه للجمع بين الادلة إلا هذا القول بالعذر والامتحان . فمن دخل النار فهو الذي لم يمتثل ما امر به عند ذلك الامتحان ، ويتفق بذلك جميع الادلة . والعلم عند الله تعالى)) (٢) .

---

(١) اضواء البيان ٤٨٢/٣ . وانظر تفسير ابن كثير ٣١/٣ .
والشيخ الامين رحمه الله لم يذكر حديثا ينصّ على حكم اهل الفترة ، وإنما اكتفى بكلام ابن كثير السابق .
وقد روى الإمام احمد عن الاسود بن سريع انّ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال : اربعة يوم القيامة : رجل اصمّ لايسمع شيئا ، ورجل احمق ، ورجل هرم ، ورجل مات في فترة . فاما الاصمّ فيقول : ربّ لقد جاء الإسلام وما اسمع شيئا . واما الاحمق فيقول : ربّ لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر . واما الهرم فيقول : ربّ لقد جاء الإسلام وما اعقل شيئا . واما الذي مات في الفترة فيقول : ربّ ما اتاني لك رسول . فياخذ مواثيقهم ليطيعنّه ، فيرسل إليهم ان ادخلوا النار . فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما" .
(مسند الإمام احمد ٢٤/٤ . وصححه الالباني في السلسلة الصحيحة ٤١٨/٣ ، رقم ١٤٣٤) .

(٢) اضواء البيان ٤٨٤/٣ . وانظر دفع إيهام الاضطراب ٦٦/١٠-٦٧ ، ١٨٥-١٨٦ .

الفصل السابع

جهود الشيخ الأمين في توضيح مباحث الإمامة

ونقل رحمه الله عن الحافظ ابن كثير ما يؤيد ما ذهب إليه فقال : ((وقال ابن كثير رحمه الله تعالى ... ما نصه : ومنهم من ذهب إلى انهم يمتحنون يوم القيامة في العرصات ؛ فمن اطاع دخل الجنة ، وانكشف علم الله فيهم بسابق السعادة ، ومن عصى دخل النار داخرا وانكشف علم الله فيه بسابق الشقاوة . وهذا القول يجمع بين الادلة كلها ، وقد صرحت به الاحاديث المتقدمة المتعاضدة الشاهد بعضها لبعض . وهذا القول هو الذي حكاه الشيخ ابو الحسن علي بن إسماعيل الاشعري عن اهل السنة والجماعة ، وهو الذي نصره الحافظ ابو بكر البيهقي في كتاب الاعتقاد ، وكذلك غيره من محققي العلماء والحفاظ والنقاد (١)))(٢) .

وممن قال بعذر اهل الفترة : شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال : ((لايهلكهم الله ويعذبهم حتى يرسل إليهم رسولا . وقد رويت آثار متعددة من ان" من لم تبلغه الرسالة في الدنيا فإنه يبعث إليه رسول يوم القيامة في عرصات القيامة))(٣) .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٠/٣ .

(٢) اضواء البيان ٤٨٣/٣ .

(٣) مجموع الفتاوى ٣٠٨/١٧ .

الفصل السابع

جهود الشيخ الأمين في توضيح مباحث الإمامة

الإمامة لغة :

الإمام : كلّ من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم ، أو كانوا ضالين . وإمام كلّ شيء قيّمه والمصلح له . والقرآن إمام المسلمين . وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إمام الأئمة . والخليفة إمام الرعية . وإمام الجند قائدهم(١) .

الإمامة اصطلاحا :

عرفها ابن خلدون بقوله : ((هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها ، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة ، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا))(٢) .

---

(١) لسان العرب ١٢/٢٤-٢٥ .

(٢) المقدمة لابن خلدون ص ١٩١ .

وقد اهتمّ الشيخ الأمين رحمه الله بالإمامة ، وتناولها في اربع عشرة صفحة ، تحدث فيها عن وجوب نصب الإمام ، والأمور التي تنعقد بها الإمامة ، وشروطها ، ومتى تفسخ ، وهل يجوز نصب خليفتين ، وهل للإمام ان يعزل نفسه ، وهل يجب الإشهاد على عقد الإمامة ؟ . وقد استطرد رحمه الله في تقرير هذه المسائل .

اولا : وجوب نصب الإمام :

قال الشيخ الأمين رحمه الله : ((من الواضح المعلوم من ضرورة الدين انّ المسلمين يجب عليهم نصب إمام تجتمع به الكلمة ، وتنفذ به احكام الله في ارضه . ولم يخالف في هذا إلا من لايعتدّ به .. واكثر العلماء على انّ وجوب الإمامة الكبرى بطريق الشرع ؛ كما دلت عليه الآية المتقدمة (١) واشباهها وإجماع الصحابة رضي الله عنهم ، ولانّ الله تعالى قد يزع بالسلطان ما لايزعه بالقرآن ؛ كما قال تعالى : " لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس"(٢) ؛ لانّ قوله : "وانزلنا الحديد فيه باس شديد" فيه إشارة إلى إعمال السيف عند الإباء بعد إقامة الحجة))(٣) .

---

(١) هي قوله تعالى في سورة البقرة : "إني جاعل في الأرض خليفة" .

(٢) سورة الحديد ، الآية {٢٥} .

(٣) اضواء البيان ١٢١/١ .

وقد اوضح الإمام القرطبي رحمه الله ذلك ، وذكر الادلة الشرعية الدالة على وجوب نصب الإمام (١) .

ثانيا : الأمور التي تنعقد بها الإمامة :

ذكر الشيخ الأمين رحمه الله أنّ الإمامة تنعقد بعدة أمور ، فقال : ((الأول : ما لو نصّ صلى الله عليه وسلم على أنّ فلانا هو الإمام فإنها تنعقد له بذلك . وقال بعض العلماء (٢) : إنّ إمامة ابي بكر رضي الله عنه من هذا القبيل ؛ لأنّ تقديم النبيّ صلى الله عليه وسلم له في إمامة الصلاة وهي أهمّ شيء : فيه إشارة إلى التقديم للإمامة الكبرى ، وهو ظاهر . الثاني : اتفاق اهل الحلّ والعقد على بيعته ، وقال بعض العلماء (٣) : إنّ إمامة ابي بكر منه لإجماع اهل الحلّ والعقد من المهاجرين والأنصار عليها بعد الخلاف ، ولاعبرة بعدم رضى بعضهم ؛ كما وقع من سعد بن عبادة رضي الله عنه من عدم قبوله بيعة ابي بكر رضي الله عنه . الثالث : ان

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٨٢/١-١٨٣ .

(٢) نسبه الإمام ابن ابي العزّ الحنفي إلى الحسن البصري ، وجماعة من اهل الحديث . (انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٣٣).

(٣) قال الإمام ابن ابي العزّ عن إمامة ابي بكر : "وذهب جماعة من اهل الحديث والمعتزلة والأشعرية إلى انها ثبتت بالاختيار" . (شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٣٣) .

يعهد إليه الخليفة الذي قبله ؛ كما وقع من أبي بكر لعمر رضي الله عنهما . ومن هذا القبيل جعل عمر رضي الله عنه الخلافة شورى بين ستة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وهو عنهم راض . الرابع : أن يتغلب على الناس بسيفه ، وينزع الخلافة بالقوة حتى يستتب له الأمر ، وتدين له الناس لما في الخروج عليه حينئذ من شق عصا المسلمين وإراقة دمائهم . قال بعض العلماء : ومن هذا القبيل قيام عبدالملك بن مروان على عبدالله بن الزبير وقتله إياه في مكة على يد الحجاج بن يوسف ، فاستتب الأمر له))(١) .

وقد ذكر هذه الأمور التي تنعقد بها الإمامة الإمام القرطبي(٢) رحمه الله .

ثالثا : الشروط الواجب توفرها في الإمام :

ذكر الشيخ الأمين رحمه الله الشروط التي لابد من توفرها في الإمام لتصح إمامته ، وهي :

الأول : أن يكون قرشيا . وذلك مشروط بإقامتهم الدين ، وإطاعتهم لله ورسوله ، فإن خالفوا أمر الله فغيرهم ممن يطيع

---

(١) أضواء البيان ١٢٢/١ .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٨٥/١-١٨٦ . ونسب رحمه الله القول الرابع إلى سهل بن عبدالله التستري ، وابن خويز منداد .

الله تعالى وينفذ أوامره أولى منهم .

الثاني : كونه ذكرا . ولاخلاف في ذلك بين العلماء ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة"(١) .

الثالث : كونه حرا . فلا يجوز أن يكون عبدا . ولاخلاف في هذا بين العلماء . أما لو تغلب عبد حقيقة بالقوة فإن طاعته تجب إخمادا للفتنة ، وصونا للدماء ، ما لم يأمر بمعصية .

الرابع : أن يكون بالغا . فلا تجوز إمامة الصبي إجماعا لعدم قدرته على القيام بأعباء الخلافة .

الخامس : أن يكون عاقلا . فلا تجوز إمامة المجنون ولا المعتوه . وهذا لانزاع فيه .

السادس : أن يكون عدلا . فلا تجوز إمامة فاسق . واستدل عليه بعض العلماء بقوله تعالى : "قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين"(٢) . ويدخل في اشتراط العدالة اشتراط الإسلام ؛ لأن العدل لايكون غير مسلم .

السابع : أن يكون ممن يصلح أن يكون قاضيا من قضاة المسلمين مجتهدا يمكنه الاستغناء عن استفتاء غيره في الحوادث .

الثامن : أن يكون سليم الأعضاء غير زمن ولا أعمى ونحو ذلك .

---

(١) صحيح البخاري ٩٧/٨ .

(٢) سورة البقرة ، الآية {١٢٤} .

ويدلّ لهذين الشرطين الأخيرين ؛ أعني العلم ، وسلامة الجسم قوله تعالى في طالوت : "إنّ الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم "(١) .

التاسع : أن يكون ذا خبرة ورأي حصيف بأمر الحرب ، وتدبير الجيوش ، وسدّ الثغور ، وحماية بيضة المسلمين ، وردع الأمة ، والانتقام من الظالم ، والأخذ للمظلوم .

العاشر : أن يكون ممن لاتلحقه رقة في إقامة الحدود ، ولافزع من ضرب الرقاب ولاقطع الأعضاء (٢) .

وقد ذكر هذه الشروط أيضا : الإمام القرطبي رحمه الله ، إلا أنه زاد شرطا هو الإسلام (٣) ، مع أنه ذكر الشرط السابع بلفظه ، وهو يغني عن زيادة هذا الشرط .

وقد توفرت هذه الشروط كلها في الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، لذلك صحت خلافتهم ؛ قال الشيخ الأمين رحمه الله عند قوله تعالى : "ولينصرنّ الله من ينصره إنّ الله لقويّ عزيز"(٤) مخبرا عن صحة خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم : ((هذه الآيات تدلّ على صحة خلافة الخلفاء الراشدين ؛ لأنّ الله نصرهم على

---

(١) سورة البقرة ، الآية {٢٤٧} .
(٢) باختصار من أضواء البيان ١/١٢٣-١٢٩ .
(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن ١/١٨٦-١٨٧ .
(٤) سورة الحج ، الآية {٤٠} .

اعدائهم لأنهم نصروه ؛ فأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر . وقد مكن لهم ، واستخلفهم في الأرض كما قال : "وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض" الآية (١) . والحق" ان" الآيات المذكورة تشمل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكل" من قام بنصرة دين الله على الوجه الاكمل . والعلم عند الله))(٢) .

وقال عن إمامة الصديق ابي بكر رضي الله عنه عند قوله تعالى : "صراط الذين انعمت عليهم"(٣) : ((يؤخذ من هذه الآية الكريمة صحة إمامة ابي بكر الصديق رضي الله عنه ؛ لأنه داخل فيمن امرنا الله في السبع المثاني والقرآن العظيم ؛ اعني الفاتحة بأن نسأله ان يهدينا صراطهم . فدل" ذلك على ان" صراطهم هو الصراط المستقيم ؛ وذلك في قوله : "اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين انعمت عليهم" . وقد بيّن الذين انعم عليهم ، فعد" منهم الصديق. وقد بيّن صلى الله عليه وسلم ان" ابا بكر من الصديقين ؛ فاتضح انه داخل في الذين انعم الله عليهم ؛ الذين امرنا الله ان نسأله الهداية إلى صراطهم ، فلم يبق لبس في ان" ابا بكر الصديق رضي الله عنه على الصراط المستقيم ، وان" إمامته حق"))(٤) .

---

(١) سورة النور ، الآية {٥٥} .

(٢) اضواء البيان ٧٠٤/٥ .

(٣) سورة الفاتحة ، الآية {٦} .

(٤) اضواء البيان ١٠٤/١-١٠٥ .

وقد ذكر الشيخ الأمين رحمه الله بعض المسائل التي تتعلق بالإمامة ، وأجاب عنها :

المسألة الأولى : إذا طرأ على الإمام الأعظم فسق ، أو دعوة إلى بدعة ، هل يكون ذلك سببا لعزله والقيام عليه ، أو لا ؟

أجاب رحمه الله على هذا السؤال بقوله : ((قال بعض العلماء(١) : إذا صار فاسقا ، أو داعيا إلى بدعة ، جاز القيام عليه لخلعه . والتحقيق الذي لاشك فيه أنه لايجوز القيام عليه لخلعه إلا إذا ارتكب كفرا بواحا عليه من الله برهان))(٢) .

ثم استشهد رحمه الله بعدة أحاديث : منها حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ، ومكرهنا ، وعسرنا ، ويسرنا ، وأثرة علينا ، وأن لاننازع الأمر أهله ، قال : "إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان"(٣) . وحديث أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ستكون أمراء ،

---

(١) وحكى القرطبي هذا القول عن الجمهور فقال : "قال الجمهور : إنه تنفسخ إمامته ، ويخلع بالفسق الظاهر المعلوم" . (الجامع لأحكام القرآن ١٨٧/١) .

(٢) أضواء البيان ١٢٩/١ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ١٤٧٠/٣-١٤٧١ .

فتعرفون وتنكرون . فمن عرف برئ ، ومن أنكر سلم . ولكن من رضي وتابع" . قالوا : يا رسول الله أفلا نقاتلهم ؟ قال : "لا ، ما صلوا "(١) .

ثم قال رحمه الله : ((والأحاديث في هذا كثيرة . فهذه النصوص تدل على منع القيام عليه ولو كان مرتكبا لما لايجوز ، إلا إذا ارتكب الكفر الصريح الذي قام البرهان الشرعي من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أنه كفر بواح ; أي ظاهر ، باد ، لا لبس فيه . وقد دعا المأمون والمعتصم والواثق إلى بدعة القول بخلق القرآن ، وعاقبوا العلماء من أجلها بالقتل والضرب والحبس وأنواع الإهانة . ولم يقل أحد بوجوب الخروج عليهم بسبب ذلك ، ودام الأمر بضع عشرة سنة حتى ولي المتوكل فأبطل المحنة ، وأمر بإظهار السنة .

واعلم أنه أجمع جميع المسلمين على أنه لاطاعة لإمام ولاغيره في معصية الله . وقد جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة الصريحة التي لا لبس فيها ولامطعن ; كحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ، ما لم يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١٤٨٠/٣ بدون لفظة "يا رسول الله" .

ولاطاعة " اخرجه الشيخان وابو داود(١) . وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في السرية الذين امرهم اميرهم أن يدخلوا في النار : "لو دخلوها ما خرجوا منها ابدا ، إنما الطاعة في المعروف"(٢) . وفي الكتاب العزيز : "ولايعصينك في معروف"(٣)))(٤) .

وهذا الذي ذكره الشيخ الامين هو معتقد اهل السنة ؛ قال القاضي عياض رحمه الله مخبرا عن معتقد اهل السنة في الإمام الفاسق : ((جماهير اهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين لاينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق ، ولايخلع ، ولايجوز الخروج عليه بذلك ، بل يجب وعظه وتخويفه ؛ للأحاديث الواردة في ذلك))(٥) .

---

(١) اخرجه البخاري في صحيحه ١٠٥/٨-١٠٦ - واللفظ له - . ومسلم في صحيحه ١٤٦٩/٣ . وابو داود في سننه ٩٣/٣-٩٤ .
(٢) اخرجه مسلم في صحيحه ١٤٦٩/٣ .
(٣) سورة الممتحنة ، الآية {١٢} .
(٤) اضواء البيان ١٣٠/١-١٣١ .
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ٢٢٩/١٢ .

المسألة الثانية : هل للإمام أن يعزل نفسه ؟

ذكر الشيخ الأمين رحمه الله في هذه المسألة قولين لأهل العلم ؛ الأول : أنّ له عزل نفسه . وعزاه للقرطبي . والثاني : ليس له عزل نفسه ؛ لأنه تقلد حقوق المسلمين .

وعقّب رحمه الله على هذين القولين بقوله : ((إن كان عزله لنفسه لموجب يقتضي ذلك ؛ كإخماد فتنة كانت ستشتعل لو لم يعزل نفسه ، أو لعلمه من نفسه العجز عن القيام بأعباء الخلافة : فلا نزاع في جواز عزله لنفسه . ولذا أجمع جميع المسلمين على الثناء على سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ الحسن بن علي رضي الله عنهما ؛ لعزله نفسه وتسليمه الأمر إلى معاوية بعد أن بايعه أهل العراق ؛ حقنا لدماء المسلمين . وأثنى عليه بذلك قبل وقوعه جده ؛ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : "إنّ ابني هذا سيد ، ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين"(١)))(٢) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢١٦/٤ .

(٢) أضواء البيان ١٣٣/١ . وانظر الجامع لأحكام القرآن ١٨٨/١ .

المسألة الثالثة : هل يجوز نصب خليفتين كلاهما مستقل دون الآخر ؟

ذكر الشيخ الأمين رحمه الله ثلاثة أقوال لأهل العلم في ذلك :

الأول : جواز ذلك مطلقا . ونسبه للكرامية .

الثاني : لايجوز تعدد الإمام الأعظم . ونسبه للجمهور (١) .

الثالث : التفصيل . فيمنع نصب إمامين في البلد الواحد والبلاد المتقاربة ، ويجوز في الأقطار المتنائية ; كالأندلس وخراسان (٢) .

ونقل رحمه الله قول القرطبي في هذه المسألة : ((لكن إن تباعدت الأقطار وتباينت ; كالأندلس وخراسان جاز ذلك)) (٣) .

ونقل أيضا قول ابن كثير : ((وهذا يشبه حال خلفاء بني العباس بالعراق ، والفاطميين بمصر ، والأمويين بالمغرب)) (٤) .

ولم يختر رحمه الله قولا من هذه الأقوال الثلاثة ، وإنما اكتفى بسردها ، ونقل كلام بعض العلماء في ذلك .

---

(١) قال الإمام النووي : "اتفق العلماء على أنه لايجوز أن يعقد لخليفتين في عصر واحد" .
(شرح النووي على صحيح مسلم ٢٣٣/١٢) .

(٢) انظر أضواء البيان ١٣١/١-١٣٢ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٨٨/١ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ٧٢/١ .

المسألة الرابعة : هل يجب الإشهاد على عقد الإمامة ؟

ذكر الشيخ الأمين رحمه الله قولين لأهل العلم في هذه المسألة :

الأول : لايجب ؛ لأنه يحتاج إلى دليل من النقل ، وهذا لادليل عليه منه .

الثاني : يجب الإشهاد عليه ؛ لئلا يدعي مدع أنّ الإمامة عقدت له سرا ، فيؤدي ذلك إلى الشقاق والفتنة (١) .

ولم يختر رحمه الله واحدا من هذين القولين أيضا .

وهكذا فصّل الشيخ الأمين رحمه الله القول في الإمامة وما يتعلق بها من مسائل ؛ إذ هي من أهمّ المسائل التي يجب العناية بها ؛ لما يترتب عليها من وحدة الأمة ، وصون حقوقها ، ورفع راية الدين ، والذود عنه ، وإقامة أمره .

---

(١) انظر أضواء البيان ١/١٣٣-١٣٤ .
وقد حكى القرطبي هذين القولين عن المالكية .
(انظر الجامع لأحكام القرآن ١/١٨٦) .

الخاتمة

الحمد لله الربّ الكريم ، الذي بنعمته تتمّ الصالحات ، وبتوفيقه تقضى الحاجات ، فقد تمّ هذا البحث ، وتوصلت فيه إلى النتائج التالية :

{١} - إنّ عقيدة الشيخ رحمه الله هي عقيدة السلف الصالح التي ترتكز على الوحيين ؛ الكتاب والسنة .

وقد وافقهم في جميع محتويات العقيدة ، ولم يخرج عن منهجهم قيد أنملة ؛ فقد عرف الإيمان بأنه قول وعمل واعتقاد ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية .

كما قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام ؛ الربوبية ، والألوهية ، والأسماء والصفات .

وأوضح بقية مباحث الإيمان الأخرى ؛ كالإيمان بالملائكة ، والكتب ، والرسل ، واليوم الآخر ، والقضاء والقدر ؛ خيره وشره ، وذكر جزئياتٌ هذه المباحث .

{٢} - أظهر رحمه الله هذه العقيدة ، ودعا إليها في جميع كتبه .، ومحاضراته ، ودروسه . وكان لايترك مناسبة إلا وحرص على ذكرها والدعوة إليها .

{٣} - أبرز رحمه الله العقيدة الصافية ، واستنبطها من نصوص

القرآن الكريم بأسلوبه الرائع وطريقته المعروفة في تفسير القرآن بالقرآن .

{٤} - أكد رحمه الله أنّ الآيات الدالة على توحيد الربوبية في القرآن الكريم إنما هي إلزام للمشركين أن يوحدوا الله في العبادة .

{٥} - اهتمّ رحمه الله بعقيدة السلف في الأسماء والصفات ، وجعلها من أنواع البيان المذكورة في أضواء البيان ، ومن أهمها . وأنّ جميع ما وصف الله به نفسه في القرآن العظيم فهو موصوف به حقيقة لامجازا .

{٦} - سلك رحمه الله قاعدة الإمام مالك الذهبية في الصفات : (الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والسؤال عنه بدعة ، والإيمان به واجب) ، واطردها في جميع الصفات ; لأنها كلها في باب واحد .

{٧} - اهتمّ رحمه الله بذكر رأيه في الصفات في ضوء الدليل ، ووفق المنهج المرسوم . فلا يطيل الحديث عنها ; لأنه قد اكتفى ببيان المنهج ، وتوضيح العقائد التي تشترك فيها سائر الصفات .

{٨} - لم يؤول رحمه الله أيّ صفة من صفات الله سبحانه وتعالى ، ولم يرتض التأويل بأي شكل من أشكاله .

{٩} - أبرز عقيدة السلف بأسلوب عربي مختصر بعيد عن مصطلحات

أهل الكلام . وكان رحمه الله يكره التعمق في آيات الصفات والخوض فيها ، ويقول : هي من البدع التي كرهها السلف .

{١٠} - جعل رحمه الله قواعد وضوابط واسعة في إثبات الصفات لتسهيل فهمها وحفظها .

{١١} - نقد رحمه الله منهج أهل الكلام عن دراية وفهم ، وناقشه ، واستعرض شبه أهل الكلام ، وردّ عليها بحجج في غاية القوة والإقناع مدارها الكتاب والسنة .

{١٢} - كان رحمه الله من العلماء العالمين بالجدل والمنطق ، واسلوب البحث والمناظرة . لكنه لايجعله اساسا يثبت به صفات الله ويهدر الأدلة السمعية ، بل لم يستخدمه في مبحث التوحيد إلا للرد على دليلهم الجدلي بلغتهم ، مبينا انه من اساسه كاذب بلا شك ، وانّ النتيجة سوف تكون كاذبة .

{١٣} - اكد رحمه الله انّ معتقد السلف هو الأسلم والأحكم والأعلم ، وانه المنجي يوم القيامة .

{١٤} - كان رحمه الله ذا حجة مقنعة ، وعقلية فذة ، وعلم واسع ، وفهم لعقيدة السلف على أصولها الصحيحة ، وعمل على نشرها بين الناس .

{١٥} - رجح رحمه الله انّ الساحر الذي لم يبلغ به سحره الكفر ، ولم يقتل به إنسانا ، انه لايقتل .

{١٦} - رجح رحمه الله وفاة الخضر عليه السلام ، ونبوته ، وناقش أدلة القائلين بحياته وعدم نبوته مناقشة دقيقة ، مؤيدة بالحجج الواضحة والأدلة الصريحة ، وردّ ما يقال حوله من قصص خيالية ، وروايات موضوعة .

{١٧} - ردّ رحمه الله على من جوز العمل بالإلهام ، وأنّ الولي يسعه الخروج عن الوحي المحمدي ، وقال عنها : إنها زندقة .

{١٨} - له مشاركات لعلماء الأمة فعالة في التصدي للتيارات الإلحادية ، وموقف راسخ في الذود عن حياض العقيدة الصافية .

{١٩} - عند المناقشة مع المخالفين يذكر رحمه الله قول المخالف بإنصاف مع حجته ، ولاينقص من قدره ، بل يرد عليه بحياد وعدم تعصب .

{٢٠} - مؤلفات الشيخ رحمه الله عظيمة الفوائد ، ومنهل عذب ، ومعين لاينضب . وعلى راسها أضواء البيان ; فإنه لقي قبولا واهتماما من العلماء والباحثين . لكن تنقصه الطباعة الجيدة ، والتحقيق المتقن لتدارك الأخطاء التي تخلّ بالمعنى .

{٢١} - هناك رسائل مهمة للشيخ رحمه الله تدلّ على سعة علمه وهي لاتزال مخطوطة . ولو طبعت وأخرجت لعمت الفائدة منها .

{٢٢} - محاضرة الشيخ رحمه الله المسماة : منهج ودراسات لآيات

الأسماء والصفات : هي اسم على مسمى ؛ ابرز فيها الشيخ رحمه الله عقيدة السلف في الصفات ، مع توضيح المنهج والقواعد والأسس التي يقوم عليها ، واشار إلى طريقة المخالفين مبينا وهنها . فلو قررت هذه الرسالة على المعاهد والكليات في بابها ، فهي جديرة بالعناية والدراسة .

{٢٣} - هناك اشرطة للشيخ رحمه الله في تفسير بعض سور القرآن الكريم بصوته ، سبق ان اشرت إلى ارقامها والآيات المفسرة .

وكذا رحلته إلى افريقيا للدعوة ، فيها محاضرات وكلمات . فلو فرغت ، وطبعت لكانت اجزاء كثيرة ، فيها العلم النافع الغزير . هيئا الله لها من يخرجها وينشرها .

[redacted]} - وفي الأخير : احمد الله الذي وفقني لإتمام هذا البحث ، فقد خرجت منه بفوائد جليلة ؛ حيث منّ الله عليّ بقراءة بعض كتب السلف في العقيدة والتفسير والتراجم ، واطلعت على اكثر مباحث العقيدة ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وفي الختام اسال الله العليّ القدير العلمَ النافع ، والرزق الطيب ، والعمل المتقبل لي ولإخواني المسلمين ، إنه وليّ ذلك والقادر عليه . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين . والحمد لله ربّ العالمين .

الفهارس

وتشتمل على :

{١ -} فهرس الآيات القرآنية .

{٢ -} فهرس الأحاديث النبوية .

{٣ -} فهرس الأعلام المترجم لهم .

{٤ -} فهرس المصادر والمراجع .

{٥ -} فهرس الموضوعات .

فهرس

الآيات

القرآنيّة

فهـــرس الآيـــات

من سورة آل عمران

من سورة آل عمران

من سورة النســـاء

من سورة المائدة

من سورة الأعراف

من سورة الأنفال

من سورة التوبة

من سورة يوسف

من سورة النحل

من سورة الإسراء

من سورة الكهف

من سورة مريم

من سورة طه

من سورة الأنبياء

من سورة الحج

من سورة يس

من سورة الزمر

من سورة غافر

من سورة فصلت

من سورة الشورى

من سورة الدخان

من سورة الجاثية

رقم الآية	جزء من الآية	رقم الصفحة

من سورة الحشر

من سورة الممتحنة

من سورة الصف

من سورة المنافقون

من سورة الطلاق

من سورة التحريم

رقم الآية	جزء من الآية	رقم الصفحة

فهرس

الأحاديث

والآثار

فهرس الأحاديث والآثار

طرف الحديث	رقم الصفحة

حرف الألف

طـرف الحديـث	رقم الصفحة

حـرف العيـن

حـرف الفـاء

حـرف القـاف

حـرف الكـاف

حـرف الـلام

طرف الحديث	رقم الصفحة

حرف الميم

حرف النون

طرف الحديث	رقم الصفحة

حرف الياء

فهرس

الأعلام

المترجم لهم

فهرس الأعلام المترجم لهم

اسم العلم المترجم له	رقم الصفحة

حرف الألف

حرف الباء

اسم العلم المترجم له	رقم الصفحة

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الراء

حرف السين

اسم العلم المترجم لـه	رقم الصفحة

حـرف الصـاد

حـرف الضـاد

حـرف العيـن

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

المصادر والمراجع

ثبت

المصادر

والمراجع

ثبت المصادر والمراجع

- أ -

{١} - الإبانة : للأشعري . تحقيق /عبدالقادر الأرناؤوط . مكتبة دار البيان الأولى ، عام ١٤٠١ هـ .

{٢} - إبطال التأويلات لأخبار الصفات : لأبي يعلى . تحقيق /محمد النجدي . ط الأولى ، ١٤١٠ هـ . مكتبة دار الإمام الذهبي ، الكويت.

{٣} - الإتقان في علوم القرآن : للسيوطي . ط دار المعرفة ، بيروت - لبنان .

{٣} مكرر - الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان . قدم له وضبطه : كمال يوسف الحوت . ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ.

{٤} - أحكام الجنائز : للألباني . ط الرابعة ، ١٤٠٦ هـ ، المكتب الإسلامي .

{٥} - آداب البحث والمناظرة : للشيخ محمد الأمين الشنقيطي . أشرف على طبعه عطية محمد سالم . طبع بمطابع شركة المدينة للطباعة والنشر ، ١٣٨٨ هـ .

{٦} - الإرشاد : للجويني . تحقيق /محمد يوسف موسى ، وعلي عبدالمنعم عبدالحميد . مطبعة السعادة ، ١٣٦٩ هـ .

{٧} - إرواء الغليل : للشيخ محمد ناصر الدين الألباني . ط الأولى ١٣٩٩ هـ ، المكتب الإسلامي .

{٨} - أساس التقديس في علم الكلام : للفخر الرازي . طبعة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، عام ١٣٥٤ هـ .

{٩} - الاستيعاب في معرفة الأصحاب : لابن عبدالبر . تحقيق /علي محمد البجاوي . ط مطبعة نهضة مصر بالقاهرة .

{١٠} - الإسلام دين كامل . محاضرة ألقاها الشيخ محمد الأمين في المسجد النبوي . ط دار المدني ، جدة .

{١١} - الإصابة في تمييز الصحابة : لابن حجر العسقلاني . ط مطبعة نهضة مصر بالقاهرة .

{١٢} - أصول الدين للبغدادي . ط الثانية ، ١٤٠٠ هـ . ط دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .

{١٣} - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : للشيخ محمد الأمين الشنقيطي . طبع المطابع الأهلية للأوفست . الرياض ، ١٤٠٣ هـ . على نفقة سمو الأمير أحمد بن عبدالعزيز .

{١٤} - الأعلام : للزركلي . ط الثانية ، ١٩٨٩ م . دار العلم للملايين ، بيروت .

{١٥} - إعلام الموقعين عن رب العالمين : لابن القيم . راجعه وعلق عليه / طه عبدالرؤوف سعد . دار الجيل للنشر والتوزيع . بيروت - لبنان ، ١٩٧٣ م .

{١٦} - أعلام النبوة : للماوردي . تحقيق /محمد شريف سكر . ط ١ ، ١٤٠٨ هـ ، ط دار إحياء العلوم ، بيروت .

{١٧} - إغاثة اللهفان لابن القيم . تحقيق /محمد حامد الفقي . دار المعرفة ، بيروت .

{١٨} - أقاويل الثقات : لمرعي المقدسي . تحقيق /شعيب الأرناؤوط . ط الأولى ، ١٤٠٦ هـ .

{١٩} - اقتضاء الصراط المستقيم : لابن تيمية . تحقيق د/ناصر العقل . ط الأولى ، ١٤٠٤ هـ .

{٢٠} - ألفية ابن مالك . ط الأولى ، ١٤٠٤ هـ . مكتبة طيبة ، المدينة المنورة .

{٢١} - الإمـام ابـن تيمية وقضية التـأويل : محمد سيد الجليند . ط الثانية ، ١٤٠٣هـ ، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع .

{٢١} مكـرر - انـوار التـنزيل وأسـرار التـاويل : للبيضاوي . طبع بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر .

{٢٢} - اهـوال القبـور : لابن رجب . ط الثانية ، ١٤٠٧ هـ . ط دار الهجرة . القاهرة .

{٢٣} - الآيات البينات : نعمان الالوسي . تحقيق /الشيخ ناصر الدين الالباني . ط المكتب الإسلامي ، ١٤٠٥ هـ .

{٢٤} - الإيمـان : لابـي عبيد ; القاسم بن سلام . تحقيق /محمد ناصر الدين الالباني . دار الأرقم . ط الثانية ، ١٤٠٥ هـ .

{٢٥} - الإيمـان : لابـن تيميـة . ط الثالثة ، ١٤٠١ هـ . ط المكتب الإسلامي .

- ب -

{٢٦} - بـدائع الفوائـد : لابـن القيم . طبعة المطبعة المنيرية . بدون تاريخ .

{٢٧} - البدايـة والنهايـة : لابـن كثـير . دقق اصولها مجموعة من العلماء . ط الأولى ، ١٤٠٨ هـ . دار الريان للتراث ، القاهرة .

{٢٨} - البرهـان في معرفة عقائد اهل الأديان : للسكسكي الحنبلي . تحقيق د/بسام علي سلامة العموشة . مكتبة المنار ، ط الأولى ، ١٤٠٨هـ .

- ت -

{٢٩} - تـاج العـروس : للزبيـدي . تصويـر دار مكتبـة الحيـاة ، بيروت - لبنان .

{٣٠} - التاريخ الكبير : للبخاري . دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .

{٣١} - تأويل مختلف الحديث : لابن قتيبة . دار الكتاب العربي ، بدون تاريخ .

{٣٢} - تجريد التوحيد : للمقريزي . طبع بمطابع الجامعة الإسلامية ، ١٤٠٨ هـ . وطبعة مكتبة السلام العالمية .

{٣٣} - التحذير من مختصرات الصابوني : للشيخ بكر بن عبدالله ابو زيد . ط الأولى ، ١٤٠٩ هـ ، دار الراية ، الرياض .

{٣٤} - تحكيم القوانين : للشيخ محمد بن إبراهيم . ط الثانية ، عام ١٤٠٣ هـ . مطابع شركة الصفحات الذهبية المحدودة .

{٣٥} - تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد : شرح جوهرة التوحيد للبيجوري . طبعة دار الكتب العالمية ، بيروت ، ط الأولى ، ١٤٠٣ هـ .

{٣٦} - التحفة المهدية : لابن مهدي . تصحيح وتعليق عبدالرحمن بن صالح المحمود . ط الثانية . ١٤٠٥ ، مكتبة الحرمين .

{٣٧} - التخويف من النار : لابن رجب . تحقيق /بشير عون . مكتبة المؤيد ، دمشق ، ط الثانية ، ١٤٠٩ هـ .

{٣٨} - التدمرية : لابن تيمية . تحقيق /محمد بن عودة السعوي . ط الأولى ، ١٤٠٥ هـ . طبع بشركة العبيكان للطباعة والنشر بالرياض .

{٣٩} - تذكرة الحفاظ : للذهبي . تصوير دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان .

{٤٠} - تفسير سورة النور : للشيخ محمد الأمين . جمع د/عبدالله قادري . مكتوب على الآلة الكاتبة .

{٤١} - تفسير الطبري = جامع البيان . ط مطبعة دار الفكر ، ١٤٠٥ هـ .

{٤٢} - تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن كثير . ط دار الفكر . بدون تاريخ . وط دار المعرفة ، ١٣٨٨ هـ .

{٤٣} - التفسير الكبير : لفخر الدين الرازي. ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط الثالثة .

{٤٤} - تفسير المنار = تفسير القرآن الحكيم : للشيخ محمد رشيد رضا . ط الثانية ، دار المعرفة ، بيروت .

{٤٥} - التفسير والمفسرون : د/محمد حسين الذهبي . ط الثانية ، ١٣٩٦ هـ . دار الكتب الحديثة .

{٤٦} - التمهيد : للباقلاني . المكتبة الشرقية ، بيروت . بتحقيق : ريتشارد يوسف مكارثي اليسوعي .

{٤٧} - التمهيد : لابن عبدالبر . الناشر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب .

{٤٨} - تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين : للنحاس . حققه وعلق عليه /عماد الدين عباس سعيد . ط الأولى ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧ هـ .

{٤٩} - التوضيح والبيان لشجرة الإيمان : للشيخ عبدالرحمن السعدي. مكتبة المعارف ، الرياض ، ط ١٤٠٦هـ .

{٥٠} - توضيح المقاصد وتصحيح القواعد : لابن عيسى . شرح نونية ابن القيم . ط الثانية ، ١٤٠٦ هـ ، المكتب الإسلامي .

{٥١} - تهذيب التهذيب : لابن حجر العسقلاني . تصوير دار صادر ، بيروت - لبنان .

{٥٢} - تهذيب اللغة : للأزهري . تحقيق /عبدالسلام هارون . ط المؤسسة المصرية العامة للتأليف . ط دار القومية العربية للطباعة ، ١٣٨٤ هـ .

{٥٣} - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : للشيخ عبدالرحمن السعدي . تحقيق /محمد زهري النجار . ط الإفتاء ، عام ١٤٠٤هـ .

{٥٤} - تيسير العزيز الحميد : للشيخ سليمان بن عبدالله ، ط الخامسة ، ١٤٠٢ هـ ، بيروت ، المكتب الإسلامي .

- ح -

{٥٥} - حاشية الصاوي على تفسير الجلالين . ط دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ .

- ج -

{٥٦} - الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي . ط الأولى ، ١٤٠٨هـ دار الكتب العلمية .

{٥٧} - جامع الرسائل والمسائل : لابن تيمية . ط الأولى ، ١٤٠٣ هـ ، دار الكتب العلمية .

{٥٨} - جامع العلوم والحكم : لابن رجب . دار المعرفة للطباعة والنشر . بدون تاريخ .

{٥٩} - الجواب الكافي : لابن القيم . دار الندوة الجديدة ، بيروت لبنان ، ١٤٠٥ هـ .

- خ -

{٦٠} - خطبة الحاجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه : للشيخ الألباني . ط الرابعة ، ١٤٠٠ هـ . المكتب الإسلامي .

{٦١} - الخطط : للمقريزي . ط دار صادر ، بيروت .

- د -

{٦٢} - درء تعارض العقل والنقل : لابن تيمية . تحقيق /محمد رشاد سالم . توزيع مكتبة ابن تيمية .

{٦٣} - الدرة فيما يجب اعتقاده : لابن حزم الظاهري . تحقيق /أحمد ابن ناصر الحمد ، ود/سعيد عبدالرحمن القزقي . ط الأولى ، ١٤٠٨ هـ مطبعة المدني .

{٦٤} - دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب : للشيخ محمد الأمين . الملحق بأضواء البيان - المجلد العاشر - .

{٦٥} - الدين الخالص : لمحمد صديق حسن خان . تحقيق / محمد زهري النجار . طبع بمطبعة المدني بمصر ، ١٣٧٩ هـ .

{٦٦} - ديوان الإمام الشافعي . جمع محمد الزعبي . مكتبة المعرفة بحمص ، ومكتبة دار العلم للطباعة والنشر بجدة ، ط الثالثة .

- ذ -

{٦٧} - ذمّ التأويل : لابن قدامة المقدسي . تحقيق : بدر البدر . ط الدار السلفية ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .

{٦٨} - الذيل على طبقات الحنابلة : لابن رجب . دار المعرفة . طبع بمطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٢ هـ .

- ر -

{٦٩} - رائحة الجنة في شرح إضاءة الدجنة . ط الأولى ، ١٣٧٧ هـ .

{٧٠} - الرحلة إلى المسجد الحرام : للشيخ محمد الأمين . ط الأولى ١٤٠٣ هـ ، دار الشروق ، جدة .

{٧١} - الرد على الجهمية : للدارمي . تحقيق /زهير الشاويش . المكتب الإسلامي ، ط الرابعة ، ١٤٠٢ هـ .

{٧٢} - الرد على الجهمية والزنادقة : للإمام احمد . تحقيق / عبدالرحمن عميرة . دار اللواء ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢ هـ .

{٧٣} - رسالة إلى أهل الثغر : للاشعري . تحقيق/ عبدالله الجنيدي . ط الأولى ، ١٤٠٩ هـ ، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة .

{٧٤} - رسالة في الاستواء والفوقية : لأبي محمد الجويني . موجودة ضمن رسائل المجموعة المنيرية .

{٧٥} - رسالة مخطوطة صغيرة : للشيخ محمد الامين : جواب على سؤال ورد عليه من احد امراء شنقيط . يقع في إحدى عشرة صفحة .

{٧٦} - الرسالة المدنية : لابن تيمية . تحقيق / الوليد بن عبدالرحمن الفريان . ط الأولى ، ١٤٠٨ هـ . مطبعة دار طيبة بالرياض .

{٧٧} _ رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر : لمرعي الكرمي . مكتبة الصحوة ، الكويت . تحقيق /عادل الجطيلي . ط الأولى ، ١٤١٠ .

{٧٨} - الروح : لابن القيم . تحقيق /محمد اسكندريلدا . دار الكتب العلمية ، ط الأولى ، ١٤٠٢ هـ .

{٧٩} - روح المعاني : للألوسي . إدارة الطباعة المنيرية . دار إحياء التراث العربي ، بيروت . بدون تاريخ .

{٨٠} - رياض الصالحين : للنووي . تحقيق /عبدالعزيز رباح ، واحمد يوسف الدقاق . ط الرابعة ، ١٤٠١ هـ . دار المامون للتراث .

- ز -

{٨١} - زاد المعاد : لابن قيم الجوزية . تحقيق /شعيب وعبدالقادر الارناؤوط . ط الثالثة ، ١٤٠٢ هـ . مؤسسة الرسالة .

{٨٢} - الزهر النضر في نبأ الخضر : لابن حجر . علق عليه /سمير حسين حلبي . ط الاولى ، ١٤٠٨ هـ . دار الكتب العلمية .

- س -

{٨٣} - سلسلة الاحاديث الصحيحة : للشيخ الالباني . ط الرابعة ، ١٤٠٥ هـ . المكتب الإسلامي .

{٨٤} - سلسلة الاحاديث الضعيفة : للشيخ الالباني . ط الخامسة ، ١٤٠٥ هـ . المكتب الإسلامي .

{٨٥} - سنن الدارقطني . تحقيق /عبدالله هاشم يماني المدني . ط شركة الطباعة الفنية المتحدة .

{٨٦} - سنن ابي داود . إعداد وتعليق /عبيد الدعاس . ط الاولى ، ١٣٨٨ هـ ، دار الحديث .

{٨٧} - سنن ابن ماجه . حقق نصوصه وعلق عليه /محمد فؤاد عبدالباقي . ط دار الفكر ، بيروت .

{٨٨} - سنن الترمذي . تحقيق /احمد محمد شاكر . ط الثانية ، ١٣٩٨ . ط مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة .

{٨٩} - السنن الكبرى : للبيهقي . تصوير دار الفكر ، بيروت - لبنان .

{٩٠} - سنن النسائي . تصوير دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان .

{٩١} - سير اعلام النبلاء : للذهبي . ط مؤسسة الرسالة ، ط الرابعة ، ١٤٠٦ هـ .

- ش -

{٩٢} - شذرات الذهب : لابن العماد . منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

{٩٣} - الشرح والإبانة على اصول الديانة : للعكبري . تحقيق / رضا نعسان معطي . ط ١٤٠٤ هـ . المكتبة الفيصلية ، مكة .

{٩٤} - شرح ام البراهين : للسنوسي . ط دار الفكر ، بيروت - لبنان .

{٩٥} - شرح الاصول الخمسة : لعبدالجبار المعتزلي . ط الثانية ، ١٤٠٨ ، مكتبة وهبة .

{٩٦} - شرح السنة : للبغوي . تحقيق /شعيب الارناؤوط ، وزهير الشاويش . ط المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٧١ م .

{٩٧} - شرح الصاوي على جوهرة التوحيد . توزيع دار الإخاء ، ١٩٨٠ م .

{٩٨} - شرح اصول اعتقاد اهل السنة والجماعة : للالكائي . تحقيق/ د . احمد سعد حمدان . ط دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى .

{٩٩} - شرح العقيدة الطحاوية : لابن ابي العز الحنفي : حققها جماعة من العلماء ، وخرج احاديثها الألباني . ط المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ .

{١٠٠} - شرح العقيدة الواسطية : للشيخ صالح الفوزان . ط الرابعة ، ١٤٠٧ هـ ، مكتبة المعارف .

{١٠١} - شرح العقيدة الواسطية : للشيخ محمد الصالح العثيمين . مخطوطة .

{١٠٢} - شرح مراقي السعود على أصول الفقه : لمحمد الأمين الجكني الشنقيطي . الناشر : دار ابو الوفاء ، ١٣٧٨ هـ .

{١٠٣} - شرح المعلقات العشر : للشيخ احمد الأمين الشنقيطي . دار الكتاب العربي ، ١٤٠٤ هـ .

{١٠٤} - شرح النووي على صحيح مسلم . ط دار إحياء التراث ، ط الثانية ، ١٣٩٢ هـ .

{١٠٥} - الشريعة : للآجري . تحقيق /محمد حامد الفقي . ط الأولى ، ١٤٠٣ هـ . دار الكتب العلمية .

{١٠٦} - شفاء العليل : لابن قيم الجوزية . تصوير دار المعرفة ، بيروت ، عن ط عام ١٣٢٣ هـ ، بالمطبعة الحسينية .

{١٠٧} - الشنقيطي ، ومنهجه في التفسير . إعداد الطالبة سميرة ابنة صقر آل محمد . مكتوب على الآلة الكاتبة .

{١٠٨} - الشيخ عبدالرحمن السعدي ، وجهوده في العقيدة : د/عبدالرزاق بن الشيخ عبد المحسن العباد . ط الأولى ، ١٤١١ هـ ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع .

- ص -

{١٠٩} - الصحاح : للجوهري . الطبعة الثانية ، ١٤٠٢ هـ ، على نفقة الشيخ حسن شربتلي .

{١١٠} - صحيح البخاري . ط المكتبة الإسلامية ، إستانبول ، تركيا ، ١٩٨٩ م .

{١١١} - صحيح الجامع الصغير : للشيخ الألباني . ط المكتب الإسلامي ، ١٤٠٥ هـ .

{١١٢} - صحيح مسلم . حقق نصوصه وعلق عليه / محمد فؤاد عبدالباقي . ط الثانية ، ١٣٩٨ هـ ، دار الفكر ، بيروت .

{١١٣} - الصفات الاختيارية : لابن تيمية . ضمن جامع الرسائل والمسائل ، المجموعة الثانية . تحقيق د/محمد رشاد سالم . مطبعة المدني ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .

{١١٤} - الصفات الإلهية : للدكتور محمد امان . ط المجلس العلمي في الجامعة الإسلامية ، ١٤٠٨ هـ .

{١١٥} - الصين : للشيخ عبدالعزيز المسند . ط الأولى ، ١٤١٠ هـ. مطابع الفرزدق .

- ض -

{١١٦} - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع : للسخاوي . تصوير بيروت، دار مكتبة الحياة .

- ط -

{١١٧} - طبقات الحنابلة : لابن أبي يعلى . دار المعرفة ، بيروت . مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٢ هـ .

{١١٨} - طريق الهجرتين : لابن القيم . صححه وراجعه : إبراهيم الأنصاري . طبع على نفقة الشيخ حمد بن فالح آل ثاني .

- ع -

{١١٩} - علماء نجد خلال ستة قرون : للبسام . ط الأولى . مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة .

{١٢٠} - علماء ومفكرون عرفتهم : للشيخ محمد المجذوب . ط الثانية . ١٤٠٣ هـ . عالم المعرفة .

{١٢١} - علماؤنا : إعداد فهد البدراني ، وفهد البراك . ط الأولى، ١٤١٠ هـ . طباعة مكتب المهندس .

{١٢٢} - العبودية : لابن تيمية . ط الخامسة ، ١٣٩٩ هـ . المكتب الإسلامي .

{١٢٣} - عقيدة الحافظ تقي الدين عبدالغني المقدسي . تحقيق / عبدالله بن محمد البصيري . ط الاولى ، مطابع الفرزدق .

{١٢٤} - العقيدة النظامية : للجويني . تقديم وتحقيق د / احمد حجازي السقا . الناشر : مكتبة الكليات الازهرية ، ط الاولى ، ١٣٩٨ هـ . مطبعة دار الشباب بالعباسية .

{١٢٤} مكرر - علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين : للدكتور رضا نعسان معطي . شركة العبيكان للطباعة ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ .

{١٢٥} - العين والاثر : للمواهبي . تحقيق / عصام رواس قلعجي . ط الاولى ، ١٤٠٧ هـ . دار المامون للتراث .

- ف -

{١٢٦} - فتح الباري : لابن حجر . تحقيق / محب الدين الخطيب . المكتبة السلفية ، ط الثالثة ، ١٤٠٧ هـ .

{١٢٧} - فتح القدير : للشوكاني . ط دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١ هـ .

{١٢٨} - فتح المجيد : للشيخ عبدالرحمن بن حسن . ط ١٤٠٣ . توزيع الإدارات العلمية للبحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد .

{١٢٩} - الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان : لابن تيمية تحقيق/عبدالقادر الارناؤوط . مكتبة دار البيان ، دمشق ، ١٤٠٥هـ .

{١٣٠} - الفرق بين الفرق : للبغدادي . تحقيق / محمد محيي الدين عبدالحميد . الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .

{١٣١} - الفتوى الحموية الكبرى : لابن تيمية . تقديم / محمد عبدالرزاق حمزة . مطبعة المدني ، ١٤٠٣ هـ .

{١٣١} مكرر - فضائل الصحابة : للإمام احمد . بتحقيق : وصي الله ابن محمد عباس . ط مؤسسة الرسالة . نشر مركز البحث العلمي في جامعة ام القرى في مكة المكرمة ، ط الاولى ، ١٤٠٣ هـ .

{١٣٢} - الفكر الصوفي : للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق . مكتبة ابن تيمية ، الكويت ، ط الثالثة ، ١٤٠٦ هـ .

{١٣٣} - في ظلال القرآن : للشيخ سيد قطب . ط دار الشروق ، ط التاسعة ، ١٤٠٠ هـ .

- ق -

{١٣٤} - قانون التاويل : لابن العربي . تحقيق/محمد السليماني ، ط الاولى ، ١٤٠٦ هـ . نشر دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة .

{١٣٥} - القاموس المحيط : للفيروز آبادي . طبع مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الاولى ، ١٤٠٦ هـ .

{١٣٦} - القضاء والقدر : للشيخ محمد الصالح العثيمين . محاضرة ، ط الاولى ، ١٤١١ هـ . دار الافق للنشر والتوزيع .

{١٣٧} - القضاء والقدر : د . عمر الاشقر . دار النفائس ، الكويت، ط الاولى ، ١٤١٠ هـ .

{١٣٨} - القواعد المثلى : للشيخ محمد الصالح العثيمين . مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٥ هـ .

{١٣٩} - القول السديد : للشيخ عبدالرحمن السعدي . ط الجامعة السلامية بالمدينة .

- ك -

{١٤٠} - كتاب الاسماء والصفات : للبيهقي . دار الكتب العلمية ، بيروت .

{١٤١} - كتاب التوحيد : لابن خزيمة . تحقيق / د.عبدالعزيز الشهوان ، ط الاولى ، ١٤٠٨ هـ ، دار الرشيد للنشر والتوزيع .

{١٤٢} - كتاب التوحيد : لابن مندة . تحقيق / د. علي بن ناصر الفقيهي . ط الاولى . طبع مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة . توزيع مركز شؤون الدعوة بالجامعة .

{١٤٣} - الكشاف : للزمخشري . ط دار الفكر ، بيروت . بدون تاريخ.

{١٤٤} - كشف الاستار . بقلم د . علي جابر الحربي . ط الأولى ، ١٤١٠ هـ . دار طيبة بمكة .

{١٤٥} - الكواشف الجلية لشرح العقيدة الواسطية : للشيخ عبدالعزيز السلمان . ط الثانية ، ١٣٩٠ هـ . مطبعة دار السعادة ، القاهرة .

- ل -

{١٤٦} - لمعة الاعتقاد : لابن قدامة . خرج احاديثها /بدر بن عبدالله البدر . ط الأولى ، ١٤٠٦ هـ ، دار السلفية ، الكويت .

{١٤٧} - لسان العرب : لابن منظور . مكتبة دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ .

{١٤٨} - لوامع الأنوار البهية : للسفاريني . ط الثانية ، ١٤٠٥ هـ المكتب الإسلامي .

- م -

{١٤٩} - مجموع فتاوى شيخ الإسلام . طبعة خادم الحرمين الملك فهد . إشراف الرئاسة العامة ، شؤون الحرمين الشريفين ، ١٤٠٤هـ .

{١٥٠} - مجموع فتاوى الشيخ عبدالعزيز بن باز . الطبعة الثانية ، ١٤٠٨ هـ . طبع بشركة العبيكان للطباعة والنشر ، الرياض .

{١٥١} - المجموعة المنيرية . إدارة الطباعة المنيرية . ط الأولى، عام ١٣٤٣ هـ .

{١٥٢} - مختصر الصواعق المرسلة : لابن القيم . تصحيح زكريا علي يوسف . مكتبة المتنبي ، القاهرة . مطبعة دار البيان بعابدين .

{١٥٣} - مدارج السالكين : لابن القيم . تحقيق/محمد حامد الفقي . دار الكتاب العربي ، ١٣٩٢ هـ .

{١٥٤} - مذكرة أصول الفقه : للشيخ محمد الأمين . ط المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، ١٣٩١ هـ .

{١٥٥} - المستدرك على معجم المؤلفين : لعمر رضا كحالة . مؤسسة الرسالة . الطبعة الثانية ، ١٤٠٨ هـ .

{١٥٦} - مسند الإمام أحمد . وبهامشه المنتخب من كنز العمال . دار صادر ، بيروت .

{١٥٧} - مشكاة المصابيح : للتبريزي . تحقيق الألباني . ط الثانية ١٤٠٥ هـ ، المكتب الإسلامي .

{١٥٨} - مشكل الحديث : لابن فورك . ط ١٤٠٠ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

{١٥٩} - المعين والزاد . جمع سيد الأمين بن السامي الجكني . ط الأولى ، ١٣٩٦ هـ .

{١٦٠} - معجم المؤلفين : لعمر رضا كحالة . دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

{١٦١} - معارج الصعود : للشيخ محمد الأمين . جمع / د. عبدالله قادري . طبع دار المجتمع ، ط الأولى ، ١٤٠٨ هـ .

{١٦٢} - معارج القبول : للشيخ حافظ حكمي . المطبعة السلفية ومكتبتها . بدون تاريخ .

{١٦٣} - المغني : لابن قدامة . تحقيق / د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، و د. عبدالفتاح محمد الحلو . ط الأولى ، ١٤٠٦ هـ .

{١٦٤} - مقدمة ابن خلدون . ط الخامسة ، ١٩٨٤ م . دار القلم ، بيروت .

{١٦٥} - الملل والنحل : للشهرستاني . تحقيق / محمد سيد كيلاني . ط ١٤٠٠ هـ . دار المعرفة ، بيروت .

{١٦٦} - مفتاح دار السعادة : لابن القيم . دار نجد للنشر والتوزيع ، ١٤٠٢ هـ .

{١٦٧} - المفردات في غريب القرآن : للراغب الاصفهاني ، ط ١٣٨١ هـ شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي ، مصر . تحقيق / محمد سيد كيلاني .

{١٦٨} - مقالات الإسلاميين : للاشعري . تحقيق /محمد محيي الدين عبدالحميد . ط الثانية ، ١٣٨٩ هـ .

المنزل للتعبد والإعجاز

{١٦٩} - منع جواز المجاز في ~~المتعبد والإعجاز~~ : للشيخ محمد الامين . الملحق بالجزء العاشر باضواء البيان ، ط ٣ ، ١٤٠٣ . على نفقة سمو الأمير احمد بن عبدالعزيز .

{١٧٠} - منهاج المسلم : لابي بكر الجزائري . دار الشروق ، ط السابعة ، ١٤٠٧ هـ .

{١٧١} - منهج التشريع وحكمته : للشيخ محمد الامين . محاضرة طبعت بمطابع الجامعة السلامية ، ط الاولى .

{١٧٢} - منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الاحكام من أضواء البيان : إعداد عبدالرحمن السديس . مكتوب على الآلة الكاتبة .

{١٧٣} - منهج ودراسات في آيات الاسماء والصفات : للشيخ محمد الامين . ط الرابعة ، ١٤٠٤ هـ . دار السلفية ، الكويت .

{١٧٤} - مناهل العرفان : للزرقاني . دار إحياء الكتب العربية . ١٣٦٢ هـ .

{١٧٥} - موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول : لابن تيمية . ط دار الكتب العلمية ، بيروت . بهامش منهاج السنة النبوية .

{١٧٦} - المواقف في علم الكلام : للإيجي . ط عالم الكتب ، بيروت .

{١٧٧} - مواهب الجليل من تفسير البيضاوي : للشيخ محمد كنعان .

{١٧٨} - الموطأ : لمالك بن أنس . ط دار الحديث . تصحيح / محمد فؤاد عبدالباقي .

{١٧٩} - مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب . - قسم العقيدة - . طبع بمطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

- ن -

{١٨٠} - النبوات : لابن تيمية . ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ .

{١٨١} - نقض المنطق : لابن تيمية . تحقيق / محمد عبدالرزاق حمزة ، وسليمان المنيع . مكتبة السنة المحمدية ، ١٤٠٧ هـ . تصحيح / محمد حامد الفقي .

{١٨٢} - نهاية الإقدام : للشهرستاني . تحقيق : الفرد جيوم . لندن ، ١٩٣٤ م .

{١٨٣} - النهاية في الفتن والملاحم : لابن كثير . تحقيق / محمد أحمد عبدالعزيز ، ط دار الحديث ، ١٤٠١ هـ .

- و -

{١٨٤} - الوابل الصيب في الكلم الطيب : لابن قيم الجوزية . تحقيق/ بشير محمد عون . الناشر : مكتبة دار البيان . دمشق .

{١٨٥} - وفيات الأعيان : لابن خلكان . تصوير دار الثقافة ، بيروت - لبنان .

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنوان	رقم الصفحة
المبحث الثاني : عقيدته	٥٩
المبحث الثالث : أعماله ووظائفه	٦٨
أعماله قبل مجيئه إلى المملكة	٦٨
أعماله بعد قدومه المملكة	٦٩
المبحث الرابع : تلاميذه	٧٠
المبحث الخامس : مؤلفاته	٧٦
المحاضرات والرسائل	٧٧
أشرطة في تفسير بعض آيات القرآن	٨٠
المبحث السادس : ثناء العلماء عليه	٨٤
الباب الثاني : جهود الشيخ في بيان الإيمان بالله	٨٩
تمهيد	٩٠
تقسيم الشيخ لأنواع التوحيد	٩٢
الفصل الأول : توحيد الربوبية	٩٨
تعريفه	٩٨
القلوب مفطورة على هذا النوع من التوحيد	٩٩
دلالات توحيد الربوبية إلزام للاعتراف بالألوهية	١٠١
الاستفهامات التي في آيات الربوبية تقريرية	١٠٢
الفصل الثاني : توحيد الألوهية	
المبحث الأول : تعريف التوحيد	١٠٦
معنى لا إله إلا الله	١١٤
المبحث الثاني : براهين التوحيد	١٢١
المطلب الأول : دلالة الصفات على توحيد الألوهية	١٢٢
قدرة الله على الخلق	١٢٧
النافع الضار	١٣٠
الرازق	١٣٤

العنوان	رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنـــــوان	رقم الصفحـة

العنـــوان	رقم الصفحـــة

العنـــوان	رقم الصفحة